



مجلة المؤرخ العربي

يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

المحتويات

٧	كلمة الافتتاح للإستاذ الدكتور حسين محمد ربيع مدير الإصدار
٨	كلمة التحرير ثلاثادة الدكتور زياد محمد عطا رئيس تحرير المجلة
١١	د. محمود أبو الحسن أحمد وليفة كوسمبولر الهندية في مصر في العصر الروماني
٢٥	أ. د. أحمد بن عمر الزينقي الأسواق العربية الموسمية بمنطقة مكة المكرمة في عصر الجاهلي والإسلامي
٤١	د. أماني خليفة محمد علي البحر علاقة عهد جنوب الجزيرة العربية من القرن الأول إلى ثلاثاء تمويدي
٤٧	د. منيعة محمد عبد العزيز أشرفاوي أراء عمر في عصر نمونة العربية الإسلامية وموقعها في النشاط الجغرافي
١٢٥	د. إبراهيم علي القلا وسلطان دغلية عند فاطميين ٧٥٨-٥٢٧هـ/١٣٦٦-١١٧٧م
١٦٩	أ. حنان عبد الفتاح مطاوع تطور نموذج تطور صناعة سلاح في الأندلس
٢٠٩	د. عائشة بنت مرشود حميد مركبة تصيد حدك وتلقح ٥٠٠-٥١١هـ
٢٢٥	د. محمد أحمد محمد انكروسي مدارس البيوتاني تطور العمارة
٢٦٢	د. محمد أحمد علي يهنساوي تصاغات لادغلبة الجشية في عصر تاجي من حكم الأسرة السعديانية
٢٨٧	د. محمد سيد كامل محمد تنظيمات البحرية وتخطيط البحرية في دولة الأيوبيين

٣١٧

د. حسام محمود المخلوي

التحصينات الدفاعية في الأنتن: عصر بني الأحمر.

٣٢٩

د. محمد أسامة زكي زيد

موقف ابن أبي زيد المريني من العثمانيين

٣٧٨

د. حصة جمهان الهلالي الزهراني

نتائج الاستعمار البريطاني على جنوب الجزيرة العربية

وظيفة الكومارخوس (العمدة) في مصر في العصر الروماني (دراسة في النظام الإداري للقريبة المصرية)

د. محمود أبو الحسن أحمد (*)

يمكن القول بأن وظيفة الكومارخوس ظهرت بمصر في النقوش والوثائق البردية اليونانية منذ القرن الثالث ق.م وحتى القرن السادس الميلادي، وإن لم يكن بشكل متواصل خلال تلك الفترة الزمنية الطويلة. فكانت أول إشارة لهذه الوظيفة في العصر الروماني في منتصف القرن الثالث الميلادي وبالتحديد في عام ٢٤٨/٢٤٧ م في وثيقة من إقليم أوكميرنخوس^(١)، ثم كانت الإشارة الثانية في وثيقة من قرية ثيادلفيا بالفيوم في عام ٢٥٠ م - ٢٥٣ م^(٢).

ويبدو أن ظهور وظيفة الكومارخوس مرة أخرى خلال القرن الثالث الميلادي بعد أن كانت موجودة خلال حكم البطالمة، **يتماشى مع الإصلاحات الإدارية** التي حدثت في عهد الإمبراطور فيليب العربي، حيث اختلفت وظيفة **كاتب القرية** التي كانت معروفة من قبل ثم حلت وظيفة الكومارخوس بدلا منها، فكانت أجر إشارة إليها في وثيقة من أوكميرنخوس في عام ٢٤٥ م (P. Oxy. XLII, 3047)، وفي إقليم أرسنوي احتل موظف الأنفورخ كوموجراماتوس (amphodarch komgrammateus) فكانت آخر إشارة إلى هذا الموظف في عام ٢٢٩/٢٣٠ م (B.G.U. , vii, 1634)^(٣).

تعين الكومارخوس :

كان تعين الكومارخوس (عمدة القرية) في منتصف القرن الثالث الميلادي، بعد من اختصاص الإسترانجوس (حاكم الإقليم) ، حيث كان كومارخوس القرية الذي شارفت مدة خدمته على نهايتها، يرشح تقريراً إلى الإسترانجوس يوضح فيه أسماء الأشخاص المرشحين لتولي هذه الوظيفة بعد انتهاء فترة خدمته . وكان لابد أن يتوافر فيهم عدة شروط أهمها: الصدق والأمانة وتحمل المسؤولية، وكان من أول الوثائق التي أشارت إلى تعين أحد الأفراد في وظيفة الكومارخوس في العصر الروماني، وثيقة من هيراكليوبوليس ترجع إلى عام ٢٤٨ م نقرأ منها " إلى بروكليوس procles استرانجوس إقليم هيراكليوبوليس من اورينبوس هارمسيوس Aurelius Harmasis منكومارخوس هذا المكان، على مسئوليتي و وفقاً لما هو متعارف عليه اخترت من يقوم بهذه المهمة للعام القادم ألا وهو: باكوس بن فيليب Pakoueis philippi وهو مؤهل لتولي أعباء هذه الوظيفة"^(٤).

(*) مدرس بقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر.

وفي بداية القرن الرابع الميلادي وبالتحديد عام ٣٠٧ م، ومع التغير الذي حدث في النظام الإداري في مصر، وهو ظهور الباجوس واختفاء التويرخية من التقسيمات الإدارية داخل الإقليم، وما صاحب ذلك من ظهور وظيفة جديدة هي وظيفة حاكم الباجوس (المركز) Praepositus pagus والذي تمثل مهمته في إدارة شئون المركز، ومنذ ذلك التاريخ أصبح تعيين الكومارخوس (عمدة القرية) من اختصاص هذا الموظف، وذلك من خلال تقرير يرفع إليه من كومارخوس القرية بالأسماء التي تم ترشيحها لتوظيفة. فنقرأ في وثيقة من قرية كراتيس بالفيوم، ترجع إلى عام ٣٠٨ م " إلى أوريثيوس هيراكلينس حاكم الباجوس الخامس من أوريثيوس إزيدورس سربايون وأيون سيرون كومارخوي قرية كراتيس نعلمك ونقدم لك تقريراً عن تم ترشيحهم لتولي منصب الكومارخوس للعام القادم وهم إزيدورس بن بطلميوس وبطلميوس بن باتيستيس (*)".

ونقرأ في وثيقة أخرى ترجع إلى عام ٣٢٦ م: من أوكسيرخوس " إلى أوريثيوس خابريمون حاكم الباجوس الثامن من أوريثيوس بينيس بن ساكون وزيلوس بن ميلان كومارخوي قرية ثاندنيا فإنه نظراً لإستكمال مدتنا القانونية لهذا العام في وظيفة الكومارخوس نعلمك ونقدم إليك تقريراً على مسئوليتنا بخصوص اختيارنا من ترشيحهم لتشغل وظيفة الكومارخوس للعام الخامس عشر، وسوف ندرج أسمائهم أسفل وهم من ذوي الأسلاك ويتمتعون بالصنف والأمانة وقد قبلوا بالقيام بأعباء هذه الوظيفة (*)". وتفيد إشارة أخرى إلى تعيين الكومارخوس من قبل حاكم الباجوس ترجع إلى عام ٣٥٠ م، في وثيقة من هرموبوليس نقرأ منها " إلى أوريثيوس ديوكليس حاكم الباجوس الثاني عشر بالإقليم من أوريثيوس بيسيس Aurelius Pusios وأوريثيوس باسوتيوس Aurelius pasotes والإنشان كومارخوي قرية أبيون Apion في الجزء الأعلى من الباجوس الذي هو تحت سلطتك، نخبرك ونعلمك بأسماء الأفراد الذين سوف يتولوا الوظائف الإلزامية للعام القادم ومنهم ديمتريوس بن بينوتيسوس Demetrius pinoutions لوظيفة الكومارخوس (*)".

وهكذا يتضح لنا من خلال العرض السابق: أن الاستراتيجيوس (حاكم الإقليم) هو الذي كان يقوم بتعيين الكومارخوس وذلك بعد ترشيح من قبل كومارخوس القرية القادم بالعمل، ولكن مع بداية القرن الرابع وحدث التغييرات الإدارية التي شهدتها مصر، وجدنا أن حاكم الباجوس (المركز) هو الذي كان يقوم بتعيين الكومارخوس، ويبدل ذلك على أن الهدف من هذه التغييرات الإدارية، هو تقليص المركزية في النظام الإداري واعطاء حاكم الباجوس سلطات أكبر مما كانت عليه من قبل .

وفي الغالب الأعم كان منصب الكومارخوس يتولاها إنسان من الموظفين داخل كل قرية (*)، أما في بعض الحالات النادرة فكان يتم تعيين موظف واحد لهذه الوظيفة، حيث أشارت إحدى الوثائق من إقليم هيراكلوبوليس ترجع إلى عام ٢٤٨ م (P. Oxy. xvii, No. 3178.) إلى تعيين موظف واحد لوظيفة الكومارخوس، بينما أكدت وثيقة من أوكسيرخوس ترجع إلى نفس

الفترة تقريباً وبالتحديد في عام ٢٤٧م وجود اثنين من الكومارخوس يحكمان قرية نيمسيس Nesmimis بأوكسميرنخوس وهما : أوريليوس ديونيسيوس Aurelius Dionsios وديونيسيوس بن نيونيسيوس Dionysios Dionysio، ومن ثم فمن المحتمل أن يكون زمينه في الوظيفة لم يكن أنهى مدة خدمته^(١٠).

ومن الجدير بالذكر أن هناك برديسة أشارت إلى تعيين ثلاثة أفراد في وظيفة الكومارخوس بقرية ميريرثا بأوكسميرنخوس ترجع إلى عام ٣٤٦م نقرأ منها ' أنه في السابع والعشرين من شهر توت تم إرسال رسالة إلى أوريليوس سارليامون بن أبولوجيوس Aurelius Sarapmon Aulogios حاكم الباجوس الأول بإقليم أوكسميرنخوس كل من أوريليوس حورس بن هوريون Aurelius Horos Hrion وبتيشوتيس بن حورس ويطلميوس بن هرمياس، والثلاثة من قرية ميريرثا وكومارخوي القرية^(١١).

بل يمكن القول أيضاً بأن هناك أربعة أفراد قد تولوا منصب الكومارخوس لقرية فيلاتنيا لعام ٣٤٧م وهم : أوريليوس أمونيوس بن أوكسيس Aurelii Amonianos Ekysis والتوتيس بن ثيوس Allonios thios وتيماجينيس أسبون Timaggenes Aston وأوس بن هاتريس mouS Hatres^(١٢).

ونعل السبب وراء تولى أكثر من فرد لهذا المنصب، هو كثرة المهام والأعباء المتوقعة بهذه الوظيفة، فكل الأمور المترتبة بالدولة داخل القرية كانت تسلم إلى من يقوم بهذه الوظيفة، ولعل من يعنى النظر في شسقة النظام الإداري للدولة الرومانية والتحكم الروماني في مصر يجد أن هناك سبباً آخر في غاية الأهمية وهو أن الدولة الرومانية كانت تخشى أن يتفرد شخص واحد بإدارة هذه الحلقة الهامة والرئيسية داخل النظام الإداري، ويؤكد ذلك أن كل قرارات موظفي الكومارخوي كانت يجب أن تتم بالإجماع ولايحق لفرد واحد من بين المعينين بهذه الوظيفة أن يقوم بإصدار القرارات منفرداً.

وكان تعيين الكومارخوس يتم في معظم الأقاليم في شهر مسرى Mesori (أغسطس) قبل بداية شهر توت thoth (سبتمبر) بداية العام الجديد وفيما يلي عرض لبعض الوثائق التي توضح ذلك .

المكان	اسم الموظف	التاريخ	الوثيقة
أوكسميرنخوس	أوريليوس اجونيس أوريليوس ياتاوريس	٢٩ أغسطس ٢٥٦م	p.Oxy. 2714
هيركليونوبوليس	باكوس بن فينيب	أغسطس ٢٤٨م	P.Oxy. 3178.
كراتيس (الرسولي)	إزيدورس بن بطلميوس	١٦ أغسطس ٣٠٨م	p.cairo-Isid, 125
		١٩ أغسطس ٣١٨م	P.Got. 5
باليوبوليس		٢٤ أغسطس ٣٢١م	p.S.B,vi,9544
ثياندنيا	بينيس بن ساكون	١٩ أغسطس ٣٢٦م	P.sakon52

سدة حكم الكومارخوس :

قيما يتعلق بمدّة شغل الكومارخوس للتوظيفة، في المعتاد كانت تستمر لمدة عام واحد، وإن كان هناك بعض الأفراد شغلوا المنصب لأكثر من عام وأكثر من مرة وفيما يلي عرض لبعض الوثائق :-

** كومارخية قرية ليمادلفيا

العلاقة	الاسم	التاريخ	المصدر
أخو ساكون	بابسيس ساتابوس	يونيو ٢٩٩	P. Sakon, 58.
ابن عم ساكون	أوريلئوس ميلاس	يونيو ٢٩٩	P. Sakon, 58.
	ساكون ساتابوس	٣٠٧/٣٠٦ م	P. Sakon, 13.
	ساكون	٣٠١٢/٣٠١١ م	P. Sakon, 18.
	ساكون	٣٢٤/٣٢٣ م	P. Sakon, 51.
ميلاس بن عم ساكون	أوج بن ميلاس	٣٢٤/٣٢٣ م	P. Sakon, 51.
	ساكون	٣٢٥/٣٢٤	P. Sakon, 23, 24.
بن ساكون	ببببب	٣٢٦/٣٢٥	P. Sakon, 52.
ميلاس بن عم ساكون	زيئوس بن ميلاس	٣٢٦/٣٢٥	P. Sakon, 52.
بن ساكون	الطوتوريوس	٣٢٧/٣٢٦	P. Sakon, 52.
بن ميلاس	كوتياس	٣٢٧/٣٢٦	P. Sakon, 52.
بن ساكون	بنياس	٣٢٨/٣٢٧	P. Sakon, 25.
بن ساكون	بنياس	نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع	P. Sakon, 29.

** كومارخية قرية فيلادلفيا:

العلاقة	الاسم	التاريخ	المصدر
بن بكوسيس pekysis	أوريلئوس أمونيوس	٣٧٢ م	P. Gen, 70.
بن بكوسيس	أوريلئوس أمونيوس	مايو ٣٧٤ م	P. Gen, 66.
بن بكوسيس	أوريلئوس أمونيوس	٣٨٢ م	P. Gen, 67.
بن بكوسيس	أوريلئوس أتباتوس	٣٨٦ م	P. Gen, 69.

** كوماخية قرية كرايس :

العلاقة	الاسم	التاريخ	المصدر
	اوريشوس ازيدورس سراييون وابوليسوس سيرنوس	م٣٠٧ / م٣٠٨	p.Cairo-isid.125
	اوريشوس ازيدورس بن بالتنيس واوريشوس دولوس	م٣١٤	p.Cairo-isid.54.
	أوريشوس أرسنون وأوريشوس جبرمانوس	م٣١٥	p.Cairo-isid.57.

** إشارات متفرقة :

المكان	الاسم	التاريخ	المصدر
قرية نوسيميس باوكسيرنخوس	اويلوس ديونيسيوس ديونيسيوس بن ديونيسيوس	م٢١٧	p.oxy.2123
قرية بوتو بمطيس	اوريلئوس سراييون واوريلئوس ازميدوس	م٢١٤	p.Cairo-isid.128
قرية سيلو بالاجوس السابع باوكسيرنخوس	ايدليمون بن هيركس وحصتيومين بطلميس	م٣١١	p.oxy.3774.
قرية ميرمرته بالاجوس الاول باوكسيرنخوس	اوريلئوس حورس باتيختونيس بن حورس بطلميس بن هرمياس	م٣١٦	p.oxy.4128.
قرية كيموخيس بالاجوس الثامن باوكسيرنخوس	اوريشوس باوسيريس اوريلئوس هورون	م٣٥٠	p.oxy.2232.
قرية ابون بالاجوس الثاني عشر بهرمويليس	اوريلئوس بيسيس اوريلئوس باسوتيس	م٣٥٠	p. Amh. 139.

ومن خلال النظر في هذه الإشارات يتضح لنا أن الكومارخوس كان يشغل هذا المنصب في الغالب لمدة عام واحد، وإن كان هناك بعض الأفراد قد شغلوا هذا المنصب لأكثر من عام وأكثر من مرة ، ففي قرية فيلاندنيا في الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي، نجد أن أوريليوس أمونيوس كان كومارخوس في عام ٣٧٢م، ٣٧٤م، و٣٨٢م فضلاً عن أن أخاه أوريليوس أنباتوس قد تولى ذات المنصب في عام ٣٨٦م.

و في قرية ثيانفيا نجد أن أفراد عائلة أوريليوس ساكون قد شغلوا منصب الكومارخية في القرية في الفترات ٢٩٨/٢٩٩م، ٣٠٦/٣٠٧م، ٣١١/٣١٢م، ٣٢٤م، ٣٢٥م، ٣٢٦م/٣٢٧م، ٣٢٨/٣٢٧م. فضلاً على أن ساكون شغل المنصب لغترتين متتاليتين ٣٢٣/٣٢٤م، ٣٢٥/٣٢٤م، وإن دل هذا على شيء فإتما يدل ربما على اكتساب بعض موظفي الكومارخوس لغة حاكم الباجوس مما يؤهله للاستمرار في أداء مهام وظيفة الكومارخية لأكثر من عام.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن هناك أشارت إلى أن بعض موظفي الكومارخوس قد عقدوا اتفاقيات فيما بينهم، وذلك لتحديد الأفراد الذين سوف يخلفوهم في القيام بمهام هذه الوظيفة، فهناك وثيقة من قرية فيلاندنيا ترجع إلى عام ٣٨٧م أتفق فيها كل من أوريليوس هول Aureli Hol كومارخوس القرية للعام الثالث من حكم دكديتيوس والثاني من حكم ماكسيميانوس مع كورنيليس Corenelius الكومارخوس لنفس القرية. على أن يتم تعيين الأخير في وظيفة الكومارخوس للعام القادم ومع انتهاء مدة خدمته، يقوم كورنيليس بتعيين ديوسكوروس Dioscorus أخو هول في نفس الوظيفة للعام الذي يليه، وفي حالة نقض أي من الطرفين للاتفاق سوف يدفع غرامة قدرها ٢٠٠٠ دراهمة فضية للعام الثالث من حكم دكديتيوس والثاني من حكم ماكسيميانوس (٢). وتكررت نفس الحالة في وثيقة من قرية ثيانفيا، حيث أتفق كل من بيثيس بن ساكون وزيلوس بن ميلاس كومارخوي القرية للعام ٣٢٦/٣٢٥ على أن يتولى الوظيفة للعام القادم كل من أنطونيوس بن ساكون وكوتياس بن ميلاس (٣). وفي وثيقة ثالثة من أوكسيرنخوس ترجع إلى عام ٢٥٦م قام باتاوريس بن سارس كومارخوس قرية باتيوي paneui عن العام الثالث، بترشيح أخوه تانيميهوس Talemaehous بن سارس عن العام الرابع لوظيفة الكومارخوس (٤).

وتحمل السبب وراء ذلك كان يتمثل في أن الأفراد الذين كانوا يشغلون منصب الكومارخوس، كانوا يميلون إلى إسناد الوظيفة للمقربين منهم حيث إن ذلك المنصب كان يعطي شعوراً بالمرودة والفخر، فكل الأعمال داخل القرية كانت تدور من حول هذا الموظف، فهو المسئول عن جمع الضرائب والديون وتأجير أراضي الدولة للأفراد والتعاون مع الشرطة في القبض على الخارجين عن القانون، ويؤكد ذلك أنه على الرغم من أن كثيراً من البرديات أشارت إلى تساؤل شعبية الوظائف الإلزامية في مصر في القرن الرابع الميلادي ورغبة الكثير من الموظفين في التخلي عنها بالهروب أو الإبدال، إلا أننا لا نجد مثلاً واحداً لكومارخوس يحاول الهروب من تولد مهام وظيفته، بل على العكس نجدتها مصدراً لكسب المال وإن كانت بطرق غير مشروعة (٥).

مهام ومسئوليات الكومارخوس (عمدة القرية)

تعددت مهام ومسئوليات الكومارخوس، حيث اشتملت على تسيير كل الأعمال المتعلقة بالدولة داخل القرية، ويأتي في مقدمتها ترشيح الأشخاص الذين سوف تسند إليهم الوظائف والأعمال الإلزامية وجمع الضرائب عن القرية بالإضافة إلى سلطات شرطية. وخلال الصفحات التالية سوف نتناول تلك المهام والمسئوليات بشئ من التفصيل وذلك على النحو التالي:

١- المهام المتعلقة بترشيح الأفراد للوظائف والأعمال الإلزامية:

كان الكومارخوس يرفع قائمة بأسماء الأفراد والمرشحين للقيام بالوظائف والأعمال الإلزامية إلى الأستراتيجوس وذلك منذ بداية ظهور وظيفة الكومارخوس في العصر الروماني وحتى نهاية القرن الثالث الميلادي، ومع بداية القرن الرابع الميلادي وحدثت تغييرات إدارية أصبح الكومارخوس يرفع تلك القائمة إلى حاكم الباجوس من أجل التصديق عليها واعتمادها. ونقرأ أولى الوثائق الدالة على ذلك، وثيقة من أوكسيرنخوس ترجع إلى عام ٢٤٨/٢٤٧م بخصوص تعيين إثنين من المساعدين لم يتم تحديد المهام التي سوف يقومون بها "إلى أوريليوس فيلوكسينتوس استراتيجوس مدينة أوكسيرنخوس من أوريليوس ديونيسيوس الأصغر بن خيراس ديونيسيوس بن ديونيسيوس والإنسان كومارخوي قرية نيميسس وكتابا هذه الوثيقة حيث يطلبان تعيين هذين المساعدين خلال العام القادم وهو العام الخامس من حكم فيليب وهذان المساعدين هما: أوريليوس فيولياس بن هيراس و....." (٦).

كما توجد وثيقة أخرى ترجع إلى عام ٢٥٦م بخصوص ترشيح أفراد في وظائف مختلفة داخل القرية بواسطة الكومارخوس نقرأ منها: "إلى أوريليوس سابينوس Aurelius Sabinos استراتيجوس إقليم أوكسيرنخوس من أوريليوس باجوثيس بن Aurelius Pagonis وأوريليوس باتاوريس بن سارس Aurelius Patauris Saras والإنسان كومارخوي قرية باتيوي paneui عن العام الثالث، تقدم قائمة بأسماء المرشحين لتولي المهام الإلزامية عن العام الرابع من سكان القرية وهم تالميهوس Talemaeheus بن سارس Saras وأمه تسمى هينثي Helene و باتوس Patos بن هيراكلئوس Hracleus لوظيفة الكومارخوي وبتارخس Patarchs بن بيكسيس Pekysis لوظيفة الأمن وكاستور castor بن تليماخوس Telemachus لوظيفة حراسة الحقول وبتوثيون بن دوجاس وأمونيوس بن بيكسيس Ammonios Pekysis وبلونتوس بن فالون Papontos phalon لوظيفة حراسة الحنطة المدروسة" (٧).

وهناك وثيقة من أوكسيرنخوس ترجع إلى عام ٣١٦م، نقرأ منها: "إلى أوريليوس هيراس بن ديونيسيوس حاكم الباجوس الثامن من أوريليوس باتيروس بن منخيس التيسرارويوس وأوريليوس باوسيريس بن فلاثيوس وأوريليوس هوريون والإنسان كومارخوي قرية كيسموخيس بالياجوس، ترشح للقيام بوظيفة جامعي اللحوم والقش لشخصاً مناسبين للقيام بهذه المهمة وهما: أوريليوس ثوتيس لجمع اللحوم وأوريليوس باتيرونيسين أمونيوس لجمع القش" (٨).

وكان الكومارخوس مسئولاً عن ترشيح موظف التيسرارايوس حيث يتضح ذلك من وثيقة ترجع إلى عام ٣٢٢م، وهي عبارة عن خطاب موجه إلى حاكم الباجوس الثاني بالقديم ... من أوريليوس بنويتيريس Aurelius Pneponteris وأوريليوس بسيلينوثيس Aurelius Pserpnouthes الكومارخوي، حيث ترشح لمنصب التيسرارايوس بمرنوثيس بن سراييون Pserpnouthes Sarapion في الفترة ما بين شهر فامينوث phamenoth إلى شهر توت thot من العام الجاري (٩).

وكان ترشيح السيتولوجوي والأبتيائي داخل القرية من اختصاص الكومارخوس، حيث يتضح ذلك في وثيقة من قرية ثيانلقيا ترجع إلى عام ٣٤٢م، نقرأ منها: إلى فيلاتاس Philatos حاكم الباجوس الثامن من ساكون بن ساتابوس Sakaon Satabus ورفيقي أوج بن ميلاس Aoug melas والإنسان كومارخوي قرية ثيانلقيا، نرفع إليك تقريراً على مسئوليتنا المشتركة بالأفراد المرشحين لتولي منصب السيتولوجوي والأبتيائي بالقرية للعام الثاني عشر واختيارهم على مسئوليتنا المشتركة، وأسماؤهم مدرجة أسفل وقد قبلوا القيام بمهام هاتين الوظائفين بكل صدق وأمانة وفقاً لما هو متعارف عليه (١٠).

ويتضح لنا من خلال العرض السابق أن كافة المهام والوظائف الإلزامية داخل القرية كانت ضمن اختصاصات موظف الكومارخوس، فهو المسئول الأول عنها وذلك من خلال اختيار الأفراد ورفع أسمائهم كمرشحين إلى رؤسائه.

٢- المهام المتعلقة بصحة الضرائب عن القرية:

كان من بين المهام والمسئوليات المنوط بها الكومارخوس الالتزام بجمع الضرائب المقررة على القرية، وهذا ما بدأ واضحاً في بعض الوثائق البردية، فهناك وثيقة ترجع إلى عام ٣١٥م، هي عبارة عن إيصال يفيد استلام أوريليوس كلوثوس قائد المركب واحد وعشرين ونصف أردب من الشعير من أوريليوس أرمستون و أوريليوس جيرماتوس كومارخوي قرية كرايس (١). كما توجد وثيقة أخرى من نفس القرية ترجع إلى عام ٣١٥م تفيد بأن أرمستون وجيرماتوس الكومارخوي قد قاما بتسليم كميات من الخشب للجنود من أجل إبعاد النار وطهي الطعام وهي الحصة المقررة على القرية (٢).

كما كان الكومارخوس مسئولاً عن توفير الاحتياجات الضرورية للأفراد العاملين بالجهاز الإداري للدولة، وهو ما بدأ واضحاً في وثيقة من أوكسميرنخوس ترجع إلى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي، هي عبارة عن خطاب موجه من الاستراتيجوس إلى كومارخوس قرية ثورسيس يأمره فيه بتجهيز حمارين وحارسين للشخص الذي سوف يسمعه الخطاب (٣). من خلال العرض السابق يتبين للباحث أن كافة المهام والوظائف الإلزامية داخل القرية كانت من بين مهام ومسئوليات الكومارخوس، فهو المسئول الأول عنها، وذلك من خلال إعداده قائمة بالأسماء المرشحة لكل وظيفة ومهمة إلزامية، ثم رفع تلك القائمة إلى رؤسائه.

٢- المهام والمسئوليات الشرطية للكومارخوس:

تعددت المهام والمسئوليات الشرطية التي كانت تمند إلى الكومارخوس في العصر الروماني في مصر، وكان من أبرز تلك المهام ضبط الأفراد الخارجين عن القانون، وهو ما ظهر واضحاً وجتياً في وثيقة من أوكسيرنخوس ترجع إلى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي، وهي عبارة عن أمر ضبط موجه من رئيس المجلس التشريعي إلى الكومارخوس بحق رجل يعمل في وظيفة *nomophlaki* (وظيفة شرطية) (٤٤).

ولقد اتسعت سلطات الكومارخوس لتشمل بالإضافة إلى القبض على الأفراد الخارجين عن القانون داخل القرية القبض على الأفراد الغارين من القرية إلى قرى أخرى هرباً من الأعباء الإلزامية، طلي وثيقة من منف ترجع إلى عام ٣١٤م هي عبارة عن تقرير مرفوع من موظفي إحدى القرى إلى موظفي قرية أخرى جاء فيه: "من أوريليوس سالكمينوس *Pacimnenous* التيساريوس وأوريليوس سزابيون وأوريليوس أرتميدوس *Artemidous* بن *Pamuthis* والإثنان كومارخوي وأوريليوس ناروس *Naraous* مدير مكتب الشرطة والجميع من قرية بوتو *Buto* في إقليم مقيس إلى أوريليوس إزيدوروس التيساريوس قرية كرانيس ترسل إليك قائمة بأسماء الأشخاص الذين فروا من قريننا إلى قرينكم، حيث نعمت بهم لكي تصلونوا إياهم، علماً بأننا لا يمكننا أن نوجه أية اتهامات ضدكم أو ضد قرينكم (٥٥)".

بعض التجاوزات القانونية للكومارخوس

اتسم سلوك و أداء معظم من شغل منصب الكومارخوس في العصر الروماني بالاستقامة، غير أن الصورة لم تكن دائماً ناصعة البياض، حيث ظهر بعض الانحراف والتجاوزات في سلوك بعض هؤلاء الكومارخوي و يتضح ذلك من خلال ثلاث وثائق وردت في أرشيف أوريليوس أزيدورس رقم 71، 72، 73. والوثيقة الأولى والثانية كانتا عبارة مفكرة للوثيقة الثالثة التي تضمنت إلتعاساً ثم رقعته إلى والي مصر ضد كل من كومارخوس قرية كرانيس لعام ٣١٤م وحاكم الباجوس التابعة له للقرية ولقد ورد في هذا الإلتعاس الأول تقدير الضراب المفروضة على قرية كرانيس في كومارخية إزيدورس بن بينثيوس *Isidorus Pelnus* وبياناتها كالتالي:

- التقدير الأول ١٠٥ تالنتا.
 - التقدير الثاني ٤٠ تالنتا .
 - التقدير الثالث ٢٣ تالنتا .
 - التقدير الرابع ٧ إرباً من القمح .
 - التقدير الخامس ٤٦ تالنتا و ٤٠٠ دراخمة
 - التقدير السادس ٣ إرباً *chick peas* و ٢ إرباً فاصوليا و ٢ إرباً من الثوم .
- وأشار مقدما الإلتعاس أن الكومارخوس قام بفرض هذه الضرائب كما يحلو له ووفقاً لهواء، وذلك دون الرجوع إلى التيساريوس والكويراي أو الإستفسار منها، وذلك بالتواطؤ مع

حاكم الباجوس، ولم يبد كل من الكومارخوس وحاكم الباجوس أي اهتمام بحدود سلطاتهم الشرعية والقانونية (٦).

كما تضمنت الوثيقة التالية بعض تجاوزات الكومارخوس وحاكم الباجوس، حيث نقرأ فيها: 'لقد قامت القرية بشراء حمارين بمبلغ ٤٠ تالنتا فضية، وتم إرسال هذين الحمارين إلى الإسكندرية للقيام ببعض المهام. وعند عودتهما من الإسكندرية قام حاكم الباجوس ببيع أحدهما بحسابه الخاص بمبلغ ٢٧ تالنتا، ثم استخدم الحمار الآخر في حمل الفاصوليا إلى مسكنه الخاص وذلك بالتواطؤ مع الكومارخوس، وكان ممتلكات القرية وحيواناتها ملكاً خالصاً له دون منازع (٧)'.
 أما الوثيقة الثالثة فنقرأ فيها التماساً تم رفعه إلى والي مصر جوليانيوس جوليانيوس من

كل من: إيزورس التيمساريوس لقرية كرانيس وباليون الكوراي لنفس القرية، يوضحان فيه أن الفلاحين الضعفاء يعانون الكثير على يد كل من: حاكم الباجوس ثيودورس والكومارخوس، فهما يلعبان دور الطاغية، فالكومارخوس بالتواطؤ مع حاكم الباجوس يفعل في القرية مايجلو له فهناك مبالغ كبيرة تم تقديرها بشكل غير قانوني كضرائب تجاوزت ٣٠٠ تالنتا، ولا نعهم أين ذهبت هذه المبالغ، والأذى من ذلك أنه استولى على جانب من أموال القرية والتي تتمثل في: ثمن جلود بعض الحيوانات ومبلغ ست وخمسون تالنتا هي حصيلة بيع جمل وحصان وفانض عشرة إردب من الأرض المنتجة قد أخذها لحسابه الخاص، ثم قام بتخصيص إثنين (الإتان هي أنثى الحمار) لصالح منزله كان قد اشترهما بأربعين تالنتا فضية ثم قام ببيع واحدة منهما دون إيداع الأسباب بمبلغ ٢٧ تالنتا، ثم قام بسرقة ثلاثين خروفاً أيضاً و ٤٧ تالنتا فضية والأكثر من ذلك أنه استخدم الحمير المنوكة للقرية بشكل غير قانوني في نقل الفاصوليا إلى منزله، ونحن نأمل بأن تأتي إلى المقاطعة من أجل مواجهة طغيان كل من حاكم الباجوس والكومارخوس (٨).
 ونرى هنا أن التيمساريوس والكوراي قد قاما برفع الإلتماس إلى والي مصر مباشرة وتجاوزا حاكم الإقليم، مما يوضح حجم التجاوزات التي تمت من قبل كل من الكومارخوس وحاكم الباجوس، حيث أنهما يطلبان في هذا التقرير من والي مصر الحضور إلى المنطقة لمواجهة هذين الموظفين الفاسدين.

وفي وثيقة رابعة من قرية منديس ترجع إلى الفترة من ٢٤٥ : ٣٠٢ م. هي عبارة عن التماس موجه إلى أوريليوس سرابيون وأبولونيوس أكسجيتيس Exegetes المدينة حيث تضمن هذا الإلتماس شكوى ضد كومارخوس القرية وذلك لطلبه رشوة من أجل تسهيل نقل ميراث إلى أصحابه (٩).

وهناك وثيقة أخرى ترجع إلى القرن الرابع الميلادي هي عبارة عن أمر ضبط من الإمبراطور تيودورس إلى مسئول الأمن و الموظف العام Demosios يطلب فيه منهما أنه عندما يصلهما هذا الخطاب فعليهما أن يقوموا على الفور بإرسال جامع ضريبة الأكوئا عن العام الرابع ومعه الإيضالات الخاصة بجمع ضريبة القش وحسابات الإيضالات الخاصة بالشعير كما أن عليهما أن يرسلا معه أيضاً خايريون الكومارخوس السابق (١٠).

وليس بالضرورة أن نفهم من هذه الإشارات أن هناك تجاوزات والخرافات متعددة لموظفي الكومارخية، وخاصة أن كل الأمور داخل القرية كانت تتم أمام عينيه وبمعرفة، وربما يرجع المسبب وراء قلة إخرافات وتجاوزات الكومارخوس إلى قصر مدة حكمه، وهذا ما كانت تنشده الدولة الرومانية في مصر، وبالتالي لم تكن لديه فرصة للقيام بأية الاعيب، كما أن قضية استقامة الحكم وثقافته في القرى المصرية إنما هي مسئولية مشتركة بين كافة الموظفين مما دفعهم إلى مراقبة بعضهم البعض .

وفي نفس الوقت كان يتعرض موظف الكومارخوس للعنف والأهانة من بعض الأفراد المنمنصين من تادئة الأعمال الأثرامية، وهذا يبدو واضحاً في وثيقة من قرية كلثيس ترجع إلى عام ٣٥٣م عبارة عن التماس موجه إلى فلاقيوس فاوستيانوس حاكم إقليم طيبة من أوريليوس جونا بن أوتسيوس كومارخوس قرية كلثيس التابعة لإقليم موط يشكو فيها من تعرضه للأساءة والأهانة على يد أحد الأفراد الذين تم ترشيحهم للقيام بالأعمال الأثرامية ، وذلك بمعاونة عدد من الأفراد داخل القرية (٣١)

ومن خلال العرض السابق يمكن القول بأن وظيفة الكومارخوس ظهرت في مصر خلال العصر الروماني وبالتحديد في منتصف القرن الثالث الميلادي ، وذلك بعد أن كانت موجودة خلال فترة حكم الملوك البطلمية . وكان الأستراتيجوس هو القائم على تعيين موظف الكومارخوس، ولكن مع بداية القرن الرابع وحدثت التغيرات الإدارية التي شهدتها مصر وجدنا أن حاكم الباجوس هو القائم على تعيينه . وفي الغالب الأعم كان ينوب عن منصب الكومارخوس إثنان من الموظفين داخل كل قرية لمدة عام واحد . وقد تعدلت مهام ومسئوليات الكومارخوس داخل القرية ، حيث اشتملت على تسوية كل الأعمال المتخلفة بالدولة داخل القرية ، ويأتي في مقدمتها ترشيح الأفراد للموظائف والأعمال الأثرامية وجمع الضرائب بالإضافة إلى بعض المهام الشرطةية .

الهوامش

- (1) P. Oxy , xvii , No.2123.
 Αυρηλιω Φιλοξενω στρατηγος Οξιυρυγχιτου
 παρα Αυρηλιων Διονισιου νεωτερου χαιρα
 τος μητρος ταφιλωνος και Διονυσιος
 Διονυσιου μητρος Θασισιος αμφοτεροι κωμαρχων κομης
 Νεσημειωος
- (2) P. S.B , vi , No.9408,9 .
 ترجع أول إشارة إلى وثيقة الكومارخوس في العصر البطلمي إلى عام ٢٦٢ ق.م
 (P.petrie, iii, 89.399) واستمرت الإشارة إليه حتى عام ١١٢ ق.م (P.Tebt , 159)
 ومن الإشارات التي وردت في القرن السادس أنظر : (P.Oxy.no.1835 نهاية القرن الخامس
 م وبداية القرن السادس. م) . (P.Oxy .no. 1930 القرن السادس م).
- (3) Thomas , the introduction of the dekaprotoi and comarchos,
 Z.P.E.,19 1975, pp. 114- 115.
 للمزيد عن موقف كاتب القرية في مصر في العصر الروماني انظر : رجب سلامة: كتاب القرية في
 مصر في العصر الروماني، رسالة ماجستير، غير منشورة، ١٩٩٧، كلية الآداب، جامعة عين شمس.
- (4) P. Oxy , xvii , No.3178.
 Κορηνηλι.....καιΠρολησστρατηγος Ηρακλεσπολιειτου Αυρηλιου.....νου
 Αρμισιος απο επικιου ερημου.... κωμαρχου του αυτου εποικιου
 للمزيد عن الوثائق التي اشارت إلى تعين الكومارخوس : (هرموبيوس) : (P.Flor.1.2.265 A.D
) - (P.Goth.5 , 318 A.D) - (باتريوس) (P.S.B.9544.322A.D)
- (5) P.cairo- Isid , 125 .
 Αυρηλιω Ηρακλεδη πραισισιτω ε παγου παρα Αυρηλιων Ισιδωρου
 Σαραπιωνος και Αιωνεωσ Συριωνος αμφοτερων κωμαρχων κομης
 καρανιδος διδωμεν και εισαγγελωμεν τω ιδιω ημων κινδυνω τους
 εξης ενγεγραμμενους κωμαρχας του εισιοντος ις ετους
 كان موظف الديوقتيمن هو المسئول الأول عن تعين العمدة في العصر البطلمي .
 حنان محمداسماعيل : النظام الإداري في القرية المصرية في عصر البطالمة ، رسالة ماجستير
 غير منشورة ، ٢٠٠٥ ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ص ١٢٧ .
- (6) P.Sakon , No.52.
 (7) P. Amh, No. 139.

(8) P. Amh, 139 & P. Oxy, 2232.

(9) P. Oxy, xvii, No.2123.

(10)P. Oxy , xvii , No. 4128.

Αύρηλιώ Σαραπάμμων Εύλογίου πραιποσίτω α πάγου>
νομού Ώξυρυγγίτου παρα Αύρηλιών Ωρορού Ψρίωνος
καί Πανεχώτου Ωρορού και Πτολεμαίου Ερμού των τριών απο
κώμης Μερμέρθων α παγού του αυτού νομού γενογομένων
κωμάρχων

(11)P. Gen, 66.

Αυρηλιος Αμωνιανος Έκυσισ και Αλωνιου Τ...η θιου και
Τιμαγενοϋ Ασιωνος και Αμιουν Ατρη αμφοτεροι κωμαρχαι της
κώμης Φιλαδελλιας

(12)D.Delia- E.Haley , op.cit, p. 44-45.

(13)P. Sakon.52.

(14)P. Oxy, 2714 .

(15)P.Cairo- Isid, 71 ,72,73 .

D.Delia- E.Haley , op.cit, p. 43.



(16)P. Oxy,No. 2123.

تمثلت مهام الكومارخوس في العصر البطلمي في أربعة أمور وهي العناية بأمر الزراعة والعناية
بالسدود والقنوات وإقامة بتوزيع البذور ومهام تتصل بالأمن العام .
حنان اسماعيل: المرجع السابق ص ١٣٨ .

(17)P. Oxy, 2714 .

(18)P. Oxy, 2232.

παρα Αυρηλιών Πατερειας Μενχητος θεσκληριου και Ωριων
Μενχητος αμφοτερων κωμαρχων της αυτης κώμης κερμουχεϋ του
υπο σε παγού διδομεν τω ιδιω ημων κινδυνω προς απειτησιν κρεως
και αχυρου

(19)P.göthenurg , 6.

Πραιποσιτου β παγού παρα και Ψηρπνοθου κωμαρχων Νησου απο
.....Αυρηλιου Πνεποντηριος
ηνεσαγγελομεν και
ο αναδιδ.μενειτεσαλριονΑυρηιονψηνκνουθουΣαραπιωνοςτουνομ. α

μήνος φαιμενωθ εως θωθ

(20)P. ,Sakon , No.52.

Αυρηλιος χαιρημιον πραιποσιτου θ παγου παρα Αυρηλιων πεννιτος Σακαωνος και Ζωϊλου Μελανος αμφοτερων κωμαρχων και Θεδελφιας

(21)P.Cairo- Isid. , No.57.

(22)P.Cairo- Isid. , No.56.

(23)P. Oxy, 2577 .

(24)P. Oxy,3190.

(25)P.Cairo- Isid. , No.128.

تمتع الكومارخو من في العصر البطلمي بمسلمات قضائية وأمنية واسعة ، فكان لديه السلطة الكافية للقبض والحبس وأجراء تحريات وتحقيقات رسمية تحت اشراف الأيبستائيس وكانت تقدم للكومارخوس تقارير مفصلة عن حوادث السرقة وأسماء المشتبه فيهم.
حنان اسماعيل : المرجع السابق ، ص ١٤٩

(26)P.Cairo- Isid. , No.71.

Πυνθανοται διοτι συνδικαζοσιον μετα του πραιποσιτου

(27)P.Cairo- Isid. , No.72.

(28)P.Cairo- Isid. , No.73.

Ιουλιω ουλιανω διασημοτατω Επαρχων Αεγυπτου παρα Αυρηλιων σιδωρου ποτλεμαιου θεσσαλαριου και παλημιμονος τβερινου κουαδραριου αμφοτερων απο κωμης καραινιδος του Αρσιοιτου νομου ημεις ελατταναις αγοροικοι τα δινα παρσχομεν υπο τε του πραιποσιτου του παγου θεδωρου και των κωμαρχων

(29)P. p.s.i, 4, No.303.

(30)P.Turner, 46.

(31)P. kellis , I , No. 23.

الأسواق العربية الموسمية بمنطقة مكة المكرمة في عصرها الجاهلي والإسلامي

أ.د. أحمد بن عمر آل عقيل الزيلعي (*)

مقدمة

السوق معروف، وهو بحسب تعريف ابن منظور: موضع البياعات، وقبه يتعامل، والجمع أسواق^(١)، ويعرفه جواد علي بأنه: المحل الذي يتسوق منه. وهي إما ثابتة مع أيام السنة، يبيع فيها الباعة، ويقصدها المشترون للشراء، وإما موسمية تعقد في مواسم معينة، فإذا انتهى الموسم رفعت^(٢). وفي التنزيل: ﴿إلا إنهم لياتئون الطعام ويمشون في الأسواق﴾^(٣)، وقبه: ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾^(٤).

والسوق بذكر ويؤنث، يقول الشاعر في تنكير السوق:

ألم يعظ القتيان ماضار ليمشي بسوق كثير ريخة وأغاصره^(٥)

ويقول آخر في التثنية:

إسي إذا لم يند خنكاً ريخة ورشد السمب فقامت سوقة^(٦)

والسوقة لغة فيه، وتسوق القوم: إذا باعوا واشتروا. وفي حديث الجمعة إذا جاءت سوقة أي تجارة، وهي تصغير السوق، سُميت بها، لأن التجارة تجلب إليها وتساق نحوها^(٧). وللأسواق أوجه أخرى غير التجارة والبيع والشراء: سنأتي إلى ذكرها بعد بقدر ما هو متاح من المعلومات التي وصلت إلى أيدينا.

والأسواق معروفة، ومنتشرة في الجزيرة العربية منذ ما قبل الإسلام، وحتى عصر الناس هذا، وهي على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أسواق وغربة أي أسبوعية: وهي التي تقام في يوم محدد من أيام الأسبوع تسمى باسمه، فيقال: سوق السبت، وسوق الأحد، وسوق الاثنين. وهكذا إلى آخر أيام الأسبوع، وهذه منتشرة في مختلف القرى والأرياف، وبعض المدن، وكل أن يخشو قطر من أقطار الجزيرة العربية منها قديماً وحديثاً.

النوع الثاني: الأسواق اليومية: وهذه معروفة ومرتبطة بالمدن خاصة، ومن أشهرها سوق أو أسواق مكة المكرمة، وسوق المدينة المنورة التي اختار النبي صلى الله عليه وسلم موضعها بنفسه، بجوار المسجد النبوي الشريف، ثم قال: «هذا سوقكم لا يضرب عليه خراج»^(٨).

(*) عضو مجلس الشورى السعودي.

النوع الثالث: الأسواق الموسمية: وهذه كانت تعقد مرة في السنة، ولها مواسم محددة لاتتعداها، أو تقصر دونها، ولا يقتصر نشاطها على يوم واحد أو يومين، وإنما تقام في عدد متصل من الأيام، تصل مدد بعضها إلى ٢٠ يوماً، وهي معروفة ومشهورة في تاريخ العرب وأدبهم باسم أسواق العرب، وتعود في نشاطها إلى العصر الجاهلي، ثم استمرت في الازدهار في العصور الإسلامية المبكرة، وبعضها ظل عامراً إلى العصر العباسي كما سيأتي. وهي كثيرة ومنتشرة في طول الجزيرة العربية وعرضها، إلا أن الذي يعيننا منها، في هذه الورقة المتواضعة، هي تلك التي كانت تقع في البقعة المشمولة اليوم بمسمى منطقة مكة المكرمة. وهي: سوق عكاظ، وسوق مجنة، وسوق ذي المجاز، وسوق خيالة؛ فالأول وهو سوق عكاظ، غنى عن الذكر، فهو من الشهرة والاهتمام به بحيث لم تعد هناك حاجة إلى التعريف به زماناً ومكاناً، في وقتنا الحاضر، فموقع السوق معروف وتم بعد مجهولاً، وعليه منشآت ومعالم وبنية تحتية واضحة وشاغصة للعيان، ومهرجانه السنوي الذي يكبر ويتسع كل عام، ومايصاحبه من فعاليات ومناشط: ثقافية وتراثية واقتصادية ليست بخافية على القارئ الكريم. وهو - دون شك - مقبل على مرحلة تطويرية وتوسعية ستجعله إن شاء الله، واحداً من أهم الوجهات السياحية في المملكة العربية السعودية، فضلاً عن أهميته بوصفه مكاناً تقام على أرضه أهم المناسبات الثقافية والتراثية والمناشط الاقتصادية الأخرى، في **محاظرة الطائف**. وفي ذلك كله مايقضي عن التعريف بمكان السوق وزمانه، وإن كان من المفيد أن نشير إلى أن الأرام تجمع على: أن زمن العقد السوق كان في المدة الواقعة من الأول من شهر ذي القعدة إلى العشرين منه، وأنه استمر في البقاء والازدهار حوالي قرنين ونصف القرن^(١) <http://Archeo.be>

لما الأسواق الثلاثة الباقية فلا بأس من التعريف بها وبموقعها، وبالممد التي يتعقد فيها كل منها، وغير ذلك من المعلومات المتاحة في المصادر والمراجع التي وصلت إلى أيدينا، وذلك على النحو الآتي:

سوق مجنة:

لعل أول هذه الأسواق بعد عكاظ، من حيث التسلسل التاريخي أو الزمني لأيام انعقادها، هو سوق مجنة، وهو أحد الأسواق العربية الموسمية المشهورة في الجاهلية والإسلام، ويقع على بعد عدة أميال إلى الشمال من مكة المكرمة في مر الظهران المعروف اليوم بوادي فاطمة، وهو مشتق من الفعل جنتن الذي من معانيه: كثرة المياه والبساتين ذات الأشجار المثمرة من نخيل وأغاب ونحوها، ومنه الجنة^(١)، أي أن تسمية السوق بهذا الاسم (سوق مجنة) له نصيب من طبيعة الموضع الذي كان يقام فيه، وهو أخصب بقعة في وادي فاطمة المعروف بخصبه، وكثرة مياهه، وأشجاره المثمرة، وبساتينه النضرة، وهو الذي داعبت ذكراه الجميلة مخيلة الصحابي الجليل بلال بن رباح، رضي الله عنه، بعد هجرته إلى المدينة، حيث نسب إليه هذان البيتان^(١):

ألا لست شغري هل ليبتن ليلةً بلخج وحولي إنخز وجنيل

وهل أرْبَن يوماً مِياهٍ مِجْنةً وهل يَبْسُونُ نِسي شِامةً وطَبِيسُلُ

ومع شهرة المكان المنسوب إليه هذا السوق، وهو مجنة بمر الظهران، أو وادي قاطمة سابق الذكر، إلا أن المؤرخين والجغرافيين المسلمين اختلفوا في المسافة بينه وبين مكة المكرمة، فالأزرقي (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م) يشير إلى أن مجنة سوق بأسفل مكة على بريد منها^(١٦).

وعلى نهج الأزرقي، في تحديد المسافة بين مكة ومجنة، يذهب كل من البكري (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)^(١٧)، وياقوت (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)^(١٨).

ولم يشذ عن هؤلاء سوى القاسي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م) الذي يناقش موضع مجنة والسوق المنسوب إليها، في كلام متقول عن القاضي عياض يطول إيراد، ويقدر المسافة بينها وبين مكة المكرمة بنحو ثلاثين ميلاً^(١٩)، ثم يستدرك على الأزرقي في تقريره بأن مجنة على بريد من مكة، ويقول في استدراكه: 'ولعل الأزرقي أراد أن يكتب أن مجنة على بريد من مكة، لصها عن الباء والتون، فكتب بريد والله أعلم'^(٢٠).

ولم تحدد المصادر المتاحة مكاناً معينه، لموقع انعقاد السوق، على سبيل الدقة واليقين، وإن كانت قد أشارت إلى مسمى المكان، وهو **مر الظهران** سابق الذكر، وإلى جهته وهي إلى الأسفل من مكة، أي إلى الشمال منها على حد تفسير أحد الباحثين المحدثين^(٢١)، وبعضها يربط موقعه بمعظم ثابت هو: الجبل الأصفر الذي يشير إلى **موقع انعقاد السوق** كان بالقرب منه^(٢٢).

وتبعاً للمسافة والجهة، وبعض العوامل الطبيعية، أجرى أحد الباحثين المحدثين (وهو من أهل مكة أو من أحوالها القريبة منها) دراسة ميدانية لتحديد موقع السوق، وتوصل في دراسته لمكان السوق، وهو الجهة الغربية للجبل الأصفر، وتعين الماء التي اشتهرت بها مجنة، على حد رأيه^(٢٣)، ويعتدل ترشيحه لهذه الجهة بسبب البساط أرضها وسعتها، ووضوح رؤيتها من جميع الاتجاهات، بالإضافة لوقوعها مباشرة على خط التجارة الرابط بين مكة والشام وكلها [على حد قوله] تساهم في جدية الموقع^(٢٤). وقدم وصفاً لظبيعية المكان الجغرافية بقوله: 'من الضروري هنا التعرف على الطبيعة الجغرافية للمكان؛ فموقع السوق الذي حددناه مكسو اليوم برمال متجمدة، مع وجود أشجار صحراوية، وكثبان رملية، ويبدو لي أنها من صنع الإنسان.. وعسوم المنطقة تظهر بها مبان حجرية لازالت واضحة المعالم، ويحاط الموقع اليوم بمناطق حاضرة السكان من أغلب الجهات، بل لاحظت منازل محاذة موقع السوق مباشرة، وأخشى أن تطمر تحت الامتداد السكاني المتسارع، ويستطاعة أي فرد أن يرى موقع السوق دون غناء، فالتصاعد إلى مدينة الطائف - طريق جدة - الجموم - يستطيع أن يشاهد الجبل الأصفر بعد الجموم مباشرة نحو الشرق، حيث السوق المجاورة له. والخريطة توضح المكان بسهولة'^(٢٥).

أما زمن انعقاد سوق مجنة فهو في العشر الأواخر من شهر ذي القعدة، وتقوم بعد إفضاض الناس من سوق عكاظ في العشرين من الشهر نفسه، حيث يقصدها العرب من عكاظ،

بقضهم وقضيضهم، ليتموا فيها جميع مقاصدهم من ارتداد تلك الأسواق الموسمية، بما في ذلك ممارسة التجارة والمفازرات والغداء، وغير ذلك من المناسط التجارية والأدبية التي كانت تمارس في عكاظ^(١٢١)، وأيس الخمر أفتها شائناً، فقد وجد من الأئمة الشرعية ما يبيد بأن الخمر كانت تجلب إلى سوق مجنة، وربما إلى غيره من الأسواق الموسمية من أسكنة صنعها الأصلية من بلاد الشام، وخصوصاً بصري وغازة، حتى أشاد شعراء ذلك العصر بذكرها، فهاهو شاعر هندي المعروف أبو نؤيب الهندي، يقول^(١٢٢):

سـلـاـفـةٌ راح ضـمـنـنـها إداوَةٌ مـقـبـرةٌ رنـتْ لـمـؤخـرة الرُخـل
تـرؤـدها مـن أهـل بـصـري وغازة عـلى جـسـنة مرفوعة السـذـيل والكـفل
فـوالـي بها غـمـنـان ثم أنـى بها مـجـنة تصفـو فـي القـلال ولا تـغـبـن

وهذه السوق مثل سابقتها عكاظ، ولاحتقتها ذي المجاز وخياشة، تعقد في الأشهر الحرم التي يامن الناس فيها، في الغالب، على أنفسهم وأموالهم من مغبة الحروب والافتتال^(١٢٣). ونقدر أن عدد الأيام التي ينعقد فيها هذا السوق هي تسعة أيام إلى عشرة من انقضاء سوق عكاظ، حتى هلال شهر ذي الحجة، حينها ينتقل الناس، بقضهم وقضيضهم، إلى سوق ذي المجاز الآتي ذكره.

ARCHIVE

ذو المجاز:

هذا السوق من الأسواق الموسمية المعروفة بالقرب من مكة المكرمة، قيل إنه تقبيلة هندي المشهورة في الجاهلية والإسلام، ربما لوقوعه قريباً من نيارهم، ووروده في شعر بعض شعرائهم ومنه قول أبي نؤيب الهندي:

وراح بها من ذي المجاز عشيرةً يسائر أولى السـمـابـات إلى الخـيل^(١٢٤)

وقد ورد في تحديد موضعه قولان: الأول؛ أنه على مسافة فرسخ واحد من عرفة على يمين الموقف، بالقرب من جبل يسمى كيبك^(١٢٥) قيل إنه خلف الإمام إذا وقف^(١٢٦). والقول الثاني أنها موضع بمنى في منتصف الطريق بين مكة وعرفات^(١٢٧)، وعلى الرغم من شيوخ القول الأول في المصادر المتاحة، وكثرة من قال به من المؤرخين والجغرافيين المسلمين، فإن الأقفالي يرجح القول الثاني، ويعدّه أنسى إلى القول^(١٢٨). أما تسمية ذي المجاز بهذا الاسم، فذلك لأن إجازة الحاج إلى عرفة كانت منه^(١٢٩). وهذا ما يقصر أخذ الأقفالي بالقول الثاني، المشار إليه آنفاً، في تحديد موضع ذي المجاز بمنى وليس بعرفة، ومنه جاء اشتقاق اسمه.

وسوق ذي المجاز يعقد في ذي الحجة من كل عام. يقول الأقفالي: إذا تقشع الناس عن مجنة حين يهلّ ذو الحجة ساروا بأجمعهم إلى هذه السوق، وأقاموا بها حتى اليوم الثامن من ذي الحجة، وهو يوم التروية، سمي بذلك لأنهم كانوا يرتوون فيه من الماء، ويملاؤن أوعيتهم لما بعده إذ لا ماء بعرفة. وإلى هذا السوق تتقاطر وفود الحجاج من سائر العرب ممن

شهد الأسواق قبلها، أو لم يشهدها واتى للحج خاصة، إذ إن ذا الحجاز من مواسم الحج عندهم^(٣١).

وهي سوق عظيمة، تحفل أيام الحج بجموع العرب ومساوهم من الحجاج والتجار وأصحاب المنافع عامة، وهي تلي سوق عكاظ من حيث الأهمية، ويجري فيها ما يجري في سوق عكاظ: من بيع وشراء، وتناشد وتفاخر، وفداء أسرى وطلب ثأر. فقد نكر أن صاحب الثأر يقصدها ليتعرف على واتره في ذي قرابته، فيترصص به انقضاء الشهر الحرام إن كان من المحرمين، وإلا عاجله فأخذ بثأره^(٣٢). ويورد الألفي بعض الأمثلة لحوادث تتعلق بالأخذ بثأر، يطول ذكرها في هذه العجالة^(٣٣).

أما زمن انعقاد هذا السوق فهو - كما أوضحنا سابقاً - من الأول من ذي الحجة حتى الثامن منه، وهو يوم التروية، وعدد أيام انعقاده ثمانية أيام، بما في ذلك يوم التروية المذكور^(٣٤). وقد ظلت هذه السوق قائمة ومستمرة بعد ظهور الإسلام مدة طويلة؛ لا نعلم لها نهاية محددة على وجه الدقة واليقين، وإن كان هناك من الإشارات ما يفيد أنها استمرت عامرة إلى ما بعد انتهاء سوق عكاظ، أي بعد عام ١٢٩هـ/٧٤٧م^(٣٥)، وهذا العام هو الذي شهد نهاية سوق عكاظ على أيدي الخوارج.

سوق خيبر

توصف سوق خيبر بأنها من أسواق العرب المشهورة القديمة، في الجاهلية والإسلام... وهي سوق بنهامة، يتاجر فيها أهل الحجاز وأهل اليمن، وكان من جملة من حضرها وتاجر فيها: الرسول [صلى الله عليه وسلم]. وكانت تقام في شهر رجب^(٣٦).

وخيبر (بضم الحاء المهملة وفتح الباء المعجمة، والشين المثناة) مشتقة من الفعل خيى أي جمع، والتخييش: التجميع، وخبش الشيء يحبشه حبشاً أي جمعه، والخبائشة: الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة^(٣٧)، وعلى نسق التاصيل اللغوي لسوق عكاظ، وأنه من التعتظ أو المعاظفة، وماتدل عليه هذه الكلمة من اجتماع العرب فيه للمفاخرة والمحاكاة والبيع والشراء، والفداء، وسائر أمورهم التي تقوم السوق من أجلها وبسببها في كل موسم. من المحتمل - على هذا النسق المذكور - أن لفظ خيبر جاء من التجمع القبلي لمحيطه الممتد إلى أعالي السراة شرقاً، وإلى أغوار تهامة الساحلية غرباً وما بينهما من الأودية والقطاعات الجبلية شمالاً وجنوباً، فيما يعرف بالأصنادر والغرضيات التي يتوسطها ذلك السوق المشهور في الجاهلية والإسلام. ويقتب على الظن أنه كان في زمانه موسماً يلتقي فيه التهامي مع السروي، والخبثي مع الجبلي، وأهل بارق وما وراؤه إلى اليمن، مع أهل الغرضيات، وما يشاملهم من الديار والقبائل، إلى الطائف ومكة المكرمة وما وراءهما. فلا بد أنها كانت سوقاً عظيمة، ومتجرراً رابحاً، يهبط إليه أخلاط شتى من مختلف القبائل التي ترتاده للمتاجرة وفداء الأسرى، ومبادلتهم بأمتثالهم، والتفاضل في المنازعات، ومختلف المنافع التجارية، وغير التجارية، التي كانت سبباً في قيام كثير من الأسواق العربية الموسمية في مختلف أرجاء الجزيرة العربية^(٣٨).

هذا الإطار الجغرافي لموقع السوق، ولمرتاديه من القبائل والديار المحيطة به؛ يُستشف من الإشارات البسيطة التي وردت عنه في المصادر العربية، ومنها الأزرقى الذي يقول: **وَحَيْشَانَةُ** سوق الأزد، وهي في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلى من ناحية اليمن، وهي من مكة على ست نيل^(١١٠). وعن حياشة يقول البكري أيضاً هي: سوق للعرب معروفة بتناحية مكة، وهي أكبر أسواق تهامة، كانت تقوم ثمانية أيام في السنة. قال حكيم بن حزام: وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضرها، واشترت منها بزاً من بز تهامة. وهي من صدر قنونا، أرضها لبارق^(١١١). أما ياقوت فيواصل الاسم ومدلوله اللغوي على النحو الذي أشرنا إليه سابقاً، ثم يقول: **وَحَيْشَانَةُ**: سوق من أسواق العرب في الجاهلية، ثم يورد حديث عبدالرزاق عن مصر عن الزهري: المتضمن قصة متاجرة النبي، صلى الله عليه وسلم، للمسيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها^(١١٢)، وهو حديث يطول ذكره ويخرجنا عن سياق هذا البحث.

من هذه الأقوال وغيرها يتضح: أن حياشة من الأسواق العربية الموسمية المشهورة في الجاهلية والإسلام، وأنها تقع في ديار الأزد، القبيلة العربية المشهورة، قبل الإسلام وبعده، حتى عصر الناس هذا، وهي (أي سوق حياشة) ناحية، أو عمل من أعمال مكة المكرمة عليها وإن يعينة أمير مكة في زمان ازدهارها، ولا يزال موضعها، وما يحيط به من قرى وبلدات تتبع إمارة منطقة مكة المكرمة في وقتنا الحاضر، وهي جزء من محافظة القنفذة، بمركز العرضية الذي يشكل أهم قطاع من قطاعات المحافظة كما سيأتي.

ويتضح كذلك أنها تقوم في شهر رجب من السنة، وأن عدتها ثمانية أيام على رأي البكري، وكان يرتادها إلى جانب من حولها أناس من اليمن؛ ومن مكة المكرمة، بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو من أهل مكة، تاجر إليها، مع رجل آخر من قريش، في بضاعة للمسيدة خديجة رضي الله عنها، وتغذّر أن هذين الرجلين - رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرافقه - ما هما إلا دليل على وجود منات من المكين، والحجازيين عامة، الذين كانوا يهبطون إلى سوق حياشة في كل موسم من مواسمها السنوية.

وعلى الرغم من أهمية هذا السوق، وكثرة مرتاديه ممن حوله من القبائل المسانكة في ديار الأزد، بما فيها بارق، وكذا مرتاديه من اليمن والحجاز؛ فإن المصادر التي تحدثت عنه لم تحدد له مكاناً بعينه على وجه الدقة واليقين، وأن الإطار الجغرافي الذي أوردته تلك المصادر طویل وعريض وعالم، فهي سوق للأزد، وموقعها في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا^(١١٣)، وهذا القول يزيد الأمر صعوبة للمأمل فيه، ومشقة على من يحاول التوفيق بين عباراته؛ بغية الوصول إلى مكان محدد لموقع السوق أو قريب منه؛ فكونه سوقاً للأزد، وفي صدر قنونا فذلك قول أقرب إلى القبول، إلا أن عبارة: كيار الأوصام من بارق تدعونا إلى التريث قليلاً، إذا أخذنا هذه العبارة لمعايير معرفتنا، في الوقت الحاضر، لحدود بارق الواقعة على مسافة (٢٠) كم تقريباً إلى الجنوب، مما يعتقد أنه موقع السوق كما سيأتي، ويفصل بين تلك الحدود والموضع المقترح؛ امتداد قبيلة بني شهر وديارها، وكذا امتداد بعض ديار قبيلة تغلزن التي يقع السوق في ديارها، إلا إذا افترضنا أن حدود قبيلة بارق في الماضي غير حدودها

اليوم، وأنها كانت فيما مضى تمتد إلى هذا المكان المقترح للسوق في زمن ازدهاره، خصوصاً وأن حدود القبائل لا تنظر على حالتها مبدأً طويلة كهذه المدة، فبعضها يتداح ويتسع، وبعضها يتراجع وينكمش مع الزمن نتيجة لظهور قبيلة على أخرى، أو هجرة إحداهما إلى خارج حدودها، مضحة المكان للقبيلة أو القبائل المجاورة. أما كون هذا السوق للأزد فهو لا يغير شيئاً من وجه الحقيقة، لأن باري أزدية، والقبيلة التي يقع موضع السوق الحالي في حدودها بعد تحقيقه (وهي قبيلة بخارث من بقرن المعرفة) أزدية كذلك^(١١).

تحقيق موضع السوق:

سبق هذا البحث محاولتان لتحديد موضع سوق حباشة على الطبيعة: الأولى أجراها حسن بن إبراهيم الفقيه الذي ناقش موضع السوق، ومختلف العوامل المؤدية إلى قيامه في المكان الذي حدده^(١٢)، والثانية أجراها عبدالله أبو داهش، وفيها التقى مع سابقه، ونقل خصوصاً أكثر دقة وتحديداً؛ عن الباحث عبدالله بن حسن الرزقي، وهو من أبناء المنطقة العارفين بها، والفربيين منها، وله دراسات واجتهادات وتفسيرات على جانب كبير من الأهمية، فهو - كما ينقل عنه أبو داهش - يحدد موضع السوق بأنه: يقع على الضفة الجنوبية لنادي قنونا بالقرب من القناجة (القناجة - القرية التاريخية للمعرفة) التي يبعد عنها السوق بمسافة تقدر بخمسة كيلومترات إلى الجنوب الشرقي في موضع يعرف باسم الخواري في حداب القرنة المعرفة اليوم^(١٣). ويقول: 'هنا في موضع السوق: آثار وريدم وحجارة مرمومة، وبعض القبور، وبنائر ظاهرة في الأرض تختلف في سطحها، واحة مساحتها نحو خمسة أكراس، أو مواضع للنخاسة، وغير ذلك، وفي تلك الأرض الواسعة التي تقدر مساحتها بنحو كيل في نصف الكيل توجد أحجار بركانية سوداء فيها: قطع فخار، وأخرى قطع من الحجارة ذات اللون الأخضر التي يظن بأنها تكوين الأرض نفسها ذات العروق الملونة والغريب السود^(١٤). وهذا المكان الذي جرى تحقيقه يعرف بين الأهالي حتى اليوم باسم السوق، ولكن لا أحد منهم يعرف أي سوق هو مما يعزز الاحتمالات عند الباحثين بأنه موضع سوق حباشة^(١٥)، وأنه على الرغم من اندثاره ظل الأهالي يتوارثون الوظيفة التي كان يقوم بها هذا الموضع، وهو انعقاد سوق حباشة على ترابه.

زمن انعقاد السوق ومدة انعقاده وخصايه:

من الثابت أن سوق حباشة كان يعقد في شهر رجب من كل عام، وأنه يبدأ في الأول منه، ولكن مدة انعقاده محل خلاف في المصادر التي غثيت به؛ فمن قائل إنها ثلاثة أيام متوالية من أول رجب، وهذا القول للأزرقي وتابعه تقي الدين الفاسي^(١٦)، ومن قائل إنها ثمانية أيام على حد ما يورده البكري^(١٧). ويقلب على الظن أن قول البكري هو الراجح، لأن جميع الأسواق الموسمية التي مرت بنا لا تقبل مدد انعقادها عن ثمانية أيام؛ ولأن ثلاثة أيام ليست كافية لسوق موسمي يعقد مرتين في السنة، ويقد إليه البائعون والمشتركون من مسافات طويلة، وهذه المدة لا تكفي لراحتهم وراحة مطالباهم التي يقدون عليها، فضلاً عن بيع مامعهم وشراء ما يحتاجون

إليه، وقضاتهم لجميع حوائجهم التي قدموا من أجلها، هذا إلى أن من الأسواق الوعديّة القريبة من موضع سوق حياشة مايمكت ثلاثة أيام، ومنها على سبيل المثال: سوق المخواة الحالي بمحافظة المخواة، منطقة الباحة المجاورة، ومما يرجح قول البكري أيضاً، أن المتأمل في نص الأزرقي يذكر أن الأيام الثلاثة الواردة فيه هي مدة إقامة الرجل الذي يبعثه والي مكة إليها على رأس جند من قبله، فهو يقول: وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند، فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول رجب متوالية^(١٠٦). وهكذا نلاحظ أن هذه الأيام الثلاثة تخص إقامة هذا الوفد، وليس مدة انعقاد السوق التي يشير إليها البكري صراحة بقوله: سوق للعرب معروفة بناحية مكة، وهي أكبر أسواق تهامة، كانت تقوم ثمانية أيام في السنة^(١٠٧) فالنصريح هنا واضح بقوله: كانت تقوم ثمانية أيام في السنة^(١٠٨).

أما عن تاريخ خرابها فهو محل اتفاق وإجماع، عند سائر من كتب عن هذه السوق، في القديم والحديث، ولذلك قصة متواترة في المصادر التي أوردتها، وهي أن إحدى قبائل الأزد صاحبة السوق: قتلت والياً عليها من قبيلة عتي كان قد ولاء عليها أمير مكة داود بن عيسى بن موسى في سنة ١٩٧هـ/٨١٣م، فلما وصله الخبر استشار لقيهاه أهل مكة، فاشيروا عليه بتخريبها فخرّبها منتلذاً وتكرت إلى اليوم^(١٠٩) على حد قول الأزرقي، أي في زمانه من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، نتيجة تلك المشورة الظالمة التي لم تكن موفقة بحال من الأحوال، وكان من المفروض أن يأخذ القاطنين بجزيرتهم لا أن يشرب سوقاً عُمر لأكثر من قرنين من الزمان، ويقطع مورد الاقتصاد لا بد أنه كان يعيش عليه لطفاً كبير من الناس، وأنه كان من الممكن أن يتطور مع الزمن ويتسع ويكبر، ويستمر إلى عصر الناس هذا، خصوصاً وأن المنطقة التي كان يقوم فيها منطقة خصب وزراعة، وكثافة سكانية ملحوظة إلى اليوم. ويجرنا خراب هذا السوق إلى تقدير عمرها، الذي لا نعرف عنه شيئاً في المصادر المتاحة على وجه التحديد، ولتحقيق تلك الغاية: لابد من البحث عن بدايتها الأولى التي لا نعرف عنها شيئاً في المصادر المتاحة كذلك، وإنما هناك حادثة يتيمة ارتبطت بالسوق في عصر ما قبل الإسلام، تلك هي حادثة مقتل الشاعر والغذاء المشهور الشنفرى الأزدي، وهو عائد من سوق حياشة في رواية طويلة يوردها صاحب الأغالي^(١١٠). وحيث إن هناك من الدارسين من يجعل مقتل الشنفرى الأزدي في سنة ٧٠ق. هـ/ ٥٢٥م، وهو عائد من سوق حياشة، التي ربما قدم إليها من ديار قبيلة فهم الغاطنة في تهامة بالقرب من مكة المكرمة^(١١١)، مما يعني أن هذا السوق كان عامراً قبل هذا التاريخ بزمن، بل ربما كان - حينذاك - في أوج عمارته، وقصة إزدهاره. أي أن هذا التاريخ المذكور ليس تاريخ بدنه، وإنما هو دليل على أنه كان موجوداً وعامراً قبله، ربما بزمن ليس بالغصير. أما بعد هذا التاريخ فإن المدة التي عاشها السوق حتى خرابه أو تخريبه في عام ١٩٧هـ/٨١٣م فتقدر بالكثير من ٢٦٧ عاماً، وبذلك فإن سوق حياشة يعدّ من أقدم الأسواق الموسمية العربية في منطقة مكة المكرمة، ومن أطولها عمراً، ومن أجدرها بالغاوية، ويعودته إلى الحياة كما سيأتي.

سوق حياشة والعصرة الرجبية:

من الثابت أن سوق حياشة كانت تعقد في شهر رجب من كل عام، وأن هذا الشهر من الأشهر الحرم التي كانت العرب تحرم فيها الاحتفال، وإن شأنه في ذلك شأن أشهر الحج التي كانت تتعقد فيها الأسواق الثلاثة السابقة، وهي عكاظ ومجنة ونو المجاز. فما علاقة موعد انعقاد سوق حياشة، في هذا الشهر، بالعصرة الرجبية التي كانت موسماً من مواسم أهل مكة في جاهليتهم وإسلامهم؟ وقيل الإجابة على هذا السؤال: تجدر الإشارة إلى أن العرب في الجاهلية كانت تحرم العصرة في أشهر الحج، وهي شوال والقعدة والحجة، وربما في شهر المحرم الذي يتوفاه كنفك، وكانت تقول: إذا برا الذير، وعلى الويز، ودخل صفر، حنت الغنزة لمن أعتصر^(١٠١). أي أن العصرة كانت تحل عند العرب في الجاهلية بدءاً من شهر صفر، وربما كان شهر رجب من أكثر الشهور تفضيلاً للعصرة عندهم. أما عند أهل مكة والجهات المتصلة بها، فهو موسم عظيم لهم في جاهليتهم وإسلامهم، يقول ابن جبير: «وهذا الشهر المبارك (شهر رجب) عند أهل مكة موسم من المواسم المعظمة، وهو أكبر أعيادهم، ولم يزالوا على ذلك قديماً وحديثاً بنوارثونه خلفاً عن سلف متصلأ مبراث ذلك إلى الجاهلية، لأنهم كانوا يسمونه منصل الأسنه. وهو أحد الأشهر الحرم^(١٠٢). ثم استمر الاعتصار في رجب متصلاً في الإسلام، وكانوا يسمون العصرة فيه باسم العصرة الرجبية. وكانت عند أهل مكة موسماً عظيماً يضاهي موسم الحج. يقول ابن جبير: والعصرة الرجبية عندهم أخت الوقفة العرفية، لأنهم يحتفلون لها الاحتفال الذي لم يسمع بمثله، ويبارر إليها أهل الجهات المتصلة بها، فيجتمع لها خلق عظيم لا يخصصهم إلا الله عز وجل^(١٠٣). ويقول عنها ابن بطوطة: وأهل مكة يحتفلون لعصرة رجب الاحتفال الذي لا يعهد مثله، وهي متصلة ليلاً نهاراً، وأوقات الشهر كله معمورة بالعبادة، وخصوصاً أول يوم منه، ويوم خمسة عشر والسابع والعشرين، فإلهم يستعدون قبل ذلك بأيام^(١٠٤).

ويغلب على الظن أن هذه العصرة الرجبية، المهمة في الجاهلية والإسلام، التي كان يحرص عليها أهل مكة، وأهل الجهات المتصلة بها، حتى إنهم - على ما يذكر ابن جبير - كانوا يعدونها موسماً يضاهي الوقفة بعرفة على^(١٠٥). فمن المحتمل، والحالة هذه، أن لموسم سوق حياشة صلة بها، وأنه كان محطة من محطاتها، كما هو الحال بالنسبة للأسواق الثلاثة الموسمية الأخرى، من أسواق منطقة مكة المكرمة، التي كانت في واقع الأمر محطات ثلاث متتالية، من المحطات التي تسبق الحج إلى مكة المكرمة، وتتصل به، وتقضي إليه. فسوق حياشة يعقد في الأول من رجب، ويستمر ثلاثة أيام أو ثمانية منه، يقدم إليه المعتمرين خلالها من المسرة وتهامة واليمن، فيرتاحون فيه من عناء السفر، وترتاح مطاباهم، ويتزودون منه بمؤونة الطريق، ويجلب إليه الجالبون بضائعهم، ويشترى منه الثارون ما يجلبونه إلى مكة من بضائع لبيعها في موسم العصرة الرجبية، نك الموسم الذي يشهد فيه سوق مكة رواجاً لا يقل عن رواجه في موسم الحج. فإذا صح هذا التقدير فإنه يجب على السؤال الذي سبق طرحه من قبل، وهو: ما صلة موعد انعقاد سوق حياشة في هذا الشهر بالعصرة الرجبية التي كانت كانت موسماً من مواسم أهل مكة.... الخ؟ فالعصرة الرجبية في مكة تتعقد في كل أيام رجب، ولكن

آكدها في ثلاثة أيام منه، هي اليوم الأول، واليوم الخامس عشر، واليوم السابع والعشرين، على حد قول ابن بطوطة^(١١٦). وهذا اليوم الأخير يضاف ذكرى ليلة الإسراء والمعراج، بحسب العرف السائد في بعض الأقاليم الجنوبية، وغالباً ما تكون عمرة أهالي جنوب مكة في اليومين الأخيرين المشار إليهما، وهما ١٥، ٢٧ من رجب، بل إن شهر رجب عندهم موسم مهم لزيارة المدينة المنورة، والصلاة في مسجد النبي، صلى الله عليه وسلم. وقد أدركت هذا التقليد في صفري، ولأنك أنكر أن العمرة في رجب، ثم زيارة المدينة المنورة في هذا الشهر؛ تعد من أهم الفريضة، ولا يقدر عليهما إلا من كان ذا حظ عظيم وعزيمة قوية.

ويفسر هذا القول ما تتحدث عنه بعض المصادر عن يسمونهم: "المرو المائرين" أي الذين يجنبون العمرة إلى مكة من أهل السراة وما حولها، فهم يوصفون بأنهم قوم أشداء فصحاء، يجنبون إلى مكة أصتافاً شتى من متوجات ديارهم، التي يعتمد عليها المكبون والمجاورون والمعتمرون في غذائهم : يقول ابن جبير : "ومن لطيف صنع الله عز وجل، ... أن قبائل من اليمن تعرف بالمرو، وهم أهل جبال حصينة باليمن تعرف بالسراة يستنحون للوصول إلى هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام، فيجمعون بين النية في العمرة، ومبرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوبيا إلى ما دونها، ويجنبون السمن والعسل والزبيب واللوز، فتجمع ميرتهم بين الطعام والإمام والفاكهة، ويصلون في آلاف من العدد رجالاً وجملاً مؤطرة بجميع ما نكر، فيرغفون معاشي أهل البلاد والمجاورين فيه، يتقنون ويدخرون، وترخص الأسعار، وتعم المرافق، فيعد الناس منها ما يكفيهم لعامهم إلى مبرة أخرى. وأولاً هذه المبرة لكان أهل مكة في شظف من العيش"^(١١٧)، ويقول عنهم ابن الجاور : "إذا دخلوا مكة ملأوها خبزاً من الحنطة والشعير، والسويق والسمن والعسل والذرة والدخن واللوز والزبيب وما يشابه ذلك"^(١١٨). وأخيراً نختم بقول ابن بطوطة: "وأهل البلاد الموالية لمكة مثل بجيلة وزهران وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب، ويجنبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب واللوز فترخص الأسعار بمكة، ويرغد عيش أهلها"^(١١٩).

وعلى الرغم من أن بلاد بجيلة وغامد وزهران؛ هي دون موقع سوق حباثة، مما يلي مكة المكرمة، وأن بعض متزوجاتها ربما كانت تجلب مباشرة منها إلى مكة، فإننا لا ينبغي أن نغفل دور باقي أقاليم السراة، ولا دور أهلها الواقعة ديارهم إلى الجنوب من السوق، وهي ديار أوسع من ديار بجيلة وغامد وزهران، وخيراتهما أكثر، وصلتها بالسوق قوية، لأنها تقع في تهامتهم، وفي طريقهم إلى مكة المكرمة، فضلاً عن مجنوبات أهل اليمن إلى سوق حباثة، ثم منها إلى مكة المكرمة، ومن أمثلتها البر، المشار إليه سابقاً. والبر كلمة جامعة شاملة لمختلف أنواع الثياب التي كانت تنسج وتصبغ في اليمن، وخصوصاً في تهامتها، لأن تهامة، المنسوب إليه هذا البر، ليست ما يعرف بتهامة الشام أو تهامة عسير، وإنما هي تهامة اليمن التي اشتهرت بهذه الصناعة حتى عهد ليس بالبعيد، وبصورة خاصة مدينتي زيد وبيت الفقيه^(١٢٠). ومن هنا ينبغي ألا نغفل دور سوق حباثة في إمداد سوق مكة بكثير مما يجلب إليه ويشتري

منه، من منتجات السراة واليمن، وخصوصاً في مواسم العرة ومنها موسم العرة الرجبية؛ التي نعتقد أن هذه السوق محطة من المحطات المفضية إليها في مكة المكرمة.

يتضح مما سبق: أن مكة المكرمة كانت منطقة أسواق موسمية قديمة، وإن منها ما ارتبط بالحج، وهي سوق عكاظ ومجنة وذو المجاز، ومنها ما ارتبط بالعره الرجبية، وهو سوق حياشة، وإن هذه الأسواق متقاربة في وقتها من حيث: المجنويات وحركات البيع والشراء، ومن حيث: الأغراض الأخرى المتمثلة في المفاحرات والتفاضل وفداء الأسرى، وتبادلهم، وطلب الثار وغيره. كما يتضح أن هذه الأسواق الأربعة؛ كلها عمرت مدداً طويلة منذ ما قبل الإسلام، فعصر الخلافة الراشدة، فالعصر الأموي، ثم إلى الشطر الأعظم من العصر العباسي الأول. ولأهمية إعادة إحياء هذه الأسواق، بوصفها موروثاً حضارياً وتاريخياً وثقافياً - أجد لزاماً على في نهاية هذه الورقة المتواضعة: طرح التوصيات الآتية:

التوصيات:

- ١- تحديد لمكة هذه الأسواق، وإحاطتها بأسوار من قبل الهيئة العامة للسياحة والآثار، بوصفها أمانة تاريخية وثقافية، وقد تكون بها معطيات أثرية منقوطة وشاخصة، وخصوصاً موقعي سوق مجنة وسوق حياشة، لأن سوق عكاظ أصبح مغموم المكان، وسوق ذي المجاز في منى التي يصعب إجراء أي نشاط فيها، في الوقت الحاضر، غير ما تختص به من المبيت بها في أيام الحج، فضلاً عما جرى فيها من شق الطرق، وبناء الجسور والأنفاق، وبعض المرافق والقيام بما يكون قد غطي، عبر التاريخ، على أثر لسوق قديم فيها، غير سوقها التي تنشط في يوم التروية، وفي أيام التشريق الثلاثة التي تعقب الوطفة بعرفة.
- ٢- تشجيع الدراسات والبحوث حول نشاط هذه الأسواق، باستخدام مختلف المناهج والأساليب والأدوات الحديثة إلى زيادة معلوماتنا عن هذه الأسواق، وإلى تقدم المعرفة الإنسانية بها.
- ٣- توثيق التراث التقليدي في البيئة المحيطة بهذه الأسواق، وخصوصاً سوق حياشة على أن يشمل التوثيق: الأسواق الوعدي المنتشرة في محيط السوق، ومعرفة جميع المجنويات إليها، وما يباع فيها ويشترى قديماً وحديثاً، وإجراء مقابلات، مع كبار السن، لمعرفة الصورة التي كانت عليها تلك الأسواق قبل الطفرة الحديثة، وكذلك معرفة اللغواتين والأعراف القبلية التي كانت سائدة بخصوصها.
- ٤- إعادة إحياء هذه الأسواق، وتفعيل نشاطها التجاري والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وتجريتها في سوق عكاظ تجرية ناجحة، وهي في سبيلها إلى التطور والتقدم والارتقاء كل عام. ومن منطلق هذه التجربة الناجحة في سوق عكاظ؛ يتعين علينا النظر في تطبيقها على الأسواق الثلاثة الباقية، وهي مجنة وذو المجاز وحياشة، وإنما بدرجات متفاوتة، خصوصاً إذا أخذنا في الحسبان: تشابه طبيعة هذه الأسواق بسوق عكاظ، وقرب أزمان انعقادها، وطبيعة مرتادها، وواقعهم من ارتدادها وهكذا، فإذا نظرنا إلى كل هذه العوامل مجتمعة؛ فإتينا نلاحظ أن سوقنا مجنة وذو المجاز هما نسخة من سوق عكاظ، مع طابع الشهرة التي تميز سوق عكاظ

عن الموقنين الباقين، فهما يعقدان على التوالي بعد سوق عكاظ، وفي موسم واحد هو موسم الحج، ودائرة واحدة مسافتها غير متباعدة، ومعظم مرتابها من الحجاج الذين في سبيلهم إلى تادية شعائر حجهم إلى مكة المكرمة. في ظل هذا التشابه، والتقارب في الزمان والمكان والأهداف والغايات فإن مهرجان سوق عكاظ يقف عن الموقنين الباقيتين، وخصوصاً ذي المجاز، لأنه في منى، وفي شهر ذي الحجة، ومنى كلها سوق، والكل مُستنْفَر في خدمة الحجيج والمسهر على راحتهم.

أما سوق حباشة، فأولى بأن نعود إليه الحياة، وأن يقام على أرضه مهرجان سنوي ذو أغراض متعددة، تأتي الثقافة على رأسها، وذلك لعدة اعتبارات منها.

(أ) أنه كان يعقد في الأسبوع الأول من شهر رجب، مترامناً مع موسم العمرة الرجبية التي سبق ذكرها.

(ب) أن سوق حباشة بعيد زماناً ومكاناً عن سوق عكاظ والموقنين التاليين له (مجنة و ذو المجاز) من حيث موضعه وزمن انعقاده، فالفارق بينهما في الزمان حوالي ٥ أشهر، وفي المكان أكثر من ٣٠٠ كيلومتراً إلى الجنوب الغربي. واختيار شهر رجب تاريخاً لانعقاده كل عام سيكون اختياراً موفقاً -حون شك- لأن شهر رجب يقع في منتصف السنة تقريباً، والفارق الزمني بينه وبين تاريخ انعقاد مهرجان سوق عكاظ حوالي أربعة أشهر، إذا أخذنا في الحسبان أن مهرجان سوق عكاظ يعقد في شهر شوال من كل عام، وهو ما استقر عليه الرأي حتى الآن.

(ج) يمثل موقع سوق حباشة الكفة الثانية لميزان إشارة المنطقة، في مقابل الكفة الأولى التي يمثلها موقع سوق عكاظ، فضلاً عما لمحيط السوق وبيئته من تراث مميز؛ يجمع بين ثقافة تهامة والسرارة، وبين جنوب المجاز، ومنطقتي عسير والباحة.

(د) ارتبط السوق بحدثين تاريخيين مهمين: أحدهما بيتي، ويتمثل في ما سبقت الإشارة إليه من حضور النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى سوق حباشة في تجارة للمسيدة خديجة رضي الله عنها. والثاني ثقافي، وهو ما كان سبباً في تأليف واحد من أهم المعاجم الجغرافية، الذي لا يستغني عنه أي باحث أو دارس على مدى تاريخه، وحتى عصر التاسم هذا، ذلك هو: معجم البلدان لياقوت، الذي يسرد قصة تأليفه بقوله: «وكان من أول البواعث لجمع هذا الكتاب، أنني سئلت بزمرو الشاهجان في سنة خمس عشرة وستمئة في مجلس شيخنا الإمام المسعودي الشهيد فخر الدين أبي المظفر عبدالرحيم ابن الإمام الحافظ تاج الإسلام أبي سعد عبدالكريم السمعتي تغددهما الله برحمته ورضوانه... عن حباشة بضم الحاء، قياساً على أصل هذه اللفظة في اللغة، لأن الحباشة: الجماعة من الناس من قبائل شتى، وحباشت له حباشة أي جمعت له شيئاً. فأتى لي رجل من المحنثين، وقال: إنما هو حباشة بالفتح. وصممت على ذلك وكأبر، وجاهر بالعداء من غير حجة وناظر، فأردت قطع الاحتجاج بالنقل، إذ لا مغزول في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل، فاستعصى كشفه في كتب غرائب الأحاديث ودواوين اللغات مع سعة الكتب التي كانت بزمرو يومئذ، وكثرة وجودها في الوقوف، وسهولة تناولها، فلم أظفر به إلا بعد انقضاء ذلك الشعب والمراد، وبإس من وجوده يبحث والقرء، فكان موافقاً والحمد لله لما قلته، ومكيداً بالمصاع

الذي كتبه، فُلقي حينئذ في روعي الفكار العالم إلى كتاب في هذا الشأن مضبوطاً، وبالاتفاق وتصحيح الألفاظ مخطوطاً، ليكون في مثل هذه القطعة هادياً، وإلى ضوء التصواب داعياً، ونِيهت على هذه الفضيحة النبوية، وشرح صدرى لئيل هذه المنقبة التي نُظف عنها الأولون، ولم يهتد لها الغابرون^(١١).

كل هذه الأسباب والعوامل التاريخية والجغرافية، والموروث الحضاري والتراثي والثقافي، وظروفها الزمان والمكان، تجعلني أتقدم من على هذا المنبر بالقتراح: إحياء سوق حباشة بهلاك بالحارث القرنية بمحاضرة التفتدة، وإقامة مهرجان ثقافي تراثي يحمل اسمه في شهر رجب من كل عام.



الإحالات والمصادر والمراجع

- (١) ابن منظور، لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف خياط (بيروت: دار لسان العرب، د. ت)، ج ٢، ص ٢٤٢.
- (٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط (١)، (بيروت، دار الملايين، ١٩٧١م)، ج ٧، ص ٣٦٥.
- (٣) الآية ٢٠ من سورة الفرقان.
- (٤) الآية ٧ من سورة الفرقان.
- (٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٢٤٢.
- (٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٨) السهمودي، نور الدين علي بن أحمد المصري، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ط ٣، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م)، ج ٢، ص ٧٤٨.
- (٩) الألفهاني، سعيد؛ أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط ٢، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)، ص ٢٨٩، ٣٤٣.
- (١٠) ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج ٢، ص ٥٦٨.
- (١١) ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله الحطوي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م)، ج ٥، ص ٥٩، <http://Archnetbeta.Baker>.
- (١٢) الأزرق، أبو الوليد محمد بن عبدالله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي ملحم، ط ٢، (مكة المكرمة: مطابع مكة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥)، ج ١، ص ١٩٠.
- (١٣) البكري، عبدالله بن عبدالعزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، (بيروت: عالم الكتب، د. ت)، ج ٢، ص ١١٨٧.
- (١٤) ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٥٩.
- (١٥) القاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عبدالسلام تدمري، ط ١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، ج ٢، ص ٤٥٣.
- (١٦) القاسي، المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (١٧) اللحياني، البدر بن سنبر، "سوق مجنة في عصره الجاهلي والإسلامي"، في ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية، (الرياض: وزارة المعارف، ١٤٢٢هـ)، ج ٢، ص ٤٢٣.
- (١٨) البكري، معجم ما استعجم، ج ٢، ص ١١٨٧.
- (١٩) اللحياني، "سوق مجنة"، ص ٤٢٣.
- (٢٠) اللحياني، المرجع نفسه، ص ٤٢٤.
- (٢١) اللحياني، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- (٢٢) الألفهاني، أسواق العرب، ص ٣٤٥.

- (٢٣) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٥٩.
- (٢٤) الأتقاني، أسواق العرب، ص٣٤٥.
- (٢٥) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٥٥ الأتقاني، أسواق العرب، ص٣٤٧.
- (٢٦) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص١١٨٥.
- (٢٧) الأتقاني، أسواق العرب، ص٣٤٧.
- (٢٨) الأتقاني، المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (٢٩) الأتقاني، المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (٣٠) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٤٥٠.
- (٣١) الأتقاني، أسواق العرب، ص٣٤٨.
- (٣٢) الأتقاني، المرجع نفسه، ص٣٤٩.
- (٣٣) الأتقاني، المرجع نفسه، ص٣٤٩-٣٥٢.
- (٣٤) ابن حبيب، أبو جعفر محمد الهاشمي البغدادي، كتاب المحبر، تحقيق إيلزه ليختن شتير، (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت)، ص١٢٦٧ الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٤٥٠.
- (٣٥) الأزرق، أخبار مكة، ج١، ص١٩٠ الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٤٥١.
- (٣٦) جواد علي، المفصل في تاريخ الإسلام، ج٧، ص٣٧٦-٣٧٥.
- (٣٧) ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج١، ص٥٥٢.
- (٣٨) الفقيه، حسن بن إبراهيم، 'حياشة'، في حوثيات سوق حياشة، (إبها: النادي الأدبي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص٣٩.
- (٣٩) أخبار مكة، ج١، ص١٩١.
- (٤٠) معجم ما استعجم، ج١، ص٤١٨.
- (٤١) معجم البلدان، ج٢، ص٢١٠-٢١١.
- (٤٢) الأوصام: لا تعرف قبيلة بهذا الاسم في سائر الإمتداد الجغرافي المذكور في النص، لا قديماً ولا حديثاً، في حدود علمي، وقد ظننته تصحيفاً تتبعته في ألفاظ كثيرة قريبة لرسم الكلمة، فلم أجد أي دلالة له على قبيلة، أو على وصف جغرافي لطبيعة المكان. إلا أن هناك من الباحثين من يعده تحريفاً لاسم (الأواس) القبيلة الأردنية التي تقع هذه السوق في ديارها. النظر: الفقيه، 'حياشة'، ص٣٩.
- (٤٣) الفقيه، حسن بن إبراهيم، 'أين يقع سوق حياشة؟'، في حوثيات سوق حياشة، ط١، (الناشر ومكان النشر لم يذكران، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، العدد ١٥، السنة ١٥، ص٢٢.
- (٤٤) الفقيه، المرجع نفسه، ص٢٢-٢٣.
- (٤٥) أبوداهش، حوثيات سوق حياشة، ص٣٨-٣٩. في مهالفة بيني وبين الأستاذ عبدالله الرزقي أكد لي مكان السوق، وحدد المسافة بينه وبين قرية العابجة التي ينسب إليها سوق ربوع العابجة المشهور، بحوالي خمسة كيلومترات إلى الجنوب الشرقي عن العابجة في المكان المذكور في النص، وأجديني مديناً للأستاذ الرزقي في كثير من المعومات، وتفسير بعض الظواهر الجغرافية والأثرية المحيطة بالسوق، فمكرراً له من الأعصاب مع صادق الدعوات له بالأجر والثواب، والتوفيق والسداد.

- (٤٦) أبو داهش، حوليات سوق حباشة، ع ١٥٤، ص ٤٠.
- (٤٧) الغلبه، أين يقع سوق حباشة؟، ص ٢٢.
- (٤٨) أخبار مكة، ج ١/ ص ١٩٢، شفاء القرام، ج ٢، ص ٤٥٢.
- (٤٩) معجم ما استعجم، ج ١، ص ٤١٨.
- (٥٠) الأزرقى، أخبار مكة، ص ١٩٢.
- (٥١) معجم ما استعجم، ج ١، ص ٤٦٨.
- (٥٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٥٣) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ص ١٩٢، الفاسي، شفاء القرام، ج ٢، ص ٤٥٢.
- (٥٤) أبو الفرج الأصفهاني، الأغالي، تحقيق سمير جابر، ط ٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج ٢١، ص ١٩٠-١٩١.
- (٥٥) الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط ٣، ج ٥، ص ٢٥٨؛ أبو داهش، حوليات سوق حباشة، ع ١٥٤، ٩١.
- (٥٦) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ص ١٩٢. ومعنى النص: أنه إذا برأ نهر الإبل التي كانوا شهدوا الموسم وحجوا عليها، وعفا وزيرها، أما في الإسلام فإن الرسول صلى عليه وسلم أبطل هذا التقليد الجاهلي، وغزواته التي أثارها في حياته كانت كلها في ذات القعدة وهي: غزوة الحديبية، وغزوة بدر، وغزوة بدر الثانية، وغزوة بدر الثالثة، وغزوة بدر الرابعة، وأرسل زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع أخيها عبد الرحمن بن أبي العصبية فاعتمرت من التعميم وهكذا النظر: الأزرقى، المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٥٧) أبو الحسين محمد، أحمد الكلباني: رحلة ابن جبير، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص ١٠٦. <http://ArchiveBeta.Bahris>
- (٥٨) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- (٥٩) أبو عبدالله محمد بن إبراهيم التواتي: رحلة ابن بطوطة، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤١٠هـ/١٩٨٠م)، ص ١٦٣.
- (٦٠) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١٠٦.
- (٦١) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ١٦٣.
- (٦٢) رحلة ابن جبير، ص ١١٠.
- (٦٣) جمال الدين، أبو القنوح يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي، صفة بلاد اليمن المسماء: تاريخ المسننصر، تحقيق أو سكر لوفغرين، (لندن: مطبعة بريل، ١٩٥١م) ص ٢٧.
- (٦٤) رحلة ابن بطوطة، ١٦٤.
- (٦٥) المقطبي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، (صنعاء: دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م)، ج ١، ص ٧٣٤، ج ٢، ص ١٢٢١.
- (٦٦) ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ١٠.

علاقة الهند بجنوب الجزيرة العربية من القرن الأول إلى الثالث الميلادي

د. أماني خليفة محمد البحر (*)

قائمة الاختصارات

أولاً: المختصرات العربية

أ- مختصرات الكلمات

ت تحقيق

ج جزء

د.ت دون تاريخ

د.ن دون دار نشر

د.م دون مكان نشر

د.ط دون سنة طبع

ق.م قبل الميلاد

م ميلادي

ثانياً: المختصرات غير العربية

أ- مختصرات الكلمات

Book BK

Introduction Intr.

Translated Trans

Volume Vol

ب- مختصرات الدوريات

Bulletin of the American Schools of Oriental Research BASOR

The Cambridge Ancient History CAH

The Cambridge History of Islam CHI

(*) أستاذ مساعد بكلية الآداب للبنات - جامعة الدمام.

ظهرت المناطق الحضارية في جنوب شبه الجزيرة العربية مع نهاية التصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، واكتسب صفات خاصة بها، وأخرى ورثت إليها من غيرها من المناطق التي كانت ترتبط معها بعلاقات تجارية، وثقافية، أو حدثت تبادل فيما بينهم.

وفي هذا البحث سوف نسلط الضوء على علاقة اليمن بإحدى أهم هذه المناطق الحضارية وهي الهند التي ارتبطت معها بعلاقات تجارية نشطة منذ أقدم العصور لما تمتعت به الهند من موقع متميز بين الشرق الأدنى والشرق الأقصى لذلك تاجر معها أهل جنوب الجزيرة العربية بعد أن اكتشفوا سر الرياح الموسمية التي شجعهم على تنظيم رحلات تجارية بحرية عديدة بين اليمن والهند^(١).

تقع شبه جزيرة العرب في القسم الجنوبي من القارة الآسيوية وهي أقصى منطقة من هذه القارة في هذا الاتجاه، وتحدها مياه البحار من الشرق والجنوب والغرب، ليضم الجزيرة العربية قلب المشرق العربي لما كانت له من اتصالات قوية بالأقاليم المجاورة له منذ القدم^(٢).

مما جعلها تتمتع بموقع استراتيجي، جغرافي، يمر به أقصر الطرق التجارية، من أغنى أقاليم العالم القديم، بفضل عمليتي التبادل التجاري، البرية والبحرية التي برع عرب الجنوب في مزاومتها، وذلك بحكم موقع بلادهم على البحر الأحمر من الجهة الغربية، والمحيط الهندي، والخليج الفارسي من الشرق^(٣).

وبصورة أكثر تفصيلاً فقد هرب لها موقعها الجغرافي الفرصة لكبرى لتطور الملاحة على شواطئ شبه الجزيرة العربية، فهي تمر بخط ساحلي بالغ الطول من ثلاث جهات، يدور من خليج السويس إلى رأس الخليج العربي.

وتمر بالقرب من هذه السواحل، لأخصب بقاع الجزيرة العربية، وهي اليمن وحضرموت وعمان، ولم يكن الاتصال بينهما بحدراً أشد هولاً من عبور الصحراء والجبيل التي تتصل بها برأ. وكانت التجارة مع البلاد المجاورة تجد حافزاً إلى الغرب في الشواطئ الطويلة التي تبحر بها شمال أفريقيا الشرقية، وحافزاً إلى الشمال الشرقي في شواطئ فارس. وهذه الشواطئ وتلك تمتد محاذيه للشواطئ الغربي وهي غير بعيدة عنه مما هين لتعرب اليمنيين سهونة الاتصال عبر المياه المغلقة في البحر الأحمر، والخليج العربي بأهم مراكز التجارة العالمية آنذاك كشمال أفريقيا ومصر وفارس والهند^(٤).

وأخيراً ويفضل هذا الموقع الاستراتيجي، أصبحت الملاحة في المحيط الهندي في قبضة اليمنيين، والهنود على حد سواء دون منازع في تلك القرون الثلاثة الأولى للميلاد^(٥).

ولكي نكون أكثر تحديداً في حديثنا عن العلاقات التجارية لجنوب الجزيرة العربية بالهند فلا بد أن نشير إلى اليمن^(٦) والتي تقع في الركن الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب ويتخللها العديد من المناطق السهلية أو الساحلية المطلة على عدن. أطلق عليها اسم العربية السعيدة Arabia Felix، وذلك لشدة ثرائها وخصوبة تربتها وأرضها^(٧).

فهي تقريباً الجزء الوحيد من شبه الجزيرة العربية الذي يتوفر فيه الأمطار مما أدى إلى الزراعة المنظمة أو المطردة بها، فضلاً عما كان لموقعها الجغرافي المؤذي إلى الهند ويفضل منتجاتها التي تستهوي الأسواق في البلدان في العالم القديم كالبخور والأفاويه والبهارات، وأصبح

العرب اليمينيون الجنوبيون من أبرع وأغنى التجار^(١٤).

ويفضل هذا الموقع الاستراتيجي لليمن أصبحت أكبر سوقاً تجاري لتبادل السلع والبضائع الهامة، كما أصبح حلقة وصل تجارية هامة بين كلاً من الهند والحبشة، وشرق وشمال أفريقيا وآسيا وجنوب أوروبا^(١٥).

وبناءً على ذلك ظهرت في اليمن العديد من المراكز التجارية، واهتمت بشكل كبير بالطرق البرية والبحرية على حدٍ سواء، وكانوا ينقلون البضائع إلى الأسم المجاورة لهم^(١٦). فازدهرت التجارة اليمنية وزادت ثروات الشعب اليمني الذي تمتع بقدر كبير من الرخاء المادي، والنمو السياسي الذي أعطى للمنطقة وضعاً مسيطراً داخل شبه الجزيرة العربية على نطاق واسع وهذا ما يؤكد لنا سفر الملوك^(١٧).

استقرت الدول اليمنية التجارية الجديدة في جنوب الجزيرة العربية وألغت حياة التوطن وعملت في التجارة والزراعة مثل زراعة البخور والتوابل والذي أخذوا يتاجرون به مع العديد من دول العالم القديم مثل الهند - كما سيرد بالتفصيل -^(١٨).

وأصبح لأهل اليمن صوت ذائع في الشؤون التجارية لأن قواظمهم تجارية سواء البرية أو البحرية أخذت تتردد ويكثر في أسواق التجارة الدولية^(١٩) نستخلص هذا من النصوص الواردة في سفر أشعيا وحزقيال الذين ذكروا بأن أهل سبأ كانوا من أعظم تجار الشرق الأدنى القديم وأغناهم^(٢٠).

فمن البديهي أن عرب اليمن الجنوبيين قد كسبوا مكاسب هائلة من هذه السلع التي كانوا يتاجرون بها ويشير بليني Pliny^(٢١) إلى الحجم الهائل التي كانت تستورده الإمبراطورية الرومانية من شبه الجزيرة العربية فقال (إن الهند والصين وشبه الجزيرة العربية تأخذ منا كل عام مليون شركة) ثم ينتقل للحديث عن ثروات العرب الجنوبيين فيقول عنهم «في عصورهم أغنى أجناس العالم لأن ثروات واسعة تجتمع في أيديهم من روما لقاء ما يبيعونه لنا سواء من نتاج البحر (يقصد اللؤلؤ) أو من غاباتهم (يقصد الطيوب) دون أن يشتروا منا شيئاً مقابل ذلك»^(٢٢).

غنى عن البيان أن نقطة الوساطة في طريق التجارة بين الإمبراطورية الرومانية والهند كانت تشغلها السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، الأمر الذي يدل على أن روما لم تكن قد وضعت المنطقة بعد تحت نفوذها، ولم تكن قد حصلت على تسهيلات تجارية كبيرة في موائلها^(٢٣).

وفي هذه الفترة كانت الدولة الحميرية^(٢٤) قد ظهرت في اليمن جنوب شبه الجزيرة العربية (١١٥ ق.م - ٥٢٥م) وكانت هي المسيطرة على التجارة البحرية مع الهند، وكان التجار العرب يقومون بدور الوسيط التجاري بين التجار المصريين وزملائهم في الهند^(٢٥).

إن توسط بلاد اليمن بين أمم العالم القديم جعلها واسطة لتجارة بينهم فكان بينها وبين الهند علاقات تجارية وكان للهنود محصولات ومصنوعات يحتاج إليها كلاً من المصريين^(٢٦) والآشوريين^(٢٧).

والفينيقيين^(٢٨) وغيرهم فكان اليمينيون ينقلون هذه المواد إلى تلك الأسم في سفن البحر أو في قوافل البر، وكان على شواطئ اليمن فرض ومواتى ترسو عندها السفن القادمة من الهند أو

وادي الفرات^(٣٢).

ومن ثم نشط العرب اليمينيون في التجارة والوساطة بين الأمم المعاصرة لهم وأخذت سواحلهم تشعب دوراً تجارياً هاماً آنذاك^(٣٣) هذه الوساطة التي لفتت نظر بعض المؤرخين الكلاسيكيين أمثال بليني ومؤلف كتاب الطواف برييلس. فتحدثوا باستفاضة عن الشراء اليمني وبالتحديد المسيني والحميري من جراء تملك الوساطة التجارية^(٣٤).

إذاً فجميع الشواهد تؤكد ان دول جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن السعيدة) كانت في هذه الفترة مركزاً للتجارة الدولية بين الهند وغيرها من دول العالم القديم^(٣٥). وان العرب استمروا في ثعب دور الوسيط للتجاري بين الأمم واستمروا في نقل السلع الهندية التي كانوا يتاجرون فيها مع سلع بلادهم التي ينتجونها مثل اللبان والمر^(٣٦). الذين أخذوا يتاجرون بها على طول الطرق البرية على ساحل البحر الأحمر غرب شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال واستمر هذا الدور المزدهر الذي كانت بلاد اليمن السعيدة تلعب رديحاً طويلاً من الدهر^(٣٧).

ومما يجب الإشارة إليه هنا مدى حاجة شعب الإمبراطورية الرومانية لتلك السلع التي أطلق عليها بليني مصطلح (سلع الرفاهية الشرقية) والتي كانت عادةً تكلف الغزاة الرومانية مبالغ طائلة من المال لدرجة ان الإمبراطور سيبريوس ١٤-٣٧ م Tiberius^(٣٨) أبدى تفره من ثروات الرومان التي كانت تنتقل إلى أسم عريضة من خلال الملابس والمجوهرات النصفائية والرجالية الباهظة الثمن^(٣٩).

وبالإضافة إلى سلع الرفاهية الشرقية تلك كان هناك الطيب والبخور وهو أحد صادرات اليمن للإمبراطورية الرومانية والعالم القديم. وتعلم مدى أهمية البخور والذي كان يزوه بميزان الذهب، ويشعونه في جميع المناسبات الدينية أو الجنائزية أو الأضراح لذا فهو يعتبر على رأس هرم الواردات الرومانية من اليمن والتي كانت تنفق لأجله الأموال الطائلة^(٤٠).

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل وقعت الأمم الأخرى والتي كانت تستورد المنتجات العطرية والتوابل مكتوفة الأيدي أمام هذا الاحتكار اليمني لإحدى أهم صادرات العالم القديم ؟ والإجابة بالتأكيد لا لم تقف في مكان المتفرج وتترك مسرح التجارة العالمية في يد العرب اليمنيين ولكنها كانت لها محاولات عديدة كان الغرض منها فرض الحماية أو السيطرة الأجنبية على تلك التجارة والبضائع النفيسة^(٤١).

وتأتي محاولة الإسكندر الأكبر^(٤٢) على رأس تلك المحاولات فمع بزوغ فجر العصر الهليني شهد الخليج العربي تقدم ملحوظ لأسطول الإسكندر الأكبر على موانئه التجارية^(٤٣) فلفد على الإسكندر غابة فائقة بتنشيط الملاحة في الخليج العربي فسأجر الفينيقيين للملاحة فيه ودخل شواطئه، كما نقل كثيراً من السفن إلى بلاد ما بين النهرين وبين بعض السفن مستعيناً بأشجار السرو وأرسل ثلاث سفن أبحرت جنوباً للاستكشاف، وصلت إحداهن إلى البحرين حيث شاهد رجالها مصائد التوتو هناك^(٤٤).

وأخيراً قرر الإسكندر إرسال حملة بحرية بقيادة نيرخوس التطلعت من مصب نهر السند ماراً بسواحل مالكران، إلا أن هذا المشروع انتهى بوفاة الإسكندر عام (٣٢٣ ق.م) وتعطل تدخل الإغريق في تجارة التوابل والعمود لمدة قرنين من الزمن^(٤٥).

وعندما تقاسم قادة الإسكندر الأكبر الشرق الأثني بعد وفاته استقر البطلمية في مصر في أواخر القرن الرابع ق.م واستقر السلوقيين في سوريا، إلا أن البطلمية رأوا أن يحققوا حلم الإسكندر في السيطرة على هذه التجارة اليمنية وكسر الاحتكار اليمني لها^(٣٧).
فصلوا على استغلال السواحل الطويلة المطلة على البحر الأحمر إلى أقصى الجنوب وكانت تلك المحاولة البطلمية بهدف السيطرة على تجارة اليمن في عدة مراحل^(٣٨).
أسفرت هذه المراحل الاستعمارية عن بدء رحلة منظمة للتمسك بالبحر الأحمر منذ عام ١٢٠ - ١١٠ ق.م إلا أن وبسبب الفوضى والتدهور السياسي الذي حل بأركان الدولة البطلمية أواخر عصر ملوكها توكلت إلى حد ما تلك التجارة^(٣٩).

وبدأت الإمبراطورية الرومانية تخرج على مسرح الأحداث السياسية والتي تعتبر منافس أشد خطراً منهم، يتمثل هذا النفوذ الروماني واضحاً في عصر الإمبراطور أغسطس Augustus (٢٧ ق.م - ١٤ م) الذي أصبح يسيطر على أغلب مناطق العالم القديم دون منازع منذ أواخر القرن الأول ق.م، ولم يكتفى أغسطس بالنشاط العادي الذي يقوم به أعوانه من الإغريق في تجارة الهند والبحر الأحمر، إنما أراد أن يقضي على العرب اليمنيين ويكسر احتكارهم وسيطرتهم على تجارة التوابل والعطور تماماً، ويحولهم للعمل في خدمة الإمبراطورية الرومانية^(٤٠).

فعمل على حث المصريين على تنظيف القنوات النيلية في زمنه وبثقت الجهود لإتاحة التجارة في البحر الأحمر، ووضعت **حاجيات مسلحة** على السفن التي تسير في ذلك البحر، واستمر هذا الوضع فترة من الزمن، استخدم في سبيل تطبيقه كل الأساليب العسكرية المتطورة آنذاك وظهرت مشكلة من التحصينات الرومانية في جميع أنحاء البحر الأحمر من الشمال إلى شمال الحجاز كل ذلك بغرض فرض السيطرة على طرف التوابل والعطور الثمينة^(٤١).

ومما ساعد على زيادة حركة القرصنة تلك الشعب المرجانية التي كانت منتشرة على طول سواحل البحر الأحمر، ناهيك عن خلو البحر آنذاك من الموانئ الصالحة أو بالكاد يتوفر الملجأ الآمن للبحارة من أخطار العواصف أو من هجوم القرصنة الجياح^(٤٢).

وكانت الصورة البراقة المشرفة التي أشاعها الرحالة والمؤرخون الإغريق والرومان في عالمهم الغربي عن ثراء بلاد العرب هي الحافظ فيما بعد لحكام الرومان على محاولة التسلل في بلاد اليمن ومما قاله استرابون^(٤٣) «أن السبئيين كانوا من أكثر القبائل ثراء نتيجة لتجاريتهم في المواد العطرية ولهذا توفرت لديهم كميات من مصوغات الذهب والفضة كالأسرة والموائد الصغيرة والأواني والكؤوس فضلاً عن قصورهم الرائعة التي كانت أبوابها، وجدرانها، وسقوفها بمختلف الألوان».

وليس من الضروري بطبيعة الحال تصديق هذا التصوير المبالغ فيه ومن المحتمل أنه كان كاذباً لأثره أطماع الرومان الطموحين إلى السيطرة والاستقلال، وهكذا أصدر الإمبراطور أغسطس إلى نائبه الروماني في مصر اليوس جاليوس (Aelius Gallus) بأن كلفه بمهمة إرهاب العرب واحتلال أرضهم^(٤٤).

وبناءً عليه جهز جيشاً كبيراً وانضم إليه عدد من اليهود المخالفين له وانطلقت الحملة الأولى هذه في عام ٢٤ ق.م على متن أسطول كبير ولكنها باءت بالفشل، وفقدت كثيراً من

سفلها ورجالها ولم تحقق الغرض الأساسي الذي خرجت من أجله وهو السيطرة على تجارة الطيوب في اليمن^(١٠٠).

ولم تكن تلك الحملة الأولى والأخيرة التي أرسلتها الإمبراطورية الرومانية إلى اليمن، ولكن تلتها حملة أخرى أرسلها الإمبراطور أغسطس أيضاً عن طريق البحر في وقت لاحق (ربما بعد عشرين عاماً) إلى هذه المنطقة تحت قيادة ابنه بالتبني جايوس قيصر Gaius Caesar ولكن يبدو أن هذه الحملة لم تستغرق وقتاً أو جهداً كبيراً إذ يذكر لنا بليني أن القائد لم يفعل أكثر من إلقاء نظره سريعة على بلاد العرب ثم رحل عنها^(١٠١).

ولما عجز الرومان عن تحقيق ما يصبون إليه من الإشراف على الموانئ العربية بالقوة، بدؤوا في استعمال الطرق الدبلوماسية فأخذت تحالف ملوك اليمن، فحالفت ملك ظفار الحميري على شرط أن يكون ذلك التحالف مقرون بوجود حامية عسكرية رومانية في ميناء عدن^(١٠٢) بعد أن دمر يواسطة القوات الرومانية لأنه كان يشكل تهديداً كبيراً وخطراً واضحاً على مصالح الإمبراطورية الرومانية في البحر الأحمر والخليج العربي على حد سواء^(١٠٣).

وأخيراً فلقد كان للنشاط التجاري اليمني دوراً خطيراً في إسالة تعاب كل القوى الطامعة فيه مثل الفرس الذين أخذوا بفرض الضرائب الهائلة على البضائع الصادرة إلى الإمبراطورية الرومانية^(١٠٤) فأصبحت الإمبراطورية بين فكي أسد من الجهة الأولى التجار اليمنيين ومن الجهة الأخرى التجار الفرس مما دفعها إلى عقد تحالف مع الحبشة لمهاجمة اليمن والاستيلاء على تجارتها البحرية مع الهند^(١٠٥).

ارتبطت الهند واليمن بصلات تجارية وحضارية قوية فلقد كانت البضائع الهندية تنقل إلى اليمن بحراً وكذا الحال بالنسبة للبضائع اليمنية، التي كانت تصل إلى الهند، وتباع هناك في الأسواق الهندية الدائمة للطلب لبضائع اليمن^(١٠٦).

لذا حرص التجار اليمن على إنشاء أسطولاً بحري يغدو ويروح بين الهند وجنوب بلاد العرب بأصناف المتاجر، ومختلف أنواع البضائع ويكونوا هناك - أي اليمنيين - سلطة ونفوذ دونه كل نفوذ، وقيضوا على زمام التجارة في الهند واحتكروا غلات البلاد - وسوف يرد تفصيل ذلك لاحقاً -^(١٠٧).

من هنا نستطيع القول بأنه كان للتجار اليمنيين الزعامة والسيطرة في الهند مكنتهم من الاستيلاء على عصب التجارة الهندية^(١٠٨) فاستقروا بها واستوطنوا أرضها وعسروها^(١٠٩).

وبناءً على ما سبق زادت ثروات الشعبين لدرجة دفعت المؤرخين الكلاسيكيين للتحديث عنها ويتوسع مما لفت لها أنظار الدول الاستعمارية الطامعة في الثراء والرفاهية^(١١٠). وخصوصاً وأن كلاً من البلدين فرضت ضرائب جمركية على تجارة الترانزيت القادمة من الهند واليمن وإلى غيرها من مناطق العالم المختلفة^(١١١).

والآن ننتقل للتحديث عن السبب في ازدهار هذه التجارة الهندية اليمنية، والسر في نجاحها وتطورها هو اكتشاف الرياح الموسمية، فلقد شهدت تلك القرون الثلاثة الأولى نموذجاً للنشاط التجاري العربي اليمني فلقد كانت موانئ اليمن قبله للسفن القادمة مصر والحبوب من أفريقيا ومن المشرق الهند، وكان اليمنيون والهنود معاً هما أول من تعرف على نظام حركة الرياح الموسمية،

واستفادوا منها في تسيير السفن في الاتجاهين، ونتيجة لذلك زادت أنواع وكميات السلع والبضائع التي كانوا يتاجرون بها^(٤٧).

هذا وقد سجل لنا التاريخ حركة بحرية نشطة للتجار البينيين احتكروا بها تجارة المحيط الهندي - كما أسلفنا - وذلك لأنهم فهموا وعرفوا كيفية الاستفادة من دورة الرياح الموسمية وحركتها في المحيط الهندي، ففي الصيف تكون اتجاهاتها جنوبية غربية تصل بمسئهم إلى ساحل ملبار الهندي ومع الشتاء تكون فيه اتجاهات الرياح شمالية شرقية وتعود مسئهم وقد تزودت بحمولة كبيرة من سلع متنوعة إلى ساحل شرق أفريقيا وخليج عدن^(٤٨).

ويفضل معرفة العرب لتلك الأيام التي تهب فيها الرياح الموسمية وتحديدهم لأوقات هبوبها فقد عرفوا الأوقات الملائمة لتسيير السفن في المحيط الهندي. ويذكر المسعودي ان الفلاحين العرب كانوا يستعينون في أسفارهم بدليل بحري سموه (رصاصي)، حتى ان المسعودي ارتحل به براً مع جماعة من التجار إلى المحيط الهندي^(٤٩).

وقد حافظ التجار العرب البينيين والهنود على سر هذه الرياح الموسمية بغرض الحفاظ على احتكارهم للتجارة الدولية في المحيط الهندي آنذاك حتى القرن الأول الميلادي إلى ان اهتدى البحار اليوناني هيبالوس Hippalus إلى سر هذه الرياح ومواعيد هبوبها فوصلت السفن اليونانية والرومانية إلى شبه الجزيرة الهندية مباشرة عبر المحيط الهندي فزاد إقبال سكان الإمبراطورية الرومانية على طلب السلع الشرقية وليس معنى ذلك هو ضياع التفوذ اليمني الهندي بل على العكس فقد استمر هذا النشاط التجاري إلى القرون الثلاثة السابقة لظهور الإسلام^(٥٠).

وبهذا الاكتشاف من قبل هيبالوس شارك الصينيين أقوام أخرى في تجارتهم البحرية وتعل السبب أيضاً في ذلك هو ان العرب لم يطوروا أسطولهم التجاري البحري، ولذلك فإن سيطرتهم على البحر والتجارة البحرية الهندية خففت قوتها إلى حد ما^(٥١).

ولكي تكون أكثر دقة في تحديد مكتشف الرياح الموسمية Monsoon للغرب فلا بد ان نذكر هنا انه سبق هيبالوس بحار يوناني آخر رائد في هذا المجال وتعتبر رحلته من ضمن الرحلات القديمة التي نجحت في الوصول إلى الهند مباشرة وهو رجل يدعى يودوكسوس الكينريكي Eudoxus of Cyzicus ووصل بالمسفن اليونانية إلى الهند حوالي عام (١١٤ ق.م - ١١٧ ق.م) وتعددت بعدها رحلات بحارة الإغريق والبطالمة وساعد على نجاحها انهاء هيبالوس إلى إمكانية استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية خلال الصيف^(٥٢).

ومن هنا بدء الاستغلال المنظم للطرق الجديدة إلى الهند وبدء البطالمة بالتهوض بتجارة البحر الأحمر فوضعوا عليها موظف مسئول عن متابعة سير السفن في البحر ثم في عام ١٢٠ أو ١١٠ ق.م بدنا نسمع عن رحلات بحرية مباشرة بين مصر والهند^(٥٣).

ويفضل هيبالوس بدء التجار الغربيون في الوصول إلى شبه الجزيرة الهندية في وقت أقل مما كانوا عليه في السابق وبطريقة أقل خطورة مما كان الحال عليه^(٥٤). وهكذا حقق هيبالوس في القرن الأول ق.م شهرة عالمية وتاريخية بسبب اكتشافه هذا وأطلق اسمه على الرياح الموسمية الجنوبية الغربية^(٥٥).

والآن نود أن نستعرض مواقيت هبوب الرياح الموسمية الهامة للتجارة ووفقاً لما ورد عند هيا آل ثاني^(١٧١) - فالأحوال المناخية التي تعرض لها مناطق الخليج العربي والمحيط الهندي منذ القدم فقد أوربت لنا العديد من المسميات لأنواع مجتمعه من الرياح التي تهب على شواطئه الغربية تلاوت بشيء من التفصيل مسمياتها، والمواقيت التي تهب فيها واتجاهاتها، ومن أصناف هذه الرياح توجد الشمالية الشرقية ونسيم البحر والبر وغيرها ولكن تبقى «الرياح الموسمية» من أهمها جميعاً وذلك نظراً لاستفادة سكان جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي منها أكبر استفادة حتى الوقت الحاضر.

والرياح الموسمية الجنوبية الغربية هذه ذات اتجاهين، فهناك الشمالية الشرقية التي تهب في شهر نوفمبر حتى شهر مارس وتعمل على تسهيل الملاحة البحرية حتى شواطئ الهند للسفن الخارجية من الخليج العربي على طول بحر العرب والمحيط الهندي^(١٧٢).

أما فيما بين شهري مايو وسبتمبر فتهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في الاتجاه المعاكس، فتعمل على تسيير وصول السفن إلى شواطئ الخليج العربي بسهولة وأمان^(١٧٣). وكما أدرك العرب في جنوب الجزيرة العربية أهمية هذه الرياح الموسمية في التجارة أدرك الهند أيضاً هذه الأهمية، فقد كان الهواء البارد يندفع باتجاه الشمال فوق المحيط الهندي في الصيف ثم إلى الجنوب باتجاه جبال «الهمالايا» والسهول الهندية في الشتاء فتملاً أشرعهم للانطلاق في البحر، كما أنها تجلب للمزارعين الهنود المطر لزراعهم^(١٧٤).

ولكن على الرغم من أهمية اكتشاف هبيلوس للرياح الموسمية الجنوبية الغربية فقد ظلت محفوفة بالمخاطر على حد قول «صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريثري»^(١٧٥) لذلك احتفظ العرب بمسئلتهم على تجارة المحيط الهندي وإن كان هذا المسئلت بدأت قوى أخرى تتزعمهم فيه فأخذ البحارة المصريين، والفينيقيين واليونانيين يراحمونهم في طريق جمع ثروتهم من مياه المحيط الهندي^(١٧٦).

وفيما بعد نشطت التجارة الملاحة بين الإمبراطورية الرومانية والهند فكانت السفن تبحر مباشرة من بومباي أو سواحل الهند الجنوبية إلى الموانئ الرومانية فيذكر بليني Pliny أن مسفته أبحرت إلى الهند في فترة قصيرة جداً بلغت خمسة عشر يوماً^(١٧٧).

اعتمد البحارة الرومان على رياح هبيلوس وركبوا البحر في مواقيتها المنظمة حتى أنه في أيام الإمبراطور فسباسيان (٧٠-٩٦م) Flavius Vespasianus كان البحارة التجار يفرجون إلى عرض المحيط الهندي بكل جراءة وقوة^(١٧٨).

وأصبح مشهد السفن الرومانية مألوفاً في مياه المحيط الهندي ذهاباً وإياباً مما أثر إلى حد ما على تجارة الهند اليمنية آنذاك ولكن الغريب في الأمر أن تتأثر بعض دول الجنوب اليمني إذ سطر نجم حضرموت وقتئبان بعد أن تخلفنا من وساطة المعينين والسنيين، وأخذوا يشحنوا منتجاتهم من الطيوب والعمور والتوابل والبخور على متن السفن اليونانية في الموانئ المخصصة لذلك. وهذا يعني الانهيار التام للثلاثين اليمنية - السبئية والمعنية - من ناحية تجارة البحر ولكنهم حولوا تجارتهم بمنتهى الذكاء إلى البر^(١٧٩).

وهذا يعني أن عرب اليمن لم يتأثروا كثيراً بسبب كشف سمر الرياح الموسمية، لأنه في

حالة ضعفت تجارة البحر إلى حد ما في بعض دويلات اليمن، ترتفع أسهم دول أخرى مثل حضرموت وقتبان في التجارة البحرية والبرية وهذا يؤكد استمرار التجارة اليمنية الهندية على الرغم من كل الظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها المنطقة في تلك الفترة^(١٧٤).

اشتهر سكان جنوب الجزيرة العربية منذ القدم - كما أسلفنا - بالنشاط التجاري إذ كانت تسير قوافلهم براً في شبه جزيرة العرب، وسفنتهم بحراً في المحيط الهندي والبحر الأحمر نالقة على منتها السلع من الأقاليم الآسيوية وغللات شرق وشمال أفريقيا إلى دول البحر المتوسط^(١٧٥). ولقد أفضى هذا التقدم الاقتصادي الهندي العربي إلى نشاط التجارة وازدهار المدن وتوطيد حياة الاستقرار والتحضّر إلى نشوء المنكبة الخاصة، وقيام الدول المتطورة التي جمعت بين صفات الموانئ البحرية والمحطات التجارية على طرق القوافل البرية والبحرية، والمراكز التجارية التي تجتمع فيها السلع ومنها توزع إلى مختلف الجهات^(١٧٦).

ويعود ثراء اليمن إلى مزاولتها للتجارة البرية والبحرية، والاتجار بالمواد الناتجة من الزراعة في جنوب الجزيرة العربية وبالسلع المستوردة من الخراج ولاسيما من الهند والسواحل الأفريقية^(١٧٧).

هذا ولقد حرص، عرب جنوب الجزيرة العربية على التجارة البحرية تماماً مثل حرصهم على تجارة القوافل البرية، فعملوا على بناء السفن التجارية لخوض أعماق البحار ومما شجعهم على ذلك الموقع الاستراتيجي للجزيرة العربية، فهو موقعاً آتاح لها إمكانيات واسعة في مجال ازدهار التجارة البحرية فهي تشغل - كما سبق أن رأينا - موقع متوسطاً بين ثلاث بحار البحر الأحمر من الغرب والخليج العربي من الشرق ومنها يفتك المحيط الهندي المستمر شرقاً، والبحر المتوسط من الشمال الغربي^(١٧٨).

لذلك لعبت طرق المواصلات البرية والبحرية في جنوب الجزيرة العربية دوراً حيوياً، في حياة شعوب الجزيرة، وتستطيع أن تغيب فهم ذلك الدور من خلال كثافة شبكة خطوط المواصلات التجارية بنوعها - البري والبحري - إذ كلما زادت هذه الشبكة كثافة كان هذا دليلاً على تقدم دول المنطقة، ولهذا تعتبر الطرق التجارية هي شرايين الحياة في دول جنوب الجزيرة العربية^(١٧٩). ونتيجة لتوسع شبكة المواصلات البرية والبحرية هذه تطورت حركة الملاحة على شواطئها فحرصوا على دراسة طرق الملاحة البحرية وملتهم تلك الدراسات إلى اكتشاف مسر الرياح التجارية الموسمية في المحيط الهندي^(١٨٠).

ومن المؤسف أنه يوجد البعض^(١٨١) من الذين حاولوا التشكيك في قدرات العرب على استخدام البحر وإمكانية قيامهم برحلات بحرية فيه وخاصة الرحلات الطويلة المتجه إلى الهند والصين وسيلان معتمدين على قلة الفران الأثرية الدالة على ممارسة عرب الجنوب للملاحة سواء كان في النقوش أو غيرها، كما أن قلة الأخشاب الصالحة لصناعة السفن كان أحد الحجج التي استند عليها أصحاب الرأي السابق، ويرى هؤلاء أن القوارب المخيطة أو الجلدية هي غير قادرة على القيام بهذه الرحلات البحرية الطويلة^(١٨٢).

ولقد أثبتت الدراسات أن القوارب المخيطة صنعت بأحجام كبيرة، وهي قادرة على حمل كمية من البضائع كما أن لديها القدرة على الإبحار لمسافات طويلة، ولا يستبعد أن يكون العرب قد

استوردوا الأخشاب لصناعة السفن الكبيرة من أماكن توغرها^(٤٤).
وأخيراً نجح العرب في ارتياد البحر بكفاءة عالية وجراءة ومهارة فالتقت، حتى ملكوا في
أيديهم زمام التجارة بين الشرق والغرب وكان لهم السيادة على الخليج العربي وعلى البحار التي
تصل به مثل البحر العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي^(٤٥).
فأصبحوا ملّمين بمواقع وأوصاف الجزر والخلجان والروؤس بها وأحكموا تقدير المسافات
التي تقطعها السفن بين الموانئ العربية، وموانئ الهند والصين، كما أنهم حددوا الأوقات الصالحة
للإبحار والغيام بالرحلات التجارية والملاحية البحرية^(٤٦).

ونود أن نشير إلى تلك السفن التي كان العرب الجنوبيين يستخدمونها في ركبهم أعالي
البحار فلقد شحنتوا بضائعهم على متن القوارب الكبيرة والمخصصة لتصدير سلعهم والتي من بينها
المواد العطرية، والتوابل، كما استخدموا القوارب الجلدية لجلب المواد العطرية من الساحل الإفريقي
والهند^(٤٧).

هذا ولقد اعتمدوا على أطواف من الغاب - نوع من القوارب الصغيرة - ولكنهم كانوا عابداً
مايسرون بها بمحاذاة ساحل شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر الذي تكثر به الشعب المرجانية
التي تؤدي إلى تعظيم السفن الكبيرة^(٤٨).

وبالإضافة إلى قوارب الغاب كانت توجد سفنهم الشراعية، والقوارب الخشبية الصغيرة
المشعودة بالأنثاف أو المصنوعة من مادة مشابهة لها^(٤٩).
ولقد أشار استرابون أن من أوائل السفن التي رست في المحيط الهندي هي سفن خشبية
كانت لأهل مالابار وأخرى لأهل إقليم الجنوبي من مقاطعة حضرموت، وهم الذين بنوا أسطولاً
تجارياً من ميناء عدن وبعض الموانئ العربية الساحلية الجنوبية^(٥٠). وكانت لهم تجارة واسعة مع
الهند وأنهم أيضاً أتقنوا فنون الملاحة البحرية كما أنهم استخدموا السفن التجارية الكبيرة التي
صنعوا بها أسطولاً بحرياً تجارياً ضخماً ووصول بهم إلى الهند.

والآن نود أن نسلط الضوء على أهم الطرق البرية والبحرية التي تربط ما بين الهند وجنوب
الجزيرة العربية أو تلك التي كانت جنوب الجزيرة العربية هي حلقة الوصل بينها وبين الهند، ولكي
نكون منصفين ولمزيداً من الدقة فلنبدأ أن نذكر هنا أن الطرق البرية كانت في واقع الأمر أقل في
العدد من نظيرتها البحرية والمتجهة من وإلى الهند وجنوب الجزيرة العربية ولكننا سوف نذكرها
حتى لا نكون قد أغفلنا أي طريق مواصلات بين الهند وجنوب الجزيرة العربية، كما نود أن نشير
هنا إلى أن هذه الطرق في أغلبها تبدأ بحرية وتنتهي برية.
الخطوط التجارية البحرية - البرية الهندية اليمنية:

١- طريق البخور (عدن - باريجازا):

ويقف على رأس هذه الطرق التجارية العربية الهندية أهمية طريق البخور والذي يعتبر
فرعاً من الطريق التجاري الجنوبي الذي كان يصل بين الهند والموانئ الواقعة في جنوب الجزيرة
العربية ثم عدن، لأن المراكب الهندية كانت تفرغ حمولتها لدى الأعراب الذين حرصوا على التجارة
إلى حد أنهم لم يسمحوا لهذه المراكب بدخول مضيق باب المندب إلا بعد دفع الضرائب^(٥١).

٢- الهند - البحر المتوسط:

وهذا الطريق يمتد من الهند إلى البحر المتوسط باتجاه الطريق البري منطلقاً من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى الهند فقد كانت القوافل تصل إلى مأرب^(١١١) فيعد وصول السفن التجارية المحملة بالبضائع النفيسة من الهند تحط رحالها في جنوب الجزيرة العربية في ميناء عدن ثم مكة ومنها إلى غزة^(١١٢) وبالقى من البحر الأبيض المتوسط^(١١٣).

٣- الهند - نجد:

وهذا الطريق يرفد البحر العربي والمحيط الهندي والممالك العربية الجنوبية، وخاصة حضرموت Chatmatital ويبدأ من ميناء باريجازا ويسير في المحيط الهندي حتى يصل إلى حضرموت وعاصمتها شبوه، ومنها إلى الحدود الشرقية لنجد ومن نجد تنفرع في خط بري آخر ينطلق إلى بلاد الرافدين وخط ثالث يسير إلى بلاد الشام^(١١٤).

٤- الهند - حضرموت:

وينطلق هذا الطريق بحراً من الهند ميناء باريجازا الهندي حتى تصل السفن إلى ميناء عدن ومنها براً إلى حضرموت متجهاً إلى منطقة اليمامة عبر الحافة الشرقية أو الغربية للربع الخالي متجهاً إلى بلاد الرافدين لتلتقي في خط آخر متجهاً إلى سوريا^(١١٥).

٥- الهند - عمان Oman

وهذا الطريق ينطلق من ميناء باريجازا وصولاً إلى عدن ومنها براً إلى عمان محملاً بكل بضائع شرق آسيا المتقولة على الأبل كما تنفرع منه عدة خطوط أخرى أولها يتجه إلى مأرب وآخر إلى معين وثالث إلى ثقاف متقاربة المرور بالربع الخالي^(١١٦).

٦- سوريا - الهند:

وهذا الطريق يبدأ رحلته من سوريا ثم إلى مكة ومنها إلى اليمن جنوب الجزيرة العربية إلى ميناء عدن ثم إلى المحيط الهندي حتى يصل إلى الهند^(١١٧).

٧- الهند - مصر:

وتأتي بضائع الهند عبر المحيط الهندي إلى البحر الأحمر مارة بمدخله عند عدن أو ميناء موزا ليكتمل طريقه براً عبر شبه الجزيرة العربية إلى الشمال ومنه إلى مصر^(١١٨) وهناك مسير آخر لهذا الطريق الذي يربط الهند بمصر عن طريق الجزيرة العربية ويبدأ من الهند وصولاً إلى ميناء قانا أو عدن عبر مضيق باب المندب متجهاً السواحل العمانية عبر البحر الأحمر إلى بيرنيكي Beranike ومن هناك عبر البر يسير في اتجاه الشمال الغربي حتى يتنقى بالطريق القادم من المراكز التجارية الشمالية العربية للجزيرة العربية والذي يمتد من Dedan دادان (العلا حالياً) غرباً إلى البحر الأحمر حتى يصل إلى ميناء القصير ومنه إلى وادي الحمامات وأخيراً فقط الواقعة على مسافة ٤٠ كم شمال غرب الأقصر ومن هذه الطرق كانت كل بضائع الهند تصل إلى شمال الجزيرة العربية ومصر^(١١٩).

٨- نيوكي كومي - الهند:

يبدأ هذا الطريق من نيوكي كومي^(١٢٠) متجهاً جنوباً نحو سواحل جنوب الجزيرة العربية ماراً بعدد من الموانئ العربية على البحر الأحمر والتي من أهمها: موزا، أوكليس، قانا، عدن، وسوف

برد نكر كلاً من هذه الموانئ بالتفصيل لاحقاً - ثم بحاذي الساحل في خليج عمان على رأس الحد، ثم يتجه نحو الساحل المقابل من الخليج ويستمر في السير بمحاذاة الساحل الآسيوي المقابل لساحل كرمينا إلى نهر السند والموانئ الواقعة جنوبيه وتستخدم السفن بنفس الطريق في عودتها^(١٠١).

وبصورة أكثر وضوحاً يجب أن نعلم أن هذه الخطوط لم تكن هي الخطوط البرية البحرية الوحيدة التي ربطت الهند بمصر عن طريق الجزيرة العربية، بل كانت هناك العديد من الخطوط التي جعلت من شبه الجزيرة العربية واسطة بينها فكانت هذه الخطوط تأتي من المحيط الهندي إلى البحر الأحمر مرة بمدخله عند عدن لتكمل طريقها إما براً عبر شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال أو بحراً بطول البحر الأحمر حتى موانئه البحرية الشمالية أو متصلة بين الطريق البري والطريق البحري^(١٠٢).

هذه كانت أهم الطرق البرية البحرية التي ربطت بين الهند وغيرها من مناطق العالم مروراً بحقبة الوصل بينها وهي شبه الجزيرة العربية على اعتبار أنه لا يستطيع الوصول إلى أي منها إلا بمرور بجنوب الجزيرة العربية.

(١) الطرق التجارية البحرية الهندية اليمنية (الغير مباشرة):

وهذه الطرق تنطلق من عدة أماكن وتتم بجنوب شبه الجزيرة العربية وصولاً للهند أو من شبه الجزيرة العربية مباشرة إلى الهند المهم أن منطقة جنوب الجزيرة هي المحور الأساسي للربط بين الهند ومناطق التجارة العالمية - كما أسلفنا - ولأن نستعرض أهم الطرق البحرية العربية الهندية، وسوف نقوم بترتيب عرضها على حسب أهميتها التجارية: ابتداءً من الطرق الغير مباشرة ثم الطرق المباشرة^(١٠٣).

http://archive.org/details/Sakhr.com

١- جنوب شبه الجزيرة العربية ساحل شبه الجزيرة الهندية:

ينطلق هذا الطريق من عدن إلى خراكس Charex^(١٠٤) ماراً بعدد من المراكز والموانئ العربية، والجزر مثل فيلكا Fayllake^(١٠٥) والبحرين وكذلك بعدد من الموانئ العربية مثل Gerraها الجرهاء^(١٠٦) ثم تحاذي الساحل ماراً بعدد من الموانئ على الخليج العربي ثم ينطلق في مياه الخليج ومنها إلى المحيط الهندي، حتى يصل إلى ساحل كرمينا ويمسك نفس الطريق الذي تسلكه السفن القادمة من البحر الأحمر، وكانت السفن العربية تقف عند عدد من الموانئ الهندية على الساحل الغربي مثل بريجانزا أو قد يصل إلى السواحل العربية والحديثة للهند مثل موزي Muziri^(١٠٧).

٢- الهند - مصر:

وفي هذا الطريق الذي سبق الإشارة - إلى نظيراً بري له في أهم الخطوط البرية البحرية التي تربط الهند بجنوب الجزيرة العربية، يوجد طريق بحري آخر يتفرع إلى ثلاثة فروع الأول ينطلق من الهند من موزي عبر المحيط الهندي إلى مينائي موزا أو عدن ثم إلى البحر الأحمر ومنه إلى خليج العقبة ثم فقط^(١٠٨) أما الفرع الثاني فيسير في نفس سير الخط إلا أنه بدلاً من التوقف عند البحر الأحمر فإنه يكمل مسيرته إلى البحر الأبيض المتوسط، وفي كلا الفرعين كانت جنوب شبه الجزيرة العربية هي القنطرة الموصلة بين القطرين الهندي والمصري بحراً^(١٠٩).

أما الفرع الثالث للطريق ينطلق من مصر مباشرة إلى الهند^(١١١) وله خط سير آخر تماماً فهو ينطلق من موانئ مصر برينكي على البحر الأحمر متجهاً إلى الحبشة ومنها إلى عدن في جنوب الجزيرة العربية ثم المحيط الهندي حتى تصل إلى موزري في الهند^(١١٢) وقد ذكر هذا الطريق عند بليني^(١١٣).

٣- الهند - موربا:

من باريجازا إلى عدن ومنها إلى خليج العقبة ثم إلى الموانئ المصرية الواقعة على البحر الأحمر ويعدّها إلى الموانئ السورية على البحر الأبيض المتوسط إلى أوربا^(١١٤) وهناك خط آخر يبدأ من سوريا إلى مصر ثم إلى موانئ البحر الأحمر حتى يصل إلى عدن إحدى موانئ جنوب الجزيرة العربية ومنها إلى المحيط الهندي ميناء باتيلا الهندي ومن الهند ينفرع هذا الخط إلى أربعة خطوط فرعية هي سيلان - تايلند - الملايو - الصين ومن خلالها تصل جميع بضائع جنوب الجزيرة العربية وسوريا إلى الهند وشرق آسيا^(١١٥) هذا وقد ذكرها المؤرخ ايبان Applan^(١١٦) في مجلد حديثه عن التجارة الكبيرة بين الهند والجزيرة العربية.

٤- برينكي - باريجازا

من برينكي حول البحر الأحمر بنور هذا الطريق حتى يصل إلى موانئ جنوب شبه الجزيرة العربية حتى تصل إلى رأس الخليج العربي ومنه إلى باريجازا إحدى أهم الموانئ الهندية وقد استخدمه التجار الصينيون لنقل بضائعهم إلى المنطقة وبفضل هذا الطريق أيضاً وصنت كل بضائع الهند وشرق آسيا إلى جميع أنحاء الجزيرة وبالأخص شمالها وتحديداً مكة والمدينة^(١١٧).

(٢) الخطوط التجارية البحرية الهندية الصينية (المباشرة)

١- عدن - باريجازا Bariguzā: <http://Archevebata.Bahriic>

وهو طريق مباشر تماماً يربط بين جنوب شبه الجزيرة العربية والهند ينطلق من عدن Eduaemamn ثم قلنا ويسير بمحاذاة الساحل مدة ثلاثة أيام ثم يتجه عبر المحيط الهندي، نحو بريريكم وباريجازا ويستخدم هذا الخط نفس الطريق في العودة محملاً بأغلى بضائع الهند التي ما إن تصل إلى موانئ اليمن حتى تحمل بإشراف التجار العاملين في ميناء قلنا Qana برأ إلى شيوخ القبائل العربية في أنحاء الجزيرة العربية إلى جرها والبراء وغيرها من المحطات البرية الهامة^(١١٨) ومن هذا الخط ينفرع خط آخر ينطلق من موزا إلى الهند مباشرة بغرض التزود بأنواع البضائع الآسيوية أو العربية المطلوبة عند الطرفين.

٢- قلنا - موزري Mouziris:

وهذا الخط ينطلق إلى السواحل الغربية والجنوبية عبر المحيط الهندي إلى الهند لترسو سفنه في ميناء موزري Mouziris الهندي^(١١٩). وقد استخدموا هذين الطريقين المسالين الذكر بعد اكتشاف الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في الفترة بين يوليوس وأغسطس أما رحلة العودة فكانت تسير مع هبوب الرياح الشمالية الشرقية في الفترة من ديسمبر إلى يناير^(١٢٠).

٣- شمال غرب الهند - اوكليس Ocelis:

وهذا الطريق يبدأ من موانئ شمال غرب الهند من باريجازا ويسير في مياه المحيط الهندي

حتى يصل إلى ميناء أوكلس اليمني في جنوب الجزيرة العربية مباشرة ومنها إلى جزيرة سوفيطة والساحل الصومالي. وهذا الطريق يستخدم مع هبوب الرياح الموسمية المناسبة له^(١١١).

٤ - باريسا - موشا Moscha:

وموشا هو ميناء ظفار على ساحل جنوب شبه الجزيرة العربية كانت السفن الهندية تبحر حتى تصل إلى هذا الميناء الحضرمي وتقضي فصل الشتاء فيه حتى يتم التبادل التجاري والحضاري^(١١٢).

٥ - موزا - بتالا غير مباشر:

وهو طريق فرعي يسير بمحاذاة الساحل الغربي إلى مينا ميناء بلاد البخور ومنها إلى المحيط الهندي إلى بتالا مباشرة^(١١٣).

وفي ختام حديثنا عن هذه الطرق البحرية والطرق البرية البحرية يجب أن نعرف أن هذه الطرق لم تكن متروكة سدى دون أي حماية تذكر من قبل الدول الممالكة لها أو التي تمر بأرضها أو مياهها الإقليمية (أن جاز التعبير)، ولقد كانت هناك نقاط حراسة بحرية (تشبه إلى حد كبيراً خفر السواحل لدينا حالياً) - ترافق السفن التجارية في أثناء سيرها في البحر.

كما حرصت عرب جنوب شبه الجزيرة العربية على حماية هذه الطرق البحرية والبرية على السواء فسنت القوانين التي تيسر السفن على هديها في رحلتها عبر الخليج العربي والمحيط الهندي من جهة ويواصلها بين الهند شرقاً وشرق أفريقيا غرباً^(١١٤).

وبما أننا تحدثنا عن أهم الخطوط التجارية البحرية فلنذكر هنا أن نذكر أهم الموانئ العربية التي كانت تمر بها تلك الخطوط فقد نشأت على طول السواحل العربية عدداً من الموانئ والمرافئ ازدهر عدد منها لازدهار التجارة البحرية وأصبحت أسواقاً عالمية تستقبل أنواعاً من السلع الأجنبية ويصدر غيرها منتجات الجزيرة العربية.

وفي هذه الفترة كانت الرحلات البحرية مباشرة بين أحد الموانئ الواقعة في جنوب الجزيرة إلى السواحل الهندية عبر المحيط دون الحاجة إلى الإبحار بجانب الساحل وأصبحت السفن التي تريد الموانئ العربية الشمالية تبحر من عدن أوقاتاً وتسير بمحاذاة الساحل ومنه إلى المحيط حتى تصل إلى موانئ الهند^(١١٥) (وسوف يرد ذكرها بالتفصيل لاحقاً).

ومما ساعد على ازدهار هذه الموانئ العربية أن بيئة الخليج العربية وبحر العرب يوجد بها العديد من المناطق الصالحة لقبام الموانئ والروؤس المحمية، وتوفر مياه الشرب من العيون والآبار في مراكز متقاربة نسبياً مما ساعد على إنعاش وازدهار التجارة البحرية آنذاك بشكل ملحوظ^(١١٦). وأفضل دليل على ازدهار تلك الموانئ هو مقدار البضائع والسفن التي كانت تفرغ وتعمل في الموانئ العربية والهندية^(١١٧). ويأتي على رأس هذه الموانئ أهمية موانئ البحر العربي:

١ - ميناء عدن Eudaenan:

وهو ميناء هام على الساحل العربي الجنوبي للجزيرة العربية وهو أول ميناء في طريق السفن القادمة من البحر الأحمر بعد عبورها مضيق باب المندب، وتمتاز بمرفأ جيد، كما تتوفر فيه المياه العذبة، لقد كان أصحاب السفن يفضلون الرسو فيه عن أوكلس^(١١٨).

يتميز موقع عدن بحصانة طبيعية وذلك لوقوعها على مرتفع صخري يتكون من الصخور البركانية التي كانت تحيط بالمدينة والميناء، كما أن موقعها ملائم لرسو السفن العارة بها فهي تمتاز بمرقا طبيعي ومما ساعد على ازدهارها شهرتها الكبيرة بخرانات الماء في الصقور^(١٢١). كما تغير من أهم الموانئ العربية المعطلة على المحيط الهندي فأصبح مرسى للسفن الآتية من أنحاء آسيا بالتحديد الهند وسواحل أفريقيا الشرقية، كما كانت ترسو عليها السفن المحملة بمنتجات الدول الآسيوية^(١٢٢).

وهي إلى جانب ذلك يعتبر نقطة ارتكاز للتجارة بين الهند والصين ومصر، لذلك اهتم العرب المقيمون فيها بالتبادل التجاري على نطاق دولي واسع، حتى أنها عرفت فيما بعد باسم دهليز الصين^(١٢٣).

ازدهر هذا الميناء منذ القرن الثاني ق.م وأصبح يضاهي الإسكندرية من حيث الأهمية التجارية والاستراتيجية^(١٢٤) ووفقاً لما ذكره صاحب كتاب الطواف The Periplus قال «كانت تسمى يودايون Eudaemon وكانت مدينة هامة جداً عندما كانت الرحلة من الهند إلى مصر أمراً لم يتحقق بعد لصعوبة الإبحار في هذه المياه، وبالتالي استحالة وصول السفن المصرية إلى الموانئ الهندية مباشرة، لذلك كانوا يتأون جميعاً إلى عدن التي كانت تتلقى السلع من جميع البلدان كما تتلقى الإسكندرية الآن (البضائع) التي تجلب من الخارج» وفي هذه الرواية دليل واضح على منافسة عدن آنذاك للإسكندرية^(١٢٥).

هذا ويُعد سيطر على هذا الميناء عدداً من القوى السياسية التي تتابعت على المنطقة مثل أوسان^(١٢٦) وسبا وقتبان وأخيراً حمير^(١٢٧) الذي تزعم في عهدها أن تعرض للهجوم عليه من قبل الإمبراطورية الرومانية التي اتخذت إجراءات فعّالة في سبيل السيطرة عليه. بل وعلى المنطقة الساحلية بأكملها في الجنوب بفرض الاستيلاء على تجارة البحور والتهان والتوابل ولذلك قام الأسطول البحري الروماني بعمليات عسكرية من البر والبحر ضد عدن وفق ماورد لنا عند بليني^(١٢٨).

أما صاحب كتاب الطواف فيشير إلى أن الرومان سيطروا على عدن فترة من الزمن واعتبر إن حملة اليوس جالوس (السالفة الذكر) هي ذروة تلك المحاولات^(١٢٩).

وتكن نوام الحال من الحال، فقد تحول ميناء عدن فيما بعد من مدينة مزدهرة إلى قرية متواضعة بفعل مجموعة من الظروف السياسية والاقتصادية المتغيرة^(١٣٠) ولكن هذا الميناء عاد نشاطه التجاري في القرن الرابع الميلادي وظل مزدهراً حتى العصور الحديثة^(١٣١).

٢- ميناء قاتا Qata (بئر علي حالياً)^(١٣٢): وهو ميناء تجاري على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية، وإلى الشرق من عدن وعند بطنبوس يقع على خط طول ٨٤ (على الساحل الحضرمي) وهذا الميناء هو ميناء حضرموت الرئيسي (أرض الثبان)، وهو أيضاً سوق تجاري على ساحل البحر العربي، والمنفذ الرئيسي للدولة الحضرمية^(١٣٣).

يطلق عليه سفر حزقيال (سوق كنية)^(١٣٤) فهو الميناء الرئيسي لتجارة الثبان والمر والأحجار الكريمة والذهب كما أنه يعتبر أيضاً محطة هامة تتطلق منه القوافل البرية إلى جميع

أنحاء الجزيرة العربية فهو بذلك ميناء بحري وسوق بري هام في آن واحد^(١١٧).
 وبما أنه سوقاً هامة على طريق القوافل البرية وخطوط الملاحة البحرية استقبل هذا الميناء
 جميع السلع التي كانت تأتي من مصر وأفريقيا والهند بمينائيهما وصدر لهم اللبان وكثيراً من
 البضائع الموجودة فيه من جراء تبادلته التجاري مع الكثير من مناطق التجارة العالمية^(١١٨).
 واستناداً مع رواية صاحب كتاب الطواف^(١١٩) كان اللبان والمر ينقل من شرق حضرموت
 إلى قبا على متن أطواف صغيرة مشدودة بالغرب الجندية المملوءة بالماء أو على متن القوارب
 الخشبية الصغيرة ومنها بعد ذلك تنقل لتخزن في السفن الكبيرة استعداداً لتصديرها إلى الهند بحراً
 أو تحمل على ظهر الجمال لتصدر إلى جميع أنحاء الجزيرة العربية.

وقد سقط هذا الميناء على يد الدولة الحميرية، إلى أصبحت تسيطر على المنطقة
 الساحلية الممتدة من مضيق باب المندب حتى قبا شرقاً، وقد اضطرت الدولة الحميرية إلى إقامة
 سور القلعة لتفصل بين حدود الدولتين، ولكن يبدو أن حضرموت استعادت السيطرة على الميناء
 الذي ظل مستخدماً حتى القرن الرابع الميلادي حتى بعد تدهور تجارة المواد العطرية^(١٢٠).

٣- ميناء موشا Moscha:

يقع هذا الميناء على خليج عمان (خليج القمر حالياً) وهو ميناء لظفار الرئيسي متخصص
 في تصدير اللبان الظفاري وكانت السفن القادمة من الهند ترسو فيه حتى تقوم بعملية تحميل أو
 إزال البضائع ولكن على شرط الحصول على إذن مسبق من الملك شخصياً من أجل التجارة في
 هذا الميناء الهام^(١٢١).

استمر نشاط هذا الميناء التجاري مع الهند حتى القرن السابع الميلادي^(١٢٢) وكان تابع
 للدولة الحميرية، في عهد الملك العزيز وهو الملك الذي نكح استرابون في أثناء حديثه عن
 حضرموت^(١٢٣).

كما ذكره The Periplus عندما تحدث عن أنه يعتبر من الموانئ الهامة الصالحة
 للاستخدام ويعتبر من أهم الموانئ الملتزمة بقوانين الملاحة في أعالي البحار فهو ميناء علي -
 حد وصفه - من الدرجة الأولى وذلك لأنه يضمن جميع حقوق العاملين فيه.

أما عن موانئ البحر الأحمر: فقد ذكر كتاب الطواف في وصفه للساحل الشرقي للبحر
 الأحمر خلوة تقريباً من الموانئ المرافئ الصالحة لرسو السفن، خاصة في الجزء الممتد من ميناء
 ليوكي كومي جنوباً وهي جزيرة بريم، كما ذكر أن الملاحة فيه خطيرة لكثرة الصخور المرجانية،
 ويعيش على هذا الساحل أقوام غير متحضرين يهاجمون السفن ويخطفون ركابها - يقصد
 القراصنة -^(١٢٤). وهو محق في كون هذا الساحل غير صالح للملاحة لأنه مليء بالشعب
 المرجانية التي تجعل الملاحة فيه أمراً غير يسير، ولكن مع هذا وجد عليه عدد من المرافئ
 والموانئ والتي من أهمها:

١- ميناء موزا Musa:

وهو من الموانئ الهامة في جنوب غرب الجزيرة العربية على ساحل البحر الأحمر وتعرف
 في بعض الأحيان بموزع، وتقع حوالي ٢٥ ميلاً إلى الشمال من ميناء مخا الحالي^(١٢٥) ويعتبر
 موزا من أقدم موانئ اليمن التي أشار لها صاحب كتاب الطواف على أنه من الموانئ الهامة

المعترمة أيضاً بالقوانين الملاحية ولكنه ليس في الخط الملاحي الدائم^(١٢٢).

تخصص ميناء موزا في بيع وتصدير أفضل أنواع المر المحلى (القتباتي والمعوي، والأفريقي)، وكانت سوقاً رائجة يعج بالحركة وكان له اتصالات ومشاركة قوية في الأنشطة التجارية مع الساحل الإفريقي المقابل^(١٢٣). وهذا الميناء كانت تحكمه مجموعة من القوانين التجارية التي تنظم حركة التجارة الداخلية فيه وتهدف إلى تركيز التجارة الخارجية منه للدولة والتابع لها هذا الميناء^(١٢٤).

ونتيجة لهذه النظم راجت التجارة فيه وازدهرت حتى أنها وصلت بضائع موزا إلى ميناء بريجازا الهندي ورهبانا في أفريقيا^(١٢٥). وكتاب الطواف يصف لنا بتفاصيل أكثر دقة الرحلة بطول الساحل الجنوبي من شبه الجزيرة العربية ويتحدث عن موزا بقوله (أنها سوقاً شاطئية لها قوانين تجارية، وتجد في موزا كثيراً من العرب سواء من أصحاب السفن أو التجار)^(١٢٦).

أما عن واردات هذا السوق فكانت مؤلفة من الملابس الأرومانية الناعمة والخشن المطرزة وفق الفن العربي كما يوجد بها الثياب الموشاة والمزخرفة بخيوط الذهب^(١٢٧) بالإضافة إلى البن اليمني الشهير وأجود أنواع المر والتول^(١٢٨).

٢ - أولكيس Ocelis:

وهو ميناء على البحر الأحمر في أقصى الجنوب منه بالقرب من مضيق باب المندب ومدينة بريم، وهو من أقدم موانئ البحر الأحمر تعاقبت السلطات السياسية عليه إلى أن استقر أخيراً تحت سلطان الدولة الحميرية^(١٢٩). تمنع هذا الميناء بمزايا مثالية لرسو السفن عليه مثل مياه العذبة والتي كانت تزود منها السفن قبل إبحارها في عرض المحيط في طريقها إلى الهند^(١٣٠). مما جعل اسمه يتكرر على أنه محطة تجارية هامة في المصادر الإغريقية والرومانية، ولكنه والحق يقال فقد هذا الميناء أهمية تجارية بعد ازدهار ميناء موزا وأصبح فقط محطة للتصوين والتزود بالماء في طريق السفن المتجهة للهند. ولكنه ظل ميناء مخصص للتعامل التجاري مع شرق أفريقيا^(١٣١).

ويعتبر هو آخر محطة كانت تقف عندها السفن الهندية التي لم يكن يسمح لها بالاتجاه شمالاً نحو البحر الأحمر^(١٣٢) خاصة في الفترة السابقة لقيام الرحلات المباشرة بين الهند ومصر أي قبل اكتشاف رياح هبالوس - فكانت السلع الهندية تفرغ في أولكيس ثم تنقل براً إلى موزا حيث تباع هناك^(١٣٣).

كانت هذه أهم الموانئ التجارية التي تعامل عرب جنوب شبه الجزيرة العربية من خلالها مع الهند وباقى أنحاء العالم القديم ولا بد أن نذكر أنها لم تكن هذه الموانئ فقط هي محطات التعامل البحري فقط مع الهند بل كانت هناك عدة موانئ أخرى أهمها جزيرة سوقطرة، وميناء مدينة الشمر^(١٣٤).

والآن نود أن نسلط الضوء على أهم الموانئ الهندية والتي كانت تأتي منها وإليها السفن التجارية اليمنية؛ لقد كان التجار اليمنيين والهنود معادين على الإبحار في مياه المحيط الهندي منذ العصور القديمة - وذلك لإحماهم بنظام الرياح الموسمية - فكلوا يقومون برحلات طويلة بين الموانئ الهندية واليمنية - كما أسلفنا - فقد كانت سفن التجار اليمنيين تبحر من موانئ

الخليج العربي وساحل اليمن إلى الموانئ الهندية وإلى ساحل جنوب الهند^(١٦٥). وتعتبر الموانئ الهندية التالية من أهم الموانئ التجارية التي تعامل معها التجار اليمنيين آنذاك:

١- ميناء بربريكم Barbaricum:

يقع في حوض نهر السند وهو ميناء سوق تجاري من أهم وارداته التبان والتمر من الجزيرة العربية^(١٦٦) وكان ملتقى طرق للعديد من السفن الهندية والعربية والصينية، وجميع سلع هذه المناطق يمكن الحصول عليها منه^(١٦٧).

٢- ميناء بريجازا Baragaza:

وهو ميناء هام على الساحل الهندي الشمالي الغربي^(١٦٨) ويقع على خليج كمباتي Cambay في منطقة أريكة Ariake وحتى بعد أن غزا الهند شعب السكاس Sakas ووقع هذا الميناء تحت السيطرة اليونانية منذ زمن الإسكندر الأكبر إلا أنه تخلص منها، ولكن بقي الطابع اليوناني مسيطراً عليه بفضل التجار اليونانيين الذين كثفوا بتجارون بصورة منظمة مع اليمن وغيرها^(١٦٩).

وفي القرن الأول الميلادي استولت باريجازا كميناء تجاري هام وكبير لتقل البضائع من داخل الهند إلى خارجها، فكانت تأتي إليها البضائع من مختلف المدن الهندية مثل الأقمشة القطنية والحريرية الموسلين والمنسوجات العادية والقاج والنيحاس^(١٧٠). وأخيراً يعتبر باريجازا مركزاً تجارياً هاماً تجتمع فيه كل السفن التجارية الآتية من أنحاء العالم آنذاك، وقد تاجر معها العرب الذين صدروا لها الشمور والتمر^(١٧١).

٣- ميناء موزي:

وهو ميناء هام يقع على الساحل الجنوبي الغربي لشبه جزيرة الهند وهو تابع لمملكة شارو Cheru التي تسيطر على ساحل كلكتا^(١٧٢) ذكرها بليني في أثناء حديثه عن الطرق التجارية البحرية وذكر أن المسافة بينها وبين أوكليس أربعين يوماً^(١٧٣). فصدت التجار اليمنيين والعرب طوال قرون عديدة للحصول على الخشب الذي كانت تبنى منه سفنهم^(١٧٤) ويعتبر من أهم الموانئ الهندية الرئيسية التي تصدر القفل^(١٧٥).

كانت تلك أهم الموانئ الهندية التي تصدر وشكورد من وإلى اليمن في جنوب شبه الجزيرة العربية البضائع التجارية.

جدول بأهم البضائع المصدرة من اليمن إلى الهند

الملاحظات	المراجع	المستوردة	الجهة المنتجة	السلعة
اشتهرت اليمن المصعدة بزراعة أجود أنواع البخور ومشتملاته: Sayyid. M., op. cit. p. 4 وكانت القوافل تنقله إلى مختلف جهات العالم القديم وعلى رأسها الهند. انظر: عبدالعزيز صمتح، شبه الجزيرة العربية في المصادر المصرية القديمة. مجلة علم الآثار، المجلد ١٥، العدد ١، ص ٣١٣ وتعتبر حضرموت ومعين أشهر مناطق إنتاج البخور في اليمن حتى أن الكتاب الكلاسيكيين أطلقوا على ملك حضرموت اسم (ملك بلاد البخور) انظر، تليف نلسن، المرجع السابق، ص ٢٧؛ الشيبه، المرجع السابق، ص ٢٥ وبما أن البخور أهم منتجات العربية المصعدة فرضت عليه من القوانين العادلة لزراعته وتصديره: مهيب كليب، المقال السابق، جامعة دمشق، ص ٣٢٢ واعتبرت العاصمة شبة مراكز لتجميع البخور ثم تصديره: Cf. Pliny, NH, BK. 6, 31, 136-139. لما عن طريقة التصدير فكان يوضع في قرب من الجلد ثم يحمل على متن السفن الكبيرة إلى الهند: كليب، المقال السابق، جامعة دمشق، ص ٣٥١ وأخيراً طلب البخور في لعالم القديم وبكثرة وذلك لاستخدامه في دور العبادة وللقيام بالطقوس الجنائزية: الحداد، المرجع السابق، ص ٢٥ والتزيد من المعنوسات عن طريقة استخراج البخور انظر: The Periplus, Ch. 29.	الشيبه، المرجع السابق، ص ٢٩؛ The Periplus, Ch. 32 عبدالحليم نورالدين، المرجع السابق، ص ٨٢.	الهند	حضرموت ظفار	البخور
عرفت اليمن المصعدة بطوبوها وعطورها الزكية الثمينة: أبو عفاشة، المرجع السابق، ص ١٧؛ حسين شهاب، المرجع السابق، ص ١١ حتى أن	برهان الدين، المرجع السابق، ج ٢، ص ١١٢٧ لقولا زبدة، عربيات،	الهند	اليمن (حضرموت)	العطور والطوب

الملاحظات	المراجع	المستوردة	الجهة المنتجة	السلعة
المؤرخين القدماء أمثال هرودوت وصفها بأنها البلد الوحيدة التي تنتج العطور والمعادن) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٨٥ محمد عبدالقني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٤٩ وأخيراً كان يستخدم في بلاد العرب القديم في القفوس الذهبية والأعيد الجزائرية: Cf: Gold Schmidt, A concise History of the Middle East Egypt, (1983), p. 24 مقر الملوك، الإصحاح ١٠- آية ١١-٢٢.	ص ٤٢.			
تميزت حضرموت بالنجاح أجود أنواع التبان: عبدالمجيد تور الدين، المرجع السابق، ص ٨٢ لذلك فرضت على الاتجار بها مجموعة من القرائن الصارمة التي تلزم تجارها تحدث عنها المؤرخين أمثال بليني فقال إن ملوك حضرموت كانوا يعتبرون أي التعريف عن خط سير قافلة التبان المعروف في الدولة جريمة كبيرة يعاقب عليها القائلون) الظفر محمد عبدالقني، مصادر القرنين ١-٢، ص ١١٢-١١٣ ونظر أيضاً محمد السيد عبدالقني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٥٦ قالت مادة التبان لمنهج بعض شق في سيقان ثباته حتى تخرج منه عصارة بيضاء قابلة للتصفر: Cf: The Periplus, Ch. 29.	حوراني، المرجع السابق، ص ١٦٥ وتشر أيضاً ص ٢٦ مستخرجات، ص ٢٢.	الهند	اليمن المنعقدة (سبأ والغدار)	التبان
تبلغ طول شجرته ٦ أمتار تقريباً ولوراقها متقابلة مركبة على بعض تخرج منها زهرة صغيرة تلصق على سفوح الجبال: النظر إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١١٧ وعن الطريق ان استخرت على لقل محصول التبان وكيف يتم فكان يوضع في قارب جندية تصل في القوارب والسفن إلى الهند وغيرها: محمد السيد عبدالقني، مصادر القرنين ١-٢، ص ١١٩.				

الملاحظات	العراجع	المسئولة	الجهة المنتجة	المسعة
وأخيراً استخدم الكتاب في دور العبادة والهيئات الدينية كما استخدم أيضاً لأغراض طبية في التحضير وعلاج الحلق والالتهابات للأغشية المخاطية والقرح التي تسبب البلموم: تمزيق النظر: نقولاً زيادة، عربيات، ص ١٤ : The Periplus, Ch. 29.				
صدرت اليمن إلى الهند التوابل والبخور والسر: Cf: Perry, G., The Middle East Fourteen Islamic Centuries, New Jersey, (1992). p. 16. لقد اشتهرت اليمن في كتابات المؤرخين القدماء بأنها المنطقة ذات الراتحة الطبية من كثرة إنتاجها للزنجبر وغيره من النباتات العطرية: Cf: Irfan Shahid, Loc. Cit., CHJ, p. 10. والمر عبارة عن مادة صمغية تحوي على مادة حمراء تسمى إلى اللون البني ذات طعم شميد المرارة وله رائحة عطرية تخرج من سيقان هذه النباتات الطبية مثل نبات كومفير طولاً وللمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١١٧.	The Periplus, CH, 29 : صلاح لثوري، المرجع السابق، ص ١٤.	الهند	تمتع - كتابان حضرموت	المر
صدرت اليمن إلى مختلف العالم القديم توابلها وبهاراتها، توابل برو، المرجع السابق، ص ٢٢٩ مما جعلها محط أطماع وتظار الدول الأجنبية التي اعتمدت على استخدام هذه التوابل والبهارات في طعامها لذلك حاولوا السيطرة على اليمن من أول تأمين حصولهم على هذه التوابل والبهارات : انظر محمد حرب كرات، المقال السابق، دراسة تاريخية، ص ١٠١.	دي لاس أوليري، المرجع السابق، ص ٨٩ : نورمان بنز، المرجع السابق، ص ٢٨١.	الهند	اليمن	التوابل
استوردت اليمن العبيد من أفريقيا: مسود الناصري، المقال السابق، سيمطار الدراسات	جوراني، المرجع السابق، ص ١٤٤.	الهند	اليمن -	العبيد

السلعة	الجهة المنتجة	المستوردة	المراجع	الملاحظات
				الطيرا، ص ٢٤ وكان العبيد في اليمن يعملون في الزراعة أو في الخدمة لدى قصور تيمار اليمن مما يدل على رقابة الشعب اليمني: نيتالكتور فيما، العرب على حدود بيرونطة وإيران، ص ٣٠٢. وقد ذكر العبيد في الكثير من النقوش اليمنية: الشيبه، المرجع السابق، ص ٢١٥. لقد اهتم اليمنيون وبالتحديد أهل سبأ بتجارة العبيد وذلك وضعوا لها العبيد من القوانين التي تلزم وتحدد الاتجار لهم وعملية البيع والشراء ووضعوا لهم الضوابط المناسبة لذلك للمزيد انظر: بالتحديد، إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢١٥.
الكافور والثان	قطار	اليمن	الشيبه، المرجع السابق، ص ٢٢.	واستناداً إلى إشارة صاحب كتاب الطول حول البحر الأبيدي فقد كان الثان يجمع على يد عبد القوية أو الذين كانت لهم أحكام قضائية، انظر: The Periplus, Ch. 29.
الولول	اليمن	اليمن	The Periplus, Ch. 36 إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١٢٨.	كان الولول يحمل من مدينتي قانا وعذما على متن القوارب المخططة المصنعة محلياً تعرف باسم "مورنا" ومن هاتين المدينتين يرسل الولول وغيره من البضائع إلى الهند ويأتي الأسواق العالمية القديمة لتمزيده انظر: Ibid, Ch. 36.
الذهب والفضة	اليمن السعيدة	اليمن	حوراني، المرجع السابق، ص ١٤٠-١٤١ حزقيال الإصحاح ٢٧ آية ٢٢ و آية ٢٣.	اشتهرت اليمن بالذهب والفضة حتى أن النبي سليمان عليه السلام كان يأخذ منها احتياجاته من هاتين المعدنيتين بشأماً على نص التوراة: انظر سفر الملوك الأول الإصحاح ١٠ آية ١١-١٢ وانظر أيضاً أخبار الأيام الثاني الإصحاح ٩ آية ٢ وليست التوراة فقط هي الوحيدة التي تحدثت عن ذهب بلاد اليمن بل تحدثت كلاً من المكسيكي والهندي في سجل حديتهم عن

الملاحظة	المراجع	المستوردة	الجهة المنتجة	الساعة
ثروات جنوب الجزيرة العربية (اليمن) : انظر ليناكتور فلينا، المرجع السابق، ص ٣٠٩ كما يتحدث عن ثرائها بالذهب الملك اليمني سيف بلي، ذي وزن عندما قال (ما صنع بالمال وتراب أرضي ذهب وفضة) وفي هذه العبارة دلالة كبيرة على كثرة الذهب والفضة في اليمن كما تدل أيضاً على ثراء الشعب اليمني، انظر إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٨٩ ناهيك عن حملة البوس جالوس التي أرتدوا بها الاستيلاء على تلك الثروات وخصوصاً بعدما سمع من أهل سبأ أنه كان لديهم كميات كبيرة من مصنوعات الذهب والفضة والأسره والموائد الصغيرة والأبنية المصنوعة من الذهب والفضة. Cf: Pliny. المصنوعة من الذهب والفضة. NH. BK. 6. 160-161.				
تاجرت جنوب الجزيرة العربية بمختلف أنواع الأحجار الكريمة التي اشتهرت بها مثل اللازورد انظر: علي أبو عساف، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، دراسات تاريخية، مجلة جامعة دمشق، (١٩٩١م)، العدد ٣٩-٤٠، ص ٨٣-٩٥، ص ٧٤ والتي لفتت لنتظار الرومان فحاولوا الاستيلاء عليها. Cf: Ibid. NH. BK. 6. 16-161 ; محمد السيد عبدالقوي، شبه الجزيرة العربية، ص ٢٠.	سفر الملوك الأول الإصحاح ١٠ آية ١٠-١١ سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص ٢٠.	الهند	اليمن	الأحجار الكريمة

وأخيراً وفي ختام عرضنا لأهم البضائع التجارية المصدرة من اليمن إلى الهند فلا بد لنا ان نسلط مزيداً من الضوء على أثر هذه التجارة على ارتفاع مستوى المعيشة والأوضاع في اليمن السعيدة التي أصبح أهلها من أشهر الشعوب العربية ثراءً إذ ارتكزت ثروتها على التجارة والزراعة مما أتاح لهم عيشاً هنيئاً وازدهاراً اقتصادياً فترة طويلة من الزمن^(١٧٧).

فقد نعم الشعب اليمني آنذاك برغد في العيش فكان القصر اليمني مملوء بالعبيد والجواري من الأحياش وكانت أوتابهم من الذهب والفضة، ويطيب بالعمور والبخور ويسكنون في أجمل المباني الفخمة^(١٧٨) كل هذا بفضل التجارة مع الهند وغيرها التي كانت تصلها الشعب ذهاباً وإياباً محملة بأنفس البضائع الثمينة^(١٧٩). والآن وكما استعرضنا أهم البضائع اليمنية المصدرة للهند فلا بد لنا ان نستعرض الآن أهم البضائع الهندية المتقولة إلى اليمن وهي كالاتي:

جدول بأهم البضائع المصدرة من الهند إلى اليمن

الملاحظات	المراجع	البلد المستوردة	البلد المصدرة	السلعة
لقد أحضر الكافور الهندي من الهند كالتجار وغيره في أرض اليمن في مساحات شاسعة غير مطروقة وأكثر يندو فيها. Cf: Teixidor J., Loc. cit., Straemittica, p. 41	هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأقصى، ترجمة أحمد رجا وأخرون، الهندية المصرية تعريباً للكتاب، القاهرة، (١٩٨٥)، ص ٢٨-٢٩، السور، عبدالمعطي، المرجع السابق، ص ٦٤.	اليمن	الهند	الكافور الهندي
استورد العرب القرفة من الهند ثم قاموا بتصديرها إلى دول الجوار ودول العالم التي تتطلب هذا النوع من التوابل العطرية الهائلة التي كانت تكتسب حرمين العرب على أن ينقلوها على السر الخاص بمصدر هذه السلعة التي تستمر تتحكم بالتجارة العربية مع مصطلح عبدالمعطي، تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، لكتاب الأول، الجزء الثاني، ص ٢٠١-٢١٣.	مصعود عرفه، المرجع السابق، ص ٢٦١، محمد السيد عبدالقوي، مساهمات القسرين، مجلة المذبح العربي، ص ١٠٧.	اليمن	الهند	القرفة
كان الثبان يصدر من الهند إلى الجزيرة العربية	محمد السيد عبدالقوي، شبه	اليمن	الهند	الثبان

الملاحظات	المراجع	البلد المستوردة	البلد المصدرة	السلعة
على الرغم من أنها كانت تزرع وتتجه إلا أن هذا النوع المستورد كان مشهور وأسه أوراق عريضة. النظر: عبدالكريم نورالدين، معرفة الآثار، ص ٨٥. وكان ميناء تفلار هو الذي يستقبل البان الهندي ثم يقوم بتوزيعه إلى جميع المناطق التي تطلبه. نظر محمود عرفه، المرجع السابق، ص ٢٥٥.	الجزيرة العربية، ص ١٦٨٢ التاسري، الرومان والبحر الأحمر، سيمونار تاريسبات إيفيا، ص ٥٤.			
كانت السفن الكبيرة سواء الهندية أو اليمنية تخرج في مياه المحيط الهندي وتعود مصلةً بمختلف أنواع الأخشاب التي استخدمتها اليمن في مختلف الصناعات مثل خشب الأبنوس والسندل والمعروف بأصن الهندي : تنظر سفر الملوك الأول الإصحاح ١٠ - آية ١١ صلاح القرني، المرجع السابق، ص ١٢ ومن المعروف أن هذا الأخشاب المصدرة من الهند كانت تتميز بالتلون الأحمر. تنظر فضل الباقري، المرجع السابق، ص ١٢٨ : The Periplus, Ch. 36.	حورثي، المرجع السابق، ص ١١٩ The Periplus, Ch. 36	اليمن	الهند	الأخشاب
وهو من ضمن أهم صادرات الهند إلى اليمن : أتور عبدالغني، المرجع السابق، ص ٦٤ وقد ورد ذكر المسك في الشعر الجاهلي فقال عثارة: تبيبت قنات المسك تحمت لغامها ليزاد من لغامها أرح النذ لمزيد النظر بالتفصيل: الحورثي، المرجع السابق، ص ١-٣.	الحورثي، المرجع السابق، ص ١٠٣.	اليمن	الهند	المسك
أحضرت اليمن من الهند مختلف الأحجار الثمينة مثل الباقوت والدرر والزيبرجد : تنظر الحورثي، المرجع السابق، ص ٩٢ والنور أيضاً ساطع سحني، طريق الدرير وسينة نقل حضارية، دراسات لأريغوية، المجلد ١٢، العدد ٣٩-٤٠، ٤٠.	صلاح البكري، المرجع السابق، ص ١١٩ جورجي زيدان، المرجع السابق، ص ١٦٠.	اليمن	الهند	الأحجار القيمة

الملاحظات	المراجع	البلد المستوردة	البلد المصدرة	المسئعة
	(١٩٩١م)، ص ٤٩-٧١، ص ٥٨.			
ان سكان اليمن احضروا الياضاف من خلال تجارتهم مع لريقيا ثم اعدوا اليمنيين تصديرها، كما استخدموا عشب الميوهرات وبعض قطع الالآت، لتزيد من المعطومات النظر: The Periplus, Ch. 30.	لغسولا زيادنا، المرجع السابق، ص ٣٧، شاربازكروث، الإمبراطورية الرومانية، ص ١٥٢.	اليمن	الهند	الياضاف
اسماقيات اليمن واردت الهند من كتوايل الهندية والطيوب وغيرها من السلع الهندية : محمد السيد عبدالقني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٨٢ والنظر أيضاً لثور عبدالعظيم، الملاحا، ص ٦٤.	السعيد عبدالعزير سالم، تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (٢٠٠١م)، ص ٨٨.	اليمن	الهند	كتوايل
هناك وثيقة أرخت في منتصف القرن الثاني الميلادي عبارة عن عقد حول سلع ويضام هندية مستورداها لاجر مقيم بمصر عن طريق الجزيرة العربية كان من أهمها العاج : النظر لخصه السيد عبدالقني، شبه الجزيرة العربية، ص ٥٥ : سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠، آية ١١-٢٢.	سفر زغلول عبدالحميد، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٧٢م)، ص ١٨٨ : عنار اليقري، المرجع السابق، ص ٢٨١.	اليمن	الهند	العاج
لم تقتصر اليمن على نقل منتجاتهم بل شملت صادراتهم السلع التي كانوا يجلبونها من الهند مثل العيبر والتماسس وغيرها من الملتجات : المولى، المرجع السابق، ص ٩٢ وللمزيد انظر أيضاً محمد السيد عبدالقني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٨١.	صلاح اليكسري، المرجع السابق، ص ٤٢ : Strabo, GE, 4, 25, The Periplus, Ch. 36.	اليمن	الهند	الطيوب
وصلت السيوفا الهندية ذات الصناعات العالية الجودة إلى الموانئ اليمنية فقلوا يجلونها أيضاً لغوام الخاصة لصناعة السيوفا من الهند أيضاً. النظر بالتفصيل مضمود عولها، المرجع السابق، ص ٢٦١ : السيد سالم، المرجع السابق، ص ٨٨.	لظفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ٣٠٩.	اليمن	الهند	السيوفا الهندية

السلعة	المصدر	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
الفلل	الهند	اليمن	شارلز روث، المرجع السابق، ص ١٥٤ ؛ التصاريخ، مقال السائق، مخطوط الدراسات العليا، ص ٤١.	ويشتهر الفلل الهندي من أجود أنواع الفلل الأسود ؛ انظر زيدان، المرجع السابق، ص ١٦٠ ؛ وانظر أيضاً سعد زطول، المرجع السابق، ص ١٨٨.
ريش اتعام	الهند	اليمن	نقولا زيادة، غريبات، ص ٣٧.	لقد حمل التجار العرب اليمن ريش اتعام من الهند وسيلان والصومال ثم نقوها عبر البحر إلى مسرح وجميع موطن البحر الأبيض المتوسط؛ انظر جورج زيدان، المرجع السابق، ص ١١٠.
الفلية	الهند	اليمن	نفسه، ص ٣٧.	لقد استلذت الهنود بحفر الصيغة لصيد الفلية ثم تصديرها لليمن التي كانت تصدرها هي الأكبر إلى مختلف الأماكن؛ انظر سي السديري، حفلات، ص ١١٧.
الزعفران	الهند	اليمن	عبد بن سراج، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، مركز الدراسات للكتاب، دبي، (١٩٩٧م)، ص ٢٢٣.	وتعتبر من أهم صادرات الهند لليمن وهو من أجود الأنواع؛ جورج زيدان، المرجع السابق، ص ١٦١ ؛ The Periplus, Ch. 24.
الظن	الهند	اليمن	م. روستوفتوف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص ١٤٦.	يعتبر الظن من أهم السلع الهندية الواردة لجنوب الجزيرة العربية لزيادة انظر زيدان، المرجع السابق، ص ١٦٠ ؛ ولويس لظن وحسب وتلتن ورد الجزيرة من الهند مختلف أنواع الأنسجة من الصوف والظن الملون ؛ لزيادة انظر روستوفتوف، المرجع السابق، ص ٢٣١.
الحرير	الهند	اليمن	The Periplus, Ch. 28 ؛ روستوفتوف، المرجع السابق، ص ١٤٦.	صدرت الهند لليمن أجود أنواع الحرير الهندي على شكل لفائف حريرية؛ انظر محمد حرب سرات، مقال السائق، دراسات تاريخية، ص ١٠٩ ؛ وافتت هذه اللقائف لصل إلى اليمن من طريق الهند أو الصين على خط الحرير الصيني انظر روستوفتوف، المرجع السابق، ص ١٠٧ ؛ ومن المعلوم لدينا أهمية الحرير حتى

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
				<p>أنه اعتبر كوسيلة للتبادل التجاري للتفدي إلى أن ظهر لنا ورق الكاغ الحريري كسلعة نفيسة: النظر محمد فرزات، المغال السابق، دراسات تاريخية، ص ٩٨. لذلك استورده العرب البعدين على شكل قفايق ومنسوجات حريرية راقية وبقية الصناعة بتعدت عنها صاحب كتاب الصوائف النظر:</p> <p>Cf: The Periplus, Ch. 31 and Cf also: 32. ونظر أيضاً أنور عبدالطيم، المرجع السابق، ص ٦٤. وأخيراً فقد عرفت نساء الرومان بتجميع الأقمشة الحريرية الهندية والشامية والتي كانت تصل لها من الهند عن طريق العرب البشيين في الجنوب، هول، المرجع السابق، ص ١٧. وللمزيد من المعلومات عن التطوير الهندي انظر بالتفصيل الحوقي، المرجع السابق، ص ١٠٦. ونظر أيضاً محمد السيد عبدالقنبر، شبه الجزيرة العربية، ص ٥٥.</p>
القرنفل	الهند	اليمن	سنانع معنسي، طريق الحرير، دراسات تاريخية، ص ٥٨.	<p>أرسلت الهند ثمين القرنفل الهندي الطيب الرائحة والذي استلخمه اليمن وصدفه إلى معظم دول العالم القديم: هاید، المرجع السابق، ص ٤٩.</p>
الرفيق	الهند	اليمن	محمد بن مسزاي، المرجع السابق، ص ٢٢٣.	<p>صدرت الهند ثمين الرفيق سواءً كانوا عرباً أو أماءً وفي هذا إشارة واضحة إلى رفاهية الشعب اليمني وانتعاج مستوى المعيشة لديه للمزيد النظر: نقولاً زيادة، عربيات، ص ٣٧ وكان من شدة اهتمام أهل سبأ بتعهده التجارة لهم وضعوا لها القوانين المنظمة للتجارة بها. انظر عبدالفتاح إسماعيل، المرجع السابق، ص ٢٦٥.</p>
التحانين	الهند	اليمن	حوراني، المرجع السابق، ص ١٤٩. The Periplus, Ch. 36.	<p>تاجر سكان اليمن مع الهند في الأوتس التحانية التي كانت تصلهم من الهند عن طريق البحر. الشيبه، المرجع السابق، ص ١٢٨. Cf: The Periplus, Ch. 36.</p>

الملاحظات	المراجع	البلد المستوردة	البلد المصدرة	السلعة
يوجد معن الذهب ويكثر في الهند من نفعها إلى تصديره للجزيرة العربية على شكل حلي ولواصي منزلية: Cf: The Periplus. Ch. 24	سفر البكر. المرجع السابق، ص ٣٨٢ سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ دي لاسي اوليفري، المرجع السابق، ص ٩٥.	اليمن	الهند	الذهب
التوراة: حزقيال الإصحاح ١٦ آية ١٣.	استخدم اليمن أبنية القضة في منازلهم من شدة حرانهم ورشاهتهم انظر سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ محمد بن سبزي، المرجع السابق، ص ٢٢٢.	اليمن	الهند	الفضة
تقد استمر التلال الهندي بجودته فكانت تصدره للجزيرة العربية التي كانت تأخذ ما تزمها منه وتصدر البالي بعدها من مناطق العالم القديم: انظر سفر البكر، المرجع السابق، ص ٣٨٢ شارلوازل، المرجع السابق، ص ١٥٤.	The Periplus. Ch. 36	اليمن	الهند	التلال
صدرت الهند ليمون القردود والطواويس والآلات القردود منتشرة في مرتفعات اليمن، حوزاني، المرجع السابق، ص ١٤٩.	سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ أو ١٢ حوزاني، المرجع السابق، ص ١٤٩.	اليمن	الهند	القردة و الطواويس

وأخيراً بعد عرض تلك البضائع النفيسة التي تصدرها الهند لليمن لا بد ان نعلم أنه بفضل تلك التجارة ارتفع دخل الشعب الهندي واليمن وأصبحنا كلنا الدولتين الهندية واليمن محط اطماع وأنظار الدول العظمى آنذاك^(١٢٧).

حتى ان بليني^(١٢٨) أشار إلى الحجم الضخم من البضائع التي تستوردها الإمبراطورية الرومانية من الهند وشبه الجزيرة العربية والتي تأخذ مقابلها مليون ستركة Steraca وهو مبلغ يعتبر ضخماً جداً آنذاك لتغطية ترف النساء الرومانيات.

١- أثر ازدهار التجارة على المجتمع اليمني:

ويعد أن تعرفنا على أهم صادرات وواردات كلاً من الهند واليمن جاء الآن دور الحديث عن صادرات وواردات من نوع آخر ألا وهي تلك المؤثرات الحضارية التي اكتسبها كلاً المنطقتين من جراء احتكاكها بالأخرى.

استفادت اليمن من موقعها الجغرافي في جنوب الجزيرة العربية فأصبحت على طريق الهند التجاري وأصبحت سفن كلاً من الهند واليمن ذهاباً وإياباً في مياه المحيط الهندي^(١٢٩). وهو ما حدثت عنه المصادر الكلاسيكية وأظهرته لنا النقوش وهو أن التجار العرب من اليمن وبالأخص حضرموت كانوا يركبون سفنهم من بلادهم إلى الهند مستفيدين بذلك من اكتشاف الرياح الموسمية على يد هيبولوس - كما سلفنا -^(١٣٠)

وبفضل تلك التجارة المشركة اختلطت اليمن والهند معاً وتبادلاً الثقافة والحضارة على جميع الأصعدة فبقي جانب الأثر الهار التجاري الذي تولي أمر الإسهام المناسب في دعم البناء الاقتصادي، كانت العمارة الحضارية التي جعلها الانفتاح الاقتصادي وتبني أهدافها التجارية هي لحافز الرئيس لقطاع كبير من أهل هذه الدولة فقد التفتوا كثيراً بالانفتاح الحضاري وطوعوه لحساب الانفتاح الاقتصادي، وترسيخ العلاقات التجارية المتبادلة بينهم وبين الاقطار والأمصار من حولهم بغرض الحصول على أكبر قدر ممكن من الرفاهية والرغد في العيش^(١٣١).

فمن خلال النشاط التجاري، عماد ازدهار اليمن القديم وقاعدة تمدنه دخلت كل المؤثرات الحضارية بين اليمن والهند بالعذر المطلوب ليجدد تلك الحضارات وتساعد على نموها وتطويرها^(١٣٢).

ومما سبق عرضه يمكن القول ان التجارة تعتبر هي همزة الوصل بين الشعوب ورمز انتقال الحضارة الودي المسمى بينها. وأكبر دليل على مدى قوة البناء الاقتصادي اليمني أنه اعتمد على مجموعة من القوانين التجارية التي تنظم الضرائب وعمليات البيع والشراء في كلاً من صنع وقيان اللتان حرصتا على دقة تنفيذها. من أجل الحفاظ على الأرباح المتكاثرة من التجارة^(١٣٣).

ولمنا نشك في ان اليمنيين أثروا من مركزهم التجاري فعاش المجتمع اليمني في سعة من العيش، لم ينعم بها غيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية ولا سيما كبرلائهم الذين كان لهم حظاً وافراً من رفاهية العيش والتنعم في مختلف أنواع الطعام والشراب، إذ كان يطبخ في بيت

الرجل منهم عدة أنواع وأصناف من الطعام ويعمل في منازلها السكر، وتطيب أدابهم بالبخور^(١٨٦).

وكان لكلاً منهم الحشاية الخاصة به، وفي منزله الأتيق والكبير لكثير من الإماء والجواري، وعلى يابه حملة من الخدم والعبيد والمحضيات منوعاً من الهند أو الجيوش حتى أن المؤرخ بليني يبيد حسده لليمين من ثرواتهم هذه ويقاهايتهم الواضحة في ولجاتهم حين يحرقون في جنازات الموتى بخوراً بكميات هائلة يفترض إحراقه في معابد الآلهة في روما^(١٨٧).

٢- الوكالات التجارية اليمنية في الهند:

وإتماماً لعناية التبادل التجاري الناجح بين القطرين كان لابد للتجار اليمنيين من اتخاذ بعض التدابير والإجراءات التي من شأنها إيصال البضائع سالمة إلى الجهتين.

وتحس في عصر السرعة الذي نعيش فيه الآن غفلنا ماكان يلاقيه الأقدمون من مخاطر عندما كانوا يرسلون البضائع بواسطة سفن صغيرة تقطع رحلات بحرية طويلة ومعرضة للعواصف والحروب والقرصنة، ولعلاج ذلك كانوا يقيمون بعض العلاقات الشخصية مع أسس من أهل هذه المناطق البعيدة، أو يرسلون مندوباً معتداً على الشحنة المصدرة، وكان هذا المندوب عادة أينا لأحد كبار التجار أو صديقاً أو عبداً^(١٨٨).

وإتماماً لهذه العملية يستقر الوكلاء اليمنيين في هذه الموانئ الهندية البعيدة لمراقبة أعمالهم وعلى مضي الزمن كونوا حلقة حول الحوض الشرقي من المحيط الهندي وزاولوا وباشروا تجارتهم فيه^(١٨٩).

كون اليمنيون وكالات كبيرة في الهند في منطقة جنروزيا وبنو هناك منأ وأنشأوا أسطولاً يغدو ويروح بين الهند واليمن بأصناف المتاجر وأنواع البضائع وكونوا هناك سلطة دونها كل سلطة وتفوقاً دونه كل نفوذ. وقبضوا على زمام التجارة من خلال هذه الوكالات التجارية احتكروا غلات البلاد وزاحموا أهلها في أرزاقهم وعرفهم الهندو باسم عربتو (Arabitoes) أي العرب^(١٩٠). ويفضل هذه الوكالات التجارية وصلت الحضارة الهندية إلى كلاً من جنوب الجزيرة العربية وباقى بلاد العالم القديم^(١٩١).

٣- الهجرات اليمنية للهند:

لقد فرضت العوامل الطبيعية ضوابط حددت اتجاهات الهجرات السكانية من شبه الجزيرة العربية وخطوط سيرها، وتمثلت في طرق القوافل التي ربطت شبه الجزيرة بالأقاليم المجاور لها وكذلك في طرق بحرية ربطتها بالأقاليم البعيدة، فقد اتجهت التحركات البشرية المبكرة صوب أقاليم الأمطار كما سعت في الأقطار المطلة على المحيط الهندي^(١٩٢).

ويجب أن لا تغيب عنا نزعة اليمنيين إلى الهجرة حتى وإن كانت طبيعة بلادهم وظروف التجارة ومركزهم التجاري في العالم القديم حتمت عليهم تلك الهجرة وكانت تحملهم على السفر الدائم فنزعتهم للخروج من بلادهم مركبة بطريقة أصلية وفي نفس الوقت مكتسبة من ظروفهم العامة^(١٩٣).

فأخذت القبائل اليمنية تهاجر وتستقر خارج اليمن وخاصة على الطرق التجارية الهامة وسواء كانت هذه الهجرة راجعة إلى اضطرابات داخلية أو إلى الرغبة في المزيد من بسطة العيش وسعته أو إليهما مجتمعة وإلى غيرها من الأسباب، المهم في الأمر أنه ترتب على تلك الأسباب أنه نزحت قبائل يمنية كثيرة من اليمن إلى خارجه وأسست لها مستوطنات ووكالات تجارية قوية حيث استقرت^(١١١).

وكما ذكر اجنارخنديس بأن العرب اليمنيين أسسوا لهم مستوطنات تجارية في الهند نفسها^(١١٢) التي سكنوا واستقروا بها^(١١٣).

ومن خلال هذه الهجرات تستطيع ان نستنتج انه كان لها الفضل في نقل ثقافة اليمنيين للهند والعكس الاحتكاك المباشر والذي أدى إلى انفتاح حضاري كبير منذ وقت طويل بين الحضارتين اليمنية والهندية كما أدت إلى نتيجة أخرى تمثلت في ان التحركات البشرية التي اتجهت إلى الهند استطاعت ان تعالish أنماطاً من الحضارة الهندية بل وتستوعبها لتخرج لنا مجموعة من الأنماط الحضارية المشتركة والممزوجة في بوتقة حضارته واحدة ومن ثم تحولت منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية إلى ملتقى حضاري كبير.

وهناك سؤال يطرح نفسه، هل كانت هناك هجرات هندية لليمن؟ والجواب على ذلك واضح جلي فمنطقة جنوب الجزيرة العربية كانت أراضي مناطق الجزيرة تمدنا في مدارج الحضارة وأكثرها كثافة في عدد السكان العاملين أغلبهم في التجارة^(١١٤). تلك التجارة التي دعت التجار اليهود إلى ركوب البحر إلى اليمن والمناجزة معها بل وتكوين جاليات هندية مهاجرة إلى اليمن من أجل مباشرة أعمالهم هناك فأنشؤا الوكالات التجارية في اليمن وتزوجوا وتعالشوا مع أهلها^(١١٥). ومما يؤكد ذلك أننا عثرنا على نقش في اليمن ذكر فيه أن سفيراً هندياً باسم (ده رده) كان متجهاً إلى روما ولكنه في طريق رحلته مكث فترة في حضرموت عند أقاربه إبان رحلته إلى روما^(١١٦).

من هذا النقش نستنتج وجود جاليات هندية مستقرة في اليمن تربطها بالحكومة اليمنية علاقات صداقة ومودة سواً على مستوى الحكومات أو الأفراد.

ومن الجدير بالذكر وكنتييجة حتمية لتلك الهجرات وامتزاج المجتمعين الهندي واليمني بعضها البعض ان تنشئ روابط اجتماعية قوية مثل تبادل الفنون والعلوم ومختلف مظاهر الحضارة الزواج والمصاهرة^(١١٧) حتى ان المسعودي في فترة متأخرة يقول (صاحبت مشايخ في المحيط الهندي ولدوا ونشأوا من ربابين ووكلاء وتجار يمينيين) وهم بالطبع من أبناء اليمن المهاجرين إلى الهند^(١١٨).

هذا ولقد عثر علماء الآثار على الكثير من النقوش المسيحية والقيتابية^(١١٩) في أقطار عربية وغير عربية بعيدة كل البعد عن اليمن (مثل الهند)، وهي لا تحتم ان يكونوا اليمنيين غزو هذه الأقطار غزواً، وإنما تظهر مقدار متواضعاً من الحقيقة وهي ان اليمنيين كان لهم في ذلك العصر وجو حقيقي طويل في هذه المناطق، كمهاجرين فاستوطنوا المناطق الجديدة وامتد

وجودهم العربي إليها.

أيضاً يمكننا القول بأن النشاط التجاري اليمني كان بلا ريب الوسيلة الفاعلة والمضمونة في نقل الحضارة اليمنية إلى الهند، فمنها أخذ الهنود علوم الفلك والتنجيم والدين ومعظم معالم الحضارة والتقدم الفكري، وأنه لمن المؤكد أن الحضارة الهندية لم تكن من صنع يدها وحدها، وإن الهنود لم يكونوا هم الأساس في كل مناهيها ولكنهم استطاعوا أن يتصلوا معظم حضارة اليمن وغيرها من الأمم التي اتصلوا بها، ولعل هذا النقل يعتبر أحد مخلفات الحضارة والتقدم التجاري الذي أسلفنا الحديث عنه^(١٢٣).

يجب أن نفهم هنا أن اليمن لم تكن هي المصدر الوحيد لتلك الحضارة ولكنها كانت مصدراً وممتورداً أيضاً من الهند التي أمدت اليمن بمختلف مظاهر الحضارة والعلوم والفنون حتى أننا نجد أن أسماء اليمن سائرنا في بعض ملابسهن بالأزياء الهندية الملونة والمطرزة والمزركشة^(١٢٤).

وأخيراً وختاماً لكل ما سبق عرضه فلقد تناولنا طبيعة العلاقة التجارية التي ربطت بين الهند واليمن وطرق التجارة بها سواء البرية منها أو البحرية وأنواع البضائع المصدرة والموردة من كلتا الدولتين كما أوضحنا أخيراً أهم المؤثرات الحضارية سواء كانت هندية أو يمنية ومدى تأثير وتأثر كل واحدة منها بالأخرى في مجال التجارة والعلوم والفنون وغيرها من مظاهر الحضارة المختلفة.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

المصادر والمراجع

المصادر العربية:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، (١٩٨٦م).
- ٣- الإصطخري، (اسحق إبراهيم الفارسي)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، ومحمد غبران، وزارة الثقافة والأرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، (١٩٦١م).
- ٤- الحصري، (شهاب الدين ياقوت بن عبدالله)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٩٧٩م).
- ٥- الهمذاني (الحسن بن أحمد بن يعقوب)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوخ، دار اليمامة للبحث والترجمة، الرياض، (١٩٧٧م).

المراجع العربية والأجنبية:

- ١- إبراهيم سيف الدين وآخرون، مصر في العصور القديمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٩٩١م).
- ٢- أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، دار دمشق، دمشق، (١٩٩٤م).
- ٣- أحمد الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، دار القلم، بيروت، (١٩٧٣م).
- ٤- أحمد رحيب هيو، تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة حلب، دمشق، (١٩٨٠م).
- ٥- أحمد سوسه، حضارة العرب ومرآة تطورها عبر العصور، المكتبة الوطنية، بغداد، (١٩٧٩م).
- ٦- أحمد شرق الدين، تاريخ اليمن الثقافي، مطبعة الكيلاني، القاهرة، ج ٢، (١٩٦٧م).
- ٧- إسرائيل ولفنسوف، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، مصر، (١٩٢٩م).
- ٨- إسماعيل عبدالفتاح، تاريخ الجزيرة العربية القديم، مكتبة الرشد، الرياض، (١٤٢٧هـ).
- ٩- أسهمان الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، (١٩٩٦م).
- ١٠- أغناطيوس وغويدي وإبراهيم السامرائي، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، دار الحدائق، بيروت، (١٩٨٦م).
- ١١- أنور عبدالعظيم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، الكويت، (١٩٧٩م).
- ١٢- برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت، (١٩٨٩م).
- ١٣- توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر العربي، بيروت، (١٩٨٤م).
- ١٤- جواد علي، المغفل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج ٢، (١٩٧٠م).
- ١٥- جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (١٩٥٠م).

- ١٦- جورجى زيدان، العرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، (١٩٩٢م).
- ١٧- جيمس هنري بريدن، العصور القديمة، ترجمة داود قريبات، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت، (١٩٨٣م).
- ١٨- حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة للجامعة، الإسكندرية، (١٩٩٣م).
- ١٩- حسين شهاب، ابن ماجد والملاحة في المحيط الهندي، مركز الدراسات في الدبوان الأميرى برأس الخيمة، الإمارات، (١٩٨٨م).
- ٢٠- حنسى محروس، الشرق العربي القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (١٩٩٧م).
- ٢١- حمد بن سراي، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، مركز الخليج للكتاب، دبي، (١٩٩٧م).
- ٢٢- داتال بونس، الخليج العربي في العصور القديمة، ترجمة إبراهيم خوري وأحمد العساف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (١٩٥٣م).
- ٢٣- نثليف نلسن وآخرون، التاريخ القديم، ترجمة فؤاد على وزكى حسن، مكتبة النهضة، القاهرة، (١٩٥٨م).
- ٢٤- دي لاسي اوليري، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى القبول، منشورات وزارة الثقافة، عمان، (١٩٩٠م).
- ٢٥- ربيع القيسي وصباح الشكري، دراسة ميدانية لمسوحات مواقع أثرية في شطري القطر اليمني، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، (١٩٨٦م).
- ٢٦- ريتشارد هول، إمبراطوريات الرياح الموسمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، (١٩٩٩م).
- ٢٧- سعد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار المجتمع العلمي، جدة، (١٩٧٩م).
- ٢٨- سعيد الألفاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، بيروت، (١٩٧٤م).
- ٢٩- سعيد زغلول عبد الحميد، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٧٦م).
- ٣٠- سليمان البدر، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (١٩٧٨م).
- ٣١- سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسية والحضارية، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٥م).
- ٣٢- س، تاريخ وحضارة مصر في العصر الهلنستي، دار النهضة العربية، القاهرة، (١٩٩٢م).
- ٣٣- السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (٢٠٠١م).
- ٣٤- شارلزورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي جرجس، ومحمد خفاجه، الهيئة المصرية

العامّة، القاهرة، (١٩٥٠م).

- ٣٥- صالح دراكه، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة سيرين للدعاية والنشر، عمان، (١٩٨٨م).
- ٣٦- صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، المطبعة السنلفية، القاهرة، (١٣٥٤هـ).
- ٣٧- صلاح شهاب، طرق الملاحة في الخليج العربي، الجمعية الجغرافية الحكومية، الكويت، (د.ت).
- ٣٨- ظه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الشؤون الثقافية، العراق، (١٩٥٥م).
- ٣٩- عبدالحليم نورالدين، مقدمة في الآثار والمناطق اليمنية، مطابع المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، (٢٠٠٨م).
- ٤٠- عبدالله الشيبية، دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي النوري، اليمن، (٢٠٠٠م).
- ٤١- فتحى أبو عيانه، دراسات في جغرافية شبه الجزيرة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٤٤م).
- ٤٢- فضل الجاثم، الحضور اليمني في الشرق الأدنى، دار علماء الدين، دمشق، (١٩٩٩م).
- ٤٣- قليب حتى، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، الدار المتحدة، (د.م.ن).
- ٤٤- فكري قلعجي، الخليج العربي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٦٥م).
- ٤٥- كمال الصالحى، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضاراتها، دار النشر الدولي، الرياض، (٢٠٠٣م).
- ٤٦- نظفى عبدالوهاب، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٨٨م).
- ٤٧- مايلز، الخليج بداته وقبائله، ترجمة محمد أسين عبدالله، مطبعة أمون، القاهرة، (١٩٨٣م).
- ٤٨- محمد أبو المحاسن عصفور، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٦٦م).
- ٤٩- ... معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٤م).
- ٥٠- محمد الحداد، تاريخ اليمن السياسي، دار وهاد للطباعة، اليمن، ج ١، (١٩٦٨م).
- ٥١- محمد الشاعر، الإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي وعصر جوستانف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٩م).
- ٥٢- محمد ياققيه، مختارات من النقوش اليمنية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (١٩٨٥م).
- ٥٣- ... تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات، القاهرة، (١٣٩٢هـ).
- ٥٤- محمد بيومي مهران، الحضارة العربية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت).
- ٥٥- محمد عبدالقنى، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة دراسة وثائقية،

المكتب الجامعي، الإسكندرية، (١٩٩١م).

- ٥٦- —، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (١٩٩٩م).
- ٥٧- محمد متولى ومحمود أبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج ٣، (١٩٧٨م).
- ٥٨- محمود عرفه، العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهرهم، دار عين، للدراسات، القاهرة، (١٩٩٥م).
- ٥٩- منتر البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ النول الحديثة في اليمن، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، (١٩٨٠م).
- ٦٠- سي السديري، حضارات، (دن)، الرياض، (١٤٣١هـ).
- ٦١- ميخائيل روستوفتسزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي عني، ومحمد سليم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).
- ٦٢- نقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ساهر حويجاني، مراجعة زكية طبوزادة، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة، (١٩٩٢م).
- ٦٣- نقولا زيادة، عربيات حضارة وثقافة، (دن.م)، (١٩٩٤م).
- ٦٤- توره النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشوافع للنشر والتوزيع، (د.م)، الطبعة الأولى، (١٩٩٢م)، ص ٢٤٨. <http://Archivabeta.Sakhrst.com>
- ٦٥- نينا فكتورفينا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة صلاح الدين هاشم، الكويت، (١٩٨٥م).
- ٦٦- الهادي أبو لقمة ومحمد الأعور، الجغرافيا البحرية، الدار الجماهيرية، بنغازي، (د.ت).
- ٦٧- هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ترجمة أحمد رضا وأخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٥م).
- ٦٨- هيا آل شاتي، الخليج العربي في عصر ما قبل التاريخ، مركز الكتاب للنشر، الرياض، (١٩٩٧م).
- ٦٩- وبيع بشور، سوريا قصة الحضارة، دار الفكر، (د.م)، ج ١، (١٩٨٩م).
- الدوريات العربية:
- ١- البيزيت مونرو، الجزيرة العربية بين البحور والبترون، ترجمة محمود محمود، الإدارة، الرياض، السنة الثمانية، العدد الخامس، (١٩٧٦م)، ص ٢٨-٤٣.
- ٢- بشير زهدي، طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل، دراسات تاريخية، السنة الثمانية عشر، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ١١٩-١٣٨.
- ٣- جروم، الجرهاء مدينة مفقودة، جولية الآثار العربية السعودية أطلال، دائرة المتاحف،

- الرياض، العدد ٦، ص ٩٥-١٠٥.
- ٤- مطاع محلي، طريق الحرير - طريق الحوار طريق الحرير، ١٩٩١ وسيلة نقل حضارية، دراسات تاريخية، (١٩٩١م)، العدد ٣٩-٤٠، ص ٤٩-٧١.
- ٥- سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، سيمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٧٩م)، ص ٢٩-٦٨.
- ٦- علي أبو عساف، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، دراسات تاريخية، مجلة جامعة دمشق، (١٩٩١م)، العدد ٣٩-٤٠، ص ٨٣-٩٥.
- ٧- فاطمة صلاح الدين، العرب والتجارة الدولية في العصر الروماني، مجلة مركز الدراسات الليبية والنقوش، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٩٥م)، ص ١٧١-١٩١.
- ٨- محمد حرب شرزات، بين الصين والشام حوار الحضارات على طريق الحرير، دراسة تاريخية، جامعة دمشق، دمشق، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ٩٦-١١٨.
- ٩- محمد حرب شرزات، حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصيف والشام، دراسات تاريخية، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ٩٦-١١٨.
- ١٠- محمد يوسف، العلاقات التجارية بالهند، مجلة كلية الآداب، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، (١٩٥٣م)، المجلد الخامس عشر، الجزء الأول، ص ١-٣٣.
- ١١- مصطفى عبدالمعظم، تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصورين اليوناني والروماني، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٤هـ)، ج ٢، ص ٢٠١-٢١٣. <http://Archive.net>
- ١٢- مهيب غالب كليب، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد، مجلة جامعة دمشق، دمشق، المجلد ٢٧، العدد ٢٠١، (٢٠١١م).
- ١٣- نقولا زيادة، دليل البحر الأبيض وتجارة الجزيرة العربية البحرية، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٤هـ)، ص ٢٥٩-٢٧٧.

المصادر الأجنبية:

- ١- Appian, Roman History, Trans. By: Horace White, William Heiremans, Ltd, London, (1972), 4 vol.
- ٢- Arrian, History of Alexander and Anabasis Trans. By: E. Iliif Robson William Heinemann Ltd., London, (1946), 2 vol.
- ٣- Malale J., Chronographia, ed., L. Dirdrof, (SCHB), Bonn, (1831).
- ٤- Pliny, Natural History, Trans. By: E.H. Warrington, William Heinemann, London, (1969), vol. 2.
- ٥- Polybius, The Histories, Trans. By: W. R. Paton, William

- Heinemann, London, (1926).
- Procopius of Caesarea, History of the Wars, Trans., By: H. B. -٦
Dewing, William Heinemann Ltd, London, (1970), vol. 7.
- Quintus Curtius, Trans. By: John C. Rolfe, William Heinemann -٧
Ltd, London, (1970).
- Strabo, Geography, Trans. By: Horace Leonard Jeonard Jones, -٨
William Heinemann Ltd, London, (1966), vol. 8.
- The Periplus Maris Erythraei, Trans. By: Casson, Princeton -٩
University Press. New Jersey, (1914).
- المراجع الأجنبية:
- Albertini E., L'empire Romain, Librairie, Elixalcan, (1929). -١
- Bagot J., The Great Arabs Conquests, Hodder and Stoughton, -٢
(1960).
- Bell. R., Introduction to the Quran, Edinburch, At The University -٣
Press, London, (1953).
- Benglson H., The Greeks and the Pergians, Weidem Feld and -٤
Nicolson, London, (1964).
- Bowersock W., Roman Arabia, Harvard University Press, -٥
London, (1983).
- Burlot J., La Civilisation Islamiaue, Moorehean, A., African -٦
Terilogy, London, (1952).
- Cantineau J., Le Dialecte Arabe De Palmyre, Beyrouth, (1934). -٧
- Ernest J., Backround of the Middle East, Cornell University -٨
Press, New York, (1952).
- Fayyaz S., As short History of Islam, London, (1960). -٩
- Fowden G., Empire to Common Wealt, New Jersey, (1993). -١٠
- Glubb J., The Great Arab Conovests, Hodde and Stoughton, -١١
(1960).
- H.O. Pub, Sailing Direction for the Red Sea and Gulf of Aden, -١٢
The Hydrographie Office Under the Quthority of the Secretary of
the Navy, United States, (1952).
- Hannond N., Scullard, The Oxford Classical Dictionary, AHhe -١٣

- Clarendon Press, Printed in Great Britain, Second Edition, (1970).
- Kirk G., A short History of the Middle East, Surjeet Publication, -١٤
(1981).
- Leiss B., and Arnold H., A survey of Arab History, Cairo, (1987). -١٥
- Mattingly H., Roman Imperial Civilisation, Edward Arnold -١٦
Publishers. Ltd. (1959).
- Perry G., The Middle East Fourteen Islamic Centuries, New -١٧
Jersey, (1992).
- Peter M., The Arabs, Penguin Book Ltd, London, (1976). -١٨
- Potts D., The Arabian Gulf In Antoiqwy, Clarendon Press, -١٩
Oxford, (1990).
- Raoul Mclaughlin, Rome and the Distant East, Continuum UK the -٢٠
Tower Building 11 York Road, London, (2010).
- Robinson E., A History of Rome, Met hum Educational Ltd., -٢١
London, (1978)
- Schmidt G., A concise History of the Middle East Egypt, (1983). -٢٢
- Sedillot, Histoire Des Arabs, Librairie Hachette Et, (1954). -٢٣
- Sinnigen W. and Boak, A., A History of Rome, To A. D. 565, -٢٤
Macmillan Publishing Co., Inc, New York, (1977).
- Tenney, F., and Other, An Economic Survey of Ancient Rome, -٢٥
The Johns Hopkins Press, Baltimore, (1938), Vol. IV.
- Warmington E., The Commerce Between The Roman Empire and -٢٦
India, Curzon Press Ltd, London, (1974).
- Wellhausen J., The Arab Kingdom and its Fall, Beirut, (1963). -٢٧
- Zwemmer R., Arabia, Printed and Bound in Great Britan By A. -٢٨
Wheaten Co. Ltd., Exeter, London, (1986).

الدوريات الأجنبية:

- Bury J., and other, CAH, Cambridge, (1924), vol. I, pp. 188- -١
203.
- David G., The Saracens and the Defense of the Arabian -٢

- Frontier'. BASOR, Bulletin of the American School of Oriental,
 New Haven, (1978), pp. 1-20.
- Shahid J., 'The Rise and Domination of the CIH, Cambridge, -۲
 vol. 1, (1970).
- Teixidor J., 'Un Port Romain Du Desert Palmyre', Semitica, -۱
 Librairie D'Amerique Et D'Orient, Paris, (1984), vol. XXXIV, pp.
 16-55.



الملاحق

- (١) بشير زهدي، طريق الحرير وتطور مدينة القوقل، دراسات تاريخية، السنة الثانية عشر، العدد ٢٩-٤٠، (١٩٩١)، من ص ١١٩-١٣٨.
- (٢) لطفي عبدالوهاب، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٨٨م)، ص ٨٩؛ قحى أبو عيانه، دراسات في جغرافية شبه الجزيرة العربية، دار المعرفة الجامعية، بيروت، (١٩٩٤م)، ص ٣؛ إسماعيل عبدالفتاح، تاريخ الجزيرة العربية القديم، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٧هـ، ص ١١٣.
- (٣) العبادي أبو لقمه، محمد الأعر، الجغرافيا البحرية، الدار الحافدية، بغلي، (د.ت)، ص ٣٤.
- (٤) جورج فضل حوزاني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (١٩٥٠م)، ص ٢٢-٢٤.
- (٥) نوره للعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، (د.م)، الطبعة الأولى، (١٩٩٦م)، ص ٢٤٨.
- (٦) ولمزيداً من المعلومات عن موقع اليمن وأهميته الاستراتيجية والتجارية؛ انظر بالتفصيل الصوي، (شهاب الدين ياقوت)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (١٩٧٢م)، ج ٥، ص ٤٤٧-٤٤٨؛ الهمداني، (عنان اليمن الحاصل من أحسن) صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الكعوب، دار اليمامة، الرياض، (١٩٧٧م)، ص ٧٧-٧٨.
- (٧) Ernest Jack, Background of the Middle East, Cornell University Press, New York, (1952), p. 90.
- (٨) Pliney, Natural History, Trans. By: E.H. Warmington Heinera Ltd, London, (1969), Vol. 2, BK. 6, XXVI. 101 ; Sedillot, Des Araps, Librairie Hachette Et, (1954), p. 24 ;
- غليب حنن، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، الدار المتحدة، (د.م)، ص ١٦٣؛ محمد أبو المحاسن صمغور، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٤م)، ص ٢٤٩.
- (٩) فاطمة صلاح الدين، العرب والتجارة الدولية في العصور الرومانية، مجلة مركز الدراسات العربية والنفس، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٩٥م)، ص ١٧١-١٩١، ص ١٧١.
- (١٠) منظر اليكرو، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الدول الحديثة في اليمن، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، (١٩٨٠م)، ص ٢٨٢؛
- Joseph Burlot, La Civilisation Islandoue, Moore Hean A., Friran Territory, London, (1952), p. 8.

- (١١) المعهد القديم والمعهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، (١٩٨٦م)، سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ٢ ؛ جورج حوراني، العرب والملاحة، ص ٧٨ ؛ Peter Mansfield, The Arabs, Penguin Book Ltd, London, (1976), p. 14
- (١٢) Leiss, B. and Arnold H., A survey of Arab History, Cairo, (1987), p. 30 ؛ Richard Beu, Introduction to the Quran, Edinburgh, At the University Press, London, (1953), p. 5.
- (١٣) إسرائيل واغنسون، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، مصر، (١٩٢٩م)، ص ٢٣٢ ؛ نثيف نلسن، وآخرون، التاريخ القديم، ترجمة فواد علي وزكي حسن، مكتبة النهضة، القاهرة، (١٩٥٨م)، ص ٢٧٤.
- (١٤) سفر أشعيا، الإصحاح ٤٣، آية ٣ ؛ سفر حزقيال الإصحاح ٢٣، آية ٤٢.
- (١٥) Pliny, NH, BK VI, 26-101.
- Eugene Albertini, L'empire Roman, Librairie, Elix Alcan, (1929), p. 229. (١٦)
- (١٧) فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مجلة الدراسات العربية واللغوية، ص ١٨١.
- (١٨) The Periplus Maris Erythraei، المزيد من المعلومات عن الدولة الحورية انظر بالتفصيل: Trans. by. Casson, Princeton University Press, New Jersey, (1914), Chapter, 23 and of also 36.
- (١٩) فتحى أبو عيالة، المرجع السابق، ص ١٦.
- (٢٠) المزيد من المعلومات عن المصريين انظر: نيفولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ساهر جويهان، مراجعة زكية طنيزادة، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة، (١٩٩٢م)، ص ٩٢-١٠٠ ؛ وانظر أيضاً إبراهيم سيف الدين وآخرون، مصر في العصور القديمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٩٩١م)، ص ٤٧٣-٥٤٦.
- (٢١) ولزبداً من المعلومات عن الآشوريين انظر بالتفصيل: حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (١٩٩٧م)، ص ٦٧-٩٥ ؛ وانظر أيضاً: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الشؤون الثقافية، العراق، (١٩٥٥م)، ص ٤٧٣-٥٤٦.
- (٢٢) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٤م)، ص ٢٧٨-٢٨٢.
- (٢٣) جوزي زيدان، العرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، (١٩٢٢م)، ج ١، ص ١٦٠.
- (٢٤) عبدالله التبييه، دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري، اليمن، (٢٠٠٠م)، ص ٢٣٦.
- (٢٥) Pliny, NH, BK, VI, 32 ؛ The Periplus, Ch. 31.
- (٢٦) حوراني، المرجع السابق، ص ٦٢.

- (٢٧) The Periplus. Ch. 19.
- (٢٨) محمد السيد عبدالغنى، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، (١٩٩٩م)، ص ٤٤.
- (٢٩) Pliny, NH. BK. XXVI. 101. دي لاسي لوليري، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى الغول، منشورات وزارة الثقافة، عمان، (١٩٩٠م)، ص ٩٥. والإمبراطور تيزوس هو الإمبراطور الثاني للإمبراطورية الرومانية تولى العرش وهو في الخمسين من عمره ولكنه تميز بالحكمة وبعد النظر ووضع ثابت له ابن أخيه وابنه باليني جرمانكوس Germanicus: لعزيم من المعلومات عن هاتين الإمبراطوريتين ويلقي الأباطرة الإمبراطورية الرومانية انظار بالانتباه: E. Robinson: A History of Rome, Methuen Educational Ltd., London, (1971), p. 279
- Simien, G. and B. Arthur, A history of Rome to A.D. 565, Macmillan publishing Co. inc, New York, (1977), p. 226.
- Pliny, NH. BK. XXVI. 101. (٣٠)
- (٣١) محمود عرفه، العرب قبل الإسلام، أصولهم السببية والتنشئة وأهم مشاهيرهم، دار عين للدراسات، القاهرة، (١٩٩٥م)، ص ٢٥٩ + نقولا زباد، عربات حضارة - ولعه، (دين م)، (١٩٩٤م)، ص ٦٠.
- (٣٢) صالح دراكه، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة سبورين التجارية والنشر، عمان، (١٩٨٨م)، ص ١١٠.
- (٣٣) وهو ملك مقدونيا: SF: Quintus Curtus, History of Alexander, Trans By: John Rolfe William Heinemann Ltd, London, (1970), BK. 1. p. 19.
- الثاني لولميناوس ويعتبر الأسكندر بكمك أكثر قادة عصره شهرة لأنه هو أول من أدخل نظام جديد في الحضارة الإغريقية: CF: N. Hannond, H. Scullard, The Qufor Classical Dictionary, At the Clarendon press printed in Grent Britain, Second Edition, (1970), pp. 39-41.
- لعزيم من المعلومات عن شخصية الأسكندر الأكبر انظر: Arrians, Roman History, Trans By: Horace White, William Heinemann, London, (1972), 4 vols, BK. 181.
- (٣٤) لغري للعجي، الخليج العربي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٦٥م)، ص ٤٠.
- (٣٥) سعد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وأثرها الباقية، دار المجتمع العلمي، جدة، (١٩٧٩م)، ص ٥٧ + إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١٢٨.
- (٣٦) سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، سينار الدراسات العليا لتاريخ الحديث، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٧٩م)، ص ٢٩-٦٨، ص ٣٢ + اليزبث مولرو، الجزيرة العربية بين البحور والبترون، ترجمة محمود محمود، للدراسة، الرياض، السنة الثانية، العدد الخامس، (١٩٧٦م)، ص ٢٨-٤٣، ص ٣٦.

Strabo, op. cit., BK. XV. 1-73 ; Hermann Bengtson, The Greeks and the Persians, Weiden Feld and Nicholson, London, (1964), p. 320; Bowersock, W., Roman Arabia, Harvard University Press, London, (1983).p. 43.

(٣٨) للمزيد من المعلومات عن هذه المراحل العسكرية انظر بالتفصيل: عبدالله الشيبة، دراسات في تاريخ اليمن للقديم، ص ١٨ + محمد يوسف، العلاقات التجارية بالهند، مجلة كلية الآداب، مطبعة فواد الأول، القاهرة، (١٩٥٣م). المجلد الخامس عشر، الجزء الأول، ص ١-٢٢، ص ٢٢-٤٤.

(٣٩) إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١٢٨.

Albertini, E., L'empire Romain, Librairie, p. 229. (٤٠)

Strabo, op. cit., Bk. 15.4 ; David F. Graf, The Saracens and the Defense of the Arabian Frontier, American Schools of Oriental Research, Copyright, (1978), p. 3.

John Glubb, The Great Arab Conquests, Hodder and Stoughton, p. 22. (٤٢) حوراني، المرجع السابق، ص ٢٥

Strabo, BK. 16.4.16. (٤٣)

Strabo, BK. 16.4.23 ; Pliny, NH, ١٤٥ ص ٦٦، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ج ٦، ص ١٤٥، Pliny, NH, BK. V.32. 159-162 ;

(٤٤) منتظر البكر، المرجع السابق، ص ٤١٠ + أسفهان الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، (١٩٩٦م)، ص ١٩٧-٢٠١.

(٤٦) فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البردية والنفوس، ص ١٨١، Pliny, NH, BK. 6.141.

(٤٧) منتظر البكر، المرجع السابق، ص ٤١٠.

(٤٨) سيد الناصري، المقال السابق، سنتار للدراسات العليا، ص ٢٢.

(٤٩) صالح تزاكه، المرجع السابق، ص ١١٠.

(٥٠) محمود عرفة، العرب قبل الإسلام، ص ٢٥٨ + حسين شهاب، ابن ماجد والملاحة في المحيط الهندي، مركز الدراسات في النديوان الأميري برأس الخيمة، الإمارات، (١٩٨٨م)، ص ١٤.

(٥١) سعيد الألفلاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، بيروت، (١٩٧٤م)، ص ١٥.

والمزيد من المعلومات عن جغرافية شبه الجزيرة الهندية انظر بالتفصيل: الاصطخري (ابن اسحاق)، المسالك والممالك، تحقيق: محمد الحسيني، مراجعة: محمد نوريال، الجمهورية العربية، (١٩٦١م)، ص ١٩ + مي السنوسي: حضارات، (دب)، الرياض، (١٤٣١هـ)، ص ١٤٦.

(٥٢) آل العلامة جبران في كتابه وثائق تاريخية وجغرافية في أفريقيا الشرقية (قبض العرب منذ أقدم العصور على زمام التجارة البحرية وبخاصة في الشرق فكانت سفنهم هي الوحيدة التي تجري في المحيط

الهندي، وبخاصة ماسبق بلادهم والهند وكانت لهم هناك جالية بمشية كبيرة). وللمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: صلاح البكري، تاريخ حضرموت المسائي، المطبعة السلفية، القاهرة، (١٣٥٤هـ)، ص ٤٤-٤٥.

(٥٣) أنور عبدالعليم، الملاحه وطوب البحار عند العرب، عالم المعرفة، الكويت، (١٩٧٩م)، ص ١٩.
(٥٤) Procopius of Calsarea, History of The Wars, Trans. By: H. B. Dewing (٥٤) William Heinemann Ltd., London, (1970), Vol. 7 ; Wellhausen J., The Arab Kingdom and its Fall, Beirut, (1963), p. 54.

(٥٥) Pliny, NH, BK. 6.26 - 27 . The Periplus, Ch. 27 and Cf also, 32.
(٥٦) مهيب غالب كليب، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد، مجلة جامعة دمشق، دمشق، المجلد ٢٧، العدد ٢٠١، (٢٠١١م)، ص ٣٥٨ + أحمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٩١.

(٥٧) محمد باقره، سفارات، ص ٢٥.
(٥٨) يحيى أبو عيونه، المرجع السابق، ص ٦. (انظر جدول البضائع الهندية اليمنية في هذا البحث ص ٣٩).

(٥٩) حوراني، المرجع السابق، ص ٢ - ١ دي أنس وندري، المرجع السابق، ص ٩٣. (انظر الخريطة رقم ٤) عن حركة الرياح.

(٦٠) نفولا زياد، عربيات، ص ٤٤. Teodor J., "Un Port Romani Du Desert Pâtryre", Semitica, Librairie D'Amérique Et D'orient, Paris, (1984), vol. XXXIV, pp. 16-55, p. 40.

(٦١) منار البكر، دراسات، ص ٣٨٧ + The Periplus, Ch. 20 - and 27.

(٦٢) محمد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة دراسة وثائقية، المكتب الجامعي، الإسكندرية، (١٩٩٩م)، ص ٤٣ + عبدالله الشيبه، المرجع السابق، ص ٦٠ : وهناك من يقول ان هيبلاكوس Hipperchus الاسكندري هو أول من اكتشف الرياح الموسمية في العصر البعلبي المتأخر وأوائل العصر الروماني، للمزيد انظر منار البكر : المرجع السابق، ص ٣٩٤.

(٦٣) حوراني، المرجع السابق، ص ١٦٦ : فضل الجاثم، المرجع السابق، ص ٤١٢. (انظر الخريطة رقم ٤).
(٦٤) Procopius, History of the Wars, p. 183 ; Shahid I., The Rise and Domination of the Cambridge History of Islam, Cambridge, p. 12.

(٦٥) سيد الناصري، المقال السابق، معنار الدراسات العليا، ص ٦١ + The Periplus, Ch. 19.
(٦٦) هيا آل ثاني، الخليج العربي في عصر ما قبل التاريخ، مركز الكتاب للنشر، الرياض، (١٩٩٧م)، ص ٢٤٢-٢٤٣ +

The Periplus, Ch. 57.

(٦٨) ريتشارد هول، إمبراطوريات الرياح الموسمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، (١٩٩٩م)، ص ١٦-١٧.

(٦٩) وقد ذكر البحارة العربي المسلم المتأخر ابن ماجد في كتابه عن علوم البحار تعبيراً صادقاً يصف لنا فهم دقيق لطبيعة الرياح الموسمية والتيارات المعاكسة في المحيط الهندي فسماء مواعيد غلق البحر وفتح البحر لمواسم المطر كما قال (إن الخروج من الهند يمر العرب، أوله ٣٠ القيروز من حوزران وككنن، ولكن أهل الأقاليم أكسونية إذا أرادوا السفر فعليهم يأخذ رياح الدبور (أي آخر الصيف) وكلاً على قدر مكانه ومركبه) للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: نور عبدالعليم، الملاح، ص ١٣٣.

(٧٠) حوراني، المرجع السابق، ص ٧٠.

(٧١) محمود حرب قرزات، حوار الحضارات بين اليمن والشام، دراسات تاريخية، العدد ٣٩-٤٠،

(١٩٩١م)، ص ٩٦-١١٨، ص ١١٠؛ بتقليد استنطاق البطالمة الأبحار من مولدهم مباشرة إلى

الهند خلال أربعين يوماً عن طريق أعالي البحار بدلاً من الاتجار بمحاذاة الساحل كما كان متبعاً من

قبل والعودة بعد ٦ أشهر: «التمدن انظر فضل الحاتم، الحضور اليمني، ص ٤١٢، وانظر أيضاً لطفي

عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ٣٦٩.

(٧٢) Pliny, NH, BK. VI, XXVI, 100-101 ; Glubb, J., op. cit., p. 22.

(٧٣) نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين مؤنس وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة،

مصر، (١٩٧٥م)، ص ٢٨٠.

وللمزيد من المعلومات عن الإمبراطور فبسيان انظر بالتفصيل:

Mattingly Harold, Roman Imperial Civilisation, Edward Arnold (Publishers) Ltd, London, (1959), p. 19

؛ وانظر أيضاً سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية البيزنطية، دار النهضة العربية،

بيروت، (١٩٨٥م)، ص ١٩٦.

(٧٤) مهيب كليب، المقال السابق، مجلة جامعة دمشق، ص ٢٥٥، Leiss and Arnold, op. cit., p. 29.

(٧٥) نينا فكتورفينا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة

صلاح الدين هاشم، الكويت، (١٩٨٥م)، ص ٢٦٠؛ نقلاً زيادة، عربيات، ص ٣٧.

(٧٦) محمد متولي ومحمود أبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة،

(١٩٧٨م)، ج ٣، ص ٢٩١، انظر خريطة الطرق البحرية رقم (٦).

(٧٧) محمد بافقيه، مختارات من النقوش اليمنية، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس، (١٩٨٥م).

ص ٢١؛ كدرى قلعجي، المرجع السابق، ص ٨٠.

(٧٨) برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار القازاني، بيروت، (١٩٨٩م)، ص ١٢٥.

(٧٩) سعد ماهر، المرجع السابق، ص ٥٥؛ لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ٣٢٤؛ ومما يؤنس

به في هذا المجال ماورد في القرآن الكريم في سورة يونس قوله تعالى (هو الذي يسرركم في البر والبحر)

- أية ٢٢ وفي تلك الآية حض من الله تبارك وتعالى على استخدام البحر . للمزيد انظر فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البيئية والنقوش، ص ١٧٢.
- (٨٠) محمد متولي، محمود أبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ج ٣، ص ٢٩٩.
- (٨١) مهيب، المقال السابق، مجلة جامعة دمشق، ص ٣٥١.
- (٨٢) بيومي مهران، الحضارة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (دنت)، ص ٢٨٥.
- (٨٣) أبو عبد الله، المرجع السابق، ص ٢٠.
- (٨٤) نوره النعم، المرجع السابق، ص ٢٤٧-٢٤٨ : ومما يؤيد هذا الرأي أنه تد الأمازغ على نفس يعود إلى عهد الإمبراطور هادريان (١١٧-١٣٨م) فيذكر فيه نقابة «زعمرة ومعترفا بها لرهانة من شعور يعملون في أعالي البحار». وفي هذا دليل على انتشار إسماء العرب في شبه الجزيرة العربية سواء شماليين أو جنوبيين «علوم البحار ونقلهم لفن الإنجاز والتجارة مع الأماكن البعيدة التي يصل إليها عن طريق السفن في البحر : للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل : Tenney. Frank and Other, An Economic Survey of Ancient Rome, The Johns Hopkins Press, Baltimore, (1938), vol. IV, P. 208.
- (٨٥) فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البيئية والنقوش، ص ١٨٤.
- (٨٦) منذر البكر، المرجع السابق، ص ٤٤٥ : وفي القرن العرب يفنون الملاحة قال طرفة بن العبد في إحدى المعقات السبع:
- عدو له أو من سفن ابن داسي بحر بها السلاح ملورا ويهتدي
 للمزيد انظر منذر البكر، المرجع السابق، ص ٤١٥.
- (٨٧) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٨٦ : النعم، المرجع السابق، ص ٢٤٧.
- (٨٨) إليزابيث مونرو، المقال السابق، الفقرة، ص ٢٦.
- (٨٩) بزهران الدين نلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص ١٢٥ : تقري تاحي، المرجع السابق، ص ٨٢. وفي هذه السفن الصغيرة (القوارب) قال طرفة بن العبد
- كأن خذرج المالكية غدوة خالبا سفين بالتواصف من تد
 والخذرج جمع حدج وهو مراكب لتساب الصغيرة والتواصف هي المراكب أو السفن لرحلة الواصة :
 للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: أبو عبد الله، المرجع السابق، ص ٢٤. (انظر خريطة رقم ١).
- (٩٠) Procopius, History of the War, p. 183 :
- ومما يؤكد ذلك أنه وجدت نقوش سبئية ومعينة مكرسة لأهية عربية في جزيرة ديلوس Delos ببحر أيضا كانت هذه الجزيرة مركزا لتجارة البضائع الشرقية. وهذا الاستدلال لا يدل فقط على المدن الذي وصل إليه والتجارة العرب إنما يدل أيضا على أن العرب كانت لهم سفنهم الخاصة للمعاجرة : للمزيد انظر بالتفصيل : فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البيئية والنقوش، ص ١٧٢.
- (٩١) انظر الخريطة رقم (١) : Pliny, NH. BK. 6. XX11. 14 :

- سيد الناصري، تاريخ وحضارة مصر في العصر الهلنستي، دار النهضة العربية، القاهرة، (١٩٩٢م)، ص ٢٥٨.
- (٩٢) مازرب، ولينبدأ من المعلومات عنها النظر بالتفصيل: سفر التكوين الإصحاح ١٠ آية ٧ : Strabo, GE., BK. 16.4-16.
- (٩٣) أما عزة للمزيد من المعلومات عنها انظر: أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، دار دمشق، دمشق، (١٩٩٤م)، ص ١٣٢ : أنظر الخريطة رقم (١).
- Pliny, NH, BK. 6.22-144
- (٩٤) اغناطيوس وانراهم السامراتي، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، دار الحدائق، بيروت، (١٩٨٦م)، ص ٨٨ + عبدالحليم نور الدين، مقدمة في الآثار والمناطق اليمنية، تقديم زاهي حواس، مطابع المجلس الأعلى للآثار، مسرة، (٢٠٠٨م)، ص ٤٥.
- (٩٥) صالح بركاء، المرجع السابق، ص ١١٠-١١١ : Peter Marsfeld, op. cit., p. 21.
- (٩٦) منظر البكر، المرجع السابق، ص ٣٨٦ : Strabo, GE, BK. 16.4-2 أما حضرموت فللمزيد من المعلومات عنها النظر بالتفصيل: 4-16(4) Strabo, GE, BK. 16(4)4-4 The Periplus, Ch. 29 : Strabo, GE, BK. 16(4)4-4 ولنظر أيضاً: توفيق بوز، تاريخ العرب القديم، دار الفكر، بيروت، (١٩٨٤م)، ص ٧١ وللمزيد انظر سفر التكوين الإصحاح آية ٣١-٣٢ . وأنظر أيضاً:
- Potts, D., The Arabian Gulf in Antiquity, Oxford (1990), vol. 2, p. 97.
- (٩٧) المحولي، المرجع السابق، ص ٩٨ : وللمزيد من المعلومات عن عمان انظر بالتفصيل نوره النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٨.
- (٩٨) براهيم الدين دلو، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٢٠ : Strabo, GE, BK. 16.4-2.
- (٩٩) لعلي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ٧-٢ : GE, BK, Ibid, 16.4-2.
- (١٠٠) فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات والنقوش البيروتية، ص ١٧٢ : ودانان هي العملا حديثاً مشهور شعبياً بالمناجزة مع الأقباط المجاورة وفي أنفس وأعلى البضائع : للمزيد من المعلومات عنها انظر بالتفصيل سفر حزقيال الإصحاح ٢٧ آية ٥ ، والنظر أيضاً جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٧٠م)، ج ٢، ص ٢٤٣.
- (١٠١) ليوكي كومي: وهو ميناء مصري يقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر ذال شهرة واسعة في عهد الدولة البطلمية، وهناك اختلاف حول موقع هذا الميناء الحالي وإن البعض يجعله الحوزاء وأسندت على لن الحوزاء لعلي البعض للمزيد عنها انظر بالتفصيل: أنظر الخريطة رقم (١).
- Strabo, GE, BK. 16.357 and cF also: The Periplus, Ch. 19.
- (١٠٢) محمد حرب فورزات، بين الصين والشام حوار الحضارات على طريق الحرير، دراسة تاريخية، جامعة دمشق، دمشق، (١٩٩١م)، العدد ٣٩، ٤٠، ص ٩٦-١١٨، ص ١١٣ + وللمزيد من المعلومات عن رأس الحد انظر بالتفصيل: H.O. Pub, Sailing Directions For The Red

Sea and Gulf of Aden, The Hydrographic office Under the Quthority of the Secretary of the Navy, United States, (1952). pp. 267-268.

Zwenner, R.S., Arabia, Printed and Bound in Great Britan By A. Wheatlin. (١٠٣) Co. Ltd, Exeter, London, (1986), p. 260.

(١٠٤) الخطوط لتجارية البحرية الهندية - اليمنية المباشرة خريطة رقم (٢) والخطوط الغير مباشرة خريطة رقم (٣).

(١٠٥) خراكس وهي المحصره حالياً على الخليج العربي: للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: منذر البكر، دولة ميسان العربية، المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (١٩٨٦م)، المجلد ١٥، العدد ٣، ص ٢٦٦

Pliny, NH, BK. 6.138-139.

(١٠٦) فيلكه وهي جزيرة تبعد حوالي ٢٠ كم عن بر الكويت: للمزيد من المعلومات عنها انظر بالتفصيل: دانيال بونس، الخليج العربي في العصور القديمة، ترجمة إبراهيم خوزي وأحمد العساف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (١٩٥٣م)، ص ٤٠٥-٤٠٦ ؛ جروم، الحراء مدينة معقودة، حوالية الآثار العربية السعودية أطلال، دائرة المتاحف، الرياض، العدد ٦، ص ٩٥-١٠٥، ص ٩٨.

(١٠٧) الحراء للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: انظر صلاح شهاب، طرق الملاحة في الخليج العربي، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، (د.ت)، ص ١١٠. Polybius, The Histories, GE, BK. 16.3.2.4. Strabo, Trans. By: W. Paton William Heinman Ltd, (1940), BK, XII, 9.2.4.

(١٠٨) Pliny, NH, BK. 6.104 ; Warrington, E, The Commerce Between The Roman Empire, and India, Curzon Press Ltd, London, (1970), p. 45.

(١٠٩) جورجى زيدان، العرب قبل الإسلام، ص ١٦٢. (انظر الخريطة رقم (٣).

(١١٠) محمد الحداد، تاريخ اليمن السياسي، دار همدان للطباعة، اليمن، (١٩٦٨م)، ج ١، ص ١٥٢ ؛ فاطمة صلاح النين، المقال السابق، مركز الدراسات العربية والتفوق، ص ١٧٢ ؛ Strabo, GE, BK. 16.4.2.4

(١١١) محمد عبدالقني، شبه الجزيرة العربية، ص ٤٢-٤٣

The Periplus, Ch. 26

(١١٢) Gearge Kire, Ashort History of the Middle East, Surgeat Publiction, (1981), p. 11 ؛ Texidor J., Lok. (٣) انظر الخريطة رقم (٣)

Cit., Semitic, p. 40

(١١٣) Pliny, NH, BK. 6. 101-104 ؛ وكان من شدة حرص الإمبراطورية الرومانية على خط تجارة الهند - مصر والمارة بالجزيرة العربية أنها قامت بإنشاء قواعد بحرية ثابتة تكون في خدمة هذا الخط الملاحي الجنوبي بالنسبة له ؛ للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: سيد الناصري، البحر الأحمر والرومان، سبعار الدراسات العليا، ص ٣٣.

- (١١٤) أحمد رحيم هيو، تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة حلب، (١٩٨٠م)، ص ١٨٦.
- (١١٥) شارلزورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي جرجس ومحمد خفاجة، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، (١٩٥٠م)، ص ١٥٢.
- (١١٦) Appians, Roman History, Trans. By: Horace White, William Heinemann, London, (1972). BX. V. 1-9 ; Warrington, op. cit., p. 105. (٢) أنظر الخريطة رقم (٢).
- (١١٧) التميم، المرجع السابق، ص ٢٥٢ ؛ برهان الدين دنو، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٠.
- (١١٨) محمد جرب فوزات، المقال السابق، دراسات تاريخية، ص ١١٢ ؛ Pliny, NH, BK. 6.101-104.
- (١١٩) ibid, BK. 6. 101-104.
- (١٢٠) أنظر الخريطة رقم (٢) Warrington, op. cit., p. 48-49
- (١٢١) Pliny, NH, BK. 6.101-104.
- (١٢٢) يافقيه، مفردات من اللغوش، ص ٢٨-٢٩، 32 The Periplus, أما عن ظفار فهي عاصمة الدولة الحميرية وتقع بالقرب من **بريم الحالية** وهي على منطقة جبلية حلت محل مأرب بعد أنزل نجمها التجاري؛ التمرّد من المعلومات عن ظفار انظر بالتفصيل: أحمد شرف الدين، تاريخ اليمن الثقافي، مطبعة الكيلاني، القاهرة، (١٩٦٧م)، ج ٢، ص ٥٧ وانظر أيضاً: The Periplus, Ch. 23.
- (١٢٣) دي لاسي أوفيري، المرجع السابق، ص ٩٤.
- (١٢٤) Rostovtzeff, M, The Social Economic History of the Hellenistic World, At The Clarendon Press, Oxford, (1972), vol. 2, p. 1045 ; قنري فلنجمي، المرجع السابق، ص ٨٧.
- (١٢٥) التميم، المرجع السابق، ص ٢٥١-٢٥٢ ؛ صلاح البكري، المرجع السابق، ج ١، ص ٤٢.
- (١٢٦) سليمان البدر، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (١٩٧٨م)، ص ١٢٨.
- (١٢٧) أوزيث مونرو، المقال السابق، البنارة، ص ٣٧.
- (١٢٨) محمود عرفه، المرجع السابق، ص ٢٦٠ ؛ نقلاً زياد، دليل البحر الأبيض وتجارة الجزيرة العربية البحرية، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، إشراف عبدالرحمن الأنصاري وآخرون، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٩٧٩م)، ص ٢٦٣.
- (١٢٩) التميم، المرجع السابق، ص ٢٥٦. (أنظر الخريطة رقم (٤) أهم العواشي اليمنية الهندية)
- (١٣٠) The Periplus, Ch. 26.
- (١٣١) سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص ١٦-١٧.

- Ibid, Ch. 26 and Cf also: 32. (١٣٢)
- Ibid, Ch. 26 and Cf also: 37 (١٣٣)
 جوزاني، المرجع السابق، ص ٦٤.
- (١٣٤) للمزيد من المعلومات عن مملكة أوسان انظر بالتفصيل: محمد باقر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات، القاهرة، (١٣٩٢هـ)، ص ٢١-٢٤.
- Ibid, BK. I. XX. 3-12 : Malale, : للمزيد من المعلومات عن العموريين انظر بالتفصيل: J., Chronographia, ed., L. Dirdraf, (CSHB), Bonn, (1831), pp. 57-59 (١٣٥)
- Pliny, NH, BK. IV. 31. : سيد الناصري، المقال السابق، سيمنار الدراسات العليا، ص ٥١ (١٣٦)
- The Periplus, Ch. 26. (١٣٧)
- محمد عبدالغني، المقال السابق، المورخ العربي، ص ٥٠. (١٣٨)
- Shahed, I., Lok. Cit., GHI, p. 10-11. (١٣٩) (انظر الخريطة رقم ٤)
- (١٤٠) وهو أيضا حصن العرب وعن هذه التسمية انظر بالتفصيل: جورج زيدان، العرب قبل الإسلام، ص ١٦٠.
- Pliny, BK. XVI. 104. : محمد عبدالغني، مصادر القرنين ١-٢ الميلاديين، ص ١١٠ (١٤١)
- سفر حزقيال الإصحاح ٢٧ الآية ٢٣-٢٤. (١٤٢)
- جوزاني، المرجع السابق، ص ٥١: وللمزيد من المعلومات عن طريق اللبان البري الذي يطلق من ميناء فا انظر بالتفصيل: عقابته الشبلي، الترجيح الثاني، ص ١٢٠. (١٤٣)
- Ibid, BK. XVI. 104. (١٤٤)
- The Periplus, Ch. 27. (١٤٥) وللمزيد من المعلومات عن طريقة معالجة الأطواق المشدودة بالقرب الجبلية انظر بالتفصيل: جوزاني، المرجع السابق، ص ٥١.
- The Periplus, Ch. 27. (١٤٦) نوره النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٦.
- Ibid, Ch. 31 : Strabo, GE. BK. 16.24-25. (١٤٧) انظر الخريطة رقم ٤)
- Warrington, op. cit., p. 219. (١٤٨)
- (١٤٩) الملك الغريبط ملك حضرموت وكانت له علاقات واسعة مع أنحاء الجزيرة العربية ذكر نقش له حضرت وفود من قریش وتدمر لهيئته بالحكم للمزيد من المعلومات انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٤٥ + حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٩٣م)، ص ٨٢ وعن أعمال هذا الملك انظر كمال الصالح، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها، دار النشر الدولي، الرياض، (٢٠٠٣م)، ص ١٢٢-١٢٣.
- The Periplus, Ch. 1 and Cf also: 35. (١٥٠)
- منظر البكر، المرجع السابق، ص ٤١٧. (١٥١)
- Ibid, Ch. 21 and Cf + سيد الناصري، المقال السابق، سيمنار الدراسات العليا، ص ٥٥ also: Ch. 25. (١٥٢)

- (١٥٣) محمد السيد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٧٩ ؛
 Ibid, CH. 24.
- (١٥٤) للناصري، المقال السابق، مبشرات الدراسات العليا، ص ٤٥ ؛
 Pliny, Bk. XVI. 104.
- (١٥٥) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٨٢.
- (١٥٦) The Periplus, CH. 24.
- (١٥٧) فضل الجاثم، المقال السابق، ص ٤١٢ ؛
 TeixiDor. J., Loc. Cit., Semitica, p. 40 ;
- (١٥٨) The Periplus, Ch. 28-24 ; Sajyid Fayyaz, A short History of Islam,
 London, (1960), p. 5.
- (١٥٩) النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٤-٢٥٥ ؛ الشيبه، المرجع السابق، ص ١٩.
- (١٦٠) Ibid, Ch. 21-24 ; Teixi Dor, Loc. Cit., Semitica, p. 41.
- (١٦١) أنظر الخريطة رقم (٤)،
 Ibid, Ch. 25-26.
- (١٦٢) Warrington, op. cit., p. 56.
- (١٦٣) نقولا زيادة، المقال السابق، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ج ٢، ص ٣٧٤.
- (١٦٤) محمد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص ١١٦ ؛ صلاح البكري، تاريخ حضرموت، ص ٤٢.
- (١٦٥) عبدالفتاح إسماعيل، المرجع السابق، ص ٢٤٨ ؛
 Teixi Dor. J., Loc. Cit., Semitica, p. 38.
- (١٦٦) نوره النعيم، المرجع السابق، ص ٢٦٢ ؛ أنظر الخريطة رقم (٤) ؛
- (١٦٧) Warrington, op. cit., p. 9 ; Raoul McLaughlin: Rome and the Distant East,
 Continuum UK The Tower Building 11 York Road, London, (2010), p. 43.
- (١٦٨) The Periplus, Ch. 21.
- (١٦٩) أنظر الخريطة رقم (٤)،
 Ibid, Ch. 54 and Cf: 60.
- (١٧٠) Ibid, Ch. 36 ; Teixi Dor, Loc. cit., Semitica, p. 38.
- (١٧١) فضل الجاثم، المرجع السابق، ص ٤١٢ ؛
 Ibid, Ch. 27.
- (١٧٢) Warrington, op. cit., p. 10.
- (١٧٣) Pliny, NH, BK, VI. 104.
- (١٧٤) حورثي، المرجع السابق، ص ٨٣ ؛
 The Periplus, Ch. 14.
- (١٧٥) Pliny, BK, VI. 104-105.
- (١٧٦) فليب حتى، خمسة آلاف سنة، ص ١٦٤ ؛ وللمزيد من المعلومات عن أثر الثروة الزراعية في ارتفاع المستوى الاقتصادي اليمني آنذاك انظر بالتفصيل؛ عداش الشيبه، المرجع السابق، ص ٣٩.
- (١٧٧) سفر أشعيا الإصحاح ٤٥ آية ١٤.
- (١٧٨) الأفغاني، المرجع السابق، ص ١٩ ؛ حسين شهاب، المرجع السابق، ص ١١ وللمزيد من أهم الميناء المنقولة من وإلى اليمن والتي كانت اليمن تتاجر بها انظر بالتفصيل سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ و ٢٢.

- (١٧٩) لطفى عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ٣٠٧.
- (١٨٠) سركه Steraca (عملة رومانية) Pliny, NH. BK. XIII. 84. وللمزيد من المعلومات عن ازدهار التجارة الهندية اليمنية وطعم الرومان بها انظر بالتفصيل: الحداد، المرجع السابق، ص ٢٧ + Teixidor, Loc. cit., *Semitica*, p. 20.
- (١٨١) توفيق برو، المرجع السابق، ص ٢٢٨ + محمد عبدالعني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٧٠.
- (١٨٢) The Periplus, Ch. 27 + باقيه، مختارات من النقوش اليمنية، ص ٣٢.
- (١٨٣) عبدالحليم نورالدين، مصرية، ص ٥٩٩.
- (١٨٤) محمد باقيه، مختارات من النقوش اليمنية، ص ٢٠.
- (١٨٥) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٩٥ + مهون، الحضارة العربية، ص ٢٨٥.
- (١٨٦) الحوفي، الحياة، ص ٩٢ + التنبه، المرجع السابق، ص ٥١.
- (١٨٧) محمد عبدالعني، العلاقات بين العرب والرومان، ص ٤٧ + Pliny, NH. BK. XIII. 84.
- (١٨٨) الزيت موزو، المقابل السابق، التاريخ، ص ٣٨-٣٩.
- (١٨٩) نفسه، المقال السابق، التاريخ، ص ٣٨-٣٩.
- (١٩٠) البكري، تاريخ حضرموت، ص ١٤-١٥ + وجندرويا هي مدينة واقعة بين كريليا ومصب نهر السند: للمزيد انظر: المرجع نفسه، ص ٤٤.
- (١٩١) الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ص ٢٥ + عبدالحليم نورالدين، مقدمه في الآثار، ص ٧٥.
- (١٩٢) فتحي أبو عيانة، دراسات جغرافية، ص ٦٦ + Ahmad Anani, and other, *The Early History of the Gulf*, p. 39.
- (١٩٣) كدرى قلنجي، الخليج العربي، دار الكتاب العربي، ١٩٦٥م، ص ٧٨.
- (١٩٤) الحداد، المرجع السابق، ص ١٦٤ + فتحي أبو عيانة، المرجع السابق، ص ٦٦ + J. Wellhausen, *The Arab Kingdom, and its fall*, Translated By, Margaret Graham Weir, Beirut, (1963), 54.
- (١٩٥) نوره النعيم، المرجع السابق، ص ٢٠٧ + مهيب كليب، المقال السابق، مجلة دمشق، ص ٣٣١.
- (١٩٦) Procopius of Caesarea, *History of the Wars*, Trans. By. H.B. Dewing William Heman Ltd, London, 1970, Vol. 7, p. 183.
- (١٩٧) أحمد سوسه، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، المكتبة الوطنية، بغداد، (١٩٧٩)، ص ١٠١.
- (١٩٨) إسماعيل عبدالفتاح، تاريخ الجزيرة، ص ١٥٠.
- (١٩٩) باقيه، مختارات من النقوش، ص ٣٢٩-٣٣٠.
- (٢٠٠) كليب، المقال السابق، مجلة دمشق، ص ٣٥٨ + عبدالحليم نور الدين، المرجع السابق، ص ٩٢.
- (٢٠١) جورج حوراني، المرجع السابق، ص ٧ +

Bury J., and other, *Cambridge Ancient History*, Cambridge, (1924), Vol. 1, pp. 188-203.

- (٢٠٢) قنري قلجی، المرجع السابق، ص ٧٨.
(٢٠٣) ماہلز، المرجع السابق، ص ٣٠ ١ می السیری، الحضارات، ص ١٤٧.
(٢٠٤) عبدالحمید نورالدین، المرجع السابق، ص ١٦٤.



أمرء البحر في عصر الدولة العربية الإسلامية ودورهم في النشاط البحري في البحر المتوسط

(١٤-١٣٢٢هـ/٦٣٥-٧٤٩م)

د. مديحة محمد الشرقاوي (*)

مقدمة

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على أمرء البحر في عصر الدولة العربية الإسلامية، ودورهم في النشاط البحري في البحر المتوسط (١٤-١٣٢٢هـ/٦٣٥-٧٤٩م) وهو موضوع على جانب كبير من الأهمية، سواء بالنسبة للجانب الإداري والعسكري من جهة، وتطور النشاط البحري الإسلامي خلال تلك الفترة من جهة أخرى، حيث لم يحظ هذا الموضوع بشقيه بدراسة متخصصة ومستفيضه من قبل، فقد كان بناء السفن الحربية وارتداد البحر من أبرز التحديات التي واجهت العرب المسلمين، في أثناء فتوحاتهم للعراق وبلاد فارس من جهة، وبلاد الشام ومصر وإفريقية من جهة أخرى، وذلك لوقف الإمدادات العسكرية والغذائية التي كانت تصل للفارس والروم عن طريق البحر المتوسط وقطع الطريق عليهم، حيث سيطر الفرس على موانئ وقواعد بحرية، امتدت من ميناء الألبنة الذي يقع شمال الخليج العربي، حتى ميناء عدن، الذي يقع على مدخل البحر الأحمر، كما سيطر الروم على جزر هامة كانت تمدهم بالإمدادات العسكرية والغذائية، مثل قبرص وروندس وأزود، تلك الجزر التي كانت شرقي حوض البحر المتوسط، وفي هذا الإطار فإن تاريخ السفن وارتداد البحر من قبل العرب المسلمين يرجع إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) وبالتحديد منذ سنة ٦٣٥هـ/١٤م، عندما أشارت المصادر التاريخية إلى أن المسلمين نجحوا في هذه السنة في فتح ميناء الألبنة.

وقد قسمت هذا البحث إلى محورين يمكن عرضهما على النحو التالي:

المحور الأول:

يتناول إمارة البحر لغة واصطلاحاً، ثم مراحل تطور البحرية الإسلامية وأسباب استحداث وظيفة أمير البحر، كما يتناول اختصاصات ومهام أمير البحر.

المحور الثاني:

يتناول نشاط أمرء البحر في شرق وغرب البحر المتوسط، سواء في العصر الراشدي أو الدولة الأموية. هذا وقد أنهت البحث بخاتمة تضمنتها أهم النتائج، ثم قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية.

(*) باحثة حاصلة على درجة الدكتوراة.

المحور الأول :

أولاً: مفهوم الإمارة في اللغة والاصطلاح:

الإمارة من (أمر عليهم - أمرا، وإمارة - وإمرة صار أميرا عليهم - وأمر فلانا أمرا - وإمارة وإمرة : كلفه شيئا، ويقال أمره به، وأمره إياه وأمر فلانا : أشار عليه بأمر، وأمر عليهم - أمرا وإمارة صار أميرا، وأمر عليهم - إمارة : صار أميرا وتأمّر عليهم : صار أميرا (والإمارة) منصب الأمير، والإمارة جزء من الأرض يحكمه أمير، والأمر : الحال والشأن، و(الإمارة) الإمارة، يقال : تأمر فلان علينا، فحسنت أمرته والأمير : من يتولى الإمارة، والجمع أمراء (١).
أما البحر لغة فمن أبحر، وأبحر فلان : ركب البحر، والبحارة : مؤنث البحار، والبحار : الملاح ويقال للجماعة بحارة، والبحر : الماء الواسع الكثير، والجمع أبحر يبحور، ويحار، والبحري : الملاح، والبحري كل منسوب إلى البحر، والبحرية عدة تدول في البحر، من سفن وغواصات وطائرات وجنود، ونحو ذلك (٢).

أما في الاصطلاح، فإن وظيفة أمير البحر تعنى القائد العسكري الذي يتولى شئون البحر، ويكون مسئولا عن قيادة الغزوات والحملات البحرية، وقد نقلها الأوروبيون منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وصارت تنطق بالإنجليزية Admiral والفرنسية Amiral وهو ما يعرف في الوقت الحاضر باسم قائد الأسطول البحري Commander of the sea (٣).

ثانياً: مراحل تطور البحرية الإسلامية وأسباب استحداث وظيفة أمير البحر:

حدث الإسلام على ركوب البحر والجهاد في سبيل الله، وتحفل كتب السنة بالكثير من الأحاديث النبوية التي وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، تبين فضل الغزو في البحر وتدعو إليه، حيث يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من غزا في البحر غزوة في سبيل الله فقد أدى إلى طاعته كلها، وطلب الجنة كل مطلب، وهرب من النار كل مهروب" (٤).
وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تركب البحر إلا حاجباً، أو معضراً، أو غزياً في سبيل الله، فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً (٥)، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " المائد في البحر يصيبه القى له أجر شهيد والغرق له أجر شهيد" (٦)، وعن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر، والذي يسر في البحر، كالمتمشط (٧) في دمه في سبيل الله سبحانه (٨).

بدأ العرب المسلمون حملاتهم وغزواتهم البحرية، في منطقة الخليج العربي، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت موجهة ضد الفرس، وكانت أول حملة بحرية بقيادة هرثمة بن عرقجة البارقى الأزدي (٩) وهو من سادة قبيلة بجينة، وخرجت تلك الحملة من إقليم البحرين باتجاه إحدى الجزر الغربية من البحرين، وذلك لتأمين الفتح الإسلامي في العراق وفارس، والسعي لقطع الإمدادات العسكرية عن الفرس، والعمل على نشر نفوذ المسلمين في الخليج، وفي ذلك أورد البلاذري : كان العلاء بن الحضرمي (١٠)، وهو عامل عمر بن الخطاب

على البحرين وجه هرمثة بن عرفة البارقي (١١) من الأزدي، ففتح جزيرة في البحر مما يلي فارس ... وفي ذلك أورد بن خلدون " إن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه غزو عرفة بن هرمثة الأزدي في البحر أنكر عليه ذلك وعنفه لركوبه البحر " (١٢).

وبينما كان العرب المسلمون يتقدمون براً نحو العراق وفارس؛ أعد العلاء بن الحضرمي والي البحرين، ومعه زعماء عبد القيس، حملة بحرية من البحرين وعبروا الخليج إلى فارس، وتقد عم الفرس بهذه الحملة فنصبوا للمسلمين كميناً، وتجهوا في قطع الطريق بين المسلمين وسفنهم، وقد انفرد الطبري برواية، في أحداث سنة ١٧هـ/٦٣٨م، نقلها عن سيف بن عمر، تقول: إن السبب الذي دفع العلاء ومن معه إلى ركوب البحر هو الوصول إلى فارس، والقوز بفضل المسبق في فتحها عن طريق البحر إضافة إلى ذلك فقد كان العلاء ينافس سعد بن أبي وقاص الذي هزم الفرس في القادسية، وكان يحاول الإتيان بما هو أعظم وأفضل، في سبيل نشر الدعوة الإسلامية وتثبيتها والتصدي لأعدائها من الفرس (١٣).

علي أن فشل الحملة أدى إلى عزل العلاء بن الحضرمي من منصبه، ومنع عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، المسلمين من ركوب البحر خوفاً على حياتهم، لذلك توقف النشاط البحري للمسلمين فترة، ولو إلى حين ثم ما لبث أن عاد مرة أخرى عندما وثى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عثمان بن أبي العاص الثقفي (١٤) البحرين وعسان فقد أورد البلاذري: " لما ولي عمر عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعسان فدوخها واتسقت له طاعة أهلها، ووجه أخاه الحكم بن أبي العاص في البحر إلى فارس في جيش عظيم من عبد القيس والأزد وتميم وبني ناجبة وغيرهم ففتح جزيرة أبركاوان (١٥) ثم صار إلى نوح (١٦)، وهي من أرض أرضشير حرّة ومضي أرضشير حرّة بهاء أرضشير ... (١٧).

كذلك أرسل عثمان بن أبي العاص حملات بحرية من عمان إلى المحيط الهندي لمحاربة الغراصنة الهنود الذين كانوا يقطعون الطريق على السفن الإسلامية ويهاجمون السواحل وقد أشار البلاذري إلى نجاح هذه الحملات البحرية في المهام التي تبطلت بها ورجوعها غاتمة سالمة (١٨).

أما في البحر المتوسط: فكانت أول الحملات البحرية الإسلامية عام ٢٨هـ/٦٤٨م، عندما غزا معاوية بن أبي سفيان، والي الشام في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣) ٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م)، رضي الله عنه جزيرة قبرص من عمان في حوالي ٢٢٠ مراكبا أعدت خصيصاً لهذا الغرض، وكانت تساعده من مصر حملة بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وتكللت جهود المسلمين بالنجاح، حيث غنموا الكثير من الخيرات، وصالحوا أهل الجزيرة على ٧٢٠٠ دينار كل عام (١٩).

يتضح مما سبق: إن الحملات والغزوات البحرية الإسلامية بدأت نشاطها في منطقة الخليج، حيث كان أول الفتح، وأن العرب المسلمين فتحوا العديد من الجزر المنتشرة في الخليج، منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفي عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه نقل العرب المسلمون نشاطهم العسكري الملاحي إلى البحر المتوسط وفتحوا جزيرة

قبرص، ومن الواضح أنه كان يقود هذه الحملات البحرية المبكرة، في منطقة الخليج قادة عسكريون ممن كانت تعززهم الخيرات الملاحية، نذك أن معظمهم كانوا من قادة الجيوش البرية الذين ترمسوا على خوض المعارك البرية، كما أن غالبية الجنود المشاركين في هذه الحملات من سكان البادية، الذين لم يعتادوا على ركوب البحر، ولم يكتفروا أهواله، كما أنهم لم يتقنوا بعض فنون الحروب البحرية وأساليبها. ويبدو أن العرب المسلمين استفادوا من هذه الغزوات والحملات الأولى، والتي كانت حافزا ودافعا لهم للمزيد من معرفة البحر والغوص في أساقفه، فتعلموا تدريجيا شئون القتال في البحر، وبرعوا في مجال الملاحة العسكرية، وأوصلوها إلى مستوى عال من التطور، واتقنوا صناعة السفن الحربية، بعد أن استعملوا في بنائها، أهل البحرين وقراس والشام ومصر، واستخدموا في بنائها أنواعا من الأخشاب، كانت: الخشب من غابات السواحل الإفريقية والهند وبنان وسورية وتتميز بجودة عالية، تستطيع منها مقاومة أمياه المالحة لفترة طويلة، كما أنهم عرفوا الطرق البحرية، واستخدموا في حملاتهم العديد من الأسلحة المستخدمة في الحروب البرية، ولقد أشار ابن خلدون إلى هذا في مقدمته وقال: فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت أمم العجم حولاً لهم وتحت أيديهم وتقرّب كل ذي صنعة عليهم ببيع صناعته واستخدموا من التواني (٢٠) في حاجاتهم البحرية أما وتكررت ممارستهم للبحر وتلقفته، استحدثوا بصراء بها فشرهوا إلى الجهاد فيه، وآتسأوا السفن فيه والشواني (٢١)، وشحنوا الأساطيل بالرجال والأسلح وأنظموها لخصائر وحقائقه لمن وراء البحر من أمم الكفر، واختصوا بذلك من ممالكهم وبلدورهم ما كان أقرب لهذا البحر، وعلى حافظه مثل الشام وإفريقية والمغرب والأندلس (٢٢).

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ولعل هذا يفسر لنا الأسباب التي دفعت المسلمين إلى توسيع الغزوات والحملات البحرية في حوض البحر المتوسط، ومجارة الروم البيزنطيين والفرنجة والقوط، والاشتيك معهم في العديد من المعارك البحرية، التي ستعرض لها فيما يسي: ولقد كان لطبيعة هذه المعارك من حيث أهميتها في الدفاع عن الحدود الإسلامية، وكذلك نشر الإسلام في جزر البحر المتوسط القريبة والمجاورة للمسلمين - أثر كبير في استحداث العرب المسلمين لوظيفة أمير البحر، والتي كانت مهامها في بداية الأمر: استطلاع تقدم البيزنطيين، والرّد عليهم بقارات مفاجئة، ثم تطورت هذه المهام تدريجيا، لتصبح هذه الوظيفة في العصر العباسي وظيفة مستقلة، يتولى صاحبها قيادة الأساطيل الإسلامية، وإشراف على الجهاز البحري كله، ويطلق عليه اسم "والي البحر" ويعود تاريخ ظهور وظيفة أمير البحر، عند العرب المسلمين، إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأول من تولى هذه الوظيفة من العرب المسلمين هو: عبد الله بن قيس الجاسي (٢٣)، ويؤكد الطبري هذه المعومات بقوله "أول من عُزّي في (البحر المتوسط) معاوية بن أبي سفيان، زمان عثمان بن عفان، وقد كان استأذن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه فيه فلم يأذن له، فلما ولي عثمان رضي الله عنه لم يرز به معاوية، حتى عزم عثمان رضي الله عنه على ذلك بأخرة وقال: لا تنتخب الناس، ولا تفرع بينهم خيبرهم، فمن اختار الغزو طانعا فاحمله وأعنه

لفعل، واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاسم حليف بني قزارة قفزا خمسين غزاة من بين شاتية وصانفة في البحر، ولم يفرق فيه أحد ولم ينكب... (٢٤).

ولقد ضمت حملات عبد الله الجاسم، وغزواته البحرية ضد الروم، عددا من صحابة رسول، صلى الله عليه وسلم منهم أبو أيوب الأنصاري، رضي الله عنه، فقد جاء في رواية في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن حبي بن عبد الله المعافري بن أبي عبد الرحمن الحيلي قال: كنا في البحر وعيننا عبد الله بن قيس الغزاري ومعنا أبو أيوب الأنصاري... (٢٥)، ومن المفيد أن نشير هنا إلى: أنه نظرا لأهمية وظيفة أمير البحر عند العرب المسلمين، فقد كانت في ذلك الحين مرتبطة ارتباطا مباشرا بالخليفة والوالي. وكان تعيين صاحبها يصدر عن الخليفة وأحياناً عن الوالي، بعد أن يأتى الخليفة، ويمتد أمير البحر منهما المنطقة اللازمة للقيام بمهامه وواجباته، هذا وقد استمرت قيادة عبد الله بن قيس لأسطول بلاد الشام البحري، حوالي ٢٨ سنة، إذ تم تكليفه بهذه المهمة سنة ٦٤٨/هـ وظل ينهض بها حتى وفاته في بلاد الروم، سنة ٦٧٦/هـ (٢٦).

وقد حفظت لنا المصادر الإسلامية حادثة استشهاد عبد الله بن قيس في بلاد الروم، وتحدث عنها الطبري في تاريخه وقال: **خرج عبد الله في قارب ظليعة، فالتقى إلى المرقى (٢٧) من أرض الروم؛ وجاء إليه ناس من هذا المكان يسمون فتصنق عليهم فرجعت امرأة منهم إلى قريتها، فقالت للرجال: هل أنتم على مكان عبد الله بن قيس، فثاروا إليه فهجموا عليه فقاتلوه وقتلهم فاصيب وحده، وأقلت الملاح حتى أتى أصحابه فجاءوا حتى أرقوا، والخليفة منهم سليمان بن عوف الأزدي فخرج فقاتلهم فبُحِر وجعل يعيث بأصحابه وأصيب من المسلمين عدد كبير وذلك آخر زمان عبد الله بن قيس الجاسم (٢٨)، وقيل لتلك المرأة بعد: بأي شيء عرقته؟ قالت: بصنفته؛ أعطي كما يعطي الملوك؛ ولم يقبض قبض التجار (٢٩).**

وخلال هذه الفترة التي تولى فيها عبد الله بن قيس إمارة البحر: شن العرب المسلمون من بلاد الشام ما يقرب من حوالي خمسين حملة بحرية ضد الروم البيزنطيين، ثم تتعرض فيها سفنهم إلى خسائر أو نكبات، وعادت الحملات البحرية الإسلامية سالمة ظفارة منتصرة. ونمتلنج من النصوص السابقة التي أوردها الطبري، أن العرب المسلمين كانوا يعتمدون في حروبهم البحرية على سياسة الهجوم المباغت في الإغارة، واعتماد طريقة الكر والفر المعروفة عندهم، والتي استخدموها في معاركهم البرية ضد الفرس والروم في فارس وبلاد الشام، كما أنهم رتبوا الجهاد البحري، ونظموا الحملات البحرية بحيث جعلوها واحدة في الشتاء وواحدة في الصيف، وجعلوا الاشتراك فيها مقصورا على المتطوعة (٣٠).

اختصاصات ومهام أمير البحر:-

على الرغم من ندرة المعلومات الواردة بالمصادر التاريخية، التي بين أيدينا، فيما يتعلق باختصاصات ومهام أمير البحر، ربما مرده إلى أسباب عديدة منها: أن الوظيفة عسكرية ظهرت في بداية تأسيس الدولة العربية الإسلامية، وقبل تدوين المعلمين لتاريخهم، وكان استحداثها

من قبل العرب المسلمين في بداية الأمر لشحذ الهمم، حتى لا تخور في الدفاع عن البر عن طريق غزو البحر، وفتح الجزر القريبة من سواحل بلاد الشام ونشر الإسلام فيها، ثم تحوت هذه الوظيفة، في بداية العصر العباسي، لا سيما بعد فتح العديد من الجزر وتأمين العرب المسلمين سيانتهم على البحر الأبيض المتوسط إلى وظيفة إدارية، وأصبح يتولاها وإل يسمى 'والي البحر' ويديرها من مكان إقامته في العاصمة، إلى والي البحر والذي أوردته قدامة بن جعفر (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩ م) وفي كتابه الخراج وصناعة الكتابة 'للحسن بن عبد الله العباسي (ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠ م) والمتحقق بحروب البحر، والمتضمن واجبات والي البحر عند العرب المسلمين (٣١).

وإذا تحدث الماوردي عن الإمارة على الجهاد وقال : وهي ٣٠ من ضربين : أحدهما أن تكون مقصورة على سياسة الجيش وتبدير الحرب، فيعتبر فيها من رتب الإمارة الخاصة، والضرب الثاني أن يلمح إلى الأمير فيها جميع أحكامها من قسم الخاتم وعقد الصلح، فيعتبر فيها شروط الإمارة العامة (٣٢). وعليه فإلتنا نميل إلى الظن بأن إمارة البحر كانت إمارة خاصة، ومقصورة على قيادة الحملات البحرية ورسم الخلفاء القتالية (٣٣).

وتتخلص أهم الاختصاصات (٣٤) المناطة بأمر البحر في عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية في الأمور التالية:

- ١- النظر في تبدير الجيوش وترتيبهم في التواحي وتقدير أركانهم إلا أن يكون الخليفة قدراها فيذرها عليهم (٣٥).
- ٢- تجهيز الغزاة في سبيل الله والعبادة بهم وتسهيل خروجهم إلى الجهاد (٣٦).
- ٣- حماية الدين والذب عن الحريم ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل (٣٧).
- ٤- الإمامة في الجمع والجماعات حتى يؤم بها أو يستخلف عليها (٣٨).
- ٥- جهاد من رايه من الأعداء وقسم غنائمهم في المقاتلة (٣٩).
- ٦- منع أصحابه من التعرض للأطفال والنساء والشيوخ وكذلك عدم التعرض للكفاس والصوامع ومن غيرها (٤٠).
- ٧- أن يكون الإذن عليه لمن معه من الجنود ميذولاً والوصول إليه من ذوي الحاجات والذلمات سهلاً يسيراً (٤١).
- ٨- تغذد أمر المراكب المنشأة حتى يحكمها بوجود آلاتها، ويتخير الصنائع لها، ويشرف على ما كان منها في الموانئ، ويرفعها من البحر إلى الشاطئ في الممتماني، ويهيج الرياح المتاعة من الركوب فيها (٤٢).
- ٩- قيادة الطلائع للتحسس على أخبار الأعداء (٤٣).
- ١٠- الإشراف على الأسلحة والعبادة بها حتى تكون جاهزة وقت الحاجة إليها (٤٤).
- ١١- تجديد المراكب وإكثارها وتقويتها حتى إذا تلف شيء منها وجد ما يخلقه (٤٥).

نشاط أمراء البحر في شرق وغرب البحر المتوسط في عصر الخلفاء الراشدين وخطاه بني أمية
 بعد عبد الله بن سعد بن أبي سرح (ت ٨٣٦/٦٥٦م) من أشهر أمراء البحر العرب المسلمين المشهود لهم بالكفاءة والشجاعة وأحد الذين كان لهم الفضل في تطوير القدرات البحرية الإسلامية في البحر المتوسط، ففي سنة ٨٢٧/٦٤٧م عينه الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، والياً على مصر (٤٦)، ولقد عرف عن عبد الله حبه لغزو البحر، واهتمامه ببناء الأسطول المصري، وذلك في سنة ٨٢٨/٦٤٨م، استعمل الخليفة عثمان رضي الله عنه عبد الله بن سعد على البحر، وأسند إليه قيادة أسطول بحري يخرج من مصر لمساعدة معاوية بن أبي سفيان في فتح قبرص (٤٧). كما ينقل الحميري رواية عن عبد الله بن وهب نقول: "أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح أفتتح (غزاً) جزيرة اقريطس (كريت) وكان غزاً بإمرأته قتيلة بنت عمرو (٤٨)، وإذا صححت الرواية يكون عبد الله أول من غزاً من العرب المسلمين جزيرة كريت الواقعة في أقصى جنوبي بحر إيجه في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وعلى يدي عبد الله بن سعد تمكن العرب المسلمون في سنة ٨٣١/٦٥١م (٤٩)، من إحراق هزيمة بحرية ساحقة بالروم في معركة ذات الصواري (٥٠)، وفي ذلك يقول الطبري نقلاً عن الواقدي: "أن أهل الشام خرجوا على معاوية بن أبي سفيان وعلى أهل البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح وخرج عامله قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمين منهم بالريقية فخرجوا في خمسمائة مركب، فالتقوا هم وعبد الله بن سعد فأمن بعضهم بعضاً حتى قتلوا بين سفن المسلمين وأهل الشرك من صواريخها (٥١)".

وينقل لنا ابن الأثير وصفاً دقيقاً للمعركة ويقول: "كانت الرياح على المسلمين لما شاهدوا الروم، فأرسي المسلمون والروم وسكنت الرياح، فقال المسلمون: الأمان بيننا وبينكم، فباتوا ليقتلهم والمسلمون يقرؤون القرآن ويدعون، والروم يضربون بالنواقيس، وقرعوا من الغد سفنهم وقرب المسلمون سفنهم وربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا بالسيوف والخناجر وقتل من المسلمين بشر كثير، وقتل من الروم ما لا يحصى، وصبروا يوماً صبراً لم يصبروا في موطن قط مثله، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فهزم قسطنطين جريحاً ولم ينج من الروم إلا الشريد، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري ليأما ورجع (٥٢)، ولقد أظهر المسلمون في هذه المعركة بسالة وشجاعة فالتقتين وكان عبد الله بن سعد يتقدم المسلمين في مجاهدة البيزنطيين، ومن ذلك ما أشار إليه بن عبد الحكم من أن: "السنن كانت إذ ذاك تقترن بالسلاسل عند القتال، فقرن مركب عبد الله يومئذ وهو الأمير من مركب العدو فقاد مركب العدو يجتر مركب عبد الله إليهم فقام علقمة بن يزيد الطليفي وكان عبد الله بن سعد في المركب فحضر السلسلة بسيفه فقطعها، فسال عبد الله أمراًته بعد ذلك بسيسة بنت حمزة وكانت مع عبد الله يومئذ وكان الناس يقرن بلسانهم في المراكب من رأيت أشد قتالاً قالت علقمة صاحب السلسلة... (٥٣)".

كانت لهذه المعركة نتائج إيجابية على البحرية الإسلامية منها: كسب العرب المسلمين للمزيد من الخبرات العسكرية والمهارات القتالية، وخاصة فيما يتعلق ببناء السفن وصناعة الأسلحة البحرية الأمر الذي دفعهم أكثر من قبل إلى ركوب البحر المتوسط، والتطلع إلى ما

وراءه، ومنها أيضاً أنهم حطموا الأسطول البيزنطي وسيطروا بعد انتصارهم على الروم في هذا المعركة على البحر المتوسط وأصبحوا قوة بحرية عظيمة لا تقهر، وكان ذلك في غضون سنوات قليلة من إرتداد العرب المسلمين للبحر، ومنها كذلك توسيع دائرة الغزو البحري الإسلامي ليضم نغز العرب المسلمين الجزر البعيدة والسواحل البيزنطية المتلاحمة لبلاد الشام، ثم جراتهم فيما بعد وقبحهم للأندلس عن طريق عبورهم البحر المتوسط إلى أوروبا وتأكيداً على ما سبق فإن معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩م) بعد تولية الخلافة استعمل جنادة بن أبي أمية الأزدي (٥٤)، على البحر وأرسله في سنة ٥٢هـ/٦٧١م إلى جزيرة رومس (٥٥) وفي سنة ٥٤هـ/٦٧٣م (٥٦) أرسله في حملة بحرية مكونة من ٤٠٠٠ مجاهد و ٢٠٠ مركباً لفتح جزيرة أرواد، ومن التدابير التي اتخذها العرب المسلمون لضمان وصول نجاج هذه الحملة استخدام الأتلاء يحذروهم مما يتعرضهم في البحر، فقد ضمت الحملة: «رأبنا من الروم البيزنطيين، من أهل أرواد، أسره العرب المسلمون قرب سواحل بلاد الشام واستخدموه ليدلهم ويحذروهم ممن يريد بهم شراً، ولقد نجح جنادة بن أمية ومن معه من العرب المسلمين، في فتح الجزيرة وصالحوا أهلها على دفع الجزية، ثم عدوا إلى بلاد الشام ظالمين (٥٧)». ومع أن إمارة جنادة لم تستمر لأكثر من ست سنوات (٥٨)، إلا أنه أهتم كثيراً بتكثيف البحرية الإسلامية، وأسهم في توسيع قاعدة الفتوحات الإسلامية في البحر المتوسط، ومن أهم الغزوات البحرية التي أوكل إلى أمير البحر جنادة بن أبي أمية الأزدي القيام بها غزو جزيرة إريطش (بحريرت) في سنة ٥٤هـ/٦٧٣م ثم أرسله معاوية مرة ثانية إلى جزيرة رومس، الواقعة على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى في سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، بعد أن نكث أهلها العهد الذي بينهم وبين المسلمين (٥٩).

ومن تولى إمارة البحر في خلافة معاوية بن أبي سفيان: عقبة بن عامر الجهني (٦٠)، فقد ذكر الكندي أن معاوية استعمله على البحر، سنة ٤٤هـ/٦٦٤م وأمره أن يسير من مصر إلى جزيرة رومس، وذكر الطبري أن معاوية وجه عقبة بن نافع في سنة ٤٨هـ/٦٦٨م في حملة بحرية ومعاه أهل مصر لكنه لم يحدد وجهة الحملة (٦١)، أشار المقرئ كذلك إلى حملة بحرية إلى جزيرة رومس في سنة ٥٣هـ/٦٧٢م أسند معاوية إليها التي عقبة بن عامر الجهني (٦٢).

كما أوردت المصادر أسماء عدد من الغادة العرب المشهود لهم بالكفاءة العسكرية، ممن ولاهم معاوية إمارة البحر، نذكر منهم:

- معاوية بن حديج الكندي (٦٣) أول من غزا جزيرة صقلية، في أيام معاوية بن أبي سفيان (٦٤).
- موسى بن نصير: ولاه معاوية البحر وأرسله لغزو قبرص، حيث بنى فيها حصوناً للمسلمين (٦٥).
- بسر بن أبي أرطاة (٦٦) : استعمله معاوية، في سنة ٤٤هـ/٦٦٤م، على البحر وأرسله في حملة بحرية (٦٧).
- مالك بن هبيرة المكنوني (٦٨) : غزا البحر في سنة ٤٨هـ/٦٦٨م (٦٩).

- يزيد بن شجرة الرهاوي (٧٠) تولى قيادة أهل الشام في حملة بحرية في شتاء سنة ٤٩هـ/٦٦٩م (٧١) ثم استعنه معاوية مرة أخرى في سنة ٥٦هـ/٦٧٥م (٧٢).
- عتبة بن نافع (٧٣) غزا البحر، في شتاء سنة ٤٩هـ/٦٦٩م، ومعاه أهل مصر (٧٤).
- فضالة بن عبيد الأنصاري (٧٥) تولى في سنة ٥٠هـ/٦٧٠م قيادة غزوة بحرية (٧٦).
- عمرو بن يزيد الجهني (٧٧) غزا البحر في سنة ٥٨هـ/٦٧٧م (٧٨).

تولى الخليفة معاوية بن أبي سفيان في سنة ٦٠هـ/٦٧٩م ويعد وفاته فتر النشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط وخيم الهدوء على الغزوات والحملات البحرية العربية ولا يرجع ذلك فقط إلى أن العرب المسلمين فتحوا معظم الجزر المنتشرة في شرق البحر المتوسط وهزموا ودمروا الأسطول البيزنطي وسيطروا على الملاحة البحرية في حوض البحر المتوسط ولكنه يرجع إلى الأوضاع الداخلية في الدولة الأموية والمتمثلة بوصول يزيد بن معاوية (٦٠-٦٦٩هـ/٦٧٩-٦٨٢م) إلى الخلافة وبخوله في صراع مع معارضيه ممن خرجوا عليه، وقد استمر للفترة البحرية الإسلامي في البحر المتوسط حتى خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) الذي ما أن قضى على الثورات الداخلية حتى وجه اهتمامه نحو البحر فأولى الحملات البحرية عالية اهتمام كبيرين، ولم يفتقر عن إعادة سيطرة المسلمين على البحر المتوسط وخاصة للجزر التي لم تستقر فيها بعد أقدام المسلمين والواقعة في غرب البحر المتوسط، استأنف العرب المسلمون نشاطهم البحري بإنشاء دار لصناعة السفن في تونس رغبة منهم في تقوية وتدعيم أسطولهم البحري في شرق البحر المتوسط، ويعود الفضل في قيام هذه الصناعة في المغرب العربي إلى الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أمر إخاء عبد العزيز، والي مصر، بإرسال عدد كبير من ألقاب مصر المنتمين بصناعة السفن إلى تونس، كما أمر الوالي حسان بن النعمان أن يبني دار صناعة ويصنع بها المراكب ويجاهد الروم براً وبحراً (٧٩).

وكان نتيجة ذلك مباشرة العرب المسلمين، في سنة ٧٧هـ/٦٩٧م، نشاطهم البحري وقيامهم بحملة بحرية انطلقت من تونس وكان يتولى قيادتها والي إفريقية وأمير البحر حسان بن النعمان الغساني، وقد خرجت هذه الحملة لمواجهة الأسطول البيزنطي الذي جاء لاسترداد أرطاجا بعد أن فتحها المسلمون (٨٠).

ولما تولى موسى بن نصير إفريقية، في سنة ٧٨هـ/٦٩٧م معنى لاتخاذ جملة من الإصلاحات والتنظيمات المتعلقة بتطوير القدرات البحرية الإسلامية، في بحر إفريقية، فأولى صناعة السفن اهتماماً كبيراً، وأمر بصناعة ١٠٠ مركب لتطوير الأسطول الإسلامي في تونس، وربط دار الصناعة، التي أسسها حسان بن النعمان بمرقا على البحر مستخدمة السفن وتلجأ إليه إذا اشتت الرياح، أو كلما دعتها الحاجة إلى ذلك، وقد شهدت هذه الفترة انتصارات بحرية عربية إسلامية متكررة في البحر المتوسط، لعب أسراء البحر دوراً كبيراً فيها إذ حظيت هذه الوظيفة باهتمام الوالي موسى بن نصير، فكان لا يعدها إلا للمقربين منه والمشهود لهم بالكفاءة والمقدرة (٨١).

وفي سنة ٨٣هـ/٧٠٢م، انطلقت من مصر حملة بحرية بقيادة الأمير عطاء بن أبي نافع الهنلي، ومعه مراكب أهل مصر متوجهة إلى جزيرة سردانية (٨٢) ويبدو أن هدف الحملة كان ضرب القواعد البحرية البيزنطية المتمركزة في الجزيرة، ولكن نتيجة سوء الأحوال المناخية: توقفت الحملة في سوسة في إفريقية ثم غادرتها بعد ذلك إلى جزيرة صقلية حيث نجحت الحملة في الإغارة على الجزيرة وأصاب المشاركون في الحملة غنائم كثيرة من الذهب والفضة، وفي طريق العودة أصابت الحملة رياح عاصفة أدت إلى غرق الأمير عطاء ومعه عدد كبير من أفراد الحملة (٨٣)، ويلاحظ المتتبع لنشاط المسلمين البحري أن هذه الكارثة كان لها أثر كبير في توقف النشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط لفترة استمرت قرابة عامين ثم ما لبث أن استأنف بعد ذلك وكان أكثر قوة مما كان عليه من قبل إذ بشير ابن قتيبة إلى حملة أخرى قامت من تونس سنة ٨٥هـ/٧٠٤م سميت "حملة الأشراف" واشترك فيها ما بين تسعمائة إلى ألف مجاهد من أهل الجند والنكابة والشرف وتولى قيادتها عبد الله بن موسى بن نصير بعد أن أسره والده موسى على البحر وسارت الحملة إلى جزيرة صقلية. ونكر ابن قتيبة أن الحملة أصابت غنائم كثيرة بلغ فيها سهم الرجل ١٠٠ دينار ذهباً (٨٤).

ولقد أولى موسى بن نصير ركوب البحر اهتماماً كبيراً، وشجع الناس وخاصة الأشراف منهم على ركوب البحر، والاشتراك في الحملات البحرية تحت إمرته وتحت إمرة ابنه، ووجد الناس بالفوز بالغنائم، وما يدل على ذلك ما أشار إليه كتاب ابن قتيبة حيث يقول "ثم لما كانت خمس وثمانين أمر (موسى) الناس بالتأهب لركوب البحر، وأعلمهم أنه ركب فيه بنفسه فرغب الناس وتمازعوا ثم سجدن فلم يبق شريف ممن كان معه إلا وقد ركب، حتى إذا ركبوا في الفلك، ولم يبق إلا أن يرفع هو، دعا يرمح فعد لعبد الله بن موسى بن نصير، وولاه عليهم وأمره ثم أمره أن يرفع من ساعته، وإنما أراد موسى بما أشار من مسيرته أن يركب أهل الجند والنكابة والشرف فسميت غزوة الأشراف" (٨٥).

وممن تولى إمارة البحر في خلافة عبد الملك بن مروان: عياض بن أخيل (٨٦) بحيث قاد في سنة ٨٦هـ/٧٠٥م أهل إفريقية في حملة إلى مدينة مرقومسة (٨٧)، أكبر مدن جزيرة صقلية، ويمجىء الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) إلى الخلافة شهد النشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط تطوراً هاماً تمثل في مساندة أسراء البحر لقادة الجيوش البرية وحماية تقدمهم والتي بفضلها تحقق النصر للعرب المسلمين في الأندلس وغيرها من المناطق، فصر الوليد يعتبر من أزهى العصور العربية الإسلامية إذ تمكن فيه العرب المسلمون من فتح الأندلس في الغرب وفتح المند وبلاد ما وراء النهر في الشرق، ووصلت الجيوش الإسلامية إلى مناطق واسعة وامتدت الحدود الإسلامية لتصل إلى إسبانيا في الغرب وإلى الهند والصين في الشرق، ويستنتج من هذا تركيز النشاط البحري الإسلامي على إفريقية وأسطولها في غرب البحر الأبيض المتوسط وبناء على ذلك، أسند موسى بن نصير وإلى إفريقية في سنة ٨٧هـ/٧٠٥م إمارة البحر إلى ابنه عبد الله وبعثه إلى سردانية حيث ولفق في غزو قوله (٨٨)، وإنما عاد ابنه ولاها موسى لعبد الله بن حذيفة الأزدي، وأرسله مرة أخرى إلى سردانية وإذ نجحت

الحملة وعادت محملة بالغانم والسيب (٨٩) وفي سنة (٨٩ هـ/٧٠٧ م عقد موسى بن نصير نواة إمارة البحر على إفريقية لعبد الله بن مرة فربح عبد الله البحر ووصل إلى سردينيا ونجح في الإغارة على العديد من منبها (٩٠). وفي هذه السنة أمر موسى ابنه عبد الله على البحر وأرسله لغزو جزيرتي ميورقة (الجزيرة الكبرى) ومينورقة (الجزيرة الصغرى) الواقعين على مقربة من الساحل الإسباني الغربي حيث تمكن من فتحهما وعاد إلى تونس غانما (٩١).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه الحملات ومعها الحملات البحرية التي سببها العرب المسلمون من إفريقية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان كانت ترمي في الأساس إلى اختبار قوة البيزنطيين في غرب البحر المتوسط وتمهد السبيل لعبور العرب المسلمين البحر المتوسط إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، ويعد خالد بن كيسان من أبرز أمراء البحر في عهد الخليفة الوليد، يبدو أن نشاطه البحري المتزايد قد أدى إلى وقوعه في الأسر، وقد ذكر الطبري في أحداث سنة ٧٠٨ هـ/٧٠٨ م أن الروم أسروا خالد بن كيسان صاحب البحر، فذهبوا به إلى منكمهم، فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك (٩٢).

وممن تولى إمارة البحر في خلافة الوليد ابنه بشر بن الوليد الذي أرسله الخليفة من بلاد الشام إلى جزيرة صقلية فغزاها ثم عاد بقواته إلى دمشق ووصلها بعد وفاة أبيه الوليد في سنة ٧١٤/٩٦ هـ (٩٣).

وفي خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ/٧١٤-٧١٧ م) شارك أمراء البحر في حصار القسطنطينية، وأسهموا بجهادهم إسهاماً كبيراً في تضيق الخناق على الروم، ومنع الإمدادات من أن تصلهم من البحر، بل تعدى ذلك إلى بث الفجوات الاستطلاعية وشنها على السواحل البيزنطية وكذلك تمويل الجيوش البرية بالمون والسلاح. ومن أشهر أمراء البحر في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك: الأمير عمر بن هبيرة الغزالي الذي استعنه الخليفة سليمان على البحر لغزو الروم، ثم أرسله إلى القسطنطينية لمساعدة الجيش البري الذي كان يقوده مسلمة بن عبد الملك (٩٤).

وفي خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥ هـ/٧١٩-٧٢٣ م) غزا بشر بن صفوان ولى إفريقية وأمير البحر في ذلك الحين، جزيرة صقلية ورجع منها بسبى كثير (٩٥) ثم استعمل به. نك يزيد بن مسروق ليحصد بي على البحر، ويعتد من بلاد المغرب في غزوة بحرية إلى سردينيا فغزاها يزيد وعاد منها ظافراً سالماً، وفي سنة ١٠٤ هـ/٧٢٢ م تولى إمارة البحر عمرو بن فلك الكندي وغزا في هذه السنة البحر ورجع من غزواته منتصراً (٩٦).

واستمر أمراء البحر العرب المسلمون في مواصلة نشاطهم وجهادهم البحري ضد الروم البيزنطيين في البحر المتوسط، كما وادسوا شن غزواتهم البحرية من بلاد الشام ومن شمال إفريقية على جزيرتي صقلية وسردينيا، فغزا أمير البحر محمد بن أبي كبر موسى بنى جمح (٩٧) في سنة ١٠٦ هـ/٧٢٤ م جزيرتي سرغوسة (٩٨) وسردينيا من سواحل إفريقية، وفي سنة ١٠٧ هـ/٧٣٥ م غزا المسلمون جزيرة صقلية، بقيادة أمير البحر معاوية بن هشام بعونه ميمون بن مهران (٩٩).

وفي ١٠٩هـ/٧٢٧ م ثولى إمارة البحر حسان بن محمد بن أبي بكر، فغزا جزيرة سردانية(١٠٠)، مرة أخرى وعاد منها سالماً ويذكر الطبري أنه غزا البحر في هذه السنة أيضاً أمير البحر عبد الله بن عتبة الفهري(١٠١) وفي سنة ١١١هـ/٧٢٩ م استعمل الخليفة هشام بن عبد الملك(١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) عبد الله بن أبي مريم علي لبحر وأرسله من بلاد الشام إلى جزيرة صقلية(١٠٢) وفي نفس السنة استعمل عبيدة بن عبد الرحمن والي إفريقية في خلافة هشام بن عبد الملك، المستنير ابن الحارث على البحر وأرسله في حملة بحرية كبيرة مكونة من ١٨٠ مركباً إلى جزيرة صقلية لمحاربه الروم البيزنطيين ولكن لسوء الحظ أصابت هذه الحملة في طريق عودتها رياح عاصفة وتعرضت سفن المسلمين لتفريق ولم ينج منهم إلا عدد قليل، ويصف خليفة بن خياط هذه الكارثة فيقول: "وهم الشتاء ففقل بريح طيبة حت لجاج فجاجت ربح عاصف ففرقت مراكبهم فلم يسم منهم إلا سبعة عشر مركباً(١٠٣)، وقد أدى فشل الحملة إلى معاقبة الوالي لأمرها المستنير بن الحارث وجلده جداً موجعاً بسبب تأخره في العودة قبل حلول الشتاء(١٠٤).

وعلى الرغم من ذلك: نشط العرب المسلمون في غزو البحر، واستمرت الغزوات والحملة البحرية، بقودها أمراء البحر في مهاجمة الروم البيزنطيين من بلاد الشام ومن مواني إفريقية، وينقل ابن خياط رواية عن **أبي خالد البصري** ضواها: أنه في سنة ١٢٢هـ/٧٣٠ م خرجت من إفريقية حملة بحرية بقيادة الأمير ثابت بن هشيم ووصلت إلى جزيرة صقلية فأصابها الحملة سيابا وغلام ثم عانت إلى إفريقية سالمة(١٠٥) ثم توجهت في العام التالي حملة بحرية أخرى ثولى قبالتها عبد الملك بن قطن وتوجهت إلى جزيرة صقلية(١٠٦).

وفي سنة ١١٤هـ/٧٣٢ م تناوب على إمارة البحر في إفريقية أميران هما: عبد الله بن قطن وعبد الله بن زياد الأنصاري، وعبد الله بن قطن خرج في حملة بحرية إلى صقلية، وعبد الله بن زياد توجه إلى جزيرة سردانية، ولقد نجحت الحملتان وعادتا إلى تونس سالمتين ومحملتين بالغالم(١٠٧).

على أنه من أبرز الأحداث التي شهدتها السنين الأخيرة، من عصر الخليفة هشام بن عبد الملك: تصدى الروم للحملات البحرية الإسلامية وخرجهم إليها في البحر المتوسط، وملاحقتهم للمسلمين الإسلامية وضربها بالتار الاغريقية كما نجح الروم كذلك في أسر عدد من المجاهدين المسلمين، ومن ذلك خروجهم، في سنة ١١٥هـ/٧٣٣ م لحملة الأمير بكر بن سويد إلى جزيرة صقلية ورميها بالتار، ولقد أبلى أمراء البحر العرب المسلمون بلاء حسناً في التصدي للروم وهزيمتهم وتكبيدهم خسائر كبيرة، ويحدثنا خليفة بن خياط عن ذلك في أحداث سنة ١١٦هـ/٧٣٤ ويقول: " وفيها أغرى ابن الحبحاب عثمان ابن أبي عبيدة فأصاب ناحية من صقلية وقل، فلقبته مراكب الروم في البحر، فهزمهم الله وأصابوا من المسلمين وأسروا ابني عثمان عمرا وسليمان أبا الربيع وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم وأخاه المغيرة بن زياد، فم يزالوا في أيدي الروم حتى ولي عبد الرحمن بن حبيب، ففدى ابني عمه وناسا من أسرى المسلمين وعبد الرحمن بن زياد، وذلك سنة إحدى وعشرين ومائة(١٠٨).

وحاول الروم توسيع نشاطهم البحري ضد المسلمين، فهاجموا مصر في سنة ١١٨هـ/٧٣٦م، فخرجت لهم، من نصر حملة بحرية بقيادة امير البحر نافع ابن ابي عبدة بن عقبة بن نافع، واصطدمت مع سفن الروم في البحر وهزمتهم وأبعدتهم عن السواحل المصرية، وكان من نتيجة هذا الهجوم أن اسرت الروم عدداً من المجاهدين المسلمين (١٠٩).

وفي سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م استعمل عبدة بن الحبحاب والي إفريقية: حبيب ابن ابي عبدة بن عقبة بن نافع على البحر، وميره غازياً إلى جزيرة صقلية، حيث وصل الجزيرة وأرسل ابنه عبد الرحمن إلى مدينة مرقوسة فهزم أهلها وصالحهم على دفع الجزية (١١٠).

وممن تولوا إمارة البحر، في مرحلة الضعف في البحرية الأموية: الأسود ابن بلال المحاربي الذي استعمله الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م) على البحر وبعثه في سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م في حملة بحرية إلى جزيرة قبرص، وأمره أن يخير أهلها بين العيش في بلاد المسلمين في بلاد الشام أو العيش في بلاد الروم فالتقسيم التام، منهم من اختار المسلمين فنقلوا إلى بلاد الشام، ومنهم من اختار بلاد الروم، فنقلهم الأسود بن بلال إلى هناك، ونالسف لم تمكن من العثور على معلومات عن الأسباب التي دفعت العرب المسلمين إلى إخلاء الجزيرة لكن يمكن الاستنتاج بأنها كانت أسباباً إقليمية، أو ربما بسبب الفتن وتردي الأوضاع السياسية والعسكرية الداخلية في الدولة الأموية، في ذلك الوقت، وعدم قدرة السلطة الأموية على تأمين الحماية اللازمة لسكان الجزيرة (١١١).

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الخاتمة:-

لقد تمخضت هذه الدراسة عن نتائج جديرة بالاهتمام لأنها تبين بشكل واضح وجلي الدور الذي أداه أمراء البحر في تقوية النفوذ البحري للدولة الأموية، وتقييم السياسة البحرية التي اتبعتها الخلفاء الأمويون في تعيين واستعمال أمراء البحر ويمكن تلخيص أبرز هذه النتائج على النحو التالي :-

١- عرت إمارة البحر عند العرب المسلمين بخص مراحل مختلفة .**المرحلة الأولى :**

هي مرحلة النشوء والتطور، وقد بدأت هذه المرحلة في عصر الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م)، رضي الله عنه، وتميزت هذه الفترة بتحفظ الخليفة وتردده في ركوب الجيوش الإسلامية البحر، خوفاً على أرواح المسلمين، ومع ذلك فقد ظهر عدد من القادة والأمراء ممن كان لهم فضل السبق في قيادة الحملات الإسلامية المبكرة ذات الإمكانيات المتواضعة، ومواجهة الأساطيل المسالطية في الخليج العربي، والأساطيل البيزنطية في شرق البحر المتوسط، ويمتد سيادة المسلمين على سواحل بلاد الشام ومصر .

المرحلة الثانية :

هي مرحلة النشاط والقوة، واستمرت من سنة ٨٢٤هـ/٦٤٤م حتى سنة ٨٣٥هـ/٦٥٥م حيث أسهم فيها أمراء البحر في توسيع نفوذ الدولة العربية الإسلامية في الحوض الشرقي من البحر المتوسط، وهزيمة الأسطول البيزنطي واضعاعه، وكان يرثي الأمراء في غزواتهم المبكرة من بلاد الشام ومصر، زوجاتهم ونكح حتى يهوتوا على جندهم الخوف من البحر ويشجعونهم على ارتياده.

المرحلة الثالثة :

وكانت مرحلة التلوق، واستمرت من سنة ٨٤١هـ/٦٦٠م وحتى سنة ٨٦٠هـ/٦٧٩م، وتمثلت أولاً: بتكليف أمراء البحر الحملات البحرية، وتوسيع قاعدة الفتوح الإسلامية لتشمل الجزر القريبة من سواحل بلاد الشام مثل: جزيرة قبرص وجزيرة أرواك وجزيرة رودس، وثانياً: بالدور الكبير الذي لعبه أمراء البحر في الحفاظ على هذه الجزر والاستماتة في سبيل الدفاع عنها.

المرحلة الرابعة :

وهي مرحلة انتقال النشاط البحري الإسلامي إلى غرب البحر المتوسط (٦٥-١١٤هـ/٦٨٤-٧٢٢م) حيث نجح أمراء البحر الأمويون في تأمين النفوذ العربي الإسلامي في شمال إفريقيا، عن طريق شن حملات بحرية متكررة، من بلاد الشام ومن إفريقيا على القواعد البحرية البيزنطية المتمركزة في جزيرتي صقلية وسرديانية، الأمر الذي مهد السبيل لاستكمال العرب المسلمين لفتح المغرب، ومن ثم فتح الأندلس.

المرحلة الخامسة

هي مرحلة الضعف والتي بدأت من سنة ٨١٥هـ/٧٣٣م، واستمرت سنة ٨٣١هـ/٧٤٨م وتميزت بالمواجهة مع الروم البيزنطيين الذين أخذوا يعرضون للمسلمين الإسلامية في البحر

المتوسط، في الوقت الذي كانت تشهد فيه الدولة الأموية حالة من التدهار والانهيار السياسي الداخلي. وبالرغم من ذلك فقد تمكن أمراء البحر العرب المسلمون من درء الخطر البيزنطي، وتجسوا في هزيمة الأسطول البيزنطي، في غرب البحر المتوسط وأوقفوا توغله.

٢- استحدثت وظيفته أمير البحر في عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأول من تولاها: عبد الله بن قيس الجاسي، وكان ظهورها مرافقاً لنشاط العرب المسلمين في البحر المتوسط واختص بها أهل الشام ومصر والمغرب العربي والأندلس. ولم تستخدم هذه التسمية عند غيرهم من العرب المسلمين.

٣- كانت وظيفة أمير البحر في بلاد الشام ومصر وظيفته عسكرية ثابتة ومحددة مثل غيرها من الوظائف الأخرى كوظيفة صاحب الشرطة، وصاحب البريد، وصاحب الخراج، أما في شمال إفريقيا والأندلس فكانت وظيفة أمير البحر وظيفته غير دائمة، حيث يتولى قيادتها الوالي أو من ينوب عنه، ويتم تعيين أمراء البحر عند الضرورة، وخاصة في أثناء تجهيز الحملات البحرية للغزو الخاطف والسريع، ضد الروم البيزنطيين في البحر المتوسط.

٤- بعد أن فتح العرب المسلمون إفريقية نقاسم أهلها من أهل الشام وأهل مصر قيادة الأساطيل الإسلامية في البحر المتوسط فكان يتولى قيادة أهل الشام أمير من الشام، ويتولى قيادة أهل مصر أمير من أهلها، ويقود أهل إفريقية (تونس) أمير للبحر من إفريقية، وبذلك كُثف العرب المسلمون من غزواتهم وحملاتهم البحرية ضد الروم البيزنطيين في الحوضين الشرقي والغربي من البحر المتوسط.

٥- كان لنشاط أمراء البحار في العصر الأموي وحملاتهم المنكزة. منذ خلافة معاوية، على جزيرتي صقلية وكريت في البحر المتوسط أبلغ الأثر في إضعاف تحصينات الروم وقواتهم الدفاعية في هذه الجزر، الأمر الذي مهد السبيل للعرب المسلمين، فيما بعد، لفتح جزيرة صقلية سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م وجزيرة كريت سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م.

الهوامش

- ١- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، مصر، مكتبة الخانجي، ج ١٥، ١٩٦٧، ٦٤، ص ٢٧٩. لمزيد من التفصيل عن الإمارة أنظر: الأزهرى، وابن منظور مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط ٣، جمهورية مصر العربية، ج ١، ص ٢٦-٢٧.
- ٢- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب المحيط (أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة، يوسف خياط، الطبعة الأولى، ٧ مجلدات، بيروت، دار الجليل ١٩٨٨، ص ٩٦-٩٩. مزيد من التفاصيل عن البحر لغة أنظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤١-٤٢.
- ٣- مونتجرمرى وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة حسين أحمد أمين، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٣م، ص ١١٦.
- ٤- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الصغير، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م، ص ١١٢. الهيدى نور الدين على بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة، مكتبة القدسي، دون تاريخ، ج ٥، ص ٢٨١، المتقى الهندي، منتخب كلز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المكتب الإسلامي بيروت، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٢٧٦.
- ٥- أبو داود، سليمان بن الأثيم السجستاني الأزدي، مطب أبو داود، تركيا، ١٩٨١م ج ٣ ص ١٣.
- ٦- أبو داود، سنن أبو داود، ج ٣، ص ١٦.
- ٧- المنشط: شحط القليل في الدم اضطرب، وشحطه في لونه وبدمه: جعله يضطرب ويتخبط فيه. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤٩٣.
- ٨- ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فواد عبدالباقى، تركيا، ١٩٨١م، ج ٢، ص ٩٨٢.
- ٩- صفح البلاذري هذا الاسم والصواب هو: عرقجة بن هرثة بن عبد العزيز بن زهير بن ثعلبة بن عمرو، للمزيد أنظر ابن حزم الأندلسي، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مصر دار المعارف، ١٩٨٢م، ص ٣٦٧، ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، ٧ أجزاء، مصر، دار الشعب، ١٩٧٠م، ج ٤، ص ٢٣.
- ١٠- العلاء بن الحضرمي: واسم الحضرمي عبدالله - بن عباد بن أكبرين ربيعة بن مالك ابن أكبرين عويق بن مالك بن أبي بن الصدف - وقيل: عبدالله بن عمار - وقيل: عبدالله بن ضمار - وقيل: عبدالله بن عبيدة بن ضمار بن مالك. ويقال: إن العلاء كان مجاب الدعوة وأنه خاض البحر بكلمات قالتها ودعا بها... ابن الأثير، أسد الغابة تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبدالوهاب فايد، دار الشعب، ج ٤، ص ٧٤.

١١. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تحقيق، عبدالله وعمر أنيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٩٨٧م، ص ٥٤٤.
١٢. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، مج ١، ص ٢٦٦.
١٣. الطبرى، محمد بن جرير، تاريخ الطبرى المسمى تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ١٩٨٧م، مج ٤، ص ٧٩.
١٤. عثمان بن أبان بن سيار بن مالك بن حطيظ بن جشم بن لقيظ الثقفى، يكنى أبا عبدالله. ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٥٧٩.
١٥. أيركوان: جزيرة فى البحر بينها وبين سيراى مائة وخمسون فرسخاً وفيها قلاع شتى وفيها أجوان كثيرة ومستقى ومحتطب كثير، وفيها معادن الحديد، وطولها اثنا عشر فرسخاً، وبنها وبين ساحل بحر فارس فرسخان. الحميرى، الروض المعطار، ص ٩.
١٦. ياقوت لا يوافق ما جاء فى رواية البلاذري ويقول: "الفتحها عثمان بن أبى العاصى الثقفى أيام عمر بن الخطاب لما أراد غزو فارس فى البحرين مر بها فى طريقه"، للمزيد انظر ياقوت الحموى، شهاب الدين أبو عبدالله، معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث، ١٩٧٩م، ج ٢، ص ١٣٩.
١٧. توج: توج يفتح أوله وتتعدد لثبته مدينة بقرس شديدة الحر لأنها غور من الأرض ذات نخل ويأواها بالثمن ويعمل أهلها بصناعة النسيج المطرز بالذهب، وهى مدينة صغيرة واسمها كبير وقد فتحها أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه. ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٦.
١٨. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٦٠٧.
١٩. البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٠٨، الطبرى، تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٢٥٨-٢٦٢؛ الكوفى، أبو محمد بن أعثم، الفتوح، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م، مج ١، ص ٣٤٧-٣٥١.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن أبو الكرم محمد بن محمد عبدالكريم، الكامل فى التاريخ، تحقيق: كارلوس نوربير ليند ١٨٧١م، مج ٣، ص ٩٥-٩٧. Robert Browning.
- The Byzantine Empire, (Weidenfels and Nicolson, London) 1980, p.47
ostrogorsky, History of the Byzantine state, trans: Joan. Hussey,
(Basil Blackwell, oxford) 1968, P. 116
٢٠. النواتية: هم الملاحون الذين يقودون السفن فى البحر، أنظر ابن منظور، لسان العرب، مج ٦، ص ٧٢٨.
٢١. الشواتى: السفن الحربية الكبيرة للمزيد أنظر: درويش النخلى، السفن الإسلامية على حروف المعجم، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٤م، ص ٨٣.

٢٢. ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر مج ١ ، ص ٢٦٦ .
٢٣. يعرف أيضاً بعدد الله بن قيس القرظي والأنصاري للمزيد: أنظر ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق ، مكتبة الشهابي ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٦ م ، مج ٣٨ ، ص ١٦ ، ١٨ .
٢٤. تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢٦٠ ؛ وانظر أيضاً ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٩٧ .
٢٥. أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، بيروت ، المكتبة الإسلامي ، ١٩٨٣ م ج ٥ ص ٤١٣ ، ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، مج ٣٨ ، ص ١٦ .
٢٦. ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، مج ٣٨ ، ص ١٨ .
٢٧. عند ابن الأثير في الكامل (المرفق)
٢٨. القميرات ، هي الشدائد وهو مثل للأغضب العجلى يضرب في الأمان الأمور العظام والصبور عليها . أنظر الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم ، مجمع الأمثال ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ج ٢ ص ٤١٥ .
٢٩. الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢٦١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٩٧ .
٣٠. أغضب الظن ان ذلك الخليفة كان هو الخليفة العباسي .
٣١. والغالب أنه المقنن بالله (٢٩٥ ، ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ ، ٩٢٢ م) .
٣٢. الماوردي ، الحسن علي بن محمد بن حبيب ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥ م ، ص ٤٣ .
٣٣. للمزيد أنظر ، أبو يعنى محمد بن الحسين القراء ، الأحكام السلطانية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣ م ، ص ٢٨ ، ٥١ .
٣٤. للمزيد أنظر الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٣٧ - ٣٩ ، أبو يعنى محمد بن الحسين القراء ، الأحكام السلطانية ، ص ٣٩ ، ١٥١ ؛ ابن أعثم الكوفي ، مج ١ ، ص ١٣٥٠ ، قدامة بن جعفر ، الفرج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق : محمد حسين الزبيدي ، بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٨١ م ، ص ٤٧ ، ١٥٠ ؛ ابن جماعة الحموي ، بذر الدين بن أبي إسحاق إبراهيم بن سعد الله ، مستند الأجداد في آلات الجهاد ومختصر فضل الجهاد ، بغداد ، دار الوثائقية للتوزيع والإعلان ، ١٩٨٣ م ، ص ٣٥ ، ٥٢ .
٣٥. الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٣٧ ، أبو يعنى محمد بن الحسين القراء ، الأحكام السلطانية ، ص ٣٩ .
٣٦. ابن جماعة ، مستند الأجداد ، ص ١٥٠ .
٣٧. الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ٣٧ .
٣٨. الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ٣٨ .
٣٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٥ ، ص ٤١٣ .
٤٠. ابن أعثم الكوفي ، الفتح ، مج ١ ص ٣٥٠ .
٤١. قدامة بن جعفر ، الفرج وصناعة الكتابة ، ص ٤٧ .

٤٢. قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٨ .
٤٣. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٤ ، ص ٢٦١ .
٤٤. قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٩ .
٤٥. العباسى: الحسن بن عبدالله ، آثار الأول فى ترتيب الدول ، تحقيق، عبدالرحمن عميرة، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٧٠ ، ٢٧٣ .
٤٦. خليفة بن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط العصفورى ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق، أنكرم ضياء العصرى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٧٧ ، ص ١٥٩ .
٤٧. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٤ ، ص ٢٦٢ .
٤٨. الحميرى، محمد بن عبدالمنعم ، الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إسمان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٤ م ، ص ١٥ .
٤٩. يختلف المؤرخون فى تاريخ هذه الواقعة فالبعض منهم يرى أنها وقعت فى سنة ٥٣١ هـ / ٦٥١ م بينما يعتقد البعض الآخر أنها كانت فى سنة ٥٣١ هـ / ٦٥٤ م . أنظر خليفة بن خياط ، تاريخ بن خياط ، ١٦٨ : المنبجى، أغابوس قسطنطين (من القرن ١٠ هـ / ١٠ م) ، المنتخب من تاريخ المنبجى ، تحقيق : عبدالسلام ندمرى ، لبنان ، دار المنصور ، ١٩٨٦ م ، ص ٥٩ ، ٦١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ١٧١ .
٥٠. يختلف المؤرخون فى سبب تسميتها بأذن الصوارى فربعض البعض سبب التسمية إلى كثرة صوارى السفن فى هذه المعركة، بينما يرى البعض الآخر ذات الصوارى اسم المكان الذى قامت فيه المعركة ، كما يختلف المؤرخون كذلك فى تحديد مكان المعركة والذي هو فى الغالب قرب الساحل التركى الجنوبى أمام منطقة Lycia وبالقرب من موضع يسمى phoenix للمزيد أنظر، ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارة فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة، أحمد محمد عيسى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٩١ ؛ محمد جمال الدين على محفوظ، فجر البحرية الإسلامية، القاهرة ، دار الاعتصام، ١٩٩٧م، ص ٥١ . ١٥٥ إبراهيم العدوى، قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط ، مصر، نهضة مصر، ١٩٦٣م ، ص ٤٦ .
٥١. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ .
٥٢. ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ١١٨ .
٥٣. ابن عبدالحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ، فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق شارلز تورى ، بالقاهرة ، مكتبة مبدولى ، ١٩٩١م ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .
٥٤. فى أسد الغابة : جنادة ، بلهاه ، هو جناد ، بن لبي أمية الأزدى ، ثم الزهرانى ، وأسم لبي أمية مالك ، وكان جنادة بن لبي أمية على غزو الروم فى البحر لمعاوية ، زمن عثمان رضى الله عنه إلى أيام يزيد، إلا ما كان من إمام الفتنة وثمانًا فى البحر سنة ٦٧٨/٥٩ . للمزيد عن سيرته انظر، ابن الأثير، أسد الغابة، مج ١ ، ص ١٣٥٣ ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق لابن عساکر، ج ٦ ، تحقيق، محمد مطيع الحافظ ونزار أباطة، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٤ م، ص ١١٨ ، ١٢٠ .

٥٥. البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ ، ويذكر ابن الأثير أن فتح جزيرة رودس كان فى سنة ٦٧٢/٥٥٣ م ، أنظر الكامل ، مج ٣ ، ص ٤٩٣ .
٥٦. البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ ، الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢٩٣ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٦٢ .
٥٧. ابن أعمش الكوفى ، الفتوح ، مج ١ ، ص ٣٦٧ .
٥٨. يروى أحمد بن حنبل عن مجاهد قال كان جنادة بن أبى أمية أميراً علينا فى البحر ست سنين ، أنظر المسند ، ج ٥ ، ص ٤٣٤ .
٥٩. البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .
٦٠. هو عقبة بن نافع بن عيسى بن عمرو بن عدى الجهلى ويكنى أبا حماد ، من صحابة الرسول أسلم بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكان فى المدينة المنورة ونما ولاء معاوية مصر سار عليها وسكنها ، وتوفى بمصر سنة ٦٥٨/٦٧٧ م . للمزيد أنظر ترجمته عند ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ٤ ، ص ٥٣ ، ٥٤ . ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم ، المعارف ، تحقيق ، ثروت عكاشة ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٨١ م ، ص ٢٧٩ .
٦١. محمد بن يوسف الكندى ، كتاب الولاة وكتاب القضاء ، تحقيق ، رفان كمت ، بيروت ، مطبعة الأبناء اليسوعيين ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢٣١ .
٦٢. المقريزى ، نقى الدين أبو العباس ابن على ، المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار ، بيروت ، دار صادر ، دون تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .
٦٣. قال ابن الأثير : معاوية بن حديج بن جفنة السكونى ، وقيل الخولانى ، غزا إفريقية ثلاث مرات ، فأصبحت عنه فى (١٨١٠ هـ) ، وقيل غزا الحديثة مع ابن أبى سرح فأصبحت هناك . للمزيد أنظر ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ٥ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .
٦٤. البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ .
٦٥. ابن عساکر ، تاريخ مدينة دمشق ، مخطوط مصور ، ج ١٧ ، الأردن - دار البشير ، دون تاريخ ص ٤٠٧ .
٦٦. هو عمرو بن عويمر بن عمران يكنى أبا عبدالرحمن وله قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم سنتين ، اشترك فى فتح مصر ورافق جنادة بن أبى أمية فى غزواته البحرية وتولى بالمدينة أيام معاوية ، وقيل بالشام أيام عبدالملك بن مروان ، أنظر ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ١ ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ .
٦٧. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢١٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٤٤٠ .
٦٨. هو مالك بن هبيرة بن خالد الكندى السكونى ، كان أميراً لمعاوية على الجيوش للمزيد أنظر ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ٥ ، ص ٥٤ .
٦٩. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢٣١ ، ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٤٥٧ .

٧٠. هو يزيد بن شجرة (الرهاوي نسبة إلى قبيلة رهاة المتفرعة من مذحج ، نزل الشام واستعمله معاوية على الجيوش الإسلامية البرية والبحرية واستشهد في غزوة ضد الروم سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤م) وقول سنة ٥٨ هـ / ٦٧٧ م. للمزيد أنظر، ابن الأثير، أسد الغابة، مج ٥، ص ٤٩٥ .
٧١. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٢٢؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٤٥٨ .
٧٢. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٣٠١؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٥٠٣ .
٧٣. هو عقبة بن نافع بن عبدالمعس بن لقيط بن عامر بن أمية القرشي الفهري، ولاء عمرو بن العاص المريفي لما كان على مصر فسار إليها وفتح أجزاء كبيرة منها كما فتح بلاد البربر، وأسس مدينة القيروان في خلافة معاوية، وإلى عقبة يعود الفضل في فتح السوس الأقصى، توفي عقبة في سنة ٦٣ هـ ٦٨٢م للمزيد أنظر، ابن الأثير، أسد الغابة، مج ٤، ص ٦٠ .
٧٤. الطبري تاريخ الطبري، ج ٥، ص ١٢٢٢؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٤٥٨ .
٧٥. هو فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن صهيب الأنصاري الأوسي العمري، صحابي جليل أسلم قبل معركة أحد، شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم معركة أحد والمعارك التي بعدها ولما فتحت بلاد الشام انتقل إليها وأقام فيها وتولى القضاء في دمشق ثم استعمل معاوية على البحر وأرسله لغزو الروم في البحر المتوسط توفي فضالة في سنة ٥٣ هـ / ٦٧٢م للمزيد أنظر ابن الأثير، أسد الغابة، مج ٤، ص ٣٦٤ .
٧٦. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٢٤؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٤٦١ .
٧٧. لم نعر على ترجمة له في المصادر الإسلامية المتوفرة بين أيدينا
٧٨. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٣٠٩؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٥١٥ .
٧٩. البكري : عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، ج ٢، تحقيق : أنريان فان لوبوف وأندي فيري، جزءان، تونس، بيت الحكمة، ١٩٩٢م، ص ٦٩٥، الحميري، الروض المعطار، ص ٢٦٦ .
٨٠. البعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ البعقوبي، ج ٢ تحقيق : هوتسمان، جزءان، لندن، ١٩٦٩م، ص ٣٣٧ .
٨١. ابن قتيبة، محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، ج ٢ جزءان، قم، منشورات، الشريف الرضي، ١٩٦٩م، ص ٧٠ .
٨٢. سردانية في المصادر العربية القديمة وهي جزيرة سردينيا الفرنسية حالياً وتقع في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط للمزيد عن هذه الجزيرة أنظر : بالوت الحموي، بالوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣ ص ٢٠٩ .
٨٣. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢ ص ٧٠ .
٨٤. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧١ .
٨٥. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧٠-٧١ .
٨٦. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧١؛ ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ١، تحقيق ومراجعة، ج . س . كولان وإ . ليفي بروفنسال، ٤ أجزاء، بيروت دار الثقافة، ١٩٨٣م، ص ٤٢ .

٨٧. للمزيد عن مدينة سرقوسة انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١٤.
٨٨. لم أوافق في العثور عليها في المصادر المعنية بتاريخ جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا والغالب أنها مدينة من مدن سردانية.
٨٩. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٠٠.
٩٠. ابن كتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧١، وذهب ياقوت إلى أن فتحها كان في سنة ٩٢ هـ وهو على ما يبدو تاريخ استقرار العرب المسلمين فيها. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٩.
٩١. خليفة بن خياط، ص ٣٠٢.
٩٢. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٤٤٢، وبيع فتحي عبد الله. العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٠م، ص ٧٩.
٩٣. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٥٠، الطبري، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٤٩٥.
٩٤. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٢٣، ٥٣٠، خليفة بن خياط، ص ٣١٤ - ٣١٥، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٥٩، الطبري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، مصر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، دون تاريخ، ج ٢١، ص ٣٤٧-٣٤٨، الإمبراطور قسطنطين السابع بوزفروفونيموس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، عرض وتعليق وتعليق محمد سعيد عمران، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، ص ١٨٧، A.A. VASILEV, HISTORY OF
- The Byzantine empire, 2nd (the university of Wisconsin press, Milwaukee) 1978, p.236
٩٥. المراكشي، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٩، وأقرن مع التويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٠٧.
٩٦. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٢٨-٣٣٠.
٩٧. جاء في الهامش في تاريخ خليفة بن خياط أن "سردانية" هي جزيرة فورسيقا الآن، وهي وسردانية جزيرتان متقابلتان في البحر المتوسط. انظر، ص ٣١١.
٩٨. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٠، التويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٠٦.
٩٩. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٣٩.
١٠٠. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٠، التويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٠٦.
١٠١. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ١٦٧، التويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤١٤.
١٠٢. تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤١.
١٠٣. ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٢١٦.
١٠٤. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٣.
١٠٥. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٥.
١٠٦. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٣٩.
١٠٧. تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٧، انظر أيضاً ابن الأثير، الكامل، ص ٥١٩١.

١٠٨. الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص ٧٩ - ٨٠، المقرئى، كتاب المواعظ والاعتبار، مج ١، ص ٣٠٣.
١٠٩. ابن الأثير، الكامل، مج ٥، ١٩١.
١١٠. الطبرى، تاريخ الطبرى، ج ٢، ص ٢٢٧، وأنظر ايضا المنبجى، المنتخب من تاريخ المنبجى ص ٩٥.



المراجع والمصادر

أولاً: المصادر

- ١- ابن الأثير : (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم) ت ٦٢٠ هـ / ١٢٣٢ م الكامل في التاريخ، تحقيق : كارولوس توريبيج، ١٣ مجلداً، ١٨٧١ م.
- ٢- ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق، محمد إبراهيم الهنا ومحمد أحمد عاشور، ٧ أجزاء، الطبعة الأولى، دار الشعب، مصر ١٩٧٠ م.
- ٣- ابن جماعة الحموي: (بدر الدين بن أبي إسحاق إبراهيم بن سعد الله) ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م، مستند الأجداد في آلات الجهاد ومختصر فضل الجهاد، دار الوطنية للتوزيع والإعلان، بغداد، ١٩٨٣ م.
- ٤- ابن حزم الأندلسي: (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) ت ٥٦٦ هـ / ١١٧٢ م، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، مسر، ١٩٨٢ م.
- ٥- ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م، تاريخ ابن خلدون العمسي كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م.
- ٦- ابن سعد : (محمد بن سعد بن منيع البصري) ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م، الطبقات الكبرى، ٩ أجزاء، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- ٧- ابن عبد الحكم : (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) ت ٢٤٩ هـ / ٨٥٦ م، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق : شارلز توري، مكتبة مديون، القاهرة، ١٩٩١ م.
- ٨- ابن عذاري المرعشي: (أبو عبدالله محمد) كان حياً سنة ٧١٢ هـ / ١٣٢١ م، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة : ج - س كولان و [ليفي بروغنتسال، ٤ أجزاء، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ٩- ابن عسائكر : (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله) ت ٢٢١ هـ / ١١٧٥ م، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق مكتبة الشهابي، المجلد الثامن والثلاثون، مطبوعاً - -، ص ١٤٠، اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٦ م؛ المجلد السابع عشر، مخطوط مصور، دار البشير، الأردن، دون تاريخ.
- ١٠- ابن قتيبة الدينوري : (أبو محمد عبد الله بن مسلم) ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م، الإماسة والسياسة، (منسوب لابن قتيبة)، جزءان، الطبعة الأخيرة، منشورات الشريف الرضي، رقم، ١٩٦٩ م.
- ١١- ابن قتيبة الدينوري: المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة دار المعارف، مصر، ١٩٨١ م.
- ١٢- ابن ماجة : (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني) ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م، سنن ابن ماجة، تحقيق : محمد نواد عبد الباقي، جزيان، تركيا، ١٩٨١ م.
- ١٣- ابن منظور : (محمد بن مكرم بن علي) ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م، لسان العرب المحيط، أعاد بناءه علي الحرف الأول من الكلمة - يوسف خياط، الطبعة الأولى، ٧ مجلداً، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨ م.

- ١٤- ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق، لابن عساکر، تحقيق سكبنة الشهباني، الجزء الثالث عشر، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م.
- ١٥- أبو داود: (سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي) ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م، منن أبي داود، ٥ أجزاء، تركيا، ١٩٨١م.
- ١٦- أبو يعنى الفراء الحلبي: (محمد بن الحسين) ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- ١٧- أحمد بن حنبل : ت ٢٤١هـ/٨٥٥م، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٦ أجزاء، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.
- ١٨- الأزهري: (أبو منصور محمد بن أحمد) ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م تهذيب اللغة، تحقيق : عبد السلام هارون، جزء ١٥ مؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، ١٩٦٧-٦٤م.
- ١٩- البخاري: (محمد بن اسماعيل) ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م، صحيح البخاري، ٨ أجزاء استنبول، ١٩٨١م.
- ٢٠- الكزري: (عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، المسالك والممالك، تحقيق، أدريان فان ثيوفن ونفري قيري، جزيان، الطبعة الأولى، بيت الحكمة، تونس، ١٩٩٢م.
- ٢١- البلاذري: (أبو العباس، أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م، فتوح البلدان تحقيق، عبد الله وعمر أتيس الطياح، الطبعة الأولى، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٢٢- الحموي: (محمد بن عبد المنعم ت ٣٢٦هـ/٩٣٦م، الروض المنظر في خبر الأقطار، تحقيق : إحصان عباس، الطبعة الثالثة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- ٢٣- خليفة بن خياط: (عمر بن خياط العصفري البصري) ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م، تاريخ ابن خياط تحقيق، أكرم ضياء العمري، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م.
- ٢٤- الرقيق القيرواني: (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم) ت القرن الخامس الهجري ، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق : المنجي الكعي، رقيق السقطي، تونس، ١٩٦٨م.
- ٢٥- الطبري: (محمد بن جرير) ت ٢١٠هـ/٨٢٥م، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ١١ أجزاء الطبعة الخامسة دار المعارف، مصر، ١٩٨٧م.
- ٢٦- العياشي: (الحسن بن عبدالله) ت ٧١٠هـ/١٣١٠م آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٩م.
- ٢٧- ثدامة بن جعفر ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.
- ٢٨- قسطنطين السابع: (يورغيروو جنثوس) ت ٩٥٩م إدارة الإمبراطورية البيزنطية عرض وتحليل وتعليق، محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٢٩- الكوفي: (أبو محمد بن اعثم) ت ٣١٤هـ/٩٢٧م، الفتوح، ٨ أجزاء، للطبعة الأولى، المكتب العلمي، بيروت، ١٩٨٦م .

- ٣٠- الماوردي: (أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب) ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م الأحكام السلطانية والولايات الدينية الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٣١ - المقرئبي: (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م، المواظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار جزعان طبعة بالاولست، دار صادر بيروت، دون تاريخ
- ٣٢- المنجسي: (أغابوس قسطنطين) من القرن ١٠هـ/١٠م، المنتخب من تاريخ المنجسي، تحقيق، عمر عبد السلام ثمري، الطبعة الأولى، دار المنصور، لبنان ١٩٨٦م.
- ٣٣- الميداني: (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم) ت ٥٣٩هـ/١١٤٤م، مجمع الامثال، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤ أجزاء، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٧م.
- ٣٤- التنويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣١جزأ، المؤسسة المصرية للناثيف والطباعة والنشر، مصر، دون تاريخ .
- ٣٥_ ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبو عبدالله) ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، معجم البلدان، ٥ أجزاء، الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
- ٣٦- اليعقوبي: (أحمد بن إسحاق يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م، تاريخ اليعقوبي، تحقيق : هوتسما، جزعان، الطبعة الثانية لندن، ١٩٦٩م.



ARCHIVE

<http://Archive@beta.Sakbni.com>

ثانياً المراجع:

١. وفيق بركات :
فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب،
(١٩٩٥م)
٢. أريمان جرونفلد :
التقويمان الهجري والميلادي، ترجمة : حسام محي الدين الاوسى، الطبعة الثانية، مطبعة
الجمهورية، بغداد، ١٩٨٦م.
٣. خالد جاسم الجنابي :
تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، الطبعة الثانية دار الحرية للطباعة، بغداد،
١٩٨٦م.
٤. محمد حميد الله :
مجموعة الوثائق في العهد النبوي والخلافة الراشدة، الطبعة السادسة، دار الفاتن،
بيروت، ١٩٨٧م.
٥. نجدة حماش :
الثام في صدر الإسلام، من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية ، دار طلائع للدراسات والترجمة
والنشر، دمشق، ١٩٨٧م.
٦. وفيق النقوي :
الجندية في عهد الدولة الاموية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
٧. تقي الدين عارف الدوري:
صقلية علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي حتى الغزو التورمندي، دار
الرشيد للنشر بغداد، ١٩٨٠م.
٨. عصام سالم سيبالم:
جزر الأندلس المنسية التاريخ الإسلامي لجزر البليار دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.
٩. محمد علي الشبول:
نشأة البحرية الإسلامية في صدر الإسلام ، لبحاث المؤتمر السنوي العاشر لتاريخ العلوم عند العرب
المتعد في اللاقية ٢٢-٢٤ نيسان ١٩٨٦م منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب،
١٩٨٩م.
١٠. أحمد مختار العبادي والمسيد عبد العزيز سالم :
تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والثام، دار النهضة العربية في بيروت، ١٩٨١م.
١١. أحمد مختار العبادي والمسيد عبد العزيز سالم :
تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩م.
١٢. إبراهيم أحمد العدوي:
قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٣م.

١٣. بسام العسلى :

فن الحرب الإسلامى فى عهد الخلفاء الراشدين والأمويين، المجلد الأول، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

١٤. إسمت عقيم :

الإمبراطورية البيزنطية وتكريت الإسلامية، دار المجمع العلمى، جدة، ١٩٧٧م.

١٥. على محمود فهمى :

التنظيم البحرى الإسلامى فى شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادى، ترجمة : قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإسلامىة والاجتماعىة، مصر، ١٩٩٧م.

١٦. أرشيبالد تويس :

القوى البحرىة والتجارىة فى حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرىة، القاهرة، دون تاريخ.

١٧. محمد جمال الدين على مخلوط :

فجر البحرىة الإسلامىة، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٨. محمد كرد على :

خطط الشام، ٥ أجزاء الطبعة الثانية، مكتبة النورى، دمشق، ١٩٨٣م.

١٨. مونتجومرى وات :

فضل الإسلام على الحضارة الغربىة، ترجمة حسين أحمد أبفن، دار الثورى، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٠. وديع فتحي عبد الله : <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

العلاقات السياسىة بين بيزنطة والشرق الأكنى الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرىة، ١٩٩٠م.

٢١. نسيم يوسف جوزيف :

تاريخ الدولة البيزنطىة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرىة، ١٩٨٤م.

وسائل الدعاية عند الفاطميين

(٢٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)

د. إبراهيم أحمد الفلا (*)

مقدمة :

يهدف هذا البحث إلى دراسة وسائل الدعاية عند الفاطميين، وشقيها المادى والمعنوى، منذ بداية دعوتهم في اليمن وإفريقية، وحتى استيلائهم على مصر والشام والحجاز، وتكوين دولتهم الكبرى التي كانت تلقى على قدم المساواة مع الدولة العباسية، حيث لم يحظ هذا الموضوع، من قبل، بدراسة مستفيضة ومخصصة في هذا الجانب المهم بالنسبة لتاريخ ونظور الدولة الفاطمية، سواء في المشرق والمغرب. وقد قسمت هذا البحث إلى محورين ممكن عرضهم على النحو التالي:

للحور الأول: بعنوان وسائل الدعاية المعنوية عند الفاطميين، ويتناول النقاط التالية: أسلوب التمسب إلى آل بيت الرسول (ﷺ)، وأسلوب الزهد والتكسب والعلم والتشيع، والقول بوصايا على بن أبي طالب (عليه السلام)، وأسلوب وضع الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤيد دعوتهم، والثورة ضد الحكام أو ضد النظام، والقول بوجوه الإمام وتأويل الشريعة، ومن أساليبهم أسلوب التفريق بين قبائل العرب ونشر الدعوة في الخفاء والسر والكنم، وأسلوب استنار الإمام والقول بغيته، ورت الدعاة وسط الجند، وأسلوب كتابة الكتب والرسائل إلى الحكام، والإدعاء بأن جيوشهم ما جاءت إلا لتنقذ المصريين، والاحتفال بالأعياد واتخاذ أعياد جديدة، وإيجاد اللغات غير العربية، ومن أساليبهم أيضاً: تائبة الحاكم والإمام، وأسلوب التناصح، وأسلوب قتل الغيلة، وأسلوب التائس والتكليس والخلع، والإدعاء بأن حقهم في الخلافة قد اغتصب منهم، ونهزم أبا بكر وعمر وعثمان على منابرهم، وإقامة الخطبة.

أما الحور الثاني: وعنوانه وسائل الدعاية المادية عند الفاطميين، ويتناول النقاط التالية: أسلوب ضرب العملة والسكة، ولباس اللون الأبيض شعار الدعوة العلوية، وبناء العواصم والحواسر واتخاذ اسمائها نسبة إليهم، وإنشاء دور العلم وتعميم المذهب الشيعي، إنشاء المساجد الشيعية والأضرحة، بث الدعاة وسط الجند، إعداد الجيوش، اختيار مصر مقراً للدعوة، الاهتمام بالعمارة. هذا وأنهت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج، وبعض الملاحق التي تخدم الدراسة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

(*) أستاذ مساعد التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادي.

الدولة الفاطمية إحدى الدول الشيعة لقوية التي قامت في بلاد المغرب ومصر، وقلت تحكم مصر مدة قرنين من الزمان، إلى أن أسقطها صلاح الدين الأيوبي، سنة ٥٦٧ هـ/ ١١٧١ م، وأعاد مصر مرة أخرى إلى خلافة بني العباس السنية^(١).

وقد حاول الفاطميون نشر مذهبهم الشيعي بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، بادنين ببلاد المغرب وصقلية واليمن، ثم مصر والشام والعراق^(٢) وغيرها متخذين أساليب عديدة في دعوتهم.

وقد فتح جوهر الصقلي مصر سنة ٣٥٨ هـ/ ٩٦٩ م، وأسقط الدولة الإخشيدية، كما أسقط الخطبة للخليفة العباسي المطيع لله أبو القاسم (٣٣٤-٣٦٣ هـ / ٩٤٥-٩٧٣ م)^(٣)، وأقامها للمعز لدين الله الفاطمي^(٤)، وبني مدينة القاهرة لتصبح حاضرة مصر الفاطمية^(٥).

ومن بلاد المغرب واليمن ومصر، انطلق للدعاة بالدعوة الفاطمية محاولتين نشرها بالأسلوب السلمى تارة، والحربي تارة أخرى، معتمدين على ضعف الخلافة العباسية، واتساعها إلى دويلات عديدة، وملائمة البلاد التي نزلها الفاطميون كالمغرب ومصر واليمن للدعوة^(٦).

ومن أساليب الفاطميين في الدعوة:

١- أسلوب النصب إلى آل بيت الرسول (ﷺ):

نسب الفاطميون أنفسهم إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول (ﷺ) فاتخذت الدولة اسمها، مدعين أنهم من نسل الحسين بن فاطمة شهيد كربلاء^(٧)، فهم علويون ينسبون إلى علي بن أبي طالب وأولاده الحسن والحسين \dots وما هي الفريضة لاكتساب ثقة الناس، وخاصة أولئك الذين كانوا يكرهون بني العباس من الموالي (المسلمين من غير العرب).

وإدعى عبد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب^(٨) وأولاده: أنهم من سلالة إسماعيل بن جعفر الصادق ت ١٤٨ هـ/ ٧٦٥ م، أو من سلالة الإمام موسى الكاظم ت ١٨٣ هـ/ ٧٩٩ م^(٩)، وهم من أئمة الشيعة الاثنا عشرية، والذين كان الفرس وغيرهم يكتنون لهم كل تقدير واحترام^(١٠).

إلا أن النسب الصحيح لهؤلاء أنهم يتسمون إلى ميمون القداح وابنه عبد الله، وهو فارسي وكان يخطط لتكوين دولة فارسية، أو دولة يهودية نسية إليهم^(١١).

وقد نقل ابن خلكان رواية ثبت من مبلغ إنكار المصريين صحة نسب الفاطميين، ذلك أن الخليفة العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥-٣٨٦ هـ/ ٩٧٥-٩٩٦ م) صعد المنبر يوم الجمعة، أوائل خلافته في مصر، فرأى ورقة فيها هذه الأبيات:

إنا سمعنا نسباً منكراً
 إن كنت فيما تدعى صادقاً
 وإن ترد تحقيق ما قلناه
 أو طمع الألساب مستورة
 فإن أنساب بني هاشم
 يتلى على المنبر في الجامع
 فانكر لها بعد الأب الرابع
 فانسب لنا نفسك كالطامع
 وانحل بنا في النسب الواسع
 يقصر عنها طمع الطامع^(١١٠)

وقد روى الثعلبي حكاية أخرى تؤيد هذا الرأي إذ يقول: إن عبد الرحمن الثالث الأموي الأندلسي تلقى من العزيز كتاباً يسبه فيه ويهجو، فجااء رد عبد الرحمن عليه: "أما بعد فترك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجيناك والسلام" وهذا يستنبط عدم إقصاح الفاطميين عن أو نسب رسمي لهم^(١١١).

٢- أسلوب الزهد والتشفيط والعلم والنسج:

وهو أسلوب اتخذته معظم الدعوات الشيعية^(١١٢)، ومنها الفاطمية، فحاز به عبد الله ميمون بن القداح، وعبد الله المهدي وأئمة الدعوة والخلفاء ثقة الناس، ونجحوا في تأسيس جمعيات سرية، ثم أخذوا يعلمون الناس أسرار الدعوة التي قسموها إلى سبع درجات (وزادات فيما بعد) وكثر أنصارهم^(١١٣).

٣- أسلوب كتمان الدعوة وسريتها:

وهو من أشهر أساليب الدعاية عند الشيعة الإسماعيلية وكل طوائف وفرق الشيعة، وكان الداعي الفاطمي يبدأ بإظهار بعض مشكلات القرآن، حتى إذا طلب الناس منه حل هذه المشكلات؛ أخذ عليهم العهود والمواثيق بأن يجعلوا هذه الدعوة سرا مكتوماً، ثم يطلب منهم أن ينفعوا ضريبة مقرية تساعد على نشر مذهبه^(١١٤).

وإذا تم للداعي ما أراد، نحل الطالب في المرحلة الثانية، وموذاها أن يراض الإسلام لا يؤدي إلى مرضاة الله؛ إلا إذا كانت عن طريق الأئمة السبعة، من ولد إسماعيل ابن جعفر الصادق، فإذا وصل الطالب إلى المرحلة الرابعة، اعتقد أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، ومن تقدم هذه المرتبة لا يعلم سوى نظريات فلسفية لا تمت للإسلام بصلة، حتى يصل به الاعتقاد إلى أن الإمام هو عبد الله بن ميمون القداح، وأنه بمنزلة هارون من موسى، أو بمنزلة علي بن محمد (ع)^(١١٥).

٤- أسلوب شراء الناس بالمال:

من أسهل أساليب الدعوة، فقد ذكر ابن خلكان^(١٨) أن جماعة من أهل السنة في مصر طعنوا في نسب المعز لدين الله واتصله بعلي بن أبي طالب عليه السلام، حتى إن الخليفة المعز لما وصل إلى مصر، اجتمع به الأشراف وسألوه أحدهم، وهو ابن طباطبا: إني من ينتسب مولانا، فأجابته المعز بأنه سيقتد مجتمعاً يضم كافة الأشراف ويسرد عليهم نسبه، حتى إذا ما انعقد المجلس في القصر، سل المعز سيفه إلى النصف وقال "هذا نسبي"، ثم صرهم بالذهب الكثير وقال "وهذا حصبي"، ومن هنا نشأ القول المأثور (سيف المعز وذهبه) للإشارة إلى بطلان الشيء أو أنه مأخوذ كرها^(١٩).

اهتم المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥هـ / ٩٥٢-٩٧٥م) بأمر الحجاز، حيث تخطل في حسم الخلاف بين بني الحسن وبني جعفر بن أبي طالب، وأرسل سراً ملاً ورجالاً سعوا بين الفريقين حتى عقدوا الصلح في المسجد الحرام، وقام المعز بإداء دية قتلى بني الحسن سنة ٣٤٨هـ / ٩٥٩م، مما كان له أكبر الأثر في نفوسهم، ولما فتح جوهر مصر، سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م بإمر الحسن بن جعفر الحسني بالاستيلاء على مكة، ودعا للمعز على منابرها، وكذلك أقيمت الخطبة للمعز بالمدينة المنورة، وعزل المعز على تثبيت سلطته على مكة والمدينة بالأموال التي صار يرسلها إليهما، ويذكر المقرئ أنه في سنة ٣٥٩هـ / ٩٦٩م: ألغى المعز عسكرياً وأعمال مال عدتها عشرون حملاً للحرمين وعدة أجمال متاع - وبذلك تيسر له نشر نفوذ الفاطميين في بلاد الحجاز^(٢٠).

واستطاع الخليفة العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥-٣٨٦هـ / ٩٧٥-٩٩٦م) بفضل اهتمامه بأمر الدعوة، وإفائه الأموال الكثيرة لهذا الغرض أن يستميل بعض أمراء العرب أعلى العراق إلى جانب الدولة الفاطمية، ففي سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م أعلن حاكم الموصل - أبو الدرداء بن المسيب العلبي - ولاءه للفاطميين، فأقام الخطبة في الموصل للعزيز بالله وأمر أن ينقش اسمه على الأعلام والسكة^(٢١)، كما نجح الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ / ٩٩٦-١٠٢٠م) في استمالة قرواش ابن العقاد الملقب بمعتمد الدولة أمير بني عقيل في الموصل، فخرج عن طاعة الخليفة العباسي القائم بالله سنة ٤٠١هـ وأظهر طاعة الحاكم بأمر الله وأقام الدعوة له^(٢٢)، كما أمر قرواش عماله في البلاد التي كانت في حوزته أن يقيموا الدعوة الفاطمية فيها^(٢٣)، فخطب للحاكم بأمر الله في كل من الأنبار^(٢٤) والقصر^(٢٥) والمدائن^(٢٦) والكوفة^(٢٧) والجامعين^(٢٨) وغيرهم مما حمل العلويين والعباسيين التقيمين بالكوفة على الهروب إلى بغداد^(٢٩).

حسان وأبيه مارج بن الجراح وغيرهما بالأموال التي بذلها لهم، وتقدر بخمسين ألف دينار عينا، سوى الهدايا والتياب، من أجل التخلي عن أبي الفتوح الحسن بن جعفر أمير مكة ومبايعته بالخلافة وذلك سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م^(٣٠)، كما نجح الحاكم بأمر الله في شراء الناس بالمال - كان دعاة الإسماعيلية في بلاد اليمن لا يكون جهداً في القيام بنشر الدعوة للخلفاء الفاطميين، فظل يوسف بن الأسد يدعو سراً للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ / ٩٩٦-١٠٢١م) حتى توفي، فخلفه داغ جرير يدعى عامر بن عبد الله الزواحي، كان كثير

المال والجاء، وقد استغل ماله ونفوذ في سبيل نشر الدعوة الفاطمية، واستمال عدداً كبيراً من أهالي اليمن إلى المذهب الإسماعيلي، وظل يدعو للفاطميين خلال عهد الحاكم والظاهر، وأوائل عهد المستنصر بالله^(٣١١).

ويذكر ابن ظافر ذلك بقوله: السبب في خفاء زورهم في إ دعائهم الشرف: أن تقوم كلوا وقت ابتداء منكمهم، ووقت إ دعاء زورهم، لا يسمعون بمنكر لأمرهم طاعن على مذهبهم إلا بالرؤيه بالعطيا، وتحفوه بالأموال والرغائب، وظالبوا الكف منه، فإن رفض علوا على قتله بأنواع من الحول والمكر التي بنى عليها مذهبهم^(٣١٢).

٥- القول بوصايا علي بن أبي طالب (ع) وأحقيقته بالخلافة:

اعتقد الشيعة أنهم وحدهم الأحق بالخلافة، وإن أبا بكر وعمر وعثمان (ع) وكذا الخلفاء من بني أمية، وبني العباس، انتزعوا حق الإمامة المقدس من علي (ع)، وقد صنف العلماء الشيعة من المؤرخين الأسفار الطوال في تأييد هذه المقالة، وذهب بهم الاعتقاد إلى القول بأن الخلافة سلبت من علي أو بعبارة أخرى اغتصبت من بيت النبي (ص)^(٣١٣).

لا يقف الحال عند هذا الحد، فقد اشتط الغلاة من الشيعة فقالوا: إن الإمامة في بيت علي (ع)، وأن الأنمة معصومون، وإن صفات الله تعالى لله حلت فيهم وتقمصت أجسادهم، وإن من قال بغير ذلك، من الفرق الإسلامية: خارجون عن الدين: ودلوا على ذلك بأن علياً كان أول من اعتنق الإسلام من الرجال قبل أبي بكر، وأن ما قام به في سبيل رفع منار هذا الدين لا يستطيع أحد من المسلمين أن يبيته^(٣١٤).

٦- أسلوب وضع الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤيد دعوتهم:

استند غلاة الشيعة، ومنهم الفاطميون، على مجموعة كبيرة من الأحاديث الموضوعة والتي تشهد لآل علي كرم الله وجهه بالحق في الخلافة، ويذكرون أن علي (ع) جمع الناس سنة ٦٣٥هـ/٦٥٥م في الرحبة^(٣١٥) ثم قال لهم: أشهد بالله كل امرئ سمع رسول الله (ص) يقول يوم غدیر خم ما قال لما قام، فقام إليه ثلاثون من الناس فشهدوا أن رسول الله (ص) قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من واه وعاد من عاداه، وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبشى بن جنداه قال: قال رسول الله (ص): علي مني وأنا من علي، وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال: آخى رسول الله (ص) بين أصحابه فجاء علي (ع) تنعم عينه، فقال: يا رسول الله أخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله (ص): أنت أخي في الدنيا والأخرة^(٣١٦).

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله (ص) خلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك سنة ٦٣٠هـ/٦٣٠م فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال أوما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي^(٣١٧).

ومن ذلك ما عزى إلى النبي (ص) أنه قال أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن عدل عنها غرق، وفي رواية أخرى أهل بيتك كسفينة نوح، من تعلق بها نجا، ومن تخلف عنها هلك^(٣١٨)، وقوله أيضاً من مات علي حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات علي حب آل محمد

مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة، فهذه الأحاديث لا شك في أن الشيعة احترموا بعد موت الرسول (ﷺ) تأييداً لعقيدتهم التي كان مبناها مبالاة على وخلفائه من بعده^(١٢٠).

ونحن نعلم أن النبي (ﷺ) ترك مسألة الخلافة من غير أن يترك فيها وصية لأحد، وتم اختيار أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لخلافته بطريقة ديمقراطية حيرت أهل الديمقراطية لأن^(١٢١).

٧. أسلوب الثورة ضد النظام:

وقد بدأت هذه الثورات في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فيما يسمى بالفتنة الكبرى، والتي قول في أسبابها، أن عثمان فضل أقربه على غيرهم في الحكم، فرجع الشيعة راية العصيان، وادعوا أن علياً عارض عثمان، والواقع يقول غير ذلك، غير أن اللمح: قال الثورة سرياً هو ابن السوداء (عبد الله بن سيار) اليهودي الذي أسلم ظاهرياً، وكان له دور حطير جداً في تقسيم الأمة الإسلامية إلى سنة وشيعة^(١٢٢)، ويث ابن سيار دعاته وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه، وادعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار يكتب بضعونها في عيوب ولائهم، ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك، وهم يريدون غير ما يظهرهم ويسرون غير ما يعتنون^(١٢٣)، أفنى ابن سيار تعاليمه ومن ضمنها: أنه كان لله ألف نبي ووصى وكان على الله وصى محمد (ﷺ)، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء، ثم بعد ذلك من أظلم ممن لم يجز وصية نبي الله (ﷺ) ووليا علي وصية، وقال إن عثمان (رضي الله عنه) أخذها بغير حق وهذا وصى رسول (ﷺ) فالتهموا في هذا الأمر فحذروهم وابدأوا بالظن على أميرهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استنساخ الناس، وادعواهم على هذا الأمر، فبث دعاته وكاتبهم وكاتبوه في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار يكتب بضعونها في عيوب ولائهم، ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم من مصرهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأ أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى أوسعوا في الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرهم ويسرون: غير ما يعتنون^(١٢٤).

واسئل ابن سيار وجود معاوية بن أبي سفيان في ولاية الشام، واعتلاء منابر المسجد الأموي وتحريض الناس على الأخذ بالشار من فتنة عثمان؛ وحرص الناس تهيداً لإسقاط خلافة عثمان (رضي الله عنه)، وهو أول من وضع عقائد مذهب الشيعة المغالية في الإسلام، وهو أول من بذر بنووه وحلق ابن سيار عرضه من إثارة للولايات الإسلامية على عثمان وولائه فكانت الفتنة الكبرى وقتل الخليفة الثالث عثمان (رضي الله عنه)^(١٢٥)، مما أضعف الإسلام، وزاد كلمة المستنمين تفرقاً حتى الآن.

ثورة الحسين بن علي ابن أبي طالب، رضي الله عنه، على يزيد بن معاوية، واستشهاد الحسين في كربلاء سنة ٦١هـ/٦٨٠م^(١٢٦)، وثورة التوابين وهم جماعة من الشيعة اعترفوا بتقصيرهم وخطيئتهم في حق الحسين بن علي، حينما تركوه يواجه القتل وحده، ولذا ثاروا ضد الدولة الأموية بقيادة سليمان بن صرد، والتقى معهم عبيد الله بن زياد في معركة يقال لها "عين الورد" هزم فيها التوابين وذلك سنة ٦٥هـ/٦٨٤م^(١٢٧)، وثورة زيد بن علي سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م حيث خرج على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، ولكنه هزم بعد أن خذله أهل الكوفة، وإليه

تسبب جماعة الزيدية إحدى فرقي الشيعة^(١١٦)، وثورة يحيى بن زيد، سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م، الذي استطاع الهروب من السجن وواجه نصر بن سيار في معركة عنيفة انتهت بمقتل يحيى^(١١٧).
ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي سنة ٦٥هـ/٦٨٤م :

وقد كثرت الثورات الشيعة في العصر الأموي منها: ثورات الكيسانية^(١١٨) والمختارية: ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي، ولد المختار في السنة الأولى، ولقب أحياناً بكيسان لأنه تلقى العلم عن كيسان، أو لأن كيسان حثه على الأخذ بشار الحسين وعرفه بقاتليه، ويذكر البغدادي أن كيسان كان لقباً أصيلاً للمختار^(١١٩).

ادعى المختار أن محمد بن الحنفية هو الذي أرسله وأنه وزيره، ويعمل باسمه لتطلب بحق آل البيت، والثائر من قاتلي الحسين وصحبه، وادعى أنه يسير على نهج القرآن وهدى الإسلام، ولكنه كان به ضلالات تبعده عن الإسلام منها: أنه كان عنده كرسي قديم قد غشاه بالديباج وزينه وقال هذا من لخائر أمير المؤمنين علي (ع) وهو عندنا بمنزلة الثابوت عند بني إسرائيل، كما ادعى عظمه بالغيب وأنه أسجاع يفتد بها القرآن. قتل المختار على يد مصعب بن الزبير^(١٢٠)، وكانت مدينة الكوفة العراقية أشد المدن تأييداً وخلافاً لهم في نفس الوقت^(١٢١).

ثورة زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قامت خلال عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) والتي انتهت بهزيمته وقته سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م^(١٢٢).

ثورة يحيى بن زيد بن علي بن زين العابدين الذي فر إلى خراسان، وأقام بها حتى توفي هشام بن عبد الملك، وخلفه الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م) فعد نصر بن سيار لمطاردته والتقى به في الجوزجان - إحدى قرى خراسان - فقتل يقاتل حتى قتل^(١٢٣).

٩. أسلوب القول برجعة الإمام الغائب:

يعتقد معظم الشيعة بعودة ورجعة الإمام، وفي ذلك يقال: إن محمد الإمام الثاني عشر من لمة الشيعة، الذي اختفى في سرداب بمدينة سامراء، أنه سيعود ليملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وأنه المهدي المنتظر. واعتقدوا أنه يقيم في جبل رضوى (على مسيرة سبعة أيام من المدينة المنورة) وأن عوبته ستكون في هذا المكان، ويقول الشيعة: إن الإمام قد يكون مستوراً مكتوماً عن الناس خبره وقال شاعرهم كثير عزة في ذلك^(١٢٤):

ولا الحق أربعة سواء	ألا أن الأئمة من قريش
هم الأسباط ليس بهم خفاء	على والثلاثة من بنيه
وسبط غيبته كريلاء	وسبط سبط إيمان وبر
يقود الخيل يقدمها التواء	وسبط لا يذوق الموت حتى
برضوى ^(١٢٥) عنده غسل وماء ^(١٢٦) .	تغيب لا يرى فيهم زمناً

١٠- نأويل الشريعة الإسلامية:

يعتقد ويعتمد أغلب الشيعة على أسلوب التأويل في أحكام الشريعة الإسلامية، فقلدين عندهم طاعة رجل، حتى حملهم الاعتقاد على نأويل الشريعة، وأن طاعتهم ذلك الرجل مستطيل

ضرورة التمسك بقواعد الإسلام كالصيام والصلاة والحج والزكاة وغيرها، بل اعتبروا الأئمة محاطين بهالة تسمية بعنوم ما وراء الطبيعة^(١٠٠).

١١- أسلوب التفريق بين قبائل العرب:

وهذا أسلوب اتبعته الدعوة الشيعية بعد انتقالها للعباسيين سنة ١٩٨هـ/٧١٦م، حينما تنازل عنها أبو هاشم عبد الله عند الشيعة، لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس في الحامية، وهي قرية صغيرة إلى الجنوب من البحر الميت على مقربة من العقبة^(١٠١)، وقد نشط العباسيون بالدعوة لآل البيت دون تحديد شخص المدعو إليه، والدعوة إلى المساواة والعدل، فدخل في طاعتهم أهل خراسان (إيران - تركمنستان - أفغانستان) حالياً على يد أبي مسلم الخراساني الذي استطاع أن يفرق بين البعثية والقيسية، أو بين عرب الشام وعرب اليمن، مما سهل سقوط خلافة بني أمية وقيام دولة بني العباس^(١٠٢).

١٢- أسلوب تصويرهم أمام الناس أنهم المظلومون دائماً

صور أئمة الفاطميين، وغيرهم من الشيعة لتناس أنهم دائماً مظلومون، فهم قد ظلموا باستخلاف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وبني أمية وبني العباس، بل اعتبروا أن بني العباس قد سلبوهم الخلافة والإمامة، حينما دعوا لأنفسهم بها سنة ١٩٩هـ/٧١٧م، وكتموا عن العلويين ذلك، ولما قامت الخلافة في بني العباس، سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، وقامت الثورات العلوية مطابقة بحقيقتها في الخلافة، موصلين الناس أنهم أحق بها من بني العباس الفاطميين لهم^(١٠٣).

١٣- نشر الدعوة في الخفاء والسمر والكتمان:

كانت النتيجة الطبيعية لما حل بالعلويين الشيعة: أن خبئوا وقتلوا طوال العصرين الأموي والعباسي، أن عمدوا إلى نشر دعوتهم في الخفاء، وتلمسوا أماكن يختفون فيها، ويتخذونها ملاجئ يدعرون بها عن أنفسهم الحبس والألام، إلى أن تلقوا دعوتهم، ثم يظهرن كلما سنحت لهم الفرصة^(١٠٤).

ودخل المذهب الشيعي إلى إفريقيا، بصورة أكثر سرية وتنظيماً، قبل وصول الداعي الإسماعيلي أبي عبد الله الشيعي، حيث وصل أول تمثيل شيعي إسماعيلي إلى إفريقيا في أواسط القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، قبل نحو ١٣٥ عاماً من وصول أبي عبد الله الشيعي إلى هناك وهي بعثة الداعيين أبي سفيان والحواتي، حيث قُدموا من الشرق للاستقرار في بلاد المغرب سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م، ولأن الذي بعثهما، فيما يقال، الإمام جعفر الصادق، وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة وينشروا فضلهم^(١٠٥).

١٤- أسلوب استتار الإمام:

استتر أكثر أئمة الشيعة، وخاصة الفاطميين، في بلاد المغرب ومصر، وهناك أئمة يقال لهم المستورون في ذات الله تعالى^(١٠٦)، وذلك لئلا يرد ما عسى أن يحق بهم من مكروه، وبذلك اتخذوا ما يسمى بدار الهجرة في البلاد التي قاموا فيها بنشر مذهبهم، فيعضهم استتر لمدة عشر سنوات أو أكثر، ويلبسه الناس دون رؤيته^(١٠٧).

ومن أساليب الإسماعيلية في التخفي والتستر: اتخاذ عدة ألقاب فطى سبيل المثال: تسمى المهدي عبيد الله استتاراً، و كان أبو عبد الله الشيعي يلقب بالمتحجب لاستغاله بالحسبة في البصرة^(١٧١)، ويلقب بالمعتم لأنه كان يعلم مذهب الإمامية^(١٧٢)، ويلقب بالأهوازي لأنه ولد في الأهواز، والمشرقي صاحب البقعة المشهية أو البلقاء^(١٧٣)، ولقبه البعض بالصنعاني مع أنه لم يمت في صنعاء إلا فترة وجيزة، وعرف بهذا اللقب لأنه قدم على حبيج كرامة من صنعاء^(١٧٤).

ونذكر أنه سبق عبد الله المهدي، مؤسس الخلافة الفاطمية في إفريقية سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م سلسلة من الأئمة المستورين من أبناء محمد بن إسماعيل، فالأئمة الذين يصلون عبد الله المهدي بمحمد بن إسماعيل - أشخاص عاشوا في ظل ظروف يكتفها الكثير من الغموض، كما أن الأئمة الفاطميين، فيما بعد، لم يحاولوا كشف أسماهم، وذلك لإبطال الحملات التي شنها ضدهم أعدائهم، أو الرد عليهم بسبب إصرارهم على عدم إنذاعة أي نسب رسمي لأصولهم؛ اعتماداً على مبدأ معروف لدى الشيعة هو "عدم كشف أولئك الذين سترهم الله، وهم المستورون في ذات الله"^(١٧٥).

ويذكر أن المعز كان مغرباً بالتجوم وتنتظر فيما يقتضيه الطالع، فنظر في مولده وطلعه فحكم له بقطع فيه، فاستشار منجمه فيما يزيله عنه، فاستشار عليه أن يعمل سرداباً تحت الأرض ويكرى فيه إلى حين جواز الوقت فعمل على ذلك. وأحضر قواده وكتابه وجعل نزل ابنه ونسب عهده من بعده، ولقبه العزيز بالله واستخلفه، ثم نزل إلى سرداب تحفه وأقيم فيه سنة، وكان المغاربة إذا رأوا غماماً سائراً ترجل الفارس منهم إلى الأرض وأوما بالسلاح يشير إلى المعز فيه، ثم خرج المعز بعد ذلك وجلس لتناس ففعلوا عليه على طبقتهم ودعوا له^(١٧٦).

١٥- القول بغيبية الإمام:

في شهر شعبان سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م أتجب الإمام الحسن العسكري، الإمام الحادي عشر عند الشيعة، ولداً أسماه محمداً، فمما توفي الحسن سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، كان ابنه في الخامسة من عمره، فأصبح محمد الإمام الثاني عشر عند طائفة الإسماعيلية الذين عرفوا فيما بعد بالإمامية الإثنا عشرية، ويقال إن محمداً نحل سرداباً في مدينة سامراء وأمه تنظر إليه، ولكنه لم يعد، ولم يبق له أشياء على أثر من ذلك الحين، ومن هنا تنسب للإمام الثاني عشر غيبتان: الغيبة الصغرى، وتبدأ بموت الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، والغيبة الكبرى، وتبدأ من اختفاء ابنه محمد سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م حتى الآن، ولا يزال أنصاره ينتظرونه إلى اليوم، ولهذا يعتقد الإمامية الاثنا عشرية: أن محمداً الإمام الثاني عشر سيظهر ويعلم الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ومن ثم سمي الإمام المنتظر، وصاحب الزمان، والقائم بالأمر، والحجة^(١٧٧).

١٦- اختيار بلاد ملانمة للدعوة ويعتد عن سلطة العباسيين:

اختار دعاة الدولة الفاطمية بلاد ملانمة تماماً لدعوتهم ويعتد عن سلطة بني العباس مثل: المغرب ومصر واليمن، كان المهدي فطناً ذكياً موهوباً، كما كان سياسياً فديراً، أدرك بثاقب فكرة أن بلاد اليمن بعيدة عن قلب العالم الإسلامي فمن الصعب أن تصلح مركز لنشر الدعوة في جميع البلاد، فاختار المغرب وهو البلد الذي نشأت فيه الدولة، وكان ملانمة تماماً لدعوتهم لبعده

أولاً عن مقر الخلافة في العراق وأهله من البربر كانوا بكونون حقناً كبيراً على بني العباس لظلمهم لهم ووعورة تضاريسه في قيام دولة شيعية مثل دولة الأرساة وضغط سلطة الخلافة العباسية عليهم، والسلاخ بلاد الأندلس عن سلطانهم أيضاً^(١٧٦)، وكان اختيار بلاد المغرب دون غيرها من الأطراف الإسلامية لتشهد بداية الدولة الفاطمية مقصوداً وذلك لإمكانية التوجه منها لمصر بسهولة، فكانت إفريقيا مدخلاً لمصر، كما كانت خراسان مدخلاً للعراق^(١٧٧).

أما مصر فكانت صالحة تماماً للدعوة لفاطمية لثرائها وهدوء الأمر فيها، واستتاب الأمن بها^(١٧٨)، هذا بجانب قربها من الأماكن المقدسة التي يهدف الفاطميون إلى فرض سيطرتهم عليها، وكانت مصر ولا تزال - بفضل موقعها الجغرافي الاستراتيجي في قلب العالم الإسلامي، وثرواتها - أكثر البلاد صلاحية للدعوة ومركزاً للدولة الفاطمية نفسها، هذا فضلاً عن أن مصر أقرب إلى المشرق الذي دأب المعز واتباعه على إخضاعه، وخاصة أنها قريبة من الشام والعراق، وما قاله المعز لمشايعه حينما رحل جوهراً إلى مصر: **وإنه لو خرج جوهراً هذا وحده لفتح مصر، لتدخلن مصر بالأردية من غير حرب، ولتزلن في خراب ابن طولون (يعني مدينة القطائع) وتبنى مدينة تهر الدنيا**^(١٧٩).

وهناك دليل مادي يوضح نية المعز للانتقال إلى الشرق، وإلى مصر بوجه خاص، قبل فتحها بوقت طويل، فقد وصل إليها ثلاثة دنابر فاطمية تحمل مكان الضرب مصر، مؤرخة في السنوات ٩٤٥/٨٣٣٤ م، ٩٥٢/٨٣٤١ م، ٩٦٤/٨٣٥٣ م، ضربت قبل دخول الفاطميين مصر وتأسيس القاهرة، بغرض ترويجها بواسطة الدعاة على الأحرار الذين يتوسمون فيهم الاستجابة للدعوة، بالإضافة إلى طرز عمل باسم المعز على مصر سنة ٩٦٥/٨٣٥٥ م^(١٨٠).

١٧- بيت الدعاة وسط الجند:

يذكر أبو المحاسن أن أمور الديار المصرية قد اضطرت، في أواخر عصر الإخشيديين، بسبب المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميين لواردين إليها من المغرب، وقد استمال هؤلاء الدعاة نفراً من الفوائد ووجوه الرعية أنفذ إليهم المعز بنوداً ففرقوا على من استجاب لهم، وأسروهم أن ينشروها إذا ما ثارت عساكره مصر^(١٨١).

ولجأ الفاطميون إلى أسلوب بيت دعائهم وسط الجند المسمون المرشدين لاحتلال مصر، أعوام ٣٠١/٣٠٢/٣٠٣/٣٠٤/٣٠٥/٣٠٦ م، وقد صاغت الدعوة الفاطمية نجاحاً عظيماً بين الجنود الذين لم يكن أغلبهم على المذهب العلوي الشيعي، لدرجة أن جموعاً كبيرة اعتنقت المذهب الشيعي قبل دخول الفاطميين مصر^(١٨٢).

١٨- أسلوب كتابة الكتب والرسائل إلى الحكام السنيين:

لم يقتصر الفاطميون في سبيل نشر دعوتهم على الدعاة فقط، بل كان لخلفائهم أيضاً نصيب وافر في تشجيع هذه الدعوة، فقد أثر عن بعضهم أنهم كانوا يرسلون كتباً وكتوبتها بأيديهم ويرسلونها بتوقيعاتهم، فقد كتب الخليفة القائم الفاطمي، ٣٢٢-٣٣٤/٩٣٤-٩٤٥ م، قبل دخولهم مصر كتاباً خاصاً بعث به مع رسول من قبله إلى محمد بن طغج الإخشيدى حاكم مصر رغبة منه في أن تفعل سياسة الدين والمسالمة ما لم تفعله سياسة العداة والحرب، تلك السياسة

لتي أخلق فيها غيره، وعن نص الكتاب (انظر ملحق رقم ١) :، ويعد مثلها إلى كافر الإخشيدى وغيره من حكام مصر^(١١٠) ولكنها لم تجد معهم تفعلاً.

١٩- إعداء الجيوش:

نكّل دعوة جيوشها المعدة لمسالتها عسكرياً، وهذا ما فعله الخلفاء الفاطميون، فقد أعد المعز لدين الله الفاطمي جيوشه لغزو مصر، والقضاء على سلطات العباسيين فيها وفي الشام، لمد نفوذهم إلى بلاد الحجاز إن لم يكن إلى أهد منها، وقد أعد هذا الجيش بغاية فائقة من ناحية العدة والعتاد، وكذلك من الناحية النفسية، عن طريق الدعاية السياسية المنظمة التي مهد بها الفاطميون لفتح مصر، وتذكر المصادر: أن جوهر حمل معه أكثر من ألف ومائتي صندوق مليئة بالأموال غير الذهب الذي جمعه الفاطميون طوال فترة إقامتهم بإفريقية تحسباً لهذا اليوم، وحمله جوهر على ظهور الجمال على هيئة أرحبة الطولحين^(١١١)، وبلغت التكلفة على هذا الجيش ما يقرب من ٢٤ مليون دينار. ويذكر المغربي عن جيش الفاطميين بأنه مثل: «جمع عرفات كثيرة وعدة^(١١٢)» وقد تحقق هدفه بدخول قلده جوهر الصقلي مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م^(١١٣).

٢٠- الآداء بأن جيوشهم ما جاءت إلا لقتل المصريين من ظلم العباسيين وعمت ولائهم:

كانت رسل الفاطميين التي ترسل في صور تجر وجواسيس وعشما، تدعى أن جيوشهم ما جاءت إلا لإفناء المصريين من ظلم العباسيين، وعمت الحكام والولاة من الترك والإخشيديين وبيعدون عنهم خطر القرامطة والبيزنطيين^(١١٤).

<http://Archivnet.org>

٢١- بناء القواضر والعواصم واتخاذ أسمائها نسبة إليهم:

بنى الفاطميون عواصم اتخذت أسماءهم في المغرب هي: المهديّة نسبة إلى أبي عبد الله المهدي، التي بنيت سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م^(١١٥) حيث أورد التجاني عن المهديّة قوله: «وكان ابتداء بنائه لها لخمس خلّت من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة... وكان أول ما ابتنى منها سورها الغربي الذي فيه أبوابها ... وأمر بعمل باب الحديد للمدينة ... وابتنى دار الصناعة ... وأنزل المهدي جنده وخاصته فيها^(١١٦)»، كما أنشأ المهدي مدينة زويّة، حيث يذكر ذلك التجاني بقوله: «وابتنى لعامة الناس المدينة الأخرى المسماة بزويّة ... فكانت كالرياض لمدينة المهديّة^(١١٧)»، والمنصورية نسبة إلى الخليفة المنصور أبو ظاهر إسماعيل (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م)^(١١٨)، وقيل إن أصل اسمها مدينة صيرة، حيث يذكر الهكرو ذلك بقوله: «ومدينة صيرة متصلة بالقيروان، بناها إسماعيل سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة واستوطنها وسماها المنصورية ...»^(١١٩) ثم بنى جوهر القاهرة لتصبح عاصمة جديدة وينقل إليها سيده المعز لدين الله، وقيل إن اسمها شق على طلوع كوكب رصده أحد الحكماء الشيعة الذين كانوا بديار مصر، وهو كوكب يقال له القاهر، فسموها القاهرة تيمناً أنها سوف تظهر أعداءها، ونحن لا نستبعد ذلك لأن المعز كان مغرباً بالنجوم وعولمها، وقيل إنها سميت بالقاهرة لأنها تظهر من شدّ عنها وحاول الخروج على أميرها^(١٢٠).

٢٢- إنشاء دور العلم لتعليم وتعميم المذهب الشيعي:

كانت سياسة الفاطميين الدينية تقوم على نشر عقائد الإسماعيلية، مما ساعد على قيام مجالس لدراسة المذهب الشيعي في مصر، ولا سيما في عهد الخلفاء أمثال: العزيز بالله ووزيره اليهودي يعقوب بن كلثوم، حيث رتب يعقوب، سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م، قى داره المجالس للعلماء والشعراء والفقهاء وأجرى لجمعهم الأرزاق، وكان يقرأ على الناس كتاب مختصر الفقه المعروف بالرسالة الوزيرية، وهي كتاب ألفه في فقه الإسماعيلية يتضمن ما سمعه من المعز وأبنيه العزيز^(١١١) وبنو الجامع الأزهر وعقدت به حلقات التدريس، ولم تقتصر حلقات الدرس الشيعي على القاهرة وحدها، وإنما امتدت إلى بقية المدن المصرية، فأقيمت فيها - في نهاية العصر الفاطمي، حلقات للدرس لنشر المذهب الشيعي بين أهلها^(١١٢)، وأنشأ الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م دار الحكمة بالقاهرة، وأطلق عليها هذه التسمية نظرا للدعوة الشيعية، لأن مجالس الدعوة كانت تسمى مجالس الحكمة^(١١٣)، وجلس فيها القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء وغيرهم^(١١٤)، وأغلقها بدر الجمالي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م^(١١٥).

٢٣- إنشاء المساجد والأضرحة والمشاهد الشيعية:

ومن المساجد الشيعية التي أنشأها الفاطميون جامع المهديّة، حيث ذكره البكري عند حديثه عن المهديّة بقوله: والجامع بنى بالقطائع متفنّ البناء حسنة^(١١٦)، وأنشأ الخليفة الفاطمي أبو القاسم بن عبيد الله مسجداً في أجدابية، وأورد ذلك البكري عند ذكر مدينة أجدابية بقوله: وبها جامع حسن البناء بناه أبو القاسم بن عبيد الله، وله صومعة مئذنة بديعة العمل^(١١٧)، وأيضاً جامع طرابلس الذي بناه بنو عويّود في سنة ٢٩٩هـ/٩١١م على يد خليل بن إسحق^(١١٨)، لما أتم جوهر الصقلي فتح مصر وأسس القاهرة؛ ثم يرى أن يفاجئ المسنين في مساجدهم بإقامة شعائر المذهب الشيعي حتى لا يثير كراهية المعصومين، لذلك وضع أساس الجامع الأزهر في يوم السبت ١٤ رمضان سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م، وتم بناؤه في مدائن أفريقيا، وأقيمت الصلاة لأول مرة في ٧ رمضان ٣٦١هـ/٩٧١م^(١١٩)، ثم بنت تغريد، زوجة المعز لدين الله، مسجدها بالقرافة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، جامع الحاكم الذي بدأ العزيز بناؤه خارج باب الفتح سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م وسماه جامع الخطية، وأكمل بناؤه والده الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٣م وتم يفتح رسمياً للصلاة إلا سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م^(١٢٠)، ثم بنى الخليفة الحاكم بأمر الله مسجد المعس ورأسده، وجامعه الذي ما زال يحمل اسمه لأن، لتشر المذهب الشيعي^(١٢١)، ثم بنى الخليفة الأمر بأحكام الله أمام قصره سنة ٥١٩م، الجامع الأقمر^(١٢٢)، ثم بنى الصالح طلائع بن رزك مسجده خارج باب زويلة سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، الذي عرف باسمه لأن (جامع الصالح)^(١٢٣)، والجامع الظافري الذي بناه الخليفة الفاطمي الظافر، سنة (٥٤٤هـ -)، وكان يقال له الجامع الأخضر، وسمى بجامع الفكاهنيين، وقد بنى الظافر هذا المسجد سنة ٥٤٨هـ، وعرف بجامع الفكاهنيين لأن سوق الفلكهة كان بالقرب من بابه^(١٢٤).

أما المشاهد الشيعة فمنها: مشهد السيدة رقية، والمشهد مؤرخ سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٣م^(١١٦)، ومشهد الجعفرى^(١١٧)، ومشهد السيدة عاتكة يذكر أن بناءه كان سنة ٥١٥هـ^(١١٨)، ومشهد السيدة كلثوم^(١١٩)، ومشهد السيدة نفيسة^(١٢٠)، ومشهد يحيى التشبيه أشنى سنة ٥٤٥هـ / ١١٥٠م^(١٢١).

٢٤- الاحتفال بالأعياد وإحياء أعياد جديدة لم تكن في الإسلام:

تقريباً من المصريين شاركهم القواظميون أعيادهم كعيد الفطر والأضحى ورأس السنة الهجرية، وغرة المحرم، وأئمة الرؤية، وثيقة القدر، إلا أنهم أوجدوا أعياداً جديدة لإحياء ونشر مذهبهم بالدعاية لهم، ومنها:

عيد غدير خم^(١٢٢): كان رسول الله (ﷺ) عند عودته من مكة بعد حجة الوداع في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٠هـ / ٦٣١م نزل به وأخى بينه وبين علي بن أبي طالب (ع)^(١٢٣)، وأول ما احتفل الشيعة بعيد الغدير في العراق سنة ٣٥٢هـ / ٩٦٣م، في أيام معز الدولة بن بويه^(١٢٤)، وأول ما عمل في مصر سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م، بعد وصول المعز إليها^(١٢٥)، وهو عيد احتفل به المعز ولا يزال الشيعة يحتفلون به حتى اليوم، ويقول أصحابه إن علي ابن أبي طالب، كرم الله وجهه ونبي الرسول (ﷺ) وخليفته، لأن الرسول عندما عاد من حجة الوداع وقرب المدينة نزل بغدير خم وهو مكان يقع بين مكة والمدينة، وأمسك بيد علي وقال علي مني وأنا من علي من أذى علي فقد أذى مني ومن ولي علياً فقد ولاني وفي رواية أخرى من كنت مولاه فعلي مولاه^(١٢٦) ومن يومها اعتقد الشيعة أن علي (ع) خليفة الرسول (ﷺ) وأن أبا بكر وعمر وعثمان وبنو أمية وبنو العباس اغتصبوا حق الخلافة من علي وأبنائه^(١٢٧)، وقد ورد خير غدير خم في زیارات عبد الله علي مستند الإمام احمد عن علي بن الأرقم قال: نزلنا مع رسول الله (ﷺ) بواد يقال له وادي خم فأمر بالصلاة فصلاها جهراً، قال فخطبنا ونزل لرسول الله (ﷺ) بثوب علي شجرة من الشمس فقال: أئتمتع تعلمون، أئتمتع تشهدون أئى أولى بكل مسلم من نفسه؟ قالوا: بئى، قال: فمن كنت مولاه فأني علياً مولاه، اللهم عادي من عداه ووالى من والاه^(١٢٨).

ونلاحظ أن خبر غدير خم قد نقله عدد من الرواة الشيعة وغير الشيعة، وأما ما يستدل به الشيعة بهذه الواقعة على إثبات خلافة علي، فقد أجاب عنه الإمام ابن تيمية في منهاج السنة فقال: ليس في هذا الحديث حديث غدير خم ما يدل على أنه نص على خلافة علي إذ لم يرد به الخلافة أصلاً وليس في اللفظ ما يدل عليه ولو كان المراد به الخلافة لوجب أن يبلغ مثل هذا الأمر العظيم بلاغاً بليغاً^(١٢٩)، وقال الإمام أبو نعيم الأصبهاني: هذه فضيلة بيّنة لعلي بن أبي طالب (ع) ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: (والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) والوالى والموالى في كلام العرب واحد^(١٣٠).

وقد عني المعز بالاحتفال بعيد الغدير علياً فائقة، وحذى حذوه الخلفاء من بعده، فأصبح الاحتفال بيوم ١٨ ذي الحجة من كل سنة من أهم الاحتفالات الدينية خلال العصر الفاطمي، التي كانت تهتز لها جوانب القاهرة فرحاً وسروراً، ويقف منها السنيون مواقف المتفرجين المعجبين،

لأنها كانت من عوامل تسليتهم، ويهتئ الشيعة بعضهم بعضاً، ومنهم من ينحرون كما ينحرون في الأضاحي، لأنهم يفضلون عيد الغدير على عيد الأضحى^(١٢٠)، وكان الخليفة يتوجه بنفسه، في الصباح الباكر من هذا اليوم، إلى التحر يذبح بنفسه الأضاحي الكثيرة التي تفوق ما يذبح في عيد الأضحى، وهذا العيد عندهم أعظم من عيد الأضحى، كما يذبح الجزرون أعداداً كبيرة من الأضاحي من الكباش وغيرها توزع لحومها على الخاصة والمنشيعين وأنصار المذهب الفاطمي^(١٢١).

يوم عاشوراء: يوم العاشر من المحرم وهو شهر مبارك يجته العرب قبل الإسلام وبعده، فقد روى عن النبي (ﷺ) أنه قال: «أرأيت الناس سارعوا إلى الخيرات في هذا اليوم، فإنه يوم عظيم مبارك، قد بارك الله فيه على آدم^(١٢٢)». ومن مظاهر احترام المسلمين لهذا اليوم أنهم يصومونه، وقد روى عن الرسول (ﷺ) أنه لما هاجر إلى المدينة وجد اليهود يصومون هذا اليوم، فسألهم عنه، فأخبروه أنه اليوم الذي أغرق الله فيه فرعون ونجا فيه موسى ومن معه، فقال (ﷺ) نحن أحق بموسى منكم^(١٢٣) فصام وأمر الصحابة بصومه، وصار الخلفاء الراشدون على سنته فكلوا يصومونه، وظل الأمر على ذلك حتى كان استشهاد الحسين في كربلاء، في يوم عاشوراء سنة ٦٢هـ/٧٨١م، فتربكت هذه المناسبة في نفوس المسلمين آثاراً مختلفة، واتخذت الشيعة مأتماً إلى اليوم، ويكون فيه الحسين ويقفرون أشد مظاهر حزن لقتله^(١٢٤).

وظل الشيعة يحتفلون بهذا اليوم في العشرين الأموي والعباسي، ولا يزال الشيعة في البلاد الإسلامية: كإيران والسعودية وبعض دول الخليج والعراق، إلى اليوم يحتفلون بهذه الذكرى فيكون الحسين، ويلبسون السود، وتتعلل الأعمال تماماً حداداً عليه، وقد جعل الفاطميون عيد عاشوراء عيداً رسمياً من أعياد الدولة تحتفل به الحكومة والشعب احتفالاً يبق وما له من مكانة سامية في نفوس المسلمين، فتتعلل الأسواق، ويخرج المنشدون ويسبرون إلى الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) ويخرجون يبكون ويشقون جوبهم وينظمون خدودهم؛ حزناً على الحسين وآل البيت الكرام^(١٢٥) ويحتجب الخليفة عن الناس في هذا اليوم، وكان من عاداتهم إقامة سماط كبير (مواد للطعام) فيها خبز الشعير والحس والمملحات والمخللات والأجبان وعسل النحل، ويجلس الخليفة على كرسي بغر مخدة مثلثاً وحوله حاشيته^(١٢٦)، وإذا ما انتهى السماط طاف النواح بالقاهرة وأغلق الباعة حوانيتهم إلى ما بعد صلاة العصر، وكانوا ينحرون يوم عاشوراء الإبل والبقر والغنم عند مشهد الإمام الحسين^(١٢٧)، الذي يجته المسلمون علمة والشيعة خاصة إلى اليوم، ويوزعون لحومها على الفقراء والمساكين^(١٢٨)، وما زال لأن يحتفل المصريون بهذا العيد ولكن ليس بطريقة الفاطميين.

وأما رأى السنة ما فعله الشيعة في أعيادهم، جعلوا لأنفسهم عيدين لمنافستهم، فجعوا يوم ١٨ محرم وهو يوافق مقتل مصعب بن الزبير يوم حزن يزورون فيه قبره ويكون عليه^(١٢٩)، وأقاموا عيداً آخر عرف بيوم الغار، ويوافق السادس والعشرين من ذي الحجة، وهو يوم دخول النبي (ﷺ) وأبي بكر (رضي الله عنهما) غار ثور أثناء الهجرة إلى المدينة، وجعلوا هذا اليوم سروراً لهم^(١٣٠).
ليالي القعدة: وهي أربع ليال مباركة مشهورة وهي أول رجب ونصفه، وأول شعبان ونصفه^(١٣١)، و يرجع الاحتفال بها إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي كان يطلب إلى أهل مكة أن

يوقتوا النار ليلة غرة المحرم ليهتدى الحجاج^(١٢٢)، أما ليالي الوفود الأربع في العصر الفاطمي فاختلفت، فهي الليالي التي تسبق أول ومنتصف شهرى رجب وشعبان، ولئنك كان الناس تبعاً لتعاليم الشيعة يصومون بعض هذين الشهرين كصومهم رمضان وكانوا يحتفلون بهذه الأيام الأربعة كما يحتفلون بـرمضان، وكان خطباء مساجد الأزهر والحاكم والأقرب يخطبون بين يدي الخليفة كما يخطبون على منابر مساجدهم^(١٢٣).

ومن أهم مظاهر الاحتفال بهذا العيد: إضاءة المساجد والجوامع من الداخل والخارج كما نضاء العائز والأسطح فتتلاها بالأضواء الساطعة، ويحتشد الناس على مختلف طبقاتهم للتعبير ومشاهدة الزينات والاستمتاع بما يوزع عليهم من أصناف الطعام والحلوى، وما يطفأ عليهم من مجامر اليخور المعطرة المصنوعة من الذهب والفضة^(١٢٤)، وكانت المواد تمد في ليالي الوفود في أروقة الجوامع والمساجد، وتحتوي أصنافاً مختلفة من الطعام والحلوى، وتعم الصدقات على الفقراء والمتعبين^(١٢٥).

والمناسبات الشيعة كانت كثيرة على رأسها يوم عاشوراء في ١٠ محرم، ومولد الحسين ٥ ربيع الأول، ومولد السيدة فاطمة ٢٠ جمادى الآخر. ومولد الإمام علي ١٣ رجب، مولد الحسن ١٥ رمضان، مولد الإمام الحاضر، هذه المولد الخمسة - بالإضافة إلى المولد النبوي - أطلق عليها الشيعة المولد الستة^(١٢٦).

٢٥ - أسلوب إيجاد اللغات غير العربية:

من أقوى أساليب الدعوة الفاطمية نشر الدعاة وتلقيهم، فقد كان أعقب دعاة الفاطميين من عبية المتكلمين، والعلميين بلغات من يدعون، سواء أكانوا من البربر أو الروم أو الفرس، وحتى لهجات القبائل، فطى سبيل المثال: كان المعز لدين الله الفاطمي متقناً بـجيد عدة لغات، منها اللغة الطليانية التي تعلمها في صياحة بجزيرة صقلية واللغة النصفيلية التي كانت منتشرة في هذه الجزيرة، كما عرف اللغة السودانية، واللغة الرومية والبربرية^(١٢٧)، وأحكم دراستها وحفظها قراءة وكتابة، فكان يخطب بها يرسل الملوك من الروم والإيطاليين ويطلع بنفسه رسائلهم^(١٢٨)، وكان ذا ولع بالعلوم ودرية بالأدب، فضلاً عما عرف به من حسن التدبير وإحكام الأمور^(١٢٩)، ولم يكن اهتمامه بـمرز والحاكم والنظار والمستنصر، وغيرهم، بل كان اهتمام المعز لدين الله بالعلم والتعلم فقد ابتدأ في مختلف العلوم وخاصة علم النجوم^(١٣٠).

٢٦ - أسلوب التقية:

وهو أخطر أساليب الدعوة الإسماعيلية خاصة والشيعة عامة، ومعنى التقية إخفاء الشئ والتظاهر أمام الناس بأمر غيره، بقولهم إن الدين لمكتوم، وما زال هذا الأسلوب وهذا المبدأ معول به إلى الآن في كل فرق الشيعة. وتبعاً لمبدأ التقية، في كتم أسماء الأئمة، روى عن جعفر الصادق قوله: التقية ديني ودين أبائي ومن لا تقية له فلا دين له^(١٣١)، والخذوا أسماء مثل: مبارك وميمون وسعيد، للفأل الحسن فيها تبعاً لمبدأ التقية، واستتر الأئمة وكسى الدعاة عن أسمائهم تقية عليهم بما هو لهم ووليق بهم، وكان الدعاة وقت التقية يخفون اسم الإمام وربما تسمى أحد من الدعاة بأسمائهم تقية عليهم وستر^(١٣٢).

٢٧- توجيه داعياً احتياطياً:

ومن أساليب الدعوة الإسماعيلية: توجيه داع احتياطي أو بدولي مع الداعي الأصلي، لئلا يحدث به مكروه فيكون معه من يخلفه، إلى أن يأتي أمر الإمام^(١٢٧)، وهذا ما حدث حين أرسل الإسماعيلية الداعين لها سفیان والحلواني إلى المغرب، وحينما أرسلوا أبا القاسم بن حوشب إلى اليمن ومعه علي بن الفضل، أما أبو عبد الله الشيعي فقد أرسل معه إلى المغرب عبد الله بن أبي ملاحف^(١٢٨)، وقد وصل ابن أبي ملاحف إلى بلاد كتامة، لكنه ما لبث أن أعيد إلى اليمن واستبدل بإبراهيم بن إسحاق الزبيری^(١٢٩).

٢٨- أسلوب التشكيك في عقيدة المدعو:

لحقى الغاطميون ما يريدون أن يحملوا الناس على اتباعه، وتظاهروا أمامهم بأسور أخرى عبر سبع درجات نظموها كما يريدون: ففي الدرجة الأولى يجتنبون الناس بالوعود الكاذبة عن طريق تفسير رموز الدين بقولهم: يا هذا إن الدين لمكتوم وإن الأكثر له لعنكرون وبه جاهرون ولو علمت هذه الأمة ما خص الله به الأنمة من العلم لم تشتكف. فالإمام سر الله المكتوم بأسره المستور الذي لا يطلع حمله ولا ينهض بأعبائه إلا هو. ومن الأسئلة التي يسألها الداعي إلى المدعو في هذه الدرجة: ما بال الله خلق الدنيا في ستة أيام؟ أعجز عن خلقها في ساعة واحدة؟ وما معنى الصراط المذكور في القرآن؟^(١٣٠) وما إبليس وما الشيطان وما وصفه؟ وأين مستقره؟ وما بأجوج وماجوج؟، وهاروث ومرقوت^(١٣١)، ولم جعلت السموات سبعة؟ والأرض سبعة؟ ولما جعلت الشهور اثنا عشر شهراً، ثم يقول الداعي لمن حوته: فكروا أولاً في أنفسكم؟ أين أرواحكم، وكيف صورها؟ وأين مستقرها؟ وما أول أمرها؟ وما معنى قول الرسول (ﷺ) خلقت حواء من ضلع آدم؟ ولم كانت قامة الإسمان مننصية دون غيره من سائر المخلوقات؟^(١٣٢) وهكذا يشكك الداعي المدعو في أمر العقيدة، ثم يدخل في الدرجة الثانية وهي: إن فرائض الإسلام لا تؤدي إلى مرضاة الله إلا إذا كانت عن طريق الأنمة السبعة، ثم يكشف المدعو بقوله إن الناس قد خذلوا لأنهم لم يأخذوا عن أنمة نصيهم الله له. وبذلك يضعون أساس مبدأ الإمامة في نفس المدعو، فيتحول عن دينه أو مذهبه القديم^(١٣٣).

ثم يدخل في الدرجة الثالثة: وفيها يكشف الداعي للمدعو عن العقيدة بأن الأنمة سبعة، وأن الإمام الحقيقي هو السابع الذي يعلم كل رموز الدين وسرانه، ويستدل على ذلك بأن الله تعالى جعل الكواكب السيارة سبعة وجعل السموات سبعة، وجعل الأرضين سبعة، والآنمة سبعة، أولهم على ثم الحسن فالحسين ثم علي زين العابدين بن محمد الباقر فجعفر الصادق فإسماعيل بن جعفر^(١٣٤).

ثم يدخل في الدرجة الرابعة باعتقاده أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، والعباد بالله لأنه لائق، ثم يدخل في الدرجة الخامسة وهي: أن لكل إمام قائم حججاً متفرقين في الأرض عددهم اثنا عشر رجلاً، ويستدل على ذلك بأن البروج اثنا عشر، وأن نقباء بني إسرائيل اثنا عشر ونقباء النبي اثنا عشر، ثم يقول للمدعو إن شريعة محمد (ﷺ) تستسخ، وإن كان فارسياً نكرو

بإذلال العرب لهم، ثم يدخله في الدرجة السادسة وفيها يفسر له شرائع الإسلام من صلاة وزكاة وحج وصوم بقوله أن هذه الفرائض وضعت لشغل العامة عن خلافاتهم وتباعدهم عن الفساد، ثم يدعو إلى طور الفلسفة، ثم يدخل في الدرجة السابعة، وفيها يعلم المدعو أن الناصب للشيعة هو النبي لا يستغنى بنفسه وولادته من أصحاب يكون أحدهم الأصل والأخر معاوناً له، ثم الدرجة الثامنة وفيها يدعى أن معجزة النبي الصادق الناطق وهو: محمد ابن إسماعيل ثم التاسعة أصبح المدعو جديراً بالتعمق في أصول المذهب الإسماعيلي^(١٤١).

٢٩- أسلوب تأليب الناس بعضهم على بعض :

اتبع دعاة المذهب الفاطمي أسلوباً خاصاً في دعوتهم وهو: تأليب الناس والشعوب ضد بعضها، فإذا كان المدعو فارسياً ذكره الداعي بإذلال العرب للفرس، وأنهم هم الذين تمروا منك فارس، وهدموا إيوان كسرى وأسقطوا الدولة المساسنية العظمى وهدموا بيوت نورانهم، وإن كان عربياً أقاموا حقيقته ضد الفرس، وأنهم هم الذين سلبوا العرب ملكهم وتريعوا على عرش الدولة، وإن كان يهودياً أو نصرانياً حدثوه بما يوافق عقيدته ومبوءه^(١٤٢).

٣٠- تقسيم الدعوة :

أسند الفاطميون رئاسة الدعوة الإسماعيلية إلى موظف كبير أطلق عليه (داعي الدعوة) ، وكان يلبي قاضي القضاة في الرابعة، ويتولى بزيمه في التماس وغيره، ويساعد داعي الدعوة في نشر التعاليم الفاطمية اثنا عشر لقبياً، وله قوابل بقويون عنه في البلاد، وبذلك يعتبر الصلة بين الخليفة وبين أتباعه من الإسماعيلية. ومن أهم أعمال داعي الدعوة رئاسة الدعوة الإسماعيلية، وأخذ العهد على المريرين؛ إما مباشرة أو بواسطة نوابه في مصر وغيرها، وتدوين من يدفع من المال أكثر، ومن أشهر من تقلدوا وظيفة داعي الدعوة: أسرة أبي حنيفة النعمان المغربي، والمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي أشهر دعاة الفاطميين^(١٤٣).

٣١- تأليه الحاكم والاضام :

ادعى الخلفاء الفاطميون بأن لهم قوة إلهية، فقد اعتبروا عبد الله المهدي الخالق الرزق (والعبد بالله) كما اعتقدوا في توبته أيضاً، وهناك طائفة ثالثة تدعى أنه النبي حقاً^(١٤٤) بل نادوا بلعن الأنبياء، ولعن الفار ومن لاذ به، وأمروا بحرق الكعبة والمصالحف^(١٤٥). عمل الشيعة على نشر الآراء الإسماعيلية المنطرفة في كثير من النواحي وتجراً بعض غلاة التشيع في تحويل المحرمات، والإشارة إلى عبيد الله المهدي بالآلوهية، ولما استقر المهدي بالمهدية؛ وكان أحد غلاة الشيعة وهو أحمد البلوي النخاس يقول له: أرق إلى السماء، كم تقيم في الأرض وتمشي في الأسواق، وكان يقول لأهل القيروان عن عبيد الله المهدي: إنه يعلم سرهم وتجوالم^(١٤٦).

وفي عهد المعز لدين الله وجه لائمة المساجد والمؤننين، مشدداً عليهم، بالأا يؤننون إلا بحي على خير العمل، وقراءة البسمة في أول السورة، والتسليم تسليعتين، وما إلى ذلك مما يأخذ به الإسماعيلية، بل قيل إنه ادعى النبوة، ومن من نادى فوق صومعة جامع القيروان بقول أشهدوا أن معدا رسول الله، فارتج البلد فلنك فأرسل المعز من سكن الناس^(١٤٧).

وقد ظل المعز محتجبا عن الناس، ومتخفيا عن الناس سنة كاملة، فاعتقد الناس أنه صعد إلى السماء، وبلغ من هذا الاعتقاد أن الجندي الفاطمي كان إذا رأى سحابة في السماء، ترجل وقال (السلام عليك يا أمير المؤمنين^(١٢٢)).

وقد مدح ابن هانئ الأندلسي مولاه المعز بأبيات فيها صفات الأنووية والنبوة وبهذا مهد السبيل لمن جاء بعده من الشعراء، ومن قوله :

هو عنة الدنيا ومن حقت له ولعة ما كانت الأثياء .
ولك الجوارى المنشأت مواخراً تجرى بأمرك والرياح رخاء .
فعدت لك الأنصار والقبابت لك الأقدار واستحييت لك الأنواء .
لا تبائلن عن الزمان فإته في راحتك يدور حيث تشاء^(١٢٣) .

وقوله أيضاً:

ندعوه منتقماً عزيزاً قادراً غلر موبقة التئوب صلوحاً
لكسبت لولا أن دعيت خليفة لدعيت من بعد المسيح مسيحاً
شهدت بمفكرك السموات العلى واتزل القرآن فوك مسيحاً^(١٢٤) .

وقد بلغ تعجب ابن هانئ الأندلسي، للخليفة الفاطمي المعز، أقصى حد يمكن أن نتصوره، حيث ينسب إليه الشاعر القدرة على إتيان المعجزات، فيقول :

فقد شهدت له بالمعجزات كما شهدت لله بالتوحيد والأزل^(١٢٥) .

ولكن خلفاء الفاطميين الأول لم يفتحوا في استمالة جميع المصريين بهذه الاعتقادات وامثالها، ولذلك نرى أن عقيدة تأليه الحاكم بالله قد أثارت عليه سخط الأهلين^(١٢٦)، وقد نسب الحاكم إلى نفسه الكثير من المعجزات، فقد نادى الخطباء في المساجد وبحضرة قاضي القضاة (باسم الحاكم الرحمن الرحيم) والعباد بالله، وبذلك نسب إليه الصفات التي هي من صفات الله سبحانه وتعالى، كما رجع له الناس في كل ولايات الدولة الفاطمية^(١٢٧) قائنين (أنت الواحد الأحد، والمحي المميت^(١٢٨)).

٣٢- نظرية النساخ :

ادعى الفاطميون وأمنوا إيماناً قوياً بنظرية نساخ الأرواح، وأن روح الله تعالى حلت في آدم، وتكرجت حتى وصلت إلى محمد (ﷺ) ثم انتقلت إلى علي وأولاده، ثم وصلت إلى الحسن بن إسماعيل، وأخيراً استقرت في جسد الحاكم الذي ادعى تجسم الإله في شخصه، ولهذا كان (إذا بدا للناس في الطرقات، خروا له سجداً وقبلوا الأرض، ومن أبي كان نصيبه الموت^(١٢٩)).

٢٢- أسلوب قتل الخيلة (الاعتقالات)

شكل الظالمون فرقة خاصة عرفت باسم الغاوية الذين يضحون بأنفسهم فداءً لربهم، ويشترط فيهم التغلّي في خدمة الرئيس والتضيحة إلى أبعد الحدود، وأصبح هؤلاء آلات التقام فتاة، وخالقوا عصراً مليئاً بالخوف والفرح، وكانوا يستخدمون في قتل الأعداء (أعداء الدعوة) غداً وغيلة^(١٧١)، وشهدت السنوات ٤٠٨/هـ-١٠١٧م وحتى ٤١٠/هـ-١٠١٩م، سلسلة من المصاعبات والاعتقالات والقتل لمعارضى الدعوة الفاطمية^(١٧٢).

٢٣- أسلوب التأسيس والتدليس والتأسيس والخلع:

فالتأسيس وهو يعنى الأمن والطمأنينة في نفوس المدعوين وإتباع مبولتهم، وإعطائهم كل ما يميلون إليه، كل حسب نزواته.

أما التدليس: وهو أن يلجأ الداعي إلى التمثويه، ويدعى ادعاءات كاذبة في إغراء المرید وتشويقها وإلهاب رغبته في الدخول في الدعوة.

أما التأسيس: وهو تثبيت المعلومات والحقائق التي أنشأ بها الداعي للمستجيب، حتى تستقر في ذهنه ويقبل عليها ويؤمن بها.

والخلع ويقصد به إقصاء المریدين عن المذاهب المنسية، نهائياً، بإسقاط الفرائض الشرعية في الإسلام، وذلك بالاستعانة بالتأويل غير المشروع^(١٧٣).

٢٤- الادعاء بأن حقه في الخلافة قد انحصر منهم المنصبا:

على يد الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، والخلفاء من بني أمية وبني العباس^(١٧٤)، والشيعنة بصفة عامة يكفرون الصحابة جميعاً، لأنهم من وجهة نظرهم خذلوا علياً واختاروا غيره، وبعضهم يفضل علي عليه السلام، وبعضهم يجعل علياً عليه السلام، وهو الذي أرسل محمداً، وزاد بعضهم، وجعل الأئمة كلهم آلهة يظهر الله بصورتهم وينطق بلسانهم ويأخذ بأيديهم^(١٧٥).

٢٥- لعنهم أبا بكر وعمر وعثمان عليه السلام:

نصب العبيديون، في عهد الخليفة القائم بأمر الله حميداً الأعشى السبلي في الأسواق، رسب الصحابة بأسجاج لقلها، ومن تكلم أو اعترض من أهل السنة امتحن ومثل به^(١٧٦)، ولما قدم عبيد الله المهدي إلى الحرقية، وتولى مقاليد الأمور فيها، حدث تصعيد خطير في الدعوة الإسلامية وعكس ابن عذاري ذلك بقوله: «الظهر عبيد الله المهدي للشيوع القبيح وسب أصحاب النبي ﷺ وأزواجه عدا علي بن أبي طالب عليه السلام، والمقداد بن الأسود، وعمر بن ياسر، وسلمان الفارسي وبني ذر الغفاري، وزعم أن أصحاب النبي ﷺ ارتدوا بعهد غير هؤلاء الذين سميتهم...»^(١٧٧).

كان لدخول البويهيين بغداد، سنة ٤٣٤/هـ-٩٤٥م، أثره في ازدياد نفوذ الشيعة في دولة الخلافة العباسية المنسية، ونتيجة لذلك تجرأ الشيعة سنة ٣٥١/هـ-٩٦٢م، وقاموا بالكتابة على أبواب المساجد ببغداد لائحة معاوية وثلاثة من غضب فاطمة حقه من فدك^(١٧٨) - ويقصدون أبا بكر عليه السلام - ومن أخرج العباس من الشورى - ويقصدون عمر بن الخطاب عليه السلام - ولغة من نفى أبا ذر الغفاري^(١٧٩) - ويقصدون عثمان بن عفان عليه السلام - ومن منع الحسن أن يذل مع جده

(١٧٦) - يقصدون مروان بن الحكم -، ولما ثار السنونيون لذلك قاموا بإزالة هذه الكتابة فالتشير على معز الدولة البويهبي أن يكتب بدلاً منها "لعن الله الظالمين لأن رسول الله ولا يصرح إلا بلعن معاوية فقط" (١٧٧)، ولأن بلعن أبو بكر وعمر بالذات على منابر الشيعة.

٣٦- ضرب العملة والنسكة:

لما كان الفاطميون من الشيعة؛ فإن عمتهم كانت بالضرورة تحمل صفتهم المذهبية الشيعية فيما عدا ما يشير من نصوصها إلى شهادة التوحيد أو إلى الرسول (ﷺ). وقد أقدم الداعي أبو عبد الله الشيعي بعد استيلائه على رقادة (١٧٨) على عدة إجراءات إدارية ومذهبية أرسى بها دعائم الدولة الشيعية الناشئة وكان منها تعيين أبا بكر الفيلسوف المعروف بابن القمودي، ناظرًا للنسكة ونقش فيها: "الحمد لله رب العالمين" وسميت بالعملة السيدية (١٧٩)، وأهتم الداعي الشيعي بإحلال العناصر الشيعية على العملة ونقش على وجهها: "بلغت حجة الله" وعلى الظهر تفرق أعداء الله (١٨٠)، وضرب الدينار باسم الخليفة الفاطمي بون الخليفة العباسي وهذا ما فعله جوهر الصقلي عند دخوله مصر مباشرة حينما أمر بقطع الخطة للعباسيين على كافة منابر مصر، وأمر بضرب العملة باسم الخليفة الفاطمي، فُضرب على أحد وجهيها (باسم مولاي المعز) وفي الوجه الآخر (المعز لدين الله أمير المؤمنين ومحمد رسول الله ﷺ) (١٨١)، وذكر المقرئ أنه ضرب على أحد وجهيها: دعى الإمام معز بتوحيد الإله الصمد وفي السطر الثاني (المعز لدين الله أمير المؤمنين) وفي السطر الثالث (باسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة)، وضرب على الوجه الآخر (لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين) (١٨٢)، (انظر الشكل)

الوجه:

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين.

هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

الظهر:

باسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

دعى الإمام معز لتوحيد الإله الصمد.

أمير المؤمنين المعز لدين الله.

تشير الكتابات على الدينار إلى رسالة محمد وإلى تعجيد على أفضل الوصيين ووزير خير

المرسلين كما يظهر لقب المعز الإمام وأمير المؤمنين (١٨٣).

٣٧- لباس اللون الأبيض شعار الدعوة العلوية:

أزال المعز السود - شعار العباسيين - وألبس الخطباء في الجوامع الثياب البيضاء -

شعار الفاطميين (١٨٤)، ونهى عن التكبير بعد صلاة الجمعة، وكان من العادات المألوفة عند أهل السنة (١٨٥).

٢٨- إقامة الخطبة:

من الإجراءات المذهبية التي اتخذها أبو عبد الله الشيعي، في بلاد المغرب، أنه عين خطباء الجوامع من الشيعة، وأمر في الخطبة بالصلوة على محمد وعلى أنه وعلى أمير المؤمنين على وعلى الحسن والحسين وعلى فاطمة الزهراء، وأمر بالأذان بحسب على خير العمل، وأسقط من أذان الفجر عبارة الصلاة خير من النوم، وأمر بإسقاط صلاة التراويح^(١١٤).

أقام جوهر تصلى الخطبة للمعز في الجامع الأزهر وغيره من مساجد مصر وكانت فكرته وخطبته ترمي إلى بث الدعوة الفاطمية باسم الفاطميين^(١١٥)، وقد أدخل عبارات مثل: (اللهم صلي على عبدك ووليك، ثمرة النبوة، وسئيل العزة الهادية المهدية، عبد الله الإمام معد أبي تميم المعز لدين الله، أمير المؤمنين، كما صليت على آبائه الطاهرين وأسلافه الأئمة الراشدين، اللهم ارفع درجته، وأعلى كلمته، وأوضح حجته، واجمع الأمة على طاعته، والقنوب على موالاته وصحبته، واجعل الرشاد في موافقته، ووزنه مشارق الأرض ومغاريها، فقد امتعض لدينك... ودرس الجهاد في سبيلك، وانقطع عن الحج إلى بيتك وزيارته قبر رسولك، فاعد للجهاد عدته وأخذ لكل خطب أهبتة لسير الجيوش لتصرتك، وأنفق عليها الأموال، ويذل المجهود في رضاك... فتصر الله جيووشه التي سيرها... اللهم اجعل رايته عاتية مشهورة، وعساكره غاتية منصوره، وأصلح به وعلى يديه، واجعل لنا منك واقية عليه)، ثم زادوا في الأذان (بحسب على خير العمل) ثم قرئت البسملة بصوت مرتفع^(١١٦)، وأمر الفاطميون أن يقال في الخطبة: اللهم صلي على محمد النبي المصطفى وعلى عتي المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسين والحسين سبطي الرسول، الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، اللهم سئلي على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين المعز لدين الله، الهادين المهديين^(١١٧).

وأقام قرواش بن العلاء أمير بني عليل في الموصل الخطبة للخليفة الفاطمي في ربيع المحرم سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م^(١١٨) (النظر الملحق رقم ٢)

٢٩- الاهتمام بالعمران الداخلي:

وخاصة أمور الزراعة والصناعة والتجارة، فنظمو الري وأصلحوا الجسور، وقد عرفت مصر بثروتها الهائلة في عهدهم، وقامت فيها مصانع للنسيج وغيره^(١١٩)، كان العمران كثيراً ووسائله كثيرة والدور فخمة تصل إلى عشرة طبقات يسكنها الخلفاء، أما الشعب فإنه يمتلك داره وحوائبه ومصانعه^(١٢٠).

وهكذا بلغت الدعوة الفاطمية إلى اتباعها بهذه الأساليب، ولكن الشيء العجيب أنه لم يتسبح المصريون بالصورة والدرجة التي كان يتمناها الفاطميون، حتى عندما سقطت الخلافة الفاطمية في مصر، ٥٦٧هـ/١١٧١م، ثم يتناطح عليها عزازن كما ذكر المؤرخون.

ملاحق البحث

ملحق رقم ١ :

نص خطاب الإمام المعز لدين الله الفاطمي إلى محمد بن طغج الإخشيدى:
 قد خاطبتك أعزك الله في كتابي المشتمل على هذه الرقعة بما لم يجر لي في عقد الدين وما جرى
 به الرسم من سياسة أنصار بمتجنبون وضمنت رفعتي مالم يطلع على أحد من كتابي وذوى
 المكاتب عندي، وأرجو أن تترك صحة عزيمتك وحسن رأيك إلى ما أدعوك إليه، فقد شهد الله على
 ميلي إليك وإيثاري لك ورغبتى في مشاركتك ما حوته يمينى واحتوى عليه سكتى، وأبىس يتوجه لك
 العسر في التخلف عن إجابتي لأنك قد استغرقت مجهودك في مساعدة قوم لا يرون إحصاتك ولا
 يشكرون إخلاصك بخلفون وعداك ويفخرون ذمتك ثم يعتقد منهم أحد حسن المكافأة ولا جميل
 المجازاة، وأبىس ينبغي لك أن تحل عن منهج من نصحتك وإيثار من أترك إلى من يجهل موضعتك
 ويضيع حسن سعوك، وإذا تدمرت هذا الأمر علمت أن الذوى يحمننى على التواطى لك وقبول
 الميسور منك إنما هو الرغبة فيك، وأنت حقيق بحسن مجازاتي على ما بذلته والله يريد حسن
 الاختيار في جميع أمرك وهو حسينا ونعم الوكيل. (١١٢)

ARCHIVE

ملحق رقم ٢ :

نص خطبة الجمعة في الموصل للحاكم بأمر الله، في ربيع المحرم سنة ٤١٠هـ /
 ١٠١٠م (١١١) :

... اللهم وصلى على وليك الأزهري وصديقك الأكبر على بن أبي طالب أبي الخلفاء الراشدين
 المهديين، اللهم وصلى على السبطين الطاهرين الحسن والحسين، وعلى الأئمة الأئير والصفوة
 الأخيار، من أقام وظهر ومن خاف فاستتر، اللهم صلى على الإمام المهدي بك والذي بلغ أمرك
 وأظهر حجته وأهض بالعدل في بلادك، اللهم وصلى على القائم بأمرك والمنصور بناصرك الذين
 بذلوا نفوسهما في رضاك وجاهدوا أعدائك، اللهم وصلى على المعز لدينك المجاهد في سبيلك ...
 اللهم وصلى على العزيز بك الذي مهدت به البلاد وهديت به العباد، اللهم وأجعل نواصي صلواتك
 وزواكي بركاتك، على سيدنا ومولانا إمام الزمان وحصن الأمان وصاحب الدعوة العلوية، والمة
 النبوية، عبيدك ووليك المنصور أبي على الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين. كما صليت على آباءه
 الراشدين، اللهم وفقنا لطاعته واجمعنا على كلمته ودعوته، اللهم وأعهه على ما وئبته وأحفظه فيما
 استرعيته ... والنصر جيوشة وأعلى أعلامه في مشارق الأرض ومغاربها إنك على كل شى شير.

الخاتمة :

وإذا كنا قد انتهينا من الحديث عن النقاط التي حددناها لمعالجة هذا البحث، وإخراجه على هذا النحو، فإنه لجدير بنا أن نختمه بالإشارة إلى بعض النتائج التي يمكن أن نستخلص منها، وهذه النتائج يمكن أن نجملها في نقاط محددة، وذلك على النحو التالي:

- استخدم الفاطميون وسائل عديدة ومتنوعة ما بين مادية ومعنوية في سبيل نشر دعوتهم.
- استخدموا أيضاً الأساليب السلمية تارة والأساليب الحربية تارة أخرى.
- تخير الفاطميون أماكن نشر دعوتهم، بعد دراسة متأنية دلت على ذكالتهم وتوثيقهم في ذلك باختيار اليمن والمغرب ومصر.
- نجح الفاطميون في اتخاذ أسلوب السر والكتمان، والترغيب والترهيب، في سبيل نشر دعوتهم في بادئ الأمر حتى صارت لهم قوة فأعلنوها.
- اختار الفاطميون دعوتهم بدقة وكانوا يرسلون مع كل داع داعياً آخر احتياطياً وكان ذلك سبب نجاح دعوتهم.
- أنفقوا الكثير من الأموال في سبيل تحقيق هدفهم سواء لشراء أفكار المریدین، أو لإعداد الجيوش.
- اعتمدوا على بعض الأحاديث النبوية التي اعتقدوا أنها تعد مباحة للإمام علي، ولكنها لم تكن مباحة.
- اهتموا بالاحتفالات الدينية الشعبية، وأنفقوا خلالها الكثير من الأموال والهدايا، لإرضاء الناس وكسب ودهم.
- تبين من البحث أن الفاطميين أنشأوا العديد من المدن والعواصم التي تنسب إليهم، واتخذوها حاضرة لهم، كما أنشأوا العديد من المساجد والأضرحة والمشاهد، لنشر المذهب الشيعي.
- اهتموا بالنواحي العمرانية من خلال نهضة البلاد في النواحي الاقتصادية وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر :

- ابن الأثير: (عنى بن أحمد بن أبي بكر) ت ٦٣٠ هـ
 - الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، راجعه وصححه، د. محمد يوسف الدقاق، ١٩٨٧ م.
- ابن أبيك الدوادري: (أبو بكر عبد الله بن أبيك) ت بعد ٧٣٦ هـ.
 - كرز الدرر وجامع الفرر المسمى الدررة المضنية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للأثار، القاهرة، ١٩٦١ م.
- الاصطخرى: (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخري) ت ٣٤٦ هـ.
 - المسالك والمعالك، طبعة لينن، ١٩٧٢ م.
- البخارى: (محمد بن إسماعيل)
 - صحيح البخارى، طبعة مصطفى ديب البغرى، ط ٤، دار ابن كثير واليمامة، دمشق، بيروت، ١٩٨٩ م، ص ١٨٦٥.
- البكرى: (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧ هـ.
 - المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، نشر دى سلان، الجزائر، ١٨٥٧ م.
- المسالك والمعالك، تحقيق لريان فان ليونين، وإندري فبرى، دار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢ م.
- الترمذى: (محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمى) ت ٢٧٩ هـ.
 - سنن الترمذى تحقيق أحمد شاكر وآخرين، ط ٣، مطبعة لطيفي القاهرة، ١٣٩٨ هـ.
- التجلى: رحلة التجلى (تونس - طرابلس، ٧٠٦-٧٠٨ هـ) ليبيا، تونس، ١٩٨١ م.
- النعلمى: (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل) ت ٤٢٩ هـ.
 - بيعة الدهر، شرح وتحقيق محمد مفيد فريحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ابن الجوزى: (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي) ت ٥٩٧ هـ.
 - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٣٩ م.
- الحميرى: (محمد بن عبد المنعم) ت ٩٠٠ هـ.
 - الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، مكتبة بلونان، بيروت، ١٩٨٤ م.
- ابن حنبل: (الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل) ت ٢٤١ هـ
 - المسند، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط ٤، القاهرة، ١٩٥٤ م.
- ابن حوقل: (أبو القاسم محمد البغدادي اللصبي) ت ٣٨٠ هـ.
 - المسالك والمعالك صورة الأرض طبعة بيروت، دى جويه ١٨٧٠ م.

ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ .

- العبر ودويوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الإقليمي للمطبوعات، بيروت، د.ت.
- ابن خلكان: (شمس الدين أبو العباس أحمد ابن إبراهيم) ت ٦٨١ هـ
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧ م.

أبو داود: (سليمان بن الأشعث)

- سنن أبي داود، ط محمد محي الدين عبد المحي، المكتبة الإسلامية، استنبول، د.ت.
- ابن سعد: (محمد بن سعد كاتب الواقدي)
- الطبقات الكبرى، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت
- ابن سعيد: (علي بن سعيد المغربي) ت ٦٨٥ هـ
- المغرب في حلى بلاد المغرب، القسم الخاص بالقسطاط، تحقيق: زكي محمد حسن، سيدة كاشف، شوقي شريف، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٣ م.
- المسيوطي: (عبد الرحمن بن بكر جلال الدين) ت ٩١١ هـ
- تاريخ الخلفاء، علق عليه: محمود رياض الحطبي، دار للمعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٩ م.

أبو شامة: (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن المقدسي) ت ٦٥٥ هـ

- الروضتين في أخبار الدولتين التورانية والصلاجية، تحقيق محمد حلمي أحمد، محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢ م.
- ابن شداد: (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع) ت ٦٣٢ هـ
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الشيبان، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٢ م.
- الشهرستاني: (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) ت ٥٤٨ هـ
- الملل والنحل، تخريج محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦ م.

الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤ هـ

- الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة من العلماء، نشرات الإسلامية (٦) استانبول- بيروت، ١٩٤٩-١٩٨٨ م.
- ابن الصيرفي: (تاج الزناسة أمين الدين أبو القاسم علي بن سليمان) ت ٥٤٢ هـ
- القاتون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال التوزرة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة، الطبري: (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠ هـ
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٩ م.
- ابن الطوير: (أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القهري) ت ٦١٧ هـ

- نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد سيد، نشرات الإسلامية (٣٩)، شتوتجارت، ١٩٩٢م.
- ابن قفاقر: (جمال الدين أبو الحسن بن منصور الأزدي) ت ٦١٢هـ
- أخبار الدول المنقطعة، تحقيق علي عمر، دار الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م.
- ابن عذاري المراكشي:
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وايلى بروقتسال، بيروت، ١٩٨٠م
- أبو الفدا: (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة) ت ٧٣٢هـ
- المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبى، القاهرة.
- القزويني: (زكريا بن محمد بن محمود القزويني) ت ٦٨٢هـ.
- آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٧٩م.
- القائمشندي: (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٢١هـ
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م.
- ابن ماجة: (محمد بن يزيد القزويني)
- سنن ابن ماجة، طبعه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت.
- ابن المأمون: (الأمير جمال الدين أبو علي موسى) ت ٥٨٨هـ
- نصوص من أخبار مصر، حققها أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٣م
- أبو المجلس: (جمال الدين يوسف بن ثعلبي بردي) ت ٨٧٤هـ
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.
- المسبحي: (الأمير المختار عز الملك محمد بن أحمد) ت ٤٢٠هـ
- أخبار مصر، الجزء الأربعون، تحقيق أيمن فؤاد سيد و تيارى بينكي، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٨م
- المسعودي: (أبو الحسن علي بن الحسين) ت ٣٤٦هـ
- مروج الذهب، ومعادن الجوهر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٨م.
- التنبيه والإشراف، دار صعب بيروت، د.ت.
- مسلم: (مسلم بن الحجاج القشيري)
- صحيح مسلم، ط محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- المعريزي: (نقي الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ
- المقلى الكبير، تحقيق محمد البعلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م.
- إيعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حنفي أحمد، المجلس الأعلى للعلوم الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م.

- المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بولاق، ١٢٧٠هـ.
- ابن ميسر: (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف) ت ٦٧٧هـ.
- المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م.
- النسائي: (أحمد بن شعيب)
- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السدي، ط عبدالفتاح أبوغدة، ط٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- التويختي: (أبو محمد بن موسى بن الحسن) ت ٣١٠هـ.
- كتاب فرق الشيعة، تحقيق هيلموت ريتز، استامبول، ١٩٣١م.
- النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٣هـ.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ابن واصل: (جمال الدين محمد بن سالم الحموي) ت ٦٩٧هـ.
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، نشر جمال الدين الشيبان، القاهرة ١٩٦٣م.
- ابن هاني الأتلمسي:
- نيوان ابن هاني، بيروت، ١٣٢٦هـ.
- هبة الله الشيرازي: (المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي) ت ٤٧٠هـ
- سيرة المؤيد في الدين داعي الدعوة، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٩م.
- ابن هشام: (أبو محمد عبد الملك بن هشام) ت ٢١٣هـ.
- السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت)
- هلال الصالبي: (أبو الحسن الهلال بن المحسن) ت ٤٤٨هـ.
- كتاب التاريخ، ملحق بكتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٤م.
- ابن الوردي: (زين الدين بن عمر) ت ٧٤٩هـ.
- تنمية المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردي، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ياقوت الحموي: (شهاب الدين بن عبد الله الحموي) ت ٦٢٦هـ.
- معجم البلدان، ٨ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.
- يحيى بن سعيد الأطلنكي: ت ٤٥٨هـ.
- تاريخه، نشر لويس شيخو مع كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) لابن البطريق، بيروت، ١٩٠٨م.
- اليقوي: (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح) ت ٢٨٤هـ.

- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

ثانياً المراجع العربية:

إبراهيم جلال:

- المعز لدين الله وتشيد مدينة القاهرة، سلسلة الألف كتاب، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، ١٩٦٣م

إبراهيم حركات:

- المسألة والمجتمع في العصر الأموي، دار الأفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م

إبراهيم سلمان الكروي:

- البويهيون والخلافة العباسية، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢م

أحمد الشامي:

- الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، القاهرة، ١٩٨٢م

أحمد أمين:

- ظهر الإسلام، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م

أحمد صادق سعد:

- تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، دار ابن خلدون، القاهرة، ١٩٧٦م.

أحمد عبد اللطيف:

- المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي الثاني، سلسلة تاريخ المصريين (٢٤٤)، الهيئة المصرية العلمية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م

أحمد فكري:

- مساجد القاهرة، الجزء الأول، العصر لفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م

أيمن فؤاد سيد:

- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، سلسلة العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م

بدر عبد الرحمن محمد:

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي من أوائل القرن الرابع للهجري حتى ظهور السلاجقة، مكتبة الأجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩م.

حسن إبراهيم حسن:

- الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٢م

- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٨١م

حسن عبد الوهاب:

- تاريخ المساجد الأثرية، ١، ٢، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٤٦م

حورية سلام:

- الحركات المعارضة للخلافة العباسية في بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، دار العلم للملايين، القاهرة، ٢٠٠٨م

خطاب عطية على:

- التظيم في مصر في العصر الفاطمي الأول، دار الفكر العربي للقاهرة، دت.

سعاد ماهر:

- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، خمسة أجزاء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

سيدة كاشف:

- مصر في عصر الاخشيديين، سلسلة تاريخ المصريين (٢٩)، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م

شحاتة عيسى إبراهيم:

- القاهرة تاريخها نشأتها، مكتبة الأسرة، سلسلة الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م

الشيخ محمد الخضري:

- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، تحقيق: إبراهيم أمين محمد،

المكتبة التوفيقية، القاهرة.

- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، طبعة مصححة ومنقحة، دار

المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م.

عبد الله كامل موسى:

- الفاطميون وأثرهم المعمارية في إفريقية ومصر واليمن، دار الأفاق العربية.

عبد الحليم عويس:

- قضية النسب لفاطمي أمام النقد التاريخي، القاهرة، ١٩٨٧م

عبد الرحمن فهمي، سامح عبد الرحمن فهمي:

- المسكوكات الإسلامية، فجر الإسلام والحصور الأموية والعباسية والفاطمية، القاهرة،

٢٠٠١م

عبد المنعم سلطان:

- المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دراسة تاريخية وثقافية، دار المعارف، القاهرة

عبد المنعم ماجد:

- الحاكم بأمر الله المغترب عليه، مكتبة الأنجلو، القاهرة

- الدولة الفاطمية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢م

- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٧٨م

عصام الدين عبد الرؤوف الفقي:

- دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م

عطية القوصي :

- تاريخ وحضارة مصر الفاطمية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ٢٠١٢م

قنهوزن:

- أزمات المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة)، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٥٨م.

كريسون:

- قصة تأسيس القاهرة، ترجمة عبد الرحمن فهمي، بحث ضمن كتاب القاهرة تاريخها فنونها آثارها، مراجعة دكتور حسن الباشا، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م

كي لمستنرج:

بدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية ووضع فهرسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م.

محمد أبو الفرج العشي:

- مصر والقاهرة على النفوذ العربية الإسلامية، أبحاث الندوة الدولية لألفية القاهرة.

محمد بركات البيهني:

- التشيع في بلاد المغرب الإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م.

- استيلاء الفاطميين على مصر (بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري) ندوة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ص ١٩٩٧م.

محمد جمال الدين سرور:

- النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٤م

- سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م

- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م

- الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٠م.

محمد حمدي المنأوي:

- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة

محمد عبد الفتاح عثمان:

- تاريخ الخلفاء الراشدين، دارسات وبحوث، ط٣، مكتبة المتنبى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٢م

محمد كامل حسين:

- طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

قالنا: المراجع الأجنبية:

Muir William: The Caliphate (its rise) pecline and Fall, London, 1861

Creswell K. A.C: *The Muslim Architecture Of Egypt, vol.1, Ikhshids and Fatimids*, Oxford, 1952

Wiet: *The Mosques Of Cairo*, Translated From French By John.S HardMan. Librairite Hachette 1966.'''



الهوامش

- (١) أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين التوربية والصلاحية، تحقيق محمد حلمي أحمد، محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢م، ق ٢، ج ١، ص ٤٩٣، ابن شداد: النوادر المنطوية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الشيبان، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٤٤، ٤٥، ابن واصل: ملجج الكروب في أخبار بنى أيوب، نشر جمال الدين الشيبان، القاهرة ١٩٦٣م، ج ١، ص ١٣٧-١٣٩، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبى، القاهرة، ج ٢، ص ٥٠، ٥١.
- (٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، مكتبة النهضة المصرية، ط ٤، ١٩٨١م، ص ٥٧.
- (٣) ابن طاهر: أخبار الدول المنقطعة، تحقيق عيسى عسر، دار الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣١٩-٣٢١.
- (٤) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٢م، ص ١١٠.
- (٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ١١٥.
- (٦) عصام الدين عبد الرؤوف الفقى: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ٩-١٠.
- (٧) عبد الحليم عويس: قضية النسب الفاطمي أمام النقد التاريخي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٣-١٤.
- (٨) عبد المنعم ماجد: الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٣٥.
- (٩) المقرئ: المقرئ الكبير، تحقيق محمد اليعقوب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م، ج ٤، ص ٥٢٣، المقرئ: اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي أحمد، المجلس الأعلى للعلوم الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٤٦.
- (١٠) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٥٩-٦١.
- (١١) أبو المحاسن: التجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت، ج ٥، ص ٧٥ أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، سلسلة العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١٠٣-١٠٥، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٦١، محمد بركات البيلى: التشيع في بلاد المغرب الإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٠، إبراهيم جلال: المعز لدين الله وتهيئة مدينة القاهرة، سلسلة الألف كتاب، الإدارة العامة للثقافة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١١.

- (12) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٢، ص ٢٠٠، أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص ١١٦، ٧٧، ٧٥، حسن إبراهيم حسن: القاطميون في مصر، ص ٦٩.
- (13) الثعالبي: بئمة الدهر، شرح وتحقيق محمد مفيد قتيحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص ٢٢٤، أيمن فؤاد سيد: الدولة القاطمية في مصر، ص ١٠٠.
- (14) الشيعة: أصل معنى اللفظ أنصار، وقد أطلقت أول الأمر على أتباع علي بن أبي طالب ع بعد وفاته، يقول الأثعري: قيل لهم شيعة لأنهم شابعوا علياً وأقدموه على سائر الصحابة لمراتبه الشخصية أو لاعتقادهم بحقه الوراثي في خلافة المسلمين، ثم أطلقت الشيعة اسماً للحزب الذي يشابع أبناء علي رضي الله عنهم يقول: بالآثار في الحكم وتحويل هذا الرأي بعد كربلاء من رأى سياسى نظرى إلى عقيدة إيمانية وحدث ما بين الشيعة على اختلاف فرقها وقد ظهرت فرق عديدة للشيعة يمكن تقسيمها إلى قسمين: فرق المعتدلين وهي ترى أن الإمامة بالنص، وأنها في آل علي ومن هؤلاء الزيدية أنصار زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.
- فرق المغالاة: وهي عديدة وأهم منابعها الكوفة والبصرة، وقد غالوا وانتشروا رغم تبرأ آل البيت منهم وأهم هذه الفرق السبئية والمختارية والكيسانية والرافضة والخطابية، الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص ٢٨-٣٠، حورية سلاح: الحركات المعارضة للخلافة العباسية في بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، دار الطبعة للعلميين، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٧١، هامش ٢.
- (15) حسن إبراهيم حسن: الدولة القاطمية، ص ٦١.
- (16) هبة الله الشيرازي: سيرة المؤيد في الدين داعي الدعوة، تقديم وتحقيق، محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ١٣، ١٨، عبد المنعم ماجد: نظم القاطميين ورسومهم في مصر، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م، ج١، ص ١٧٧-١٨١.
- (17) السيوطي: تاريخ الخلفاء، علق عليه: محمود رياض الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ص ١٥٢.
- (18) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص ٦٠١.
- (19) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٠٦، ابن أبيك الدوادري: كثر الشرر وجامع الغرر المسمى الدرر الحضية في أخبار الدولة القاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للأثار، القاهرة، ١٩٦١م، ج٦، ص ١٤٦.
- (20) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٧٢، جمال الدين سرور: النفوذ القاطمي في جزيرة العرب، ط٤، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ١٥.
- (21) ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص ٥٢-٥٤، أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص ١٢١.
- (22) ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص ٢٤٨، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٨٣، بدر عبد الرحمن: الحياة السياسية، ص ٨١.

- (23) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٨٣، ابن الوردي: تنمة المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردي، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، ج ١، ص ٢٢٢، الدواداري: الدرّة المضيئة، ص ٢٨٣.
- (24) الأنبار: إحدى المدن العراقية تقع على الفرات وهي من المدن الأهلّة لسنترج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية ووضع قهارسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الزابطة، بغداد، ١٩٥٤م، ص ١٧.
- (25) القصر: مدينة كبيرة تقع بين بغداد والكوفة وتعرف بقصر ابن هبيرة وهي قريبة من نهر الفرات، وهي من عصر نواحي السواد. ابن حوقل: المسالك والممالك صورة الأرض طبعة بيروت، دي جويه ١٨٧٠م، ص ٢١٨.
- (26) المدائن: تقع على بعد سبعة فراسخ جنوب بغداد بالقرب منها قبر سلمان الفارسي، كانت مدينة صغيرة أهلة لسنترج: بلدان الخلافة، ص ٥١.
- (27) الكوفة: تقع على الجانب الغربي لنهر الفرات وهي في حجم البصرة. لسنترج: بلدان، ص ١٠١.
- (28) الجامعين: مدينة على نهر الفرات تقع على طريق بغداد الكوفة وتعتبر أساس مدينة الحلة التي بنيت في مقابلتها على ضفة الفرات الغربية. بالوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٠-١١.
- (29) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ٢٥١، ابن خلدون: العبر وديوان المتبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر مؤسسة الإعلیمی للطبوعات، بيروت، دت، ج ٢، ص ٤٢٢.
- (30) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢٨٨، جمال الدين بنرور: النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص ١٨-١٩.
- (31) جمال سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٧٩، جمال سرور: النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص ٧٥.
- (32) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص ٩١.
- (33) لشهرستاني: الملل والنحل، تخريج محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م، ج ٢، ص ١١، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٣٠-٣١، عصام الحلبي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص ١٠، إبراهيم حرکات: السيادة والمجتمع في العصر الأموي، دار الأفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م، ص ٢٩٦.
- (34) المقرئ: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٩م، ج ١، ص ٩٢٣، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٥٢.
- (35) الرحبة: هي قرية بعداء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة، والرحب بالضم في اللغة السعة، والرحب بالفتح الواسع، والرحبة ناحية بين المدينة والشام قريبة من وادي القرى والأصل في الرحبة القضاء بين أقدية البيوت أو القوم والمسجد. بالوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٣.

- (36) أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٩٥٢م، ص ٨٤، ١١٨، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٥١، إبراهيم سلمان الكروي: البويهيون والخلافة العباسية، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢م، ص ١٨٤.
- (37) ابن هشام: السيرة النبوية، تعليق: طه عبد الرؤوف، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت)، ج ٢، ص ١٢، ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ج ٣، ص ١١، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٥٠، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ج ١، ص ٥٢.
- (38) الرواة عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وأبو زر وأبو سعيد الخدري وأبو بن مالك روى بأسانيد ضعيفة. ابن حجر: أسئلة وأجوبة، ص ٥٧، ابن القيسراني: ذخيرة الحفاظ، ج ٢، ص ٢١٣٠.
- (39) الشهرستاني: المثل والنحل، ص ١٩٦، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ج ١، ص ٥٢.
- (40) النويهي: كتاب فرق الشيعة، تحقيق هياموت رينر، استامبول، ١٩٣١م، ص ٢٠، عصام الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص ١٠.
- (41) البعقوبي: تاريخ البعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ج ٢، ص ١٦٢-١٧٥، محمد عبد الفتاح عثمان: تاريخ الخلفاء الراشدين، دراسات وبحوث، ط ٣، مكتبة المتنبى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٢م، ص ٣٠٠-٣٠٣.
- (42) محمد عبد الفتاح عثمان: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص ٣٠٩-٣٠٣.
- (43) الشيخ محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، تحقيق: إبراهيم أسين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص ٣٢٤، ٣٢٥.
- (44) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٣٣٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٣٠.
- (45) الظبي: تاريخه، ج ٥، ص ٣٤٧، ابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ٢٦٦.
- (46) ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٦٢، محمد جمال الدين سروري: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٣٩، ١٤٠، محمد الخضري: تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٣٦.
- (47) الظبي: تاريخه، ج ٧، ص ١٨٠، ابن الطقطقي: الفخرى، ص ١٠٥.
- (48) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٠٨، حرية سلام: الحركات المعارضة، ص ٢٥، محمد الخضري: تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٤٠.
- (49) الكيسانية: تنسب الطائفة الكيسانية إلى كيسان مولى علي بن أبي طالب ع الذي قُتل في موقعة صفين سنة ٦٥٧/٥٣٧م، وهم الذين ساعدوا محمد بن علي المعروف بابن الحنفية وقالوا بغيته ورجعته ونضامنا مع المختار بن أبي عبيد الثقفي فدعوا لمحمد بن الحنفية بالإمام المهدي المنتظر. البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٢٧، الشهرستاني: المثل والنحل، ج ١، ص ١٩٦، إبراهيم حركات: السياسة والمجتمع، ص ٢٩٧، ٢٩٨.
- (50) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٢٦.

- (51) الشهرستاني: الملل، ج ١، ص ١٢٢-١٢٣.
- (52) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٣١-٣٣، عصام الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص ٢٧-٣٢.
- (53) الطبري: تاريخه، ج ٥، ص ٤٨٨، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٨٩، ٩٠، قهوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعية)، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٢٥٧-٢٥٨.
- (54) الطبري: تاريخه، ج ٥، ص ٥٣٦-٥٣٨، جمال سرور: الحياة السياسية، ص ١٥١-١٥٢.
- (55) محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، طبعة مصححة ومنقحة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٢٨١، ٢٨٢، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٤٩.
- (56) رضوى: جبل قريب من ينبع ذو شعاب وبه أودية ومياة كثيرة وأشجار. الاصطخرى: المسالك والممالك، طبعة لندن، ١٩٧٢م، ص ٢١، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٨٨.
- (57) النويختي: فرق الشيعة، ص ٢٠.
- (58) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٨م، ج ٨، ص ٣٣٨.
- (59) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م، ج ٥، ص ٢١٦.
- (60) أحمد الشامي: الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٣-١٤.
- (61) أحمد الشامي: الدولة الإسلامية، ص ٢٥-٢٧.
- (62) الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة من العلماء، نشرات الإسلامية (٦)، استانبول، ١٩٤٩م، ج ١٧، ص ٤٢، أبو المحاسن: التنجيم الزاهرة، ج ٤، ص ٧٧، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٤-٣٥.
- (63) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٣١، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، ج ٢٨، ص ٧٤، محمد الخضري: الدولة العباسية، ص ٢٨٤.
- (64) المقرئ: المغلف الكبير، تحقيق: محمد يعقوب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، ج ٤، ص ٥٢٤.
- (65) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣١١، البيهقي: التشيع، ص ٢٩، محمد حسدى المناوى: الوزراء والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ص ١١٣.
- (66) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣١.
- (67) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٤.
- (68) البيهقي: التشيع، ص ٦٥.

- (69) أين الأثير: الكامل، ج٦، ص ٢١٧.
- (70) ابن أبيك: كنز الدرر، ج٦، ص ١٤٧، الصفدي: الوافي، ج٧، ص ٤٢، أبو المحاسن: التجوم ج ٥ ص ٧٦.
- (71) أبو المحاسن: التجوم، ج٤، ص ٧٠.
- (72) النويختي: فرق الشيعة، ص ٣٤، محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٢١.
- (73) المقرئ: اتعاق، ج١، ص ٢١، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١٠٤، ١٠٥، محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، ص ٢٩٣.
- (74) محمد يركات البيهقي: إستيلاء الفاطميين على مصر (بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري) ندوة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ص ١٩٩٧م، ص ١٠٠-١٠١.
- (75) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ١١٨.
- (76) ابن خثكان: وفيات، ج١، ص ٤٨، سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ١٦٧.
- (77) محمد أبو الفرج العث: مصر والقاهرة على النقد العربية الإسلامية، أبحاث الندوة الدولية لألفية القاهرة، ص ٩١١، ٩١٢، ٩٤٧، ٩٤٨، Miles, G, Fatimid coins p.51
- (78) المقرئ: المعقّى الكبير، ج٤، ص ٨٩، أبو المحاسن: التجوم، ج٣، ص ٣٣٦.
- (79) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٨٩، <http://archive.org>
- (80) النويختي: فرق الشيعة، ص ٢٣، ابن سعيد: المغرب في حنى بلاد المغرب، القسم الخاص بالفسطاط، تحقيق: زكي محمد حسن، سيدة كاشف، شوقي ضيف، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ٣٥-٣٦، سيدة كاشف: مصر في عصر الاخشيديين، سلسلة تاريخ المصريين (٢٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٣١١، ٣١٠، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون، ص ٨٩-٩٠.
- (81) أبو المحاسن: التجوم، ج٤، ص ٢٩، ٤١.
- (82) المقرئ: الخطط، ج١، ص ٣٥٣، المقرئ: اتعاق، ج١، ص ٩٧، ١٠١.
- (83) المقرئ: الخطط، ج١، ص ٩٤، المقرئ: اتعاق، ج١، ص ١١٣، أبو المحاسن: التجوم، ج٤، ص ٢٩-٤١، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م، ج٣، ص ٣١٥.
- (84) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١١١، أحمد عبد اللطيف: المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي الثاني، سلسلة تاريخ المصريين (٢٤٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٤٥-٤٨، يوسف العث: الخلافة العباسية، ص ٢١١.

- (85) المهديّة: أسسها الخليفة المهدي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م وانتقل إليها سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م. أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٦١٢، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٩.
- (86) التجاني: رحلة التجاني (تونس - طرابلس، ٢٠٦-٧٠٨هـ) لبيبا، تونس، ١٩٨٩م، ص ٣٢٠-٣٢٤، عبد الله كامل موسى: الفاطميون وأثارهم المعاصرة في إفريقيا ومصر واليمن، دار الأفاق العربية، ص ٤٢.
- (87) التجاني: رحلته، ص ٢٢٠.
- (88) المنصورية: أسسها الخليفة المنصور الفاطمي (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م) وكان ذلك سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م في الموضع الذي دارت فيه الواقعة بينه وبين أبي يزيد بن مخلد بن كيدار التي بدأت بوادها سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م في أواخر عهد المهدي على مقرية من القيروان واتخذها حاضرة له، البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، نشر في سلان، الجزائر، ١٨٥٧م، ص ٢٥، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٦١١، البيهقي: التشيع، ص ١٢٨، يوسف العث: الخلافة، ص ٢٠٩.
- (89) البكري: المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان توبفن، وأندري فيري، نادر العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٦٧٦.
- (90) البكري: المغرب، ص ٢٥، ابن طاهر: أخبار الدول المنقطعة، ص ٩٥، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٦٨.
- (91) ابن الصوري: القائلون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من آل الوزارة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ص ٤٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٣٠.
- (92) سرور: قيام الدولة الفاطمية في مصر، ص ٧١، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٥٧٣-٥٩٠.
- (93) جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٢٢٨.
- (94) المسبحي: أخبار مصر، الجزء الأربعون، تحقيق أيمن فؤاد سيد ونيباري بينكي، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٢٢.
- (95) المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٤٥٩.
- (96) البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٨٣.
- (97) البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٥١.
- (98) البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٨٣.
- (99) كريسويل: قصة تأسيس القاهرة، ترجمة عبد الرحمن فهمي، بحث ضمن كتاب القاهرة تاريخها فنونها أثارها، مراجعة دكتور حسن الباشا، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٣٦.
- (100) المسبحي: أخبار مصر، ج ٢، ص ٢٧٧، أحمد فكري: مساجد القاهرة، الجزء الأول، العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م، ج ١، ص ٨٣-٨٥.
- (101) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١٢٣-١٢٨.

Wiet: The Mosques Of Cairo, Translated From French By John.S HardMan, Librairiate Hachette 1966. P.103.

(102) ابن ميسر: المعنى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٩١، المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٢٩٠، أبو المحاسن: التجوم، ج ٥، ص ١٧٣.

(103) جامع الصالح: الذى بناه خارج باب زويلة سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، وهو آخر المساجد الجامعة التى أقامها الفاطميون في مصر، المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٢٩٠، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٦٢٠، شحاتة عيسى إبراهيم: القاهرة تاريخها نشأتها، مكتبة الأسرة، سلطنة الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٠٦-١١٠، أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، ص ١١٠-١٢١، حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ١، ٢، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٤٦م، ص ٩٧-١٠٥.

(104) المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٢٩٣.

(105) سعد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون خمسة أجزاء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ج ١، ص ٢٩٩.

Creswell K. A.C: The Muslim Architecture Of Egypt, vol.1, Ikhshids (106) and Fatimids, Oxford, 1952 PP. 228,229.

(107) سعد ماهر: مساجد مصر، ج ٢، ص ١٦٠، عبد الله كامل: الفاطميون، ص ٢١١.

(108) المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٢٤٩، <http://Archivebeta.Sakhel.net>

(109) المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ١٢٦.

(110) عبد الله كامل: الفاطميون، ص ٢٠٩، P.266,267. Creswell K. A.C:

(111) غدِير حَم: نسبة إلى حَم وهي موضع بين مكة والمدينة، وهو وادى عند الجحفة على بعد ثلاثة أميال بين مكة والمدينة ويسمونه اليوم الغربية به غدِير وهو شجر كثير. يقع شرق ربيع بما يقرب من ٢٦ كيلومتر، وحَم اسم رجل صباغ نسب إليه الغدير. باقوت: معجم البلدان، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د.ت)، ج ٢، ص ٣٧١، سرور: الدولة لفاطمية في مصر، هامش ٢، ص ٨٠.

(112) أحمد بن حنبل: المسند، ص ٩٥٠، ٩٥٢، ٩٦١.

(113) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٥٤٩، إبراهيم الكروى: البويهيون والخلافة العباسية، ص ١٨٤.

Muir William: The Caliphate (its rise) pecline and Fall, London, 1861. p.574.

(114) المسيحي: أخبار مصر، ص ٨٥.

(115) الطبراني: المعجم الكبير، ج ٥، ص ١٧١-١٧٢، الألبانى: السلسلة الصحيحة، ج ٤، ص ٣٣٥.

(116) الشهرستاني: الملل والنحل، ج ٢، ص ١٦٧، ابن خلكان: وفيات، ج ٢، ص ١٣٦، أحمد أمين: ظهر الإسلام، ط ٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م، ج ١، ص ١٤٩، عبد المنعم ماجد: نظم، ج ٢، ص ١٢٦.

(117) أحمد بن حنبل: المسند، ج ٤، ص ٣٧٢، ابن ماجه: سنن ابن ماجه، طبعه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت، ج ١، ص ٤٣، الترمذی: سنن الترمذی، ج ٥، ص ٢٥٧، إسناده صحيح.

(118) ابن تيمية: منهاج السنة، ج ٤، ص ٨٤-٨٥.

(119) أبو داود: سنن أبي داود، تحقيق محمد مصطفى الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، إستانبول، د.ت.

(120) أبو المحاسن: التاجوم، ج ٥، ص ١٥٣، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ج ١، ص ٥٢.

(121) عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دراسة تاريخية وثائقية، دار المعارف، القاهرة، ص ١٥٧-١٥٩.

(122) أبو داود: السنن باب صوم عاشوراء، ص ٦٥.

(123) نظر الترمذی: سنن الترمذی، تحقيق أحمد شاكر وأخرون، ط ٢، مطبعة الحلبي القاهرة، ١٣٩٨هـ، نظر البخاري: صحيحه، طبعه مصطفى تيب البغدادي، دار ابن كثير والجماعة، دمشق، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٨٦٥.

(124) المقرئی: الخطط، ج ١، ص ٤٣١، أبو المحاسن: التاجوم، ج ٥، ص ١٥٣، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ص ٩٢٨، <http://Archive.bea.net>

Muir: The Caliphate, p. 573.

(125) المسعودی: مروج الذهب، ج ٢، ص ١٩٨.

(126) المقرئی: الخطط، ج ١، ص ٤٢٧.

(127) المقرئی: الخطط، ج ١، ص ٤٢٧.

(128) أبو المحاسن: التاجوم، ج ٥، ص ١٥٣، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ١٥٥.

(129) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٥٥، النويری: نهاية، ج ٢٣، ص ٢١١.

(130) هلال الصابي: كتاب التاريخ، ملحق بكتاب تحفة الأسماء في تاريخ الوزراء، مطبعة الأباء الياسوعيين، بيروت، ١٩٠٤م، ج ٨، ص ٣٧١، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٥٥.

(131) ابن المأمون: نصوص من أخبار مصر، حققها أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٨٢، ٨٣.

(132) ماجد: نظم الفاطميين، ج ٢، ص ١٢٠.

(133) المقرئی: الخطط، ج ٢، ص ٤٧٦، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٦٦.

(134) المقرئی: الخطط، ج ١، ص ١٦٥.

(135) عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ١٣٤-١٣٥.

- (136) ابن التأمون: تصوص من أخبار مصر، ص ٦٢، ابن الطوير: نزهة المقتنين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المنشورات الإسلامية (٣٩)، شتوتجارت، ١٩٩٢م، ص ٢١٧، المقرئ: الملقى الكبير، ج ٦، ص ٤٨٤.
- (137) المقرئ: انعقاد، ج ٢، ص ٦٥، ٦١، ٥٩، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٢٦.
- (138) خطاب عطية علي: التعظيم في مصر في العصر الفاطمي الأول، دار الفكر العربي القاهرة، دت، ص ٦٨، ٦٧، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٣٠.
- (139) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٩٣.
- (140) خطاب عطية علي: التعظيم في مصر، ص ٦٨.
- (141) أيمن فؤاد السيد: الدولة الفاطمية، ص ١٠٤، هامش ١، البيهقي: التشيع، ص ١٤٤.
- (142) Ivanow: The Alleged founder of Ismailism, Bombay, 1946, p. 152.
- (143) البيهقي: التشيع، ص ٦٧.
- (144) المقرئ: الملقى، ص ٢٣، البيهقي: التشيع، ص ٦٧.
- (145) البيهقي: التشيع، ص ٦٨.
- (146) يذير بذلك إلى قوله تعالى: "أهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم" الفاتحة آية ٥ و ٦.
- (147) يشير إلى ما ورد في سورة البقرة بقوله تعالى: "وما اتول على الملقين بيابيل هاروت وماروت آية ١٠٢".
- (148) المقرئ: المخطوط، ج ١، ص ٢٩٣، <http://Archivebeta.Sakh>.
- (149) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٤١.
- (150) محمد بركات البيهقي: التشيع، ص ٣٩-٤٠.
- (151) لمزيد من التفصيل راجع الشهرستاني: الملل والنحل، البغدادي: الفرق بين الفرق، النوبختي: كتاب فرق الشيعة.
- (152) ابن الطوير: نزهة المقتنين، ص ١١٠، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٤٣.
- (153) المؤيد في الدين الشيرازي: سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، ص ٥-٧، ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٤٣٦، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ٥٤.
- (154) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٣٣، عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله المقرئ عليه، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ص ٥٤.
- (155) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٣٩م، ج ٦، ص ٢١١.
- (156) البيهقي: التشيع، ص ١٢٧.
- (157) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وليفى بروفنسال، بيروت، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٢٨٢-٢٨٥.

- (158) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٣٢٩، المقرئ: تعاقب، ج ٢، ص ٢٣١.
- (159) ابن هاني الأندلسي: ديوان ابن هاني، بيروت، ١٣٢٦هـ، ص ١١.
- (160) ابن هاني: ديوانه، ص ٧-١١.
- (161) ابن هاني: ديوانه، ص ١٦٤.
- (162) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٢٩.
- (163) أبو المعاسن: النجوم، ج ٢، ص ٣٠٩.
- (164) عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله، ص ٥٩.
- (165) أبو المعاسن: النجوم، ج ٢، ص ٣٠٩، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١١٧.
- (166) المقرئ: تعاقب الخلفاء، ج ١، ص ٦٦-٦٨، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٧٠.
- (167) يحيى بن سعيد الأنطاكي: تاريخه، نشر لويس شيخو مع كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) لابن الطبريق، بيروت، ١٩٠٨م، ص ٢٢٣، النويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٩٦.
- (168) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٧٠.
- (169) ابن قافر: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٢٥، p. 574, Muir: The Caliphate.
- (170) الشهرستاني: الملل، ج ١، ص ١٥٦، ١٦٠، ١٦٨.
- (171) البيهقي: التشيع، ص ١٢٩.
- (172) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٥٩، البليل: التشيع، ص ١٧٣.
- (173) فذك: تقع بالقرب من المدينة المشورة على مسيرة يومين من الحبيزي: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، مكتبة بابلان، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٤٣٨.
- (174) الطبري: تاريخه، ج ٣، ص ١٥، ٢٠٨.
- (175) المسعودي: التنبيه والإشراف، دار صعب بيروت، دت، ص ٢٥٥.
- (176) أبو المعاسن: النجوم، ج ٣، ص ٣٣٢، البيهقي: التشيع، ص ١٤٣.
- (177) أبو المعاسن: النجوم، ج ٣، ص ٣٣٢، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٠، إبراهيم سلمان الكروي: البويهيون والخلافة العباسية، ص ١٨٣.
- (178) وفاة: أشرفها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة ٢٢٣هـ/٨٧٦م وهي تقع على بعد أربعة أميال من مدينة القيروان. البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٧٩.
- (179) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٥١.
- (180) المقرئ: تعاقب الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، ط ٢، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٦٤، البيهقي: التشيع، ص ٨٧.
- (181) المقرئ: تعاقب، ج ١، ص ١١٦.
- (182) المقرئ: تعاقب، ج ١، ص ١١٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون، ص ١١٨، البيهقي: التشيع، ص ١٤٥.

- (183) عبد الرحمن فهمي، سامح عبد الرحمن فهمي: الممكوكات الإسلامية، فجر الإسلام والعصور الأموية والعباسية والفاطمية، القاهرة، ٢٠٠١ م، ص ٣٤٨.
- (184) أبو المحاسن: النجوم، ج ١، ص ١٣٢، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٦٧، عطية القوصي: تاريخ وحضارة مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠١٢ م، ص ٦١.
- (185) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١١، ص ٢٢٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١١٩، أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية، ص ١٤٣.
- (186) ابن عذاري: البيان، المغرب، ج ١، ص ١٥١، البيهقي: التلخيص، ص ٨٧.
- (187) ابن خلكان: وفيات، ج ١، ص ١٤٩.
- (188) المقرئ: تعاقب، ج ١، ص ١٣٧، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١٢١، البيهقي: التلخيص، ص ١٤٥.
- (189) ابن خلكان: وفيات، ج ١، ص ٣٧٦، الثوري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٣١، الصفدي: الوافي، ج ١، ص ٢٢٥، المقرئ: المعقلى الكبير، ج ٣، ص ١٠١، أبو المحاسن: النجوم، ج ١، ص ٣٢، عطية القوصي: تاريخ وحضارة مصر، ص ٦١.
- (190) بدر عبد الرحمن: الحياة السياسية، ص ٨٢، ٨١.
- (191) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص ١١٤، أحمد صادق سعد: تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، دار ابن خلدون، القاهرة، ١٩٧٦ م، ص ٢٨٣.
- (192) يوسف العشي: الخلافة العباسية، ص ٢١٨.
- (193) المقرئ: تعاقب الحنفا، ج ١، ص ١٣٧.
- (194) أبو المحاسن: النجوم، ج ١، ص ٢٢٤-٢٢٧، ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ٢٤٩-٢٥١.

الخنجر نموذج لتطور صناعة السلاح في الأندلس دراسة أثرية فنية لنماذج الخناجر الأندلسية ومستقراتها

د. حنان عبد الفتاح مطاوع (*)

أدوات الحرب في الأندلس وعوامل ازدهارها :

حرص المسلمون في الأندلس منذ البداية على أن تكون لديهم قوة عسكرية مرهوبة الجانب؛ يخشى بأسها ويخطف ودها أعدائهم في الداخل والخارج، وبهذا المفهوم بذلوا جهداً كبيراً لتسليح جيوشهم تسليحاً جيداً، بكل أنواع الأدوات الحربية اللازمة لها والتي أخذت في الازدهار، بصورة واضحة، في فترات القوة والازدهار. حيث نشطت صناعة الملاح في الأندلس، وتعددت مصادر الحصول عليها منذ عصر الدولة الأموية (١٣٨هـ - ٣١٦هـ) (٧٥٥م - ٩٧٨م) وما تلاه من عصور حتى نهاية عصر بنى نصر (٦٣٥هـ / ٨٩٧هـ / ١٢٣٨م - ١٤٩٢م) وغدت أدوات الحرب تصغر من الأندلس إلى جميع أنحاء إسبانيا الإسلامية والمسيحية على السواء^(١).

وقد ساعد على ازدهار صناعة أدوات الحرب في الأندلس، وولع الأندلسيون بها، عوامل كثيرة من أهمها: وفرة المواد الأساسية اللازمة لتلك الصناعة ببلاد الأندلس، لاسيما معدن الحديد والفولاذ المخصصين لصناعة السيوف والخناجر والتصال والزديبات.

فمن بين أهم المناطق التي اشتهرت بغزارة إنتاج هذين المعدنين: جبال مدينة طرطوش^(٢)، قرية فريش الواقعة بالقرب من قرطبة^(٣)، وكورة البيرة بقرطبة^(٤) وحصن قسنطينة^(٥)، وفي جبال إشبيلية^(٦)، وجبال البرانس قرب حصن البلوط^(٧) وجبال المرية^(٨) وينص القدر من الثراء توافرت أيضاً المواد المساعدة التي تدخل في صناعة أدوات الحرب مثل: الأخشاب التي اشتهرت بانتاجها مدينة طرطوشة^(٩) وشلطيش^(١٠).

فضلا عن الأحجار الكريمة التي تستخدم في ترصيعها وتزيينها، والتي كانت توجد بكثره في العديد من مناطق الأندلس : مثل اللازورد بمدينة لورقه^(١١)، وجبل شلير^(١٢)، والياقوت بحصن مونت سيور بكورة مالقه^(١٣) وبقريه ثاشره بالقرب من بجانه^(١٤) وحجر البجادي^(١٥) بمدينة لشبونه^(١٦) وحجر الشانجج أو الشانجج^(١٧)، بجبال قرطبة^(١٨)، وحجر المرقشينا الذهبية بجبل أهدو^(١٩)، ولأن بلاد الأندلس كانت غنية بكل هذه الأنواع من الأحجار الكريمة فقد شاع استخدامها في زخرفة أدوات الحرب، لاسيما والخناجر وأدوات الخيل^(٢٠)، أما بقية المواد الأخرى المساعدة التي لم تكن تتوافر ببلاد الأندلس، فكان يتم استيرادها بكميات كبيرة مثل: العاج الذي كان يدخل في صناعة مقابض السيوف والخناجر وبعض أنواع أسلحة الزينة، وكان يتم استيراده من بلاد المغرب، وساحل غانا بالسودان.

(*) أستاذ مساعد الآثار الإسلامية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية.

وكذلك ساعد على تطور أدوات الحرب بالأندلس وقره تصناع المهرة من الأندلسيين، ممن أظهروا قدره فائقة على الاستفادة من المواد الخام اللازمة لتلك الصناعة التي أولوها عناية خاصة بسبب إهتمام الأندلسيون بها، ومناظعتها في الحرب والسلم، وهو ما عبر عنه المقرئ فيما نقله عن ابن سعيد بقوله (وأما آلات الحرب من النترس والرماح والسروج والجم (للجم أو الأجم) والدروع والمغافر، فأكثر هم أهل الأندلس كانت مصروفه في هذا الشأن^(١١١))، وثمة ملاحظة هامة وهي: أن هذا الإهتمام بأدوات الحرب قد دفع صناع السلاح الأندلسيين إلى تطويرها، وقد اتخذ هذا الإهتمام مظاهر عديدة منها:

(١) الحرص على إقامة دور صناعة متخصصة لأدوات الحرب وإصلاح ما تداعى منها، على نحو ما فعله الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط من ترميم دار صناعة السلاح بمدينة طليطلة عام (٢٠٧هـ/٨٢٢هـ)^(١١٢).

وظلّت هذه الدار تؤدي دورها في إنتاج أدوات الحرب حتى نهاية عصر الطوائف، وحققت في هذا المجال مزيداً من الإزدهار والتطور، حتى أصبح إنتاجها يقدم كهدايا من قبل الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠هـ/٣٦٦هـ - ٤٦٦م - ٤٧٦م) إلى ملوك قشتالة^(١١٣). بل كان يصدر في عصر الطوائف (٤٢٢هـ/٤٨٤هـ - ١٠٣١م - ١٠٩١م) إلى كل أنحاء إسبانيا الإسلامية والمسيحية^(١١٤).

وقد امتدح ابن سعيد وقره إنتاج دار صناعة هذه المدينة من السلاح وتنوعه وجودته بقوله (كان يصنع فيها من آلات الحرب العجائب)^(١١٥). وفي عصر عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ/٣١٦هـ - ٤١٢م - ٤٢٨م) شيد الخليفة من دور لصناعة في كثير من مدن الأندلس، كان من بينها دار بمدينة الزهراء تخصصت في إنتاج آلات الحرب والحنى والزينة، وغير ذلك من المهن^(١١٦).

وتعتبر دار صناعة السلاح التي أقامها المنصور بن أبي عامر (٣٧١هـ/٣٩٣هـ - ٤٨١م - ١٠٠٢م) بقصره المعروف بقصر العامرية، من أهم إن لم تكن أهم دور صناعة السلاح في الأندلس، نظراً لما كان يتوافر لهذه الدار من إمكانيات تفوق غيرها من دور الصناعة الأخرى، فهذه الإمكانيات كانت من الوفرة والتنوع بحيث كان لكل نوع من الأسلحة قسم أودار تخصصت في إنتاجه.

ويعر الموزخون العرب عن هذا الإزدهار فيما كتبه عن هذه الدار، فإبن الخطيب يشير إلى أنه كان بها دار مخصصة لصناعة التروس عرفت بدار التراسين^(١١٧) كان يزيد إنتاجها في العام الواحد عن ثلاثة عشر ألفاً، كما كان بنفس الدار دار أخرى لصناعة القسي كان إنتاجها في العام ما يقرب من اثني عشر ألفاً^(١١٨). وكان لكل دار طائفة حرفية لها معلم يعرف بشيخ الصنعة يتولى تمثيلهم، ويعتبر مسئولاً أمام المعلم الأكبر أو كبير المعلمين الذي يقيم بمدينة قرطبة والزهراء^(١١٩) وفي مدينة مرسية حظيت صناعة السلاح بمكانة كبيرة عبر عنها المقرئ فيما نقله عن ابن سعيد بقوله (يصنع فيها من آلات الجندي ما يبهر العقول)^(١٢٠).

وقد كانت تلك الصناعة مصدراً أساسياً ثروتها، فوفرة إنتاجها من السلاح فتح أمام أهالي هذه المدينة أفاقاً واسعة للعمل التجاري في قطاع التصدير، فكانت أدوات الحرب تعالج

وتصنع بها، قبل تصديرها إلى معظم البلدان لاسيما أفريقية، حيث أشار المقرئ إلى ذلك بقوله (ولها تجهز هذه الأصناف إلى بلاد إفريقية وغيرها)^(١٣١).

وقد أخذت بعض المدن شيئا فشيئا تحتل مركز الصدارة في إنتاج نوع واحد من الأسلحة تشتهر به، ومن ذلك على سبيل المثال: مدينة المرية التي ذاع صيتها في صناعة السيوف الجود السود^(١٣٢) ومدينة برنيل التي عرفت سيوفها بالبرذليات المشهورة بالجودة^(١٣٣). كما اشتهرت إشبيلية بسقى الفولاذ الأشبيلي الشهير الذي كانت تصنع منه الدروع ونجايف الخيل، وفي مدينة وشقة باتنغر الأعنى كانت تصنع الدروع والبيضات^(١٣٤).

ومثل هذه المدن التي كانت تشتهر بصناعة نوع معين من الأسلحة كان يوجد بها أماكن للتدريب عليها مثل: سبته التي اشتهرت بصناعة القسي، وكان بها أربع وأربعون مرمى لرمي سهام^(١٣٥).

٣- جرى حكام الأندلس، منذ عصر الدولة الأموية، على إقامة دور لحفظ أدوات الحرب عرفت بدار أو خزانة السلاح مثل: الدار التي أقامها الأمير عبد الرحمن الأوسط بمدينة قرمونه^(١٣٦)، ودار أخرى في غرناطة من عصر المرابطين، ودار بمدينة إشبيلية^(١٣٧).

وكان يتولى الإشراف على تلك الخزائن أحد كبار موظفي الدولة للتقاه، ممن كان على دراية بأنواع الأسلحة ليعرف ما نوافر منها وما نقص، ويقدم تقريرا بمحتويات مخازن السلاح ويدون في سجلات ديوان العسكرية^(١٣٨) **يطلع عليه لحاكم** أو الخليفة بشكل دوري، حتى لا يخرج إلى الحرب إلا بعد أن يتأكد من اكتمال كل أنواع السلاح والعدة^(١٣٩).

٤- كانت أدوات الحرب من أفضل الهدايا بين الحكام وقبائل رجال الدولة، سواء أهديت لهم أو هادوا بها المقربين إليهم لكسب ولائهم، فبعد الرجم الناصر كان يطلع على وزرائه - أمثال أحمد بن عبد الملك بن سعد - أنواعا متعددة من آلات الحرب أحصاها ابن خلدون بقوله (والعدة ثماتمه من تخافيف الزينة أيام البروز والمواكب، وآلف ترمس سلطانية، ومائة ألف سهم من من النبال البارعة الصنعة).

كما هادى الخليفة عبد الرحمن الناصر أمراء البربر، بالعدوة المغربية، بكثير من تلك الآلات الحربية، أمثال موسى بن أبي العافية، ووفقا لما ذكره ابن حبان كان من بين محتويات تلك الهدايا (أربعة بنود من غراب سلاح)^(١٤٠).

ولقد وصل للخليفة الحكم المستنصر سياسة اصطفاغ وجوه أمراء المغرب، فأرسل مع الخازن أحمد بن محمد لعدد كبير منهم في جيش غالب بن عبدالرحمن - مجموعة هدايا معظمها من آلات الحرب، مع كتاب موضح فيه اسم كل شخص وتفاصيل محتويات هديته^(١٤١).

وبهذه المناسبة، يجدر بنا أن نشير إلى أن من بين العوامل التي ساعدت على بلوغ أدوات الحرب في الأندلس، أوج إزدهارها، أنها كانت من مظاهر التعبير عن الأبهاء والغفامة والتفوق العسكري، فالباحث في تاريخ الأندلس يستطيع أن يلاحظ بوضوح أهميتها في الاحتفالات والتمراسيم والعروض العسكرية والاستقبالات الرسمية، حيث كان يرتديها كبار الوزراء والفتيان والأكابر والكتاب والخصيان المصفاة، وغيرهم من طبقات أهل الخدمة، عند استقبال الخلفاء والاحتفال بقنومهم^(١٤٢).

وجرت العادة أن يقوم حكام الأندلس باستعراض أدوات الحرب أثناء الاحتفال باستقبال سفراء وحكام الدول المجاورة، لاسيما ملوك إسبانيا المسيحية، وذلك من أجل استعراض القوة العسكرية واث الرعب في نفوسهم . ويستدل على ذلك مما ورد في المصادر العربية من أوصاف تفصيلية لمواكب زيارات السفراء والملوك المسيحيين، يقصر فرطية وقصور الزهراء والزاهرة^(١١٠).

٥- من العوامل التي ساعدت على ازدهار صناعة السلاح في الأندلس: تعدد مصادر الحصول عليها فلم يكتفوا بما كان يصنع منها محليا ويبيع ويشترى من أسواق خاصة بها، فرغم إشارة المؤرخين بمهارة الأندلسيين في صناعة أدوات الحرب^(١١١) كما سبق الإشارة، لم يترددوا في شراء الأسلحة الجديده من إسبانيا المسيحية والبلاد المجاورة لها، أو من الأسواق المشرقية والهندية، حيث وردت إشارات عديدة عن تسليح الجيش الأندلسي بمثل هذه الأسلحة المشتراه من الخارج^(١١٢) رغم ما كان يفرض أحيانا من حذر لبيع، أو نقل هذه الأسلحة، بين الطرفين الإسلامي الأندلس والإسباني النصراني^(١١٣).

وأخيرا، تجدر الإشارة إلى أن ازدهار صناعة أدوات الحرب والعناية بها، في مختلف مدن الأندلس، كان ضرورة فرضها تاريخ الأندلس الحافل بالثورات والحروب المتتالفة، فضلا عن جنوح أهل الأندلس، لاسيما في عصر تطوائف إلى الخروج على السلطة مما كان له أكبر الأثر في اعتماد كل مدينة في الدفاع عن نفسها. ونستدل على ذلك من قول الاقتصادي بلن مدينة غرناطة حققت تقدما في صناعة السلاح مكنتها من الدفاع عن نفسها وزيادة مفاعتها^(١١٤).

وبعد هذا العرض لعوامل ازدهار صناعة أدوات الحرب في الأندلس، يجدر بنا أن نفرق بين أنواعها التي كانت تستخدم في ميادين الحرب، والمستخدمه للزينة، أو كانت تقدم كهدايا. ومع أن إثبات هذا الفرق بالأساليب التاريخية المعتادة لا يخلو من صعوبة، إلا أنه من خلال الإشارات التي وردت بشأن النوع الثاني المستخدم في الزينة؛ يمكن إثبات هذا الفرق، فالآلات الحرب التي كانت تستخدم في أيام البروز والمواكب والإهداء تتميز بخفة وزنها، والمبالغة في زخرفتها وتحليتها بخطوط الذهب والقضه وترصيعها بالأحجار الكريمة، وتطلق المصادر العربية على هذا النوع من أدوات الحرب اسم: تجاقيف أو تخاليف الزينة والمنطقاتية أو الخاصة^(١١٥) ومنها السيوف الخالية^(١١٦) والسيوف المرصعة العسود بالجواهر المئونة والحراب المزينة العصى بألبيب الفضة والبيضات المذهبة^(١١٧).

بينما الأسلحة المستخدمة في ميدان الحرب يراعى فيها: أن تكون قوية الشكل غليظة المظهر خالية من الزخرفة، بحيث تتناسب وطبيعة الوظيفة التي تؤديها. وقبل أن نختم الحديث عن عوامل ازدهار صناعة أدوات الحرب الأندلسية، نود الإشارة إلى أننا لا نكاد نرى فنا من الفنون الصناعية الأندلسية أكدت المصادر الأندلسية على أنه قد تأثرت أشكاله بالفنون الصناعية المسيحية المعاصرة مثلما حدث في فنون صناعة أدوات الحرب، ونستدل على ذلك من إشارة ابن الخطيب: وزيهم (أهل الأندلس) شبه زى اقتالهم وأضدادهم من جيرانهم الفرنج إسباغ الدروع وتعليق الترسه وحفا البيضات واتخاذ عراض الأسمه وبشاعه

فرايين السروج واستركاب حمته الثريات خلفه كل منهم بصفة تختص بسلحه وشهره يعرف بها^(٤١).

ويشير الثعري في هذا الصدد أيضا بقوله (وكثيرا ما يتزين سلاطينهم وأجندهم بزي التنصاري المجاورين لهم فملاحهم كسلاحهم وأقربتهم كاقربتهم وكذلك أعلامهم وسروجهم ومحاربتهم بالتراس^(٤٢) والرماح^(٤٣) الطويلة للظعن ولا يعرفون الشبايس قسي^(٤٤) لعرب بل يدعون قسي الأفرنج للمحاصرات في البلاد أو تكون للرجال عند المصافقه للحراب^(٤٥)).

ولا يؤخذ من هذا أن تلك الآلات الحربية المسيحية كانت تعتبر مقياسا، أو كان صناع الأندلس يتخذونها نماذج يقلدونها مسرفين في هذا التقليد، بل على العكس نجد أن صناع الآلات الحرب الأندلسيين فيما بعد منذ عصر بني نصر، قد اتخذوا لأنفسهم أساليب وأنواعا تختلف عن نظائرها المسيحية ولا ترجع في شيء إلى الأساليب المسيحية الموروثة من مجموعات الأسلحة التي غنموها من القوط في بداية الفتح الإسلامي، أو في أثناء الحروب الجهادية الطويلة التي خاضها المسلمون في الأندلس ضد التنصاري الأسبان، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن الخطيب أيضا، في موضع آخر، عن التجديد الذي أحدثه صناع السلاح في عصر بني نصر بقوله (ثم عدلوا الآن عن هذا الذي نكروناه إلى الجواشن^(٤٦) المختصرة والبيضات المرهفات والسروج العربية، والبيوت المنطية^(٤٧) والأسل العلفية^(٤٨)).

الخناجر الأندلسية : ARCHIVE

تعريف الخنجر واستخداماته:

<https://archivebeta.sakhril.com/>

الخنجر سلاح قاطع صغير أشبه بسيف مصغر، ولكنه أكثر وأسهل في الحمل والاستخدام، إذ يحمله المحارب في منطقتة أو حزامه أو تحت ثيابه، فإذا التحم بعدوه قطعته به خلسة^(٤٩)، والخنجر من أقدم الأسلحة التي استخدمها الإنسان في الدفاع عن نفسه، فهو من الأسلحة الدفاعية التي عرفها العرب منذ جاهليتهم، ويعتبر سلاحا شخصيا أكثر من كونه رئيسيا في المعارك، وهي أسبق في الظهور من السيوف وأقدم استخداما، وكانت بعض المجاهدات، في العصور الأولى، يحملن الخنجر في الغزوات تحت ثيابهن للدفاع عن أنفسهن.

وبصفه عامة، ارتبط الخنجر، منذ قرون طويلة، بعبادات الشعوب وتقاليدهم وتراثهم المنقول، ويعد رمزا للرجولة، كما أن نوع الخنجر، في بعض البلدان مثل اليمن، يدل على المكانة الاجتماعية لصاحبه، وما تزال الخناجر، حتى يومنا هذا، من مستلزمات المظهر الخارجي في بعض المجتمعات الإسلامية، فضلا عن كونها سلاحا فهي حلية خاصة بالرجال تعبر عن شخصية حامنها ومكانته^(٥٠)، ومع أن الخنجر من ملحقات السيف لأنه من فصيلته، إلا أنه عكس السيف فقد ارتبط في الأماهر بالخيانة والغدر، حيث الخويل به العديد من الشخصيات الهامة في صدر الإسلام، ومن ذلك خنجر أبو نؤنؤه المجوسي الذي قتل به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يصلى.

أجزاء الخنجر:

يتكون الخنجر عادة من جزئين رئيسيين هما: رناسة الخنجر أو قائمه ونصله، وللقيام والتصل عناصر مهمة لا يكاد خنجر عادة يخلو منها، وخاصة إذا كان من الخناجر الأصلية إضافة إلى عند الخنجر أو فريفة ويتكون قائم الخنجر أو رناسته من المقبض، وهو مقبض كف الضارب أو الطاعن أو مكان قبضه اليد، والفريفة وهي الحديدة التي تلبس أعلى المقبض وتسمى القلعة أحياناً، إذا كانت مستديرة أو كروية، كما تسمى في بعض المصادر الأندلسية بالقرون الجاموسية^(١). ويقصل التصل عن رناسة الخنجر وقائمه الواقية وهي حديدة المقبض المعرضة على فم الفم، لوقاية يد المعارب من الإصابة وطغات الخصم.

وقد أوليت مقابض الخناجر عناية خاصة، حيث صنعت من مواد ثمينة مثل قرن وحيد القرن، وعاج الفخمة، وعاج الفيل، والذهب والفضة.

أما التصل فهو حديدة الخنجر، ويصنع في الغالب من الفولاذ أو البرونز، ويتميز الخناجر الجيدة الأصلية باحتواءه لتصلها على ما يعرف بالأثر أو الجوهر الفاخر^(٢) وهو مصطلح استخدم لبيان ظاهرة الخطوط المتداخلة المتباينة الأشكال والأوضاع على صفحات التصل، فهي خطوط ناعمة متداخلة على شكل التمسح الشبكي، أو على شكل تقسيم خطوط التصل إلى مسافات قصيرة متساوية، أو شكل عقد متناسقة متقاربة متلاصقة، وأحياناً تكون على شكل خطوط عريضة تشكل بقعا مستديرة أو مستطيلة، أو خطوط متعرجة أو متوازية.

ويرجع هذا الاختلاف إلى التغيير في نسب الشوائب الداخلة في الخليط الفولاذي للتصل، والتي تدرس كمياته بدقة كالكربون والمغنسيوم والسيليسيوم والكبريت والفسفور وبعض المواد العضوية، أو إلى اختلاف في الطرق الحرارية من إسقاء وأحماء وتبطين وتحكم في درجات حرارة كل منها^(٣) ويخلاف الجوهر تمتاز صفحات التصل بأشتمالها على: (١) شطوب أو فتوات تحفر في متونها وفالذتها أن تجعل الخنجر أكثر ثبوتة (٢) حد الخنجر أو حرقه، وهو جزء التصل القاطع، وما بين حد الخنجر الجزء البارز في وسط نصله شفرتا الخنجر أو حرفاه المرتفعان، ثم المضرب وهو حد الخنجر أو الموضع الذي يطعن به (٣) السنبك وهو طرف نصل الخنجر.

وعلى هذا الأساس يمكن إجمال مكونات الخنجر في جزئين رئيسيين هما: المقبض والتصل، ولكل منهما عناصر مهمة لا يكاد خنجر يخلو من معظمها، وبذلك فإن الخنجر أشبه في تكوينه بالسيف، فهو صوره مصغره له.

أقسام الخناجر :

يكون للخنجر في العادة فراب أو أبقان أو أعواد Scabards تحفظ فيها، يطلق عليها ابن حيان الغلاف^(١) وهي عبارة عن جراب من الخشب، في الغالب، مغطى بالحرير أو القبطية أو الجلد أو المعدن، ويعرف الجزء الذي يلبس منها في قائم الخنجر باسم السفن، وهي جلد مصنوعة بشكل جيد، زدنا بعض المصادر بأوصاف تتم عن نوعها مثل: عود سفن^(٢) وسفن حوت ينصل^(٣) وفي نهاية أعواد الخناجر من أسفل: جلدة مفرغة مزينة تنتهي عادة بحديدة

ملبسة فيها يطلق عليها التعل^(١٧١) ويبطن الغصد من الداخل أحيانا بجلود تعرف بالحلل، ويرصع من الخارج بحلى مستديرة على شكل حلقات أو شرائيب من المواد النسجية، كالقطن أو الكتان أو الحرير، التي كانت تستخدم في تزيين الأسلحة وأدوات الخيل^(١٧٢).

الغناجر الأندلسية:

وإذا كان المؤرخون قد أشادوا بمهارة الأندلسيين في صناعة كل أدوات الحرب، كما سبق الإشارة، حتى قيل عنهم بلأنهم تركبون في معانء الحروب ومعالجات الآتاء والتظفر في مهماتها^(١٧٣) كما أسهبوا في وصف أنواعها وأشكالها، فيما عدا الغناجر، فمن الطبيعي أن يكون لأهل الأندلس نفس المهارة في مجال صناعة وزخرفة الغناجر التي تنوعت نوعا كبيرا، وأوليت مقابضها ونصولها وأغصداها عناية شديدة، ويبرهن على ذلك مصدران: الأول تاريخي والثاني مادي، أما التاريخي فهو وصف وحيد نادر، للمؤرخ القرطبي ابن حبان لمحتويات الهدية التي بعث بها الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى عامته على المغرب أبي موسى بن العافية وكان من بينها أربعة غناجر، وذلك بقوله (وكان في هذه الهدية من غرائب السلاح أربعة بنود بند رابع أحمر مكتوب بالقضفة في جوانبه الثلاث كتاب عريض وفيها سيقان وهلالان مذهبان منوقان وأربعة قرون للضرب (أي غناجر) جاموسية مجزعة الأطراف الضيقة غلافها ديباج وعقفا أبيض أحمر ولكل واحد منهما أربع حلقات تشبة للعلائق حنية، أحدهما قضه مذهبة منوزة بلوز أبيض بصنفتين مذهبتين مشمع الطرف الأضيق فيه أربع حلق قضه وحليه الثالث قضه بصور وحليه ثالث قضه منقشة مشعرة وحليلة الرابع قضه مذهبة منقشة منقوشة)^(١٧٤).

ويؤكد المقرئ أيضا على: أن تلك الغناجر كانت مما يهوى بها من قبل كبار رجال الدولة للخليفة، كتعبير عن ولائهم وطاعتهم، حيث أشار إلى أن الحاجب أبا جعفر المصحفي بعث منها إلى الخليفة لحكم المستنصر خمسة وعشرين قرنا مذهبة من قروون الجاموس^(١٧٥).

ويعتبر عصر الموحدين العصر الذهبي لصناعة الغناجر الحربية، حيث أشار البيهقي إلى أنها كانت من الأسلحة التي استعملها الجيش في عصر الموحدين^(١٧٦)، وإذا كنا نأسف على اختفاء كل هذه الغناجر، والتي وردت بعض الإشارات عنها في المصادر التاريخية، ولم يصل إلينا منها أي أثر مادي؛ فإن ما نقله ابن حبان عنها هو أصنى صورة وضعت عنها، فبفضل هذا الوصف الدقيق نستطيع أن نتصور ما كانت عليه - صناعة الغناجر الأندلسية وزخارفها من روعه وجمال، منذ عصر الدولة الأموية، لاسيما وأن هذا الوصف لمؤرخ معاصر، ولذلك فقد جاء شاملا دقيقا، يسهل من خلاله التعرف على بعض الأنماط الزخرفية للغناجر ووسائل تنفيذها. فالوصف يكاد ينطق بكل التفاصيل الزخرفية التي كانت تكسو مكونات تلك الغناجر، حيث يذكر أن أطرافها (أي الموضع الذي يطعن به) كانت محزوزة بحزوز بارزة مجزعة، وأن أغصداها أو أغلافها كانت مكسوة بأجود أنواع الديباج والحرير، ومحلاة بدلايات على شكل حلقات مصنوعة من مواد ثمنية من الفضة الخالصة والفضة المذهبة المرصعة بالأحجار الكريمة، والمعنقوشة بالتوريفات النباتية وصور الكائنات الحية.

كما تستلج، من الوصف نفسه، أن الصانع الذين اهتموا أجزاء تلك الخناجر قد صنعوا لها علاقات من الفضة؛ لتحمل منها عن طريق أشرفه من قماش الحرير القرمزي. وبخلاف ما ذكره ابن حيان والمقرئ عن الخناجر، في عصر الدولة الأموية، تصمت المصادر العربية عن ذكر شيء آخر يتعلق بها، سواء في عصر الدولة الأموية أو ما تلاه من عصور، ويزيد الأمر غموضاً أننا لا نجد رسوماً لها في المخطوطات والرسوم الجدارية، أو على الفنون التطبيقية الأندلسية، ولكن التماذج التي وصلت إلينا منها، برغم قلتها، تكفي لإعطاء صورة واضحة لما كانت عليه مكونات وأشكال الخناجر، سواء في عصر الدولة الأموية، أو ما تلاه من عصور.

والتماذج التي وصلت إلينا من الخناجر الأندلسية يبلغ عددها ستة خناجر، كلها محفوظة في متاحف إسبانيا التي قمت بزيارتها، وفي تتبعي لتلك المجموعة ودراستي الشخصية لها في أماكن حفظها: لاحظت أنها تنتمي إلى فترات زمنية مختلفة، تبدأ بعصر الدولة الأموية وحتى نهاية عصر بني نصر.

أولاً: تماذج الخناجر المؤرخة بالفترة من عصر الخلافة وحتى نهاية عصر المرابطين :

لم يصل إلينا من خناجر هذه الفترة سوى نموذجين.

(١) النموذج الأول (لوحة ١)

عبارة عن خنجر نصله مصنوع من البرونز عثر عليه بمدينة ألبيرة، محفوظ في المتحف الأثري بغرناطة تحت رقم ١٨٢٧، وموَّخ بأواخر القرن ٩ هـ/١٠ م. وبداية القرن ١٠ هـ/١١ م، ولهذا الخنجر مقبض طوله ١٠ سم يتكون من واقية قواسمها قطعة من البرونز مستطيلة المقطع مسطحة الجوانب، يتصل بها رأسياً عن طريق التحام قضيب (رئاسة الخنجر أو قائمة) ملفوف إسطواني المقطع، ويتوسط بدن هذا القضيب، أو القانم، التبعاج مخروطي يمثل محوراً مركزياً لموضع قبضة اليد (مقبض كف الضارب) وينتهي هذا القانم، أو القضيب، بقبضة تتميز ببساطة تشكيلها الفني، فهي تتكون من لوح برونزي مصبوب، جوانبه ملفوفة بحيث تشكل مخروطاً مقطوعاً.

وتخلو جميع أجزاء هذا المقبض من أي زخارف، باستثناء القضيب الذي يصل بين القبضة والواقية، فقد ازدان بدنه بزخارف هندسية بسيطة، عبارة عن لغائف دائرية منقذة بأسلوب الحز، الذي يعد أقدم طرق زخرفة المعادن الأندلسية وأكثرها انتشاراً في الفترة المنسوب إليها بقايا هذا الخنجر^(٣٣).

(٢) النموذج الثاني (لوحة ٢)

خنجر عثر عليه بمدينة غرناطة وحفظ في متحفها الأثري، تحت رقم ٨٢٨، طول نصله ٢٥ سم، وطول مقبضه ١٢ سم، ويبلغ طول هذا الخنجر بما في ذلك مقبضه، ٣٧ سم ويتألف من نصل ومقبض، ويتصل مستقيم طوله ٢٥ سم مصنوع من الفولاذ، له شفرتان، وينتهي بطرف مديب (سنيك) مستقيم البدن.

أما المقبض فمصنوع من البرونز، ويتصل في قالب واحد بالتصل، عن طريق وإيقته المحزوزة بلفائف دائرية متراكبة منسأة، مركب عليها قبعته المشككة في هيئة كالن حى أشبه بهطين رؤوسهما مستديرة، وأبدائهما التى تمثل مقبض كف الضارب (موضع قبضته اليد) مضغوطة فى شكل كروى منبعج الجوانب، والتى تسمى (قبة) ويخلو مقبض ويتصل هذا الخنجر من أية زخارف، مما يشير إلى أنه كان من نوع الخناجر الحربية التى شاع استخدامها فى عصر الموحدين، كما سبق الإشارة.

ويؤرخ المتحف هذا النموذج بالقرن ٥-٦/١١-١٢م، أى أواخر عصر الطوائف وبداية العصر المغربي الأندلسى (عصر دولتى المرابطين والموحدين).

ثانياً: نماذج الخناجر المؤرخه فى الفترة من عصر الموحدين وبداية عصر بنى نصر :

ما وصل إلينا من خناجر هذه الفترة نموذج (ثوثة ٣).

وقد عثر عليه بمدينة إشبيلية، ومحموظ حالياً فى المتحف الوطنى بمدريد، تحت رقم ٨٤/٤٦٠، ويؤرخه المتحف بالقرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م، أى أنه يرجع إلى نهاية عصر الموحدين، وبداية عصر بنى نصر.

ويتسم الخنجر بجلال الشكل وجمال التنسيب، ويحير عن مرحلة من مراحل التطور التى مرت بها صناعة الخناجر الأندلسية، حيث دخلت عليه بعض التعديلات التى أفقدته بساطة الخناجر السابقة عليه - ويلاحظ هذا التطور فى شكل التصل والمقبض بأجزائه المختلفة -

فبالنسبة للتصل نلاحظ أنه طويل ومستقيم، ينتهى بشبك عبارة عن طرف شديد التدبيب، ويتحول قبل هذا الطرف إلى تصل ذى حدين عليه شطبة واحدة كما يلاحظ أيضاً بأن هذا التصل يتضخم إلى حد ما فى أعلاه، لاسيما عند ما يعرف بسنن الخنجر الذى يدخل فى القاتم. ثم يميل من الخنجر وجانباه (حصىرته) إلى النحافة وحتى حدية، ليتحول عند طرفه المديب (السنبك) إلى ما يشبه رأس الإبرة، وهذه الخصائص تجعل هذا الخنجر سلاحاً جيداً تلتفع والتمعن معاً.

أما المقبض فبرغم أن الصانع قد شكله مع التصل فى قالب واحد، على غرار النماذج السابقة إلا أن الجديد الذى نلاحظه هنا هو التطور الذى طرأ على حجم المقبض ككل، إذ زاد طوله زيادة ملحوظة، مع العلية بتجزئة عناصره، فالواقية صبت مع نهاية التصل، وتشكلت من بدن أسطوانى يتصل به فى قطعة واحدة رقيقة نافوسية، بحيث اتخذت الواقية فى مجموعها شكل زهرية، ويلى الواقية موضع قبضة اليد (مقبض كف اليد) التى تتجه رأسياً بحيث تصل بين الواقية والقبوغة، وقد عمد الفنان إلى تقسيم هذا الجزء من المقبض على نحو رائع، ففى كل من طرفيه بدن كروى مركب فيه رقيقة نافوسية، بحيث يتخذ كل منهما شكل قبة، إحداهما مقبوبة والأخرى معدونة يصل بينهما إطار رقيق يتألف من فرصين دائريين، بينهما قرص أوسط مستم، بحيث تظهر فى مجموعها على شكل حبات المسبحة التى تزين محاور رؤوس التيجان.

أما عن قبوغة هذا الخنجر، التى تعد من العناصر الهامة فى تكوين مقابض الخناجر، فقد اهتم بها الفنان الأندلسيون، وحرصوا على تنوع أشكالها، إذ ما لبثت أن تطورت هنا واتخذت طابعاً أو طرازاً له ذاتية، منذ القرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م، إلى أن بلغ غاية التطور فى

عصر بني نصر، فَمَا بَلَّغَتْ النَّظْرُ فِي طَرَازِ هَذِهِ الْقُبْعَةِ أَنَّهَا تَشَكَّلَتْ مِنْ قِطْعَةٍ مُسْتَقْبِلَةِ أَرْضِيَّتِهَا مَجُوفَةٌ وَجَوَانِبِهَا الْقَصِيرَةُ مَقْصُوصَةٌ فِي شَكْلِ أَدَانِ رِبْعٍ دَائِرِيَّةٍ ذَوَاتِ أَطْرَافٍ مَدْيِيَّةٍ.

ويطلق على هذا الطراز من الخناجر نوات القبيعات المشككة على هذا النحو في المصطلح الإسباني: اسم (punales de orejas) بمعنى الخناجر نوات الأذان^(١٧١).

وهذا الطراز من الخناجر سوف يتابع انتشاره فيما بعد عصر الموحدين في الأندلس، ومنذ بداية عصر بني نصر إلى نهاية هذا العصر وبداية القرن ١٠-١١هـ/١٥-١٦م، ولكن بشكل أكثر تطوراً، بحيث يمثل آخر مراحل التطور التي مرت بها صناعة الخناجر الأندلسية ذات الأذان التي بدأ يظهر الطابع الزخرفي في تشكيل مقابضها وتقسيم أبدانها بدقة بالغة، ثم اتجهت في تطورها نحو مزيد من الزخرفة بحيث غلبت فكرة الحنية على فكرة التبسيط، وهذا ما سوف نلمسه في بقية الأمثلة الإسلامية والمسيحية التي صنعت على غرارها، حيث تحول شكل أذان القبيعة إلى قرصين أسطوانيين منفرجين متقاربين من أسفل ومتباعدين من أعلى^(١٧٢).

وقد أكدت المدونات المسيحية على أن الخناجر التي صنعت على هذا الطراز، خلال هذه الفترة الطويلة في الأندلس، تندرج في ثلاث مجموعات أولها وأقدمها يرجع إلى عصر بني نصر، أما المجموعة الثانية والثالثة فقد اتلفت الأراء على أنها صنعت في العصر المسيحي، ولكنها اختلفت بشأن مكان صناعتها في إسبانيا للمسيحية، أم في مدينة فينسيا الإيطالية (لوحه ٨-٩-١٠) (١٧٣)

ثالثاً: نماذج الخناجر الأندلسية المؤرخة منذ بداية عصر بني نصر وحتى نهايته:

تضم هذه المجموعة ثلاثة خناجر (لوحه ٤، ٥، ٦، ٧) كانت قد غنمتها الجيوش المسيحية من السلطان أبي عبدالله في موقعه النيساب، وإثنان من تلك الخناجر كانت بحوزة الكونتيسة باجيا Condesa de Behague أحدهما كان محفوظاً في أكاديمية السلاح الملكي بمدريد، ثم نقل إلى متحف المتروبوليتان في نيويورك، والثاني محفوظ في متحف بنسبية دي نون خوان.. أما الثالث فمحموظ حالياً بالقصر الملكي في مدريد.

الخضمران الأول والثاني من تلك المجموعة :

تضم هذه المجموعة خنجرين متشابهين إلى حد التطبيق (لوحه ٤، ٥) فكلهما مصنوع من الفولاذ المذهب؛ الذي اصطلح على تسميته، في المصادر العربية الأندلسية، بإسم طلاء الذهب الإبريز أو المذهب^(١٧٤). وفيه يتم تذهيب السطح المعدني بعد عملية التشكيل مباشرة، وقبل نقش الزخارف عليه، ومن شأن هذا الأسلوب أن يحدث تناوباً لونياً بين اللون الذهبي لسطح الخنجر وبين الزخارف المحفورة على المعدن الأصلي، فضلاً عن إكسابها لونا براقاً وجمالية تلحظ من الصداً وينفذ هذا الأسلوب بطرق ثلاثة هي:

(١) عمل رقائق من معدن الذهب تثبت على المعدن الأصلي، إما بالطرق أو التصق بمادة لاصقة مثل الصمغ أو الغراء.

(٢) طريقة التذهيب بواسطة النار أو الحرق.

(٣) طريقة التذهيب بدك أوحك السطح المعدني للتحفة بنوع من الأحجار يعرف بحجر الشانه أو حجر الطلق^(١٧٩) اشتهرت به مدينة قرظبة كما سبق الإشارة بحيث يكسب التحفة لونا ذهبيا طبيعيا^(١٨٠).

أجزاء الخنجرين:

يتكون كل منهما من نصل قصير ومثن ضيق، وهما من النوع المستقيم ذي الحدين، وتتميز صفحتا النصل بإشتمالهما على شطبة واحدة ممتدة بطول النصل، وتبرز عن أرضيته في إنحناء مقعر. بحيث تكون ما يعرف بالخير، أو الجزء الناشئ في وسط نصل الخنجر أو السيف وعبريه، أو حرفاء المرتفعان، وقد ترثب على ذلك أن ظهر النصل كما لو كان هيكلا مكونا من أوتار أو ضلوع بارزة، تقوم على أرضيته المسطحة في أعلاها والمستدقة لنهاها، على نحو يذكر ببعض اتصال سيوف عصر بني نصر ذات الشطبة الواحدة^(١٨١).

وينتهي النصل بكل من الخنجريين بسنك عبارة عن طرف مذهب شديد للتحدب، أما المقبض فوافيته مئسبه في أعلى النصل؛ عند الجزء الذي يعرف بالسيلان الذي يدخل في القائم والنصل، وقد شكلت من إطار مجوف مضلع السطح في نموج نصف دائري يتوسطه حلقة دقيقة تمتد في أعلاه وأسفله، بحيث تبدو في شكل ذراع ينتهي بكف، ومثل هذه الحلبة شاع ظهورها على بعض واجهات العسائر في عصر بني نصر^(١٨٢) وهي بمثابة تسانم أو تعلويد أو شارات سحرية لها دلالات رمزية، ربما كان الغرض منها تحصين الخنجر من الحصد والسوء أو الضياع، ونكى تؤدي عملها في يد صاحبها على خير وجه، وقد ظهرت مثل هذه الشارات أو التسانم في الأندلس منذ عصر دولة المرابطين والموحدين^(١٨٣).

ولهذه الواقية قرص أسطوانى مجوف مصبوب مع موضع قبضة اليد، بحيث يدور مع حركة معظم اليد أثناء لظعن، ويتألف مقبض كف الضارب من ألواح معدنية، عبارة عن لوحين رأسيين يجمعهما لوح أوسط يملأ الفراغ الواقع بينهما. بحيث تظهر الألواح الثلاثة كقطعة واحدة مثبته بواسطة مسامير صغيرة بالغة الدقة يطلق عليها (التقير) أو رؤوس المسامير التي في قبضة الخنجر. ومن الواضح أن تلك المسامير، المستخدمة كوسيلة تثبيت وتقوية، قد أضيفت إلى بدن المقبض بعد عنية تجميعه وصبه.

ويتوج قمة كل طرف من أطراف اللوحين الرأسيين، في كلا النموذجين، قرص دائري أرضيته مقعرة قليلا، بحيث يظهران معا في شكل أذنان يرتفعان بشكل منحوظ عن ساق قبضة اليد، يتقاربان من أنسى ويتباعدان من أعلى في إنفراج واضح، بحيث يمثلان قبضة الخنجر، ويمبران عن طراز الخناجر ذات الأذنان punales de orejas. أما عن زخارف هذين الخنجريين، فقد تركزت في أجزاء المقبض دون النصل، حيث تظهر في اللوح الأوسط من موضع قبضة اليد، وعلى جوانب الواقية وفي الأوجة الداخلية لأذنان القبضة، وكلها منقذة بأسلوب الحفر الغائر على أرضيه مطروقة^(١٨٤) برقائق من الذهب تم صهرها على السطح الفولاذى عن طريق التسخين إذ تظهر آثار هذه الطريقة الفنية في الأجزاء البالية من المقبض.

وتتكون الزخارف من توريقات نباتية قوامها أزهار خماسية البتلات، محصورة داخل سيقان ملفوفة، فضلا عن تصاميم هندسية تبدو في شكل صليبان محزوزو، وأخرى في شكل

حرف T ، ويتخلل كل هذه الزخارف الموزعة في الأوجه الداخلية لأذان القبعة وموضع قبضة اليد وفي الإطار المضلع للواقية - شعار بنى نصر الكتابي (لا غالب إلا الله تعالى) ويتميز كل هذه الزخارف بشدة تقصيرها وتداخل خطوطها، بحيث يصعب على غير المتدقق تمييز أبعادها الحقيقية خاصة وقد تداخل معها أسلوب التذهيب الذي جعل من المتعذر أحيانا تمييز العنصر المحفور من للمذهب، وتلك سمة من سمات زخارف المعادن في عصر بنى نصر..

الخنجر الثالث من المجموعة:

أما عن الخنجر الثالث من مجموعة الخناجر التصرية ذوات الأذان، فهو أروع الخناجر الأندلسية التي وصلت إلينا، وأفضلها احتفاظاً بمظهرها الأصلي، إذ كان بحوزة حاكم مدينة قرطبة دون ديجوا فرنانديث Don dego FernNmdez الذي غنمه في موقعه التيسانه، عام ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، من جيش السلطان أبي عبدالله، ثم أهداه إلى القديس Viana ، ومنه لنقل إلى قاعة السلاح في متحف القصر الملكي بمدريد، حيث حفظ في المتحف المذكور تحت رقم G ٣٦١ (لوحة ٦).

ويبلغ طول هذا الخنجر، بما في ذلك مقبضه، ٣٥سم ولا يزال هذا الخنجر محتفظا بجريته أو غمده الذي يبلغ طوله ٢٥.١ سم (لوحة ٦) وبرغم وجود أوجه شبه وثيقة بين هذا الخنجر والخنجرين السابقين، سواء من حيث نوع المعدن المصنوع منه وهو الفولاذ المذهب، أو من حيث تكوينه العام، إلا أنه قد تميز عنهما بعدة خصائص شبيهة تمثل أقصى ما وصلت إليه صناعة الخناجر، في عصر بنى نصر، من تطور ويزداد هذا التطور وضوحاً في شكل المقبض المصنوع من الفولاذ المكسو بالخشب المطعم بالعاج، وقد تم تثبيت الخشب على الفولاذ بواسطة مسامير من البرونز، بطريقة التجميع أو التركيب.

وتختلف مكونات هذا المقبض جوهرياً عن النموذجين السابقين، ليس فقط من حيث تعدد مادة صناعته، ولكن أيضاً من حيث أسلوب التشكيل؛ برغم احتفاظ قمته أو قبضته بشكل الأذنين، فقد ربيت أجزاؤه بحيث تمتد امتداداً رأسياً، روعي فيه عنصر المتانة والجمال من ناحية، وللتقليل من مكونات كل جزء من أجزاء المقبض، من ناحية أخرى.

فالواقية تتكون من قطعة واحدة في شكل مخروط هرمي قاعدته أسطوانية، وبدنه مسحوب في الحناء مقرر نحو الداخل، بحيث تتخذ الواقية في مجموعها شكلاً يقربها من شكل الكأس أو القاقوس.

ويُنصف قبة القاعدة الأسطوانية للواقية موضع قبضة اليد، التي تشبه إلى حد كبير نظائرها في النموذجين السابقين، وإن تميزت عنهما بشدة استطالتها وبدنها الانسيابي الممشوق مضلع الجوانب مسطح الأوجه، مع ملاحظة شدة تفلطحه عند منتصفه، وهو ما يمثل تطوراً في شكل ساق موضع قبضة اليد، التي يشبه طرفها العلوي علق المزهرية الفخارية الخزفية التي ترجع إلى عصر بنى نصر.

أما عن قبضة هذا المقبض، فبرغم أنها تحاكي من حيث الشكل نظائرها السابقة، إلا أن الأذنين قد انتصبا في وضع رأسي منتظم، بتوسطه فراغ ضيق، بحيث يتخذان صورة جديدة تختلف عن صورتها المنفرجة في أذان النموذجين السابقين. ومن شأن هذا التكوين أن يتبع

عصر العتاة والثبات، وهو اتجاه التزم به الصانع في تشكيل كل أجزاء المقبض المصنوع لأول مرة بطريقة التجميع من العاج والفلواز والخشب.

زخارف المقبض : لوحة (٧)

أما عن زخارف هذا المقبض فقد تطورت، فبعد أن كانت في الأمثلة السابقة بسيطة أخذت هنا تتعدّد وتمتلئ بها جميع أجزائه، فهي ذات طابع ملكي تستجيب إستجابة واضحة لما كانت عليه زخارف عصر بني نصر، التي تميزت بتعدد عناصرها وتداخلها فيما بينها، سعياً لشغل الفراغات العارية، فبرغم أن الزخارف النباتية تحتل مكان الصدارة في زخرفة أجزاء هذا المقبض، إلا أنها تنوعت فيما بينها، حيث عمد الفنان إلى تقسيم مسطحات أوجه المقبض إلى أشرطة أو حشوات، زينها بتشكيلات زخرفية متنوعة، على نحو يثير الإعجاب، بكل جزء من أجزاء المقبض.

زخارف الوافية : (لوحة ٧)

إزدان وجهها بنها المفرد بزخارف نباتية محورة، قوامها زهرتان متراكبتان في تدابير أشبه بزهرتي لوتس تتيشان من برعم دائري، ويبدو الطابع التجريدي واضحاً في شكل البتلات التي تحولت في الأزهرة السفلى إلى بتلات رحبية مدببة، ويظهر في الفراغ الذي يحوط البرعم الدائري رؤوس المسامير البرونزية، المستخدمة في تثبيت الخشب على البدن الفلوازي للمقبض.

أما عن الوجه السفلي لفرض الأسطواني الذي يحوط الوافية، فيزدان بسيفان نباتية مزدوجة، تنتهي برؤوس مدببة وخطافية، تمتد في خطوط منكمرة ومستوية، بحيث تثبت مدى البراعة الفارقة في الاستعانة بالنسق المنحصر أساساً في الزخرفة النباتية، دون أن ينبثق منها أية توريقات أو أزهار نباتية.

زخارف موضع قبضة اليد : (لوحة ٧)

أما الجزء الثاني من المقبض، وهو موضع قبضة اليد، فتعمد زخارفه على حشوات متنوعة موزعة حتى نهايته، وتضم تلك الحشوات وحدات من عناصر نباتية قوامها توريقات تنبثق من فروع متموجة، ونمل وأزهار تمتلأ ما يتخلف من فراغات، ومن هذه التشكيلات النباتية تبرز الساق المحورية الممثلة لشجرة الحياة، ومنها تخرج فروع متلفة متداخلة، راعي الفنان فيها تطبيق التماثل في توزيعها، مما جعلها تبدو كما لو كانت متكررة، وهي في حقيقتها متباينة حيث عمد الفنان إلى تقسيم هذا الجزء من المقبض إلى قطاعين متباينين: العلوي إزدان بأزهار لوتس ثلاثية الشحمت، تدل في رسمها على التطور الذي طرأ عليها في عصر بني نصر^(١٤) ومن أبرز ملامح هذا التطور، الذي يعدها عن أصولها المصرية القديمة استئطالة الشحمة الثالثة العلوية وتحويلها أحياناً إلى شحمة رحبية منحنية الرأس، بالغ الفنان في شدة إتلافها، واتسمت حركاتها بالرشاقة، بحيث تعانقت أحياناً رؤوس زهرتين معاً، على نحو يذكر بمشكلاتها في زخارف المنسوجات التصرية، والحشوات الجصية بقصور الحمراء.

وتثبت تلك الأزهار من ساق نباتية ملفوفة، تخرج من ساق محورية تنكر بشجرة الحياة، تتوزع على جانبيها أزهار اللوتس متباينة، تطبيقاً لنظرية التناسق والتماثل التي التزم بها الفنان المسمم في رسم شجرة الحياة المنقولة عن الفن الساساني والروماني والبيزنطي^(١٥).

أما القطاع السفلي من المعقبض، فيقسم إلى ست حشوات، ثلاثة بكل وجه، تزدان الحشواتان الجانبيتان بزخارف نباتية قوامها أنصاف مراوح نخيلية، تتألف من فصين يمتد أحدهما في استئطالة واضحة عن الآخر، يتوسطها برعم مركزي يظهر أحياناً، ويختفي أحياناً أخرى، وينبت الفصان من ساق نحيفة متموجة، تتصل ببراعم دقيقة، وتمثل هذه الصورة أقصى ما بلغته أنصاف المراوح النخيلية في القنون النصرية من تطور، حيث صغرت أحجامها وانشئت فصوصها نحافة بحيث تثير بشكلها الذي أصبحت عليه وكناتها سنابل قمح، أو أجنحة طيور صغيرة تثير إعجاب الناظر المتأمل في تكوينها.

أما عن الحشوة الوسطى من هذا القطاع، فيتوجهها محارة نباتية مفصصة تتخذ شكل مروحة رشيقة أسطوانياً تقريباً على نحو تدريجي، ينتج من تدرجها شكل يشبه شعاع الشمس، وتقوم هذه المحارة على إطار من عناصر هندسية تولف في مجموعها خطوط معقوفة، منها ما نغذ على شكل حرفي L أو حرف S أو رقم 8 .

زخارف القبيعة (لوحة ٧)

تعتمد أيضاً في زخارفها على العناصر النباتية كموضوع رئيسي، وتتألف هذه العناصر من أوراق غيب خماسية البتلات^(١٧) تثبت من سيقان مستقيمة ملفوفة تشبه تعاريف الغيب هذا بالإضافة إلى أشكال من أوراق الأكنثس التي تنوعت أشكالها واتخذت صورتين: الأولى تميزت بانتشارها، بحيث أصبحت تشبه المراوح النخيلية، والثانية تألفت من ثلاث شحمت^(١٨).

وقد تم توزيع الموضوع النباتي في نماذج، على جفتي القبيعة، بحيث يلتقي الجانبان من أعلى عند شرة الأتاس، ويتوسط الموضوع النباتي تشكيل هندسي قوامه دائرة تحصر بداخلها خطوطاً مجدولة، وتنتهي الدائرة من أعلى بخطوط مزدوجة معطوذة الطرف، تحصر بداخلها شرة الأتاس سالفة الذكر .

النصل :

نصل هذا الخنجر مصنوع من الفولاذ المذهب، يبلغ طوله ١٩ سم، وهو نصل عريض مستقيم يتميز باستطالته واتتهاله برأس مقلطحه تشبه خط قلم اليهوس، حين يقطع رأسه عرضاً في بريه، بحيث يتحول قبيل نهايته إلى نصل ذي حدين.

ويعد هذا النصل فريداً من نوعه بين أنصال الخناجر الأتلمسية التي وصلت إلينا حيث طرأ تطور واضح في شكله وزخرفته، وامتاز بجماله وبقوة تنفيذ عناصره، مع إبرازها في صورة جديدة تختلف عن نظائرها السابقة، وقد تمثل ذلك فيما يلي :

(١) يشمل النصل على شطبتين: واحدة عريضة على شكل قناة عميقة شديدة الانحدار تمتد من أعلى النصل حتى بداية الثلث الأخير منه والشطبة الثانية عريضة عميقة ولكنها قصيرة، تمتد في سيلان النصل، أي سطحه الذي يدخل في الواقية، لمسافة لا تتجاوز ٣ سم، وقد نتج عن ذلك وجود خطوط رفيعة مذهبه ومفصصة، كونت ضلوعاً أو أوتاراً متقلرية تبرز بروزاً طفيفاً، عكس نظائرها في النموذجين السابقين.

(٢) تحمل صفحتنا التصل خطوطاً دقيقة متداخلة متباينة في موجات هندسية، بحيث ترسم شكلاً أشبه بعقود مفصصة، تحصر بينها بقعا مختلفة الأشكال والأوضاع، ألوانها رمادية تميل إلى اللون الأبيض الفاتح، تولى في مجموعها جوهر التصل الذى تشكل من خطوط ناعمة على شكل التمسح، على نحو يذكر بشكل الجوهر الدمعنى الذى شاع ظهوره على أنصال السيوف الإسلامية^(١١).

زخارف النصل :

الجديد الذى تلحظة هنا: أن الفضان على غير المائوف فى أمثله الخناجر الأندلسية، إهتم بزخرفة نصل هذا الخنجر، بحيث يكاد يكون الوحيد، بين الأنصال الأندلسية، الذى يتميز بأن صفحته منقوشة بزخارف تجمع بين الانسجام والتنوع، ما بين عناصر نباتية وهندسية وكتابية، حيث حفر على سطحه الفولاذى المذهب أزهار لونس محصورة داخل أشرطة دقيقة، يعوها ويدونها نص كتابى بخط الثلث الأندلسى^(١٢) يصعب قرأته ونطالع فى هذا النص الذى يملأ صفحاته التصل عبارات منديح وإطراء متكررة، نصها (السلامة - العز الغائم - السعد الغائم - العز الغائم - السعد الدائم - السلامة) مع توقيع صانعه ويدعى (رضوان).

وبالتدقيق فى حروف هذا النص نلاحظ أنها تتسم بقصرها وإمتدادها فى زوايا حادة يابس، على نحو يفرها من حروف الخط الكوفى البسيط، بحيث تحاكي على هذا النحو تظانها على سيف أندلسى، محفوظ فى المتحف الحربى بمغريد، ينسب إلى السلطان أبى عبدالله^(١٣).

الجراب (الجلن - الفهد - الجراب) :

لهذا الخنجر جراب طوله ٢٥,١ سم، مصنوع من الخشب المصنوع بأسلاك من البرونز ومغطى بالجد، وقد عمد الصانع إلى تقوية الجراب وتحليلته بقطعتين: الأولى من أعلاه عند الجزء الذى يئس منه فى قائم الخنجر، والمعروف باسم السلن، برقبة عبارة عن إطار مجوف يتخذ شكلاً مخروطياً منتظماً بدنه، مصنوع من الخشب المبطن من الداخل بالجد، فيما يعرف باسم الحلل والمصنوع من الخارج بالفولاذ المكفت بالفضة، زخارفه عبارة عن حلقات دائرية موزعة بالتناوب على مسافات منتظمة، واحدة تضم شعار بنى نصر الكتابى (لا غالب إلا الله) والأخرى تملؤها زهرة زنبق.

أما القطعة الثانية فملبسه فى نهاية الجراب من أسفل، وهى عبارة عن جلدة مفرغة تعرف بالعزيقة، تأخذ نفس شكل نهاية التصل، مصفحة بالفولاذ ومكففة بالفضة، فى شكل فصوص متراكبة تشبه حبات التؤلؤ، ويشغل ما بين الفصوص ويتصل بها أسلال مجنولة من البرونز المذهب تحصر بينها زخارف نباتية وهندسية، يقب عليها الطابع التجريدى، تدور فى جميع الاتجاهات، بحيث لا تترك فراغاً دون أن تملأ، ويتعذر على غير المدقق تمييز شكلها الحقيقى.

ويستلف النظر، فى زخارف هذا الجزء من الجراب، وجود سلكه ملفوفة من البرونز فى شكل دبة، بداخلها صورة كائن حى ذات طابع تجريدى أشبه بشكل التمس .

أما عن بدن الجراب العرسى، المحصور ما بين رقبة وعزيقته والمصنوع من الخشب المكسو بالجد، فقد إزدان بتوريفات نباتية محورة، فواها أزهار زنبق وأنصاف مراوح نخيلية

متراكبة، في أوضاع متقابلة ومتدايرة، موزعة داخل أشرطة رأسية عريضة تتناوب مع أخرى ضيقة، زخارفها هندسية، قوامها أشرطة مجدولة.

ولهذا الجراب علاقة من حبل مقنول من خيوط الكتان^(١١) يتدلى منه شراية من خيوط الحرير^(١٢) تشبه ذوايل الطربوش، ويبدو الشكل العام لهذه العلاقة على نحو يفرها من شكل الفرشة في الستائر الحديثة.

بعض مستلزمات الخناجر الأندلسية (لوحة ١١-١٢).

إذا كان الخنجر يعد أحيانا للقتال، فهناك عدة أنواع أخرى من الخناجر استُخدمت ولا زالت تستخدم، لأغراض أخرى غير القتال، منها خناجر الزينة التي كانت من مستلزمات المظهر الخارجي في المجتمعات الإسلامية، فضلا عن كونها سلاحاً شخصياً، فهي حلية خاصة بالرجال تعبر عن شخصية حامليها ومكانته، من خلال مقابضها وأغصانها المصنوعة من مواد ثمينة.

واستكمالا للمظهر الخارجي، لمن يحمل هذا النوع من الخناجر، أعدت لها حمائل عبارة عن أحزمة تنور حول الوسط أو الأكتاف، يعق فيها معاليق عبارة عن جعب في شكل حقلب من الجند المطعم بخيوط الفضة والذهب، إذ كان الخنجر لشخصية كبيرة، وكانت هذه الحقلب تستخدم في أغراض أخرى غير حمل الخنجر، منها حفظ المتعلقات الشخصية بصاحب الخنجر ومنها المصحف والغمد، وتميزت أحزمة تلك الخناجر، أو بالأحرى حقلبها، باشمالها على إبريمات معنية غالبا ما تكون من الحديد المذهب.

وفي رأى أحد مؤرخي الفن: أن الصناع الأندلسيين قد فطنوا في صناعة مثل هذه الأحزمة ومعاليقها، في نهاية عصر بني نصر، أي منذ أواخر القرن ١٥م/١١٥٠م. وللاسف أن نماذج هذا النوع من الأحزمة ومعاليقها قد ضاعت نهب الغنم والحروب التي سقطت على أئرها مملكة غرناطة، آخر معاقل دولة الإسلام في الأندلس ولم يبق شاهدا عليها سوى حزام من عصر بني نصر محفوظ في المتحف العربي بالقصر المنكي بمغربد، وهو مصنوع من الجلد، طوله ١٠٠.٤سم، تزيينه أسلاك من الفضة موزعة في صفوف أفقية منقوشة متوازية، وعليه كتابة نسخية بخط الثلث الأندلسي في سطر واحد تطالع فيها شعار بني نصر الكتابي (ولا غالب إلا الله تعالى) محصور داخل خراطيش بطاقيه سداسية الشكل، ويمتلئ الفراغ الواقع بين تلك الأسلاك والشعار الكتابي؛ توريقات نهائية أشبه بزهرة الزنبق. وينتهي طرفا الحزام بإبريم من البرونز المذهب يتخذ في الطرف الأيسر شكل حلقة بيضية مصنوعة من سلك سموك، مركبة في قطعة معنية قاعدية ينتصفها الإبريم، وفي الطرف الأخر الأيمن عبارة عن قطعة قاعدية مربعة مسطحة، يدخل فيها الطرف الآخر من الإبريم.

ويسترعى النظر وجود إبريم آخر مصنوع من البرونز المذهب أيضا، استخدم كنقطة وصل بين أجزاء الشريط الحزامي وكسمة زخرفية إضافية، ومعلق بهذا الحزام جعبه حجمها ٢.٥سم × ١.١سم، مصنوعة من الجلد ومرصعة بأسلاك من الفضة، تتقاطع وتتشابك فتؤلف إطارات تبدو من الخارج في هيئة حبيبات مجدولة، ومن الداخل في هيئة خطوط أو صفوف من سلكين متجاورين، وتحصر تلك الإطارات بداخلها شعار بني نصر الكتابي (ولا غالب

(إلا الله)، وتلاحظ في كتابة هذا الشعر مدى التطور في حجم الحروف، فهي تتميز بالمبالغة في كبر حجمها، لتصبح غصراً زخرفياً بحثاً، فضلاً عن إسباغ بعض القيم الجمالية عليها، عن طريق تزويدها بتوريفات نباتية تتفرع من نهايتها أحياناً، أو تملأ الفراغات الواقعة بينها، وتلمس ذلك على سبيل المثال والتخصيص في حرف (الباء) في كلمة (غالب)، فقد بالغ الخطاط في مدّها أفقياً أسفل حروف الكلمة جهة اليمين، وزودها بتوريق نباتي قوامه أنصاف مرواح نخيلية ذات قصين، كما أضفى على حروف الكلمة حيوية وأسبغ عليها جمالاً حين وصل بين حرف اللام وحرف الباء بنفس التوريق النباتي.

ومن الملاحظات التي يمكن أن نستخلصها من هذا النقش، أنه موزع على سطرين أحدهما مقلوب يقرأ في عكس اتجاه الآخر، ونص الأول جهة اليمين كلمة (ولا غالب) ونص الثاني (إلا الله تعالى) وعلى ظهر الجعبة صورة أصابع اليد الخمسة، التي شاع ظهورها في معظم واجهات عمائر بني نصر، والتي تمثل، في رأي أحد مؤرخو الفن، كف السيدة فاطمة وكرمز إلى البركة وتحصين تلك الحقيقة وما بداخلها من السوء والضياع^(١٤) وتعليل وجودها ربما الإشادة بالتحفة التي تزويدها جمالاً وصناعة^(١٥).

وجميع هذه الزخارف، سواء على الحرّام أو جعبته، ظهرت مجسمة ومنقذة بأسلوب الترصيع، الذي يعد من أهدع وأميز الوسائل الفنية التي أفلح الصناع، في عصر بني نصر، على الاستعانة بها بقصد الزخرفة.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

خاتمة

من خلال دراسة هذا الموضوع نستخلص بعض النتائج أهمها:

- (١) أن ازدهار صناعة السلاح، بوجه عام في الأندلس، كان ثمرة عوامل كثيرة أهمها: وفرة المواد الأساسية اللازمة لها، وعناية حكام الأندلس بتلك الصناعة، والتي اتخذت عدة مظاهر منها: تعدد مصادر الحصول على أدوات الحرب، وإقامة دور لصناعها في مختلف مدن الأندلس.
- (٢) أثبتت الدراسة أن الصانع الأندلسي، لاسيما في الفترة التصرية، وضع بصمته على كافة منتجات السلاح الأندلسي، حتى أنه من النظرة الأولى لأي من هذه المنتجات، ندرك أصولها الأندلسية لتمييزها عن غيرها.
- (٣) في مجال دراسة الخناجر: أكدت الدراسة على أن عصر بنى نصر هو العصر الذهبي لصناعة الخناجر الدفاعية أو الحربية، في حين أصبح في نهاية هذا العصر سلاحاً شخصياً للزينة والإهداء، أكثر من كونه سلاحاً رئيسياً يستخدم في المعارك.
- (٤) تمثل الخناجر التي تناولتها بالدراسة، معظم الخناجر الأندلسية التي وصلت إلينا حتى الآن، والبالغ عددها ستة خناجر، معظمها ينشر لأول مرة، وكلها محفوظة في متاحف إسبانيا، وقد قمت بدراستها عن قرب، في أماكن حفظها بتلك المتاحف.
- (٥) كان من نتائج الدراسة التحليلية، والمقارنة بين أسلحة الخناجر الأندلسية، الخروج بأن بعضها يشترك في سمات قليلة وأحد تقريبا، والبعض الآخر يفرق بسمات قليلة لا نجدها في غيرها من الخناجر، لاسيما في عنصر بنى نصر، الذي كان نقطة تحول في كثير من السمات الفنية المتعلقة بمكونات الخناجر، وأساليب صناعتها وزخارفها.

فهرس اللوحات :

- (١) لوحة (١) : خنجر أندلسى عثر عليه بمدينة البيرة، محفوظ فى المتحف الأثرى بقرنطة مؤرخ فى لواخر القرن ١٠/١٠هـ و بداية القرن ١١/١١هـ (تصوير الباحث).
- (٢) لوحة (٢) : خنجر أندلسى عثر عليه فى مدينة قرنطة، و محفوظ حاليا فى متحفها الأثرى مؤرخ فى القرن ١١/١١هـ - ١٢/١٢هـ (تصوير الباحث)
- (٣) لوحة (٣) : خنجر أندلسى عثر عليه فى مدينة أشبيلية، و محفوظ حاليا فى المتحف الوطنى بمدريد مؤرخ فى القرن ٧ هـ - ٨ هـ / ١٣م - ١٤م (تصوير الباحث)..
- (٤) لوحة (٤) : خنجر أندلسى محفوظ فى متحف المتروبوليتان فى نيويورك - (عن تورييس بئاس).
- (٥) لوحة (٥) : خنجر أندلسى محفوظ فى متحف بلنسية فى دون خوان بمدريد - (عن تورييس بئاس).
- (٦) لوحة (٦، ٧) : خنجر أندلسى من عصر بنى نصر، محفوظ فى القصر الملكى الحرسى فى مدريد - (تصوير الباحث)
- (٧) لوحة (٨، ٩، ١٠) : نماذج من الخناجر الأندلسية المقلدة فى العصر المسيحى فى إسبانيا وإيطاليا - (عن فرنانديث جونثالت).
- (٨) لوحة (١١، ١٢) : مستزجات حفظ الخنجر الأندلسى وتشتمل على الحزام والحقيبة، محفوظان حاليا فى المتحف الملكى بمدريد - (تصوير الباحث).



لوحة (١) حجر أنثاسي عثر عليه بمدينة البيرة معفوظ في المتحف الأثري بقرنطة مورخ في أواخر القرن الرابع الهجري - ١٠٠م وبداية القرن الخامس الهجري - ١١١م (تصوير الباحث)



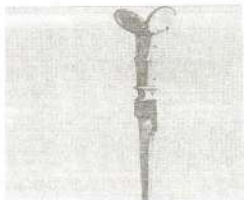
لوحة (٢) حجر أنثاسي عثر عليه في مدينة قرنطة ومعفوظ حاليا في متحفها الأثري مورخ في القرن الرابع الهجري - السادس الهجري (١١١م) (تصوير الباحث)



لوحة (٣) عثر عليها في مدينة غرناطة محفوظ في المتحف الوطني بمدريد مزاح في القرن السابع الهجري - الثامن الهجري (١٣م - ١٤م) (تصوير أيليت)



لوحة (٤) عثر عليها من عصر بني نصر محفوظ في متحف المتروبوليتان في نيويورك (عن - كوريس بلانس)



لوحة (٥) خنجر أندلسي من عصر بني نصر محفوظ في المتحف بالنسبة دي دون خوان في مدريد
(عن - جردون بناس)



لوحة (٦) خنجر أندلسي من عصر بني نصر محفوظ في القصر الملكي الحربي بمدريد
(تصوير الباحث)



لوحة (٧) صورة توضيحية لمقبض الخنجر الاتنلسي المحفوظ
في القصر الملكي الحربي بمدينة (تصوير الباحث)



لوحة (٨) نموذج للخنجر الاتنلسي المنقلد في عصر المنجز مطوَّقة في متحف قسنطينة
(عن - فرنانديث جونزالث)



لوحة (٩) نموذج للخنجر الأندلسي الثالث في العصر المدون محفوظاً في متحف فينسيا

(عن - فرنانديث جوثالت)

ARCHIVE

http://Archive.org/details/



لوحة (١٠) نموذج للخنجر الأندلسي الثالث في العصر المدون محفوظاً في متحف فينسيا

(عن - فرنانديث جوثالت)



لوحة (١١) مستترحات حفظ الخنجر الأندلسي محفوظة في متحف القصر الملكي العربي بمدريد
(تصوير الباحث)



لوحة (١٢) صورة توضيحية لعلية حفظ الخنجر
المحفوظة في متحف القصر الملكي العربي بمدريد
(تصوير الباحث)

مصادر ومراجع البحث

أولاً : المصادر العربية :

- ١) ابن الخطيب (إسحاق الدين أبو عبدالله محمد): الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق محمد عبدالله عثمان - القاهرة - ١٩٧٢ .
- ٢) ابن الخطيب : (إسحاق الدين أبو عبدالله) كتاب أعيان الأعلام فيمن بويغ قبل الإحتلال من ملوك الإسلام - القسم الثاني - الخاص بإسبانيا الإسلامية - تحقيق - ليفي بروكسمال الطبعة الثانية - بيروت - ١٩٥٦ .
- ٣) ابن حيان (أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان القرطبي) كتاب المقتبس من أنباء أهل الأندلس - قطعة الخاصة بالأمير محمد بن عبد الرحمن - ج٥، نشرها بدور شاميتا - كورينطي - محمود صبح - نشر المعهد الإسباني العربي للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط - مدريد - ١٩٧٩ .
- ٤) ابن حيان : أبو مروان بن حيان حلف بن حيان القرطبي المقتبس من أنباء أهل الأندلس - قطعة خاصة بالحكم المستنصر - نشر عبد الرحمن الحجى - بيروت - ١٩٨٣ .
- ٥) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : كتاب العبر ونيوان المبتدأ والخبر - دار الكتاب - بلنجان - ١٩٨٣ .
- ٦) ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى) - كتاب الجغرافية - تحقيق : إسماعيل العربي - بيروت - ١٩٧٠ .
- ٧) ابن سعيد المغربي (علي بن موسى) : المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوالى ضيف - القاهرة - طبعة ثالثة - ١٩٦٤ .
- ٨) ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن عثمان) : تاريخ الحين بالمسماة، تحقيق عبد الوهاب النازي - دار الغرب - بيروت - ١٩٨٧ .
- ٩) ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن محمد) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - تحقيق أويشى فواته - محمد بن ناويث وإبراهيم الكتاني - تطوان - ١٩٦٠ .
- ١٠) ابن غالب (الحافظ محمد ابن أيوب) : قطعة من كتاب فرحة الأندلس من تاريخ الأندلس، نشر وتحقيق - لطفى عبد البديع - مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الأول - ج٢ - نوفمبر ١٩٥٥ .
- ١١) ابن هذيل (علي بن عبد الرحمن) : حلية الفرسان وشعار الشجعان - تحقيق محمد عبدالغنى حسن - دار المعارف - القاهرة - ١٩٤٩ .
- ١٢) الإدريسي (الشريف محمد بن عبدالعزيز) : صفة المغرب والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في إشتراق الأفاق - نشر المكتبة الثقافية ببورسعيد - بدون تاريخ .
- ١٣) الاتصاري السبتي (محمد بن القاسم) : المختصر الأخبار عما كان يشر سبته من سنى الآثار - تحقيق عبد الوهاب منصور الرباط ١٩٦٩ .
- ١٤) البكري (أبو عبدالله بن عبد العزيز) : جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك - تحقيق عبد الرحمن الحجى - بيروت ١٩٦٨ .
- ١٥) البيهقي (أبو بكر علي الصنهاجي) : أخبار المهدي بن تومرت وديانة دولة الموحدين - تحقيق عبد الوهاب منصور - الرباط - ١٩٧١ .

- ١٦) البيروني (محمد بن أحمد) : كتاب الجماهر في معرفة الجواهر - القاهرة - بدون تاريخ
- ١٧) الحميري (محمد بن عبد المنعم) : الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق - إحسان عباس - مكتبة لبنان - طبعة الثانية - ١٩٨٤.
- ١٨) الزهري (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر) : كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق - منشورات مجلة الدراسات الشرقية - دمشق - ١٩٦٨ .
- ١٩) شيخ الروم (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي) : نخبه الدهر في عجائب البر والبحر. مكتبة المشي ببغداد - مصورة عن طبعة ليدن ١٩٢٣.
- ٢٠) القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات - نشر دار الشرق العربي - بيروت - بدون تاريخ .
- ٢١) القنصاري (أبي الحسن علي القنصاري) : رحلة القنصاري - تحقيق محمد أبو الأوفان - تونس - ١٩٧٨.
- ٢٢) القفطندي (أحمد بن علي) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، مجموعة ثلثا - بدون تاريخ.
- ٢٣) مؤلف مجهول / العتال الموشيه في ذكر الأخبار المراكشيه - تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامه - دار البيضاء - ١٩٧٩.
- ٢٤) مؤلف مجهول : خزانه السلاح مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك - تحقيق نبيل عبدالعزيز - مكتبة الأنجلو - القاهرة - ١٩٨٧.
- ٢٥) مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأسفار - تحقيق سعد زلزل عبد الحميد - مطبعة جامعة الإسكندرية - ١٩٥٨.
- ٢٦) المقرئ (أحمد بن محمد) : نفع الطب في نفس الأندلس لترطيبه ونكر وزيرها إسمان الدين بن الخطيب - تحقيق: إحسان عباس - بيروت - ١٩٦٨.

ثانياً : المراجع العربية :

- ١) أحمد الطوقس - مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر - مؤسسة شباب الجامعة - ١٩٩٧ .
- ٢) أحمد فكري - مساجد القاهرة ومدارسها - دار المعارف المصرية - ١٩٦٩
- ٣) أحمد مختار العبادي : صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس - منشأة المعارف - الإسكندرية - ٢٠٠٠م.
- ٤) الأسلحة الإسلامية : السيف والدرع - نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض - ١٤٢٢هـ
- ٥) بلال عبد الوهاب ترغاعي - لخط العربي (تاريخه وحاضره) دار ابن كثير - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٠.
- ٦) سعد ماهر : الفنون الإسلامية - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة - ١٩٨٦ .
- ٧) السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس - مؤسسة شباب الجامعة - إسكندرية - ١٩٩٨ .
- ٨) صبحي عبد المجيد إبريم - أسلحة الجيش وأدواته في عصر الموحدين - مجلة كلية التربية بأكفر الشيخ - العدد الأول - السنة السادسة - ٢٠٠٦ م .

- ٩) عبد الرحمن زكي - النفوس الزرقية والكتابات على السيوف الإسلامية - مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد - المجلد الخامس - العدد ١-٢-١٩٥٧م / ١٣٧٧هـ.
- ١٠) عبد الرحمن زكي : الأحجار الكريمة في الفن والتاريخ - المكتبة الثقافية - عدد - ١٠٨ - مايو - ١٦٤ .
- ١١) عبد المجيد نعمي: الإسلام في طليطلة - دار النهضة - بيروت - بدون تاريخ .
- ١٢) عمر آغا - ملامح من تطور الخط العربي - مجلة كلية الآداب - العدد ١٨
- ١٣) فريد شافعي: العارة العربية في عصر الولاة (٥٣١هـ - ٨٣٥٨م) (١٩٣٦م - ١٩٦٩م) - نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة - ١٩٧٠.
- ١٤) كمال غناتي : السيوف الأندلسية في ضوء المصادر العربية وصورها المرسومة وأشهر نماذجها الباقية - مجلة المورخ العربي - عدد ١٣ - مجلد ١ - ٢٠٠٥م.
- ١٥) محمد عبدالله غنان : الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٥٦
- ١٦) محمود فيصل الرفاعي: الأسلحة الخفيفة في التراث العربي الإسلامي، مجلة أفاق الثقافية والتراث الإماراتية عدد - ٧ - ١٩٩٤
- ١٧) يوسف ذى التون، خط التثت ومراجع الفن الإسلامي - مقال ضمن كتاب الفنون الإسلامية - دار الفكر - دمشق ١٩٨٩

ثالثا : المراجع الأجنبية المهربية :

- ١) أوليفيا كونستابل : التجارة والتجار في الأندلس - ترجمة فيصل عبدالله - مكتبة العبيكان - الرياض - ٢٠٠٠م .
- ٢) جروهمان - النسخ والتثت - ترجمة هالم محمود - مجلة المورد - العدد الرابع - بغداد - ١٩٨٦ .
- ٣) ليفي برونتسفال - محاضرات في آداب الأندلس وتاريخها - ترجمة محمد الهادي شعيرة - عبد الحميد العبادي - مطبوعات جامعة الإسكندرية - ١٩٥١ .

رابعا : الرسائل العلمية :

- ١) حنان عبد الفتاح مطاوع: التحف والصناعات المعدنية في الأندلس منذ قيام الدولة الأموية حتى سقوط مملكة بن الأحمر - مخطوط رسالة دكتوراه - ١٩٩٦ .
- ٢) كمال السيد أبو مصطفى : مصادر الثروة الاقتصادية في الأندلس في عصر دولة المرابطين والموحدين - مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - ١٩٨٥ .

خامسا : المرجع الأجنبية :

- 1) Allouche, (I,s): La vieconomique et social a Grenada, Melange d'Historie et d'Archeologia d'occident Musulman, I, II, 1954.
- 2) Basilio pavon (Maldonado): arte simbolo y emblemas en la Espana Musulmana , Madrid 1985
- 3) Bernis (CARMEN): trajesy modas en l'a espana de los reyes catolicos vol,2 , Los Hombres , Artesy artistas Madrid , 1979

- 4) Emilio (de Santiago) y Angela (Eguras): Algunas piezas Hispano arabes del Museo Arqueológico de Granada, Revista, Awaqs 1981
- 5) Etting Hausen (R): Notes in the luster are of Spain, Ars orientalis, I, Washington, 1954.
- 6) Fernandez Francisco (Gonzalez): Espadas Hispano arabes en Museo español de Antigüedades vol-5 Madrid 1875
- 7) Golvin (Lucien) Not sur un décor de Marbre Trouve a Medina Al - Zahra, al - Andalus , vol , XXv, 1960
- 8) Gomez (Emilio Garcia) : Armas En las anales de Al - Hakam, II, Al Andalus v , XXXII, Madrid , 1967.
- 9) Labarta (ANA): Procescos contra Moriscas val encian, al quantra, vol.I, 1980.
- 10) Mann, (James): The Influence of art on instruments of war, proceedings of the royal society of arts , October, 1941
- 11) Migeon (Gaston) ; Manuel d'art Musulman les plastiques et industrielles , T, I, Paris 1927.
- 12) Soler (Alvaro) : Ear dagger, scabbard knife, belt , pouch , and case, Al - Andalus the art of Islamic Spain , new york 1992.
- 13) Terrasse (Henri) : L'art Mauresque des origins au XIII. Siecle Paris 1932
- 14) Torres (J.Ferrandis): Espadas Granadinas De la Jneta (Archivo Espanol de Art , N. 55, Enero, Febrero Madrid , 1943
- 15) Torres Balbas (Leopoldo) : ARs Hispaniae , T. IV art Al Mahade, arte Nasari, art Mudejar, Madrid , 1949.
- 16) Torres Balbas : (leoplado) : plazas, zocosy tiendas de las ciudades Hispanomuslimans AL - Andalus - Vol , XII , 1947

هواشٍ البحث :

- (١) المقرئ (أحمد بن محمد): فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - تحقيق: إحسان عباس - بيروت ١٩٦٨ - ١٤٠، ص ٢٠١، ٢٠٢.
- Torres Balbas (Leopoldo): *Ars Hispaniae t iv, art Almohade, arte Nasari arte Mudejar*, Madrid, 1949.
- (٢) ابن سعيد المغربي (علي بن موسى): المغرب في حلى المغرب - تحقيق شوقي ضيف القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٦٤ - ٢٤٠، ص ١٩٠.
- (٣) ابن غالب (الحافظ محمد ابن أيوب): قطعة من كتاب فرحة الأندلس عن تاريخ الأندلس نشر وتحقيق - لطفى عبد البديع - مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الأول - ج٢ - نوفمبر ١٩٥٥ ص ٢٩٠.
- (٤) نفس المصدر: ص ٢٨٣
- (٥) الأبريسي (الشريف محمد بن عبدالعزيز): صفة المغرب والأندلس من كتاب لزهة العثماني في إختراق الأفاق - نشر المكتبة الثقافية ببورسعيد - بدون تاريخ ج٢ - ص ٥٧٤.
- (٦) الزهري (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر): كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق - منشورات مجلة الدراسات الشرقية - دمشق - ١٩٦٨ ص ٨٨.
- (٧) شيخ الروم (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طائب الأنصاري الدمشقي): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى ببغداد - مصورة عن طبعة ألبانج ١٩٦٣ - ص ٢١٤.
- (٨) الأبريسي: المصدر السابق - ص ٥٦٢.
- (٩) نفس المصدر: ص ٥٥٥، (الزهري: المصدر السابق، ص ١٠٣).
- (١٠) الحميري (محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار - تحقيق إحسان عباس - مكتبة لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٨٤ - ص ٣٤٤.
- (١١) البكري (أبو عبدالله بن عبد العزيز): جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك تحقيق عبد الرحمن الحجى - بيروت ١٩٦٨ ص ١٢٧ - المقرئ: المصدر السابق - ١٤٠، ص ١٤٢
- (١٢) ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبدالله محمد): الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق محمد عبدالله عثمان - القاهرة - ١٩٧٢ - ١٤٠، ص ٩٨.
- (١٣) ابن غالب: المصدر السابق ص ٣٠٨، ٣٠٩، المقرئ: المصدر السابق، ١٤٠، ص ١٤٢، ١٤٣.
- (١٤) البكري: المصدر السابق ص ١٢٨، ابن غالب: نفسه - ص ٣٠٩.
- (١٥) أصل هذا الحجر في الفارسية بيجادة وهو حجر كريم يشبه الياقوت وأجوده ما إشتهت حمرة وكثر بريقه (عبد الرحمن زكى): الأحجار الكريمة في الفن والتاريخ - المكتبة الثقافية - عدد ١٠٨، مايو ١٩٦٤ ص ١٠٤ - ١٠٦.
- (١٦) البكري: المصدر السابق - ص ١٢٨، القزويني (زكريا بن محمد بن محمود): عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات - نشر دار الشرق العربي - بيروت بدون تاريخ - ص ٤٩٧.

- (١٧) يسمى هذا الحجر بالحجر الذي يقطع الدم وله استخدامات عديدة منها أنه يستخدم في التذهيب - البربروني (محمد بن أحمد): كتاب الجماهر في معرفة الجواهر - القاهرة - بدون تاريخ - ص ٢١٧.
- (١٨) البكري : المصدر السابق - ص ٢٨ .
- (١٩) المرقيشيتا حجارة صلبة مفصصة وهي أنواع أجودها الذهبية وأزدها الحديدية والذئبقية (كمال السيد أبو مصطفى : مصادر الثروة الاقتصادية في الأندلس في عصر دولة المرابطين والموحدين - مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ١٩٨٥ - ص ٢٢٢، حاشية (٥) .
- (٢٠) Imamuddin (S.M.) : the Economic of History of Spain under the umayyad, Dacc 1963 , pp.167-168
- ولمزيد من التفاصيل حول الأحجار الكريمة بالأندلس راجع: كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق ص ٢٢٠-٢٢٢، حنان عبد الفتاح مطاوع: التحف والصناعات المعدنية في الأندلس منذ قيام الدولة الأموية حتى سقوط مملكة بن الأحمر مخطوط رسالة دكتوراه - جامعة الإسكندرية - ١٩٩٦ ص ٣٦-٣٧ .
- (٢١) المقرئ: المصدر السابق ج ١، ص ٢٠٢ .
- (٢٢) Migeon (Gaston) : Manuel d'art Musulman les Arts plastiques et industrielles , T, I, Paris, 1927, p.412
- (٢٣) Migeon : Op cit , p.413
- (٢٤) عبد المجيد نيعنح: الإسلام في طنجة - دار النهضة - بيروت - بدون تاريخ - ص ٢٢٤ .
- (٢٥) ابن سعيد : المصدر السابق - ج ٢ - ص ٩ .
- (٢٦) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر - دار الكتاب ببلن - ١٩٨٣ - ج ٧ - ص ٣١٢ .
- (٢٧) ابن الخطيب : (إسمان الدين أبو عبدالله): كتاب أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام - القسم الثاني - الخاص بإسبانيا الإسلامية - تحقيق - لطفى بروفانمال الطبعة الثانية - بيروت ١٩٥٦، ص ١٠١ .
- (٢٨) المقرئ: المصدر السابق ج ١، ص ٥٨٥ .
- (٢٩) ابن الخطيب: كتاب أعمال الأعلام، ص ١٠١ .
- (٣٠) المقرئ: المصدر السابق ج ١ ص ٢٠١، ٢٠٢، الزهري: كتاب الجغرافية: ص ٨٢
- (٣١) المقرئ : المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٢ .
- (٣٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٠٢ .
- (٣٣) صبحي عبد المجيد إدريس - أسنحة الجيش وأدواته في عصر الموحدين - مجلة كلية التربية بكفر الشيخ - العدد الأول - السنة السادسة ٢٠٠٦م - ص ٥٥ .
- (٣٤) الأتصاري السبتي (محمد بن القاسم): إختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من منى الآثار - تحقيق عبد الوهاب منصور - الرياض - ١٩٦٩ - ص ٥١ .
- (٣٥) الحميري : المصدر السابق ص ٤٦١ .

- (٣٦) ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد): تاريخ المن بالإمامة.
- (٣٧) ابن عذاري - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - ج٣ - ص ١٨٥ .
- (٣٨) كان هذا الديوان يعرف بديوان العسكرية أو التمييز وكان من بين من تولي رئاسة هذا الديوان أبو عبدالله بن محمّن كاتب الديوان في عهد يوسف بن عبد المؤمن الموحدى: ابن صاحب الصلاة نفس المصدر - ص ٣٤٧
- (٣٩) لمزيد من التفاصيل راجع: محمد المنوني - ورقات من حضارة المرينيين - الرباط - ١٩٩٦ ص ٨٥، صبحي عبد المجيد إريس: المرجع السابق - ص ٩ .
- (٤٠) ابن حيان (أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان القرطبي): كتاب المقتبس من أنباء أهل الأندلس - القطعة الخاصة بالأمير محمد بن عبد الرحمن - ج٥، نشرها بدرو شالميئا - كورنيلبي - محمود صبح - نشر المعهد الإسباني العربي للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط - مدريد - ١٩٧٩ ص ٣٥٣ .
- (٤١) ابن حيان: أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان القرطبي المقتبس من أنباء أهل الأندلس وقطعة خاصة بالحكم المستنصر - نشر عبد الرحمن الحجى - بيروت - ١٩٨٣ - ص ١١٦ - ١١٧ .
- (٤٢) ابن حيان : المصدر السابق - القطعة الخاصة بعصر الحكم - ص ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩
- (٤٣) ابن الخطيب : أعمال الإعلام ص ٧٣-٨٤، حيث الإشارة فيما نقله عن ابن حيان إلى حفل الاستقبال الرسمي الذي إقامته المنصور بن أبي بغاس بغاس الزاهرة بمناسبة زيارة صهره شاتجه (سانشو) ملك نافارا سنة ٣٨٢ هـ وذلك بقوله إيفوسل الملك شاتجه لثلاث خلون من رجب سنة ٣٨٢ هـ وأركب المنصور الجيوش والمطوعة لتلقيه من دخوله إلى قصر الزاهرة فكان يومه أحد أيام الدنيا الشهيرة حتى بهت الذي كفر ورأى من وفود المسلمين وأباهه أسلحتهم وجمال زيهم وكثرة عددهم ما لم يكن ظاناً أن الدنيا تجتمع .. ولا الخزان تكلفه .. وصار بين صفى حدين حقاقي الطريق أميالا ما ثم إلا الدروع المسارية والجواش المذهبة والأبطال قد لبسوا والواعد وأسبغوا الحلق وعلفوا الدرق وخلفهم صفوف الرماة مشدودا عليها المناطق المذهبه والملك الرومي يلقب الطرف قد غشى قلبه ذعرا .
- (٤٤) أحمد مختار العبادي : صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس - منشأة المعارف - الإسكندرية ٢٠٠٠ م - ص ٤٢ .
- (٤٥) راجع على سبيل المثال: ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى) : كتاب الجغرافية تحقيق : إسماعيل العربي - بيروت ١٩٧٠ - ص ١٣٩ .
- المقرر : المصدر السابق - ج١ - ص ٢٠٢، السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس - مؤسسة شباب الجامعة - إسكندرية ١٩٩٨ - ص ٥٧، كمال غلاني: السيووف الأندلسية في ضوء المصادر العربية وصورها المرسومة وأشهر نماذجها الباقية - بحث بمجلة المؤرخ العربي عدد ١٣ - مجلد ١ - ٢٠٠٥ م - ص ٢٨١، مختار العبادي - المرجع السابق ص ٤٣ .

- (٤٦) أوليفيا كونستيل : التجارة والتجار في الأندلس - ترجمة فيصل عبدالله - مكتبة العريكان - الرياض - ٢٠٠٠م - ص ٢٠٨، ٣٤٧، صبحي عبد المجيد أدريس - المرجع السابق - ص ٧
- (٤٧) القصادي (أبي الحسن علي القصادي) : رحلة القصادي - تحقيق محمد أبو الأظنان - تونس ١٩٧٨ - ص ١٧
- (٤٨) ابن حبان : المصدر السابق - تحقيق عبدالرحمن الحجي ، ص ٤٩، ١٩٧، ١٩٨
- (٤٩) نفس المصدر : ص ٧٩، ١٩٩
- (٥٠) نفس المصدر : ص ٥١

يرجع الاتصال بين الفنون الجميلة وأنواع السلاح إلى أقدم العصور. فقد اعتاد الناس منذ أيام بدايتهم الأولى أن يتلقوا على نصال أسلحتهم الرسوم والزخارف الجميلة والطلاسم والكتابات اليدوية، وتل هذه الشعوب قد لجأت إلى تغطية سلاحها بالتفوش والزخارف لإعتقادها في سلطانها السحري أو لعوامل دينية أخرى فضلا عما لها من أثر جميل - راجع:

Mann, (James): The Influence of art on instruments of war, proceedings of the royal society of arts, No.4599, Vol. LXXXIX, October, 1941, p.740

وكذلك راجع أحمد تيمور وزكي محمد حسن - التصوير عند العرب - ١٩٤٢ - ص ٣٠
وكذلك راجع - عبد الرحمن زكي - التفوش الزخرفية والكتابات على السيوف الإسلامية - مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد - المجلد الخامس - العدد ١-٢-١٩٥٧م / ١٣٧٧م - ص ٢٢٧

- (٥١) ابن الخطيب (لسان الدين) : الإمظاة في أخبار غرناطة - المجلد الأول ص ١٣٦
- (٥٢) الترس من أسلحة الدفاع ويستخدمها المحارب في أثناء ضربات السيوف ونحوها ويصنع من الحديد أو الخشب أو عيدان تضم إلى بعضها بواسطة خيط من القطن (مؤلف مجهول : خزائن السلاح مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمعاليك - تحقيق نبيل عبدالعزيز - مكتبة الأنجلو - القاهرة - ١٩٨٧ - ص ٥٦ .
- (٥٣) الرماح من أسلحة الهجوم الفردي وتصنع من عيدان الخشب أو الخيزران ويتراوح طولها ما بين ثلاثة إلى عشرة أترع ويركب في نهايتها نصل فولاذي قاطع مدبب يظن به (أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ص ٤٤، صبحي عبد المجيد: المرجع السابق ص ١١ .
- وقد اشتهرت بلاد الأندلس بصناعة الرماح الطويلة وعرفت في المصادر العربية بأسماء عديدة منها العوالي والسمر (راجع: مؤلف مجهول / الحتل الموشيه في ذكر الأخبار المرانثيه - تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامه - الدار البيضاء - ١٩٧٩ - ص ١١٥، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة - ص ١٧٧ .

(٥٤) القسي من أدوات الرمي وهي مقوسة كالتلال وتصنع من أعواد الخشب اللين والمتين ويشد فيها وتر من الجلد أو العصب الذي يكون يهزق بالهجر وترمي بالمسهم والنبال (صبحي عبد المجيد - المرجع السابق - ص ١١) والقسي عدة أنواعها أهمها نوعين قوس اليد التي تستعمل باليد وهي القسي العربية وتتميز بسرعتها في الرمي. أما النوع الثاني فيعرف بقوس الرجل الأفرنجية وهي تدفع

بالرجلين وذلك فهي أتسب لتراجل منها لتفارس لأنها أتكى من قوس اليد في حصار القلاع وعلى المركب البحرية (ابن القيم الجوزية (أبو عداة محمد بن أبي بكر) : الفروسية، مكتبة عاطف - القاهرة - بدون تاريخ - ص ١١٠، ابن هذيل (عنى بن عبدالرحمن): حلبة الفرسان وشعار الشجعان - تحقيق محمد عبدالغنى حسن - دار المعارف - القاهرة ١٩٤٩ ص ٢١١ .

Gomez (Emillio Garcia) : Armas en los an las de Al - Hakam, II, Al andalus v , XXXII, Madrid , 1967 , p.165 .

(٥٥) المقرئ : المصدر السابق ج١، ص ٢٢٢ .

(٥٦) الجواش من أسلحة الوقاية التي يستخدمها المحارب في حماية جسده فضلا على أنها تستخدم في تلقى ضربات السيوف والسهام ونحوها وهي تصنع من زرد الحديد في شكل حلقات متداخلة بينها صفائح مستطيلة لتقويتها وتوضع في الثياب على الصدر .

Garcia Gomez, Op cit , p.166

العبدى : المرجع السابق ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٥٧) استخدم الأندلسيون أعضادا أو قرايا تحفظ بعض أدوات الحرب كانت تصنع من الخشب وتغطي بتوع من الجلد المغطى نسبة إلى حيوان الثمط الذي كان يعيش في صحراء إفريقيا (مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأسفار - تحقيق سعد زغلول عبد الحميد - مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٥٨ - ص ٢١٤) .

(٥٨) ابن الخطيب : الإحاطة ج ١ ، ص ١٣٦ .

(٥٩) محمود فيصل الرفاعي: الأسلحة الخفيفة في التراث العربي الإسلامي، مجلة أفاق الثقافية والتراث الإماراتية - عدد ٧ - ١٩٩٤ ص ٤٨ <http://Archivobeta.Belk>

(٦٠) الأسلحة الإسلامية : السيوف والدرع - نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض - ١٤٢٢هـ - ص ٢٩

(٦١) ابن حيان : المقتبس - ج٥ - نشر بدر شالمينا ص ٣٥٢

(٦٢) المقرئ - فح الطيب - الجزء الأول - ص ٣٨٢ .

Garcia Gomez : Op cit p,164

(٦٣) الأسلحة الإسلامية : المرجع السابق ص ١٦

(٦٤) ابن حيان: نشر بدر شالمينا- ص ٣٥٢

(٦٥) ابن حيان: المقتبس - نشر الحجى - ص ١٣٢

(٦٦) ابن حيان : نفسه - نشر بدر شالمينا - ج٥ - ص ٢٦٨ ، ٢٦٩

(٦٧) ابن حيان : المصدر السابق ج٥، ص ٢٦٨

(٦٨) البيهقي (أبو بكر على الصنهاجى): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين - تحقيق عبد الوهاب منصور الرياض ١٩٧١ - ص ٨٤ .

(٦٩) المقرئ: فح الطيب - ج٣ - ص ١٥١ .

(٧٠) ابن حيان: المقتبس ج٥ - ص ٣٥٣

(٧١) المقرئ: المصدر السابق - ج، ص ٣٨٢.

(٧٢) البيهقي: أخبار المهدي - ص ٦٥، ٧٩.

(٧٣) تجدر الإشارة بهذه المناسبة إلى أن أسلوب الحز قد تمثل على معظم المعادن الأندلسية منذ أوائل عصر الدولة الأموية مثل التحف المصنوعة من الرصاص كالطلاسم ومن البرونز كالتماثيل وفي الشماع وتقاويح الثريات البرونزية غير أنه في أواخر هذا العصر تراجع الإقبال على استخدام أسلوب الحز حيث نشهده فقط على بعض التحف البرونزية مثل القتالي واستمر الأمر كذلك حتى ثلاثي استخدام هذا الأسلوب في عصر بني نصر: حنان عبد الفتاح مطاوع: التحف والصناعات المعدنية في الأندلس منذ قيام الدولة الأموية حتى سقوط مملكة بني الأحمر (١٣٨هـ - ٨٩٨هـ) (١٩١٢م - ١٤٩٢م) مخطوط رسالة الدكتوراة - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - ١٩٩٦ - ص ٣٩٥ - ٣٩٨ .

(74) Torres Balbas : Ars Hispaniae p.234

(75) Torres Balbas : Ars Hispaniae , p.234

(٧٦) في عام ٨٨٨هـ / ١٣٨٣م وقع السلطان الغرناطي أبو عبدالله محمدا أميرا في يد الأسبان بعد هزيمته في موقعه التيمساني التي دامت بين المسلمين والتصاري ثم اطلقوا سراجه بعد أن قضى في أسرة بيلاط المتكين الكاثوليكيين قرنانا **وإربابا ثلاثة أعوام** ثم عاد إلى غرناطة بعد أن أملو عليه كل شروطهم. وربما أخذ منه سلاحه وشبابه تمكينة يولمذ عذو نظير التصاري وتذكارا من هذا الأمير الملكي (راجع: مؤلف مجهول - **تذكرة العصر** في أخبار ملوك بني نصر أو تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، تحقيق الفريد البيهقي - وترجمة كبار نواب كبروس - العرائشي - ١٩٤٠م - ص ١٠-١٢، عبد الحميد العبادي - المجلد في تاريخ الأندلس - القاهرة - ١٩٥٨ - ص ١٩٢، محمد عبدالله عثمان: الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٥٦ - ص ٢٦٤

(٧٧) المقرئ: نفع الطيب - ج١، ص ٤٦٤

(٧٨) سعد ماهر: الفنون الإسلامية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٦ - ص ١٤٦

(٧٩) من بين المعادن الأندلسية التي شاع تذهيبها البرونز والفضة والنحاس والقولان وذلك بالطريقة الثانية والثالثة في عصر الخلافة وعصر الطوائف وعصر بني نصر وإن كان في كل عصر من تلك العصور ساد تذهيب نوع معين من المواد المعدنية فمعين الفضة شاع تذهيبه في أواخر عصر الخلافة وعصر الطوائف ثم بدأ ينحصر ظهور الفضة المذهبة منذ عصر المرابطين وحتى نهاية عصر بني نصر وحل محلها في تلك الفترة البرونز المذهب .

حنان عبد الفتاح مطاوع: المرجع السابق ص ٤١٠، ٤١١ .

(80) Torres (J.Ferrandis): Espadas Granadinas De la Jineta (Archivo Espanol de Art , N. 55, Enero, Febrero Madrid , 1943, p.162

(81) Cossan (Le Barande): Le cabinet d'armes de Maurie de Talleyrand, perigord Duc, de Dimo, Paris, 1901 , p.43

Basilio (pavon Maldonad): arte simbolo y emblemas en la Espana Musulmana , Madrid 1985, p.434

(82) Emilio (de santiago) y Angela (Eguras): Algunas piezas Hispano arabes del Museo Arqueologio de Granada, Revista, Awaqs1981—p.p.143-147

(٨٣) من أساليب زخرفة المعادن أسلوب الطرق الذي يبدأ بقطع الصفائح حسب شكل التحفة ثم توضع الصفحة على قالب خشبي أعدت فيه الزخارف المطبوعة سواء كانت بارزة أو غائرة ثم يدق أو يضغط ضغطاً شديداً على الصفحة المراد زخرفتها بحيث تأخذ شكل الزخارف المنقذة على القالب الخشبي (سعاد ماهر : الفنون الإسلامية : ص ١٥٢)، وقد تنوعت وسائل تنفيذ هذا الأسلوب على المعادن الأندلسية حيث نفذت زخارفها المطروقة بطريقتين الأولى اتسمت بخطوطها بشدة بروزها وشكلها المقرب وأبدانها المشدودة المنقذة فوق أرضية من خطوط جزائية دقيقة للغاية أما الطريقة الثانية فتختلف عن الأولى في أن الزخارف أصبحت أقل عمقاً وأكثر تسطحاً بحيث قدت شكلها المسمم وظهرت متعددة الشدوخ.

حزان عبد الفتاح مطاوع: المرجع السابق، ص ٣٩٩ .

(٨٤) نعى أسلوب التركيب أو التجميع رواجاً كبيراً في صناعة التحف المعدنية منذ القرن ٤ هـ وحتى القرن ١٠ هـ / ١٠٠٠ - ١٢٠٠ م وتقوم هذه الطريقة في جوهرها على تحديد شكل التحفة بواسطة نماذج وقوالب مصبوبة من البرونز أو اللاتون يتم تركيبها إما بطريقة التمام أو الضغط أو المسامير التي يخصص لها أثناء عملية الصب تماوير نافذة وقد ظهرت هذه الطريقة الأخيرة خلال القرنين ٥ - ١١ هـ / ١١٠٠ - ١٢٠٠ م وإن كنا نلاحظ أنه في القرن ٥ هـ اقتصر استخدامها على تثبيت بعض أجزاء التحف المشككة في صورة كائنات حية في حين تتطور في القرن ٦ هـ / ١٢٠٠ م فتستخدم في تجميع كافة أجزاء التحفة وقد تجلت هذه الطريقة المتطورة بصفة خاصة في التحف المصنوعة من اللاتون (التحاس الأصفر) وواصلت استخدامها في عصر بني نصر، ولكن يجدر بالتنويه أن الفنان كان يعد في إخفاء المسامير المستخدمة كدعامة إقرار وتثبيت إلى تغطيتها بواسطة زخارف مفرمة .

راجع حزان مطاوع - المرجع السابق ص ٣٢٠ .

(٨٥) حظيت زهرة التوتس بقبول واسع النطاق لدى الفنان الأندلسي منذ العصر الأموي وحتى نهاية عصر بني نصر والفردت دون غيرها من الأزهار بطابع مميز يتسم بالدقة في الأداء وخضعت لقانون التطور أثناء مواصلة نشاطها في مجال الزخرفة النباتية فكانت أشكالها وصورها تتطور في سرعة جعلتها تختلف عن أصولها المصرية والفوطية والساسانية والرومانية والبيزنطية المشتقة من أصولها المصرية .

Maldonado (Basilio pavon): el arte Hispano Musulman en su decoracion Floral, Madrid, 1981 . table VIII .

(٨٦) تعد شجرة الحياة من العناصر الزخرفية التي لعبت دوراً كبيراً في الزخرفة النباتية الإسلامية عامة والأندلسية بصفة خاصة، ويرجع استخدام هذا العنصر الزخرفي إلى أصول قديمة للغاية، فقد لعبت دوراً كبيراً في فنون المشرق حيث ظهر لها نماذج في زخارف الفن الروماني والبيزنطي والفوطي،

ومن المعروف أن موضوع شجرة الحياة يرجع في حقيقته إلى أصول ساسانية حيث تمتعت هذه الشجرة فيه بمكانة سامية : راجع :

Golvin (Lucien) : Not sur un décor de Marbre Trouve a Medina Al - Zahra, al - Andalus , vol , XXv, 1960 , p.175

(٨٧) تعد ورقة العنب من العناصر النباتية الهامة التي كثر استخدامها في الزخرفة الإسلامية منذ نشأة الفن الإسلامي. ولقد شاع استخدامها في الفنون الشرقية حيث عرفها الفن الإغريقي والروماني والبيزنطي :

راجع: فريد شافعي: العمارة العربية في عصر الولاة (٣١هـ - ٣٥٨هـ) (٩٣٦م - ٩٦٩م) - نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة - ١٩٧٠ - ص ٩٥، ولكنها لم تثبت أن تطورت تطوراً أبعداً عن صورتها فأختلفت أشكالها وتوعدت صورها وخضعت لعناية الإستنباط الإسلامية التي تعتمد على حيوية المثلثات الفكرية عند العرب - راجع : أحمد فكري - مساجد القاهرة ومدارسها - دار المعارف المصرية - ١٩٦٩ - ص ٣٨

وقد عني بها الفنان الأندلسي عناية كبيرة إذ أضاف إليها الحزوز والتفصيلات العديدة التي تتمثل في أشكال الثمار والبراعم وظهرت أجمل نماذجها في زخارف العلب العاجية والأقاريز والظفر التي تحيط بالقبود :

Terrasse (Henri) : L'art Mauresque des origines au XIII, Siecle Paris 1932 , p.96

(٨٨) شاع استخدام ورقة الاكنثوس (شوكة اليهود) في الفن الإسلامي الأندلسي منذ عصر الخلافة وحتى نهاية عصر ملوك الطوائف ثم اختلفت عن الأناظر خلال العصر المغربي الأندلسي لتظهر مرة أخرى على إستحياء في الفن النصري حيث يمثل مفيض هذا الخنجر أروع أمثلتها.

(٨٩) تنقسم الجواهر إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي الجواهر الدمشقي والغارسي والهندي لكل نوع منها عدد من الأنواع. وكان الأوربيون قد شاهدوا أثناء الحروب الصليبية التصول الإسلامية المجوهره في أسواق دمشق، وكان من بينها التصول الدمشقية والغارسية والهندية غير أنهم أطلقوا اسم الجواهر الدمشقي Wave Damask على كل هذه الجواهر فلما منهم أنها تصنع جميعا بدمشق، ولكن لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة سمات خاصة يتميز بها، فالجواهر الدمشقي يتسم بكثرة نموجاته التي تشبه اليبق الهندسية المحكمة وألوانه العائلة إلى البياض وعدم قابليته لتصدأ وندانته وتركيبه الذي يتألف من حيوب ناعسة متقاربة العمام رمادية اللون مع ميلها إلى البياض كما أنه إذا طرق نصته ظهر فيه الجواهر حمنا عكس الأنواع الأخرى فإنه كثيراً ما يمحى: راجع الأمشحة الإسلامية - معرض مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ص ١٦- ١٨ -

(٩٠) يعتبر خط الثلث من أهم الخطوط المدورة وقد سمي بهذا الاسم لأنه لثت الظومار الذي تقدر مساحته بأربعة وعشرون شعرة من شعر البرذون والثلث يقدر بثماني شعرات وهو نوع من أنواع الخطوط الثلثة - راجع بلال عبد الوهاب الرقاعي - الخط العربي (تاريخه وحاضره) دار ابن كثير - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٠ - ص ٧٥ ، غير أن حجمه الكبير لم يجعله مناسباً لكتابة

التصووس والمؤلفات، ولذا اقتصر استخدامه على كتابة عناوين الكتب والعبارات الدعائية والبسطة ونقوش واجهات العمار والمباني والتحف الفنية - راجع جروهمان - النسخ والتثت - ترجمة غاتم محمود - مجلة المورد، العدد الرابع - بغداد ١٩٨٦، ص ١١٣-١١٤، وكذلك راجع: يوسف ذى التون، خط التثت ومراجع الفن الإسلامى - مقال ضمن كتاب الفنون الإسلامىة - دار الفكر - دمشق ١٩٨٩ - ص ١٠٧-١٠٩، وقد أطلق الخط التثت الأندلسى على خطوط المغرب والأندلس تميزاً له عن خط التثت المشرقى لما تعرض له من تحويرات جمالية على يد الخطاط الأندلسى بأسلوب مخالف للأسلوب المشرقى - راجع عمر أغا - ملامح من تطور الخط العربى - مجلة كنية الآداب - العدد ١٨ - ص ٨٠، وإعل ما يؤكد على هذه الحقيقة ما ذكره المقرئ نقلا عن ابن غالب من أن أهل الأندلس كانت لهم خطوط مخصوصة لهم ورونىق وتزيين يشهد لصاحبه بحسن الخط والتجويد - المقرئ - نفع للطيب ج٣ - ص ١٥١

(91) Fernandez Francisco (Gonzalez): Espadas Hispano arabes en Musco espanol de Antiguiedades, vol5, Madrid 1875, p.390

(٩٢) من المعروف أن مدينة غرناطة قد اشتهرت بسنج الكنان بل كان كنانها أجود من كنان مصر يسكن على ذلك يقول الحميرى الذى أشار فيه إلى مدى جودة كنان غرناطة عن مصر (الذى يريو جيبه على كنان النيل ويكثر حتى يصل إلى أنصسى بلاد المسلمين) راجع الحميرى (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم الحميرى) سفر جزيرة الأندلس مطبوعه من الروض المعطار فى غير الأقطار - نشر لبعى بروقتسال - القاهرة ١٩٣٨ - ص ٢٤٤

(٩٣) كندمت صناعة الحرير فى مملكة غرناطة قديماً كثيراً لاسيما فى غرناطة العاصمة التى يمتدح ابن الخطيب حريها ويذكر أنه لا يمكن مزارنته إلا بحرير العراق الذى رغم تلك المفازنة كان الأخير يقل عنه رقة ولدونة وعناقة راجع ابن الخطيب (السلان الدين بن الخطيب) - اللوحة البدرية فى الدولة النصرىة - صححه ووضع فهرسه محب الدين الخطيب - القاهرة ١٣٤٧ - ص ١٣، أحمد الطوىى - مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر - مؤسسة شباب الجامعة - ١٩٩٧ - ص ٣٠٥ وكذلك راجع :

Allouche (I.s) : la vie economique et social a Grenada, Melanges d'Historie et d'Archeologia de l'occident Musulman , I, II, 1954, p.9

(94) Bernis (CARMEN): trajes y modas en la espana de los reyes catolicos vol,2 , Los Hombres , Artesy artistas Madrid , 1979 , p.79

من المعروف أن غرناطة قد ورثت عن قرطبة فن الصناعات الجلدية لاسيما فى مدينة المرية - وكانت مائة متخصصة فى إنتاج الأغشية والحزم والمدورات، راجع : للفتشندى (أحمد بن على) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء - مجموعة تراثنا، الجزء الخامس ص ٢١٩، وكان الدباغون ينزلون أطراف المدينة على ضفاف الأنهار اتقاء لرائحة صناعتهم - لبعى بروقتسال - محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها ترجمة محمد الهادى شعيره - مراجعة عبد الحميد العبادى - مطبوعات جامعة الإسكندرية - ١٩٥١ ص ٦٦ وكذلك راجع :

Torres Balbas (leopoldo) : plazas, zocos y tiendas de las ciudades Hispanomuslimans AL – Andalus – Vol , XII , 1947 , Fasc 2, p.459

(95) Soler Alvaro : Ear dagger scabbraed knife, belt , pouch , and case Al – Andalus the art of is lamic spain , new york 1992 p.292

(٩٦) تجدر الإشارة هنا إلى أن مجمل ما وصلنا عن ما يعرف بيد فاطمة *La mano de fatima* على العمارة والفنون الأندلسية يشوبه الغموض وذلك لاختلاف الآراء حولها فبعض الباحثين يرى أن لها منقولا دينيا في الفكر الإسلامي من حيث أنها تقي من شرور الحمى والأمراض لاسيما منذ عصر الموحدين الذي شاعت فيه تلك الزخرفة في حين يرى البعض الآخر بأنها ترمز للفظ الجلالة حيث تشبه في رسمها الحروف التي تتألف منها ومن ثم فهي شكل من أشكال الكتابة الرمزية التي لها علاقة بالدين

Labarta (ANA) : procescos contra Moriscas, Vlenciano AL Quantra vol, I , 1980, pp. 129-138

Etting Hausen (R) : Notes On the lusterware of spain , ars orientalis I was hington, 1954, p.152



معركة الصنبرة أهدأت ونتائج

(٥٠٧هـ / ١١١٣م)

د. عائشة بنت مرشود حميد الحربي (*)

مقدمة

شهد تاريخ الحملات الصليبية - الذي امتد لمدة قرنين من الزمان (من أواخر القرن الخامس الهجري حتى أواخر القرن السابع الهجري / من أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي) - كثيرا من المعارك الحاسمة بين الجانبين الإسلامي والصليبي، كتب النصر في بعضها - بإذن الله - للمسلمين، وهذا النصر بدوره أسفر عن نتائج بعيدة المدى.

والحقيقة أن الصليبيين قد نجحوا في غزو الأراضي الإسلامية في فلسطين وبلاد الشام بسهولة، ويعود نجاحهم في المقام الأول، إلى حالة التمزق السياسي والضعف العسكري الذي كانت تعاني منه أقوى خلافتين، فقد كانت منطقة الشرق الإسلامي منقسمة، في ولائها الديني والسياسي، سابغين خلافتين متساخرتين، وهما الخلافة العباسية السنية في بغداد، والخلافة الفاطمية الشيعية في القاهرة، وفي ظل هذا الانقسام السياسي، وتغيب الوحدة الإسلامية. تمكن الصليبيون في أعقاب الحملة الصليبية الأولى من تأسيس أربع كيانات صليبية وهي: الرها، وأنطاكية، ومملكة بيت المقدس، وطرابلس.

وبعد هذه الصدمة التي هزت أركان العالم الإسلامي؛ ظهرت أصوات إسلامية تنادي بضرورة توحيد الجبهة الإسلامية كحجر أساس لمواجهة العدوان الصليبي، وفي مقدمتهم: مودود بن التونتكين أمير الموصل (٥٠٢-٥٠٧هـ / ١١٠٨-١١١٣م)، حيث كان له دوره الرائد في الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، إذ قام بالدعوة للوحدة الإسلامية وتسيان الخلافات الداخلية بين الأمراء المسلمين، رغبة في دفع الخطر الصليبي.

فقام بتوجيه حملتين ضد الصليبيين: الأولى عام ٥٠٣هـ / ١١٠٩م، والثانية عام ٥٠٥هـ / ١١١١م. وبالرغم من أنه لم يكتب لتلك الحملتين إلا نجاحا محدودا، إلا أنها أسفرت عن توطيد العلاقات بين مودود وطغتكين أمير دمشق (٤٩٧-٥١١هـ / ١١٠٣-١١١٧م). وهذا مما شجع الأخير في أواخر عام ٥٠٦هـ / ١١١٢م لطلب النجدة من مودود ضد بنديون الأول Baldwin I (٤٩٤-٥١٢هـ / ١١٠٠-١١١٨م) ملك بيت المقدس الذي اشكته هجماته على دمشق، وقد سارع مودود بالخروج بجيشه من الموصل.

(*) استأذ مساعد التاريخ الوسيط بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة طيبة بالمدينة المنورة.

ولما علم طغتكين بخروج مودود مسرع للقاءه عند سلمية، وتوجهوا جميعا إلى طبرية. والتقت القوات الإسلامية بالقوات الصليبية حول طبرية، عند جسر الصنيرة في محرم سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م، وكان بندوين قد استنجد بروجر صاحب أنطاكية (٥٠٦-٥١٣هـ/١١١٢-١١١٩م) Roger prince of Antioch، ويونز صاحب طرابلس (٥٠٦-٥٣١هـ/١١١٢-١١٣٧م) Pons count of the tripoli، فاستجابا سريعا وقدمتا لتجنته، فحدثت موقعة الصنيرة الحاسمة، وانتهت بهزيمة الصليبيين، وقتل عدد كبير من رجالهم، ووقع الملك بندوين في الأسر، ولكنه لم يعرف فأخذ سلاحه، وأطلق أسره. وغرق في بحيرة طبرية ونهر الأردن عند كبير من الصليبيين، فاستولى المسلمون على أموالهم وسلاحهم. ومن خلال هذا البحث سنقف على تفاصيل أحداث معركة الصنيرة ومقدماتها ونتائجها، على الجانبين الإسلامي والصليبي، إذ تعد هذه المعركة بمثابة صفحة مشرقة من صفحات الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.

حكم مودود للموصل وحملاته ضد الصليبيين :

عهد السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه (٤٩٨ - ٥١١ هـ / ١١٠٤ - ١١١٧ م) بأمر الموصل إلى الأمير شرف الدين مودود بن التوتكين (٥٠٢ - ٥٠٧ هـ / ١١٠٨ - ١١١٧ م) في صفر عام (٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م)^(١) ومنذ ذلك الحين أخذ دوره يبرز في الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، وكانت البداية الواضحة لذلك؛ عندما تلقى مودود الأوامر من السلطان محمد بن ملكشاه يدعو للجهاد ضد الصليبيين بدءاً من الرها، وأمدّه ببعض القوات، كما أمر سقمان القطبي (٤٩٥ - ٤٩٨ هـ / ١١٠١ - ١١٠٤ م) صاحب خلاط^(٢) وميافارقين^(٣)، وإبنغازي بن أرنق صاحب ماردين^(٤) (٥٠٢ - ٥١٦ هـ / ١١٠٨ - ١١٢٢ م). إضافة لذلك فإن السلطان محمد طلب من أتاك دمشق ظهير الدين طغتكين (٤٩٧ - ٥١١ هـ / ١١٠٣ - ١١١٧ م) أن ينضم لهذا الجيش، فأشترط أن تكون إمرة الجهاد له، لكن شرطه لم يزل القبول^(٥).

وتعلل البياضة ذلك من وجهة نظرها بعدة أمور :

- تخوف السلطان محمد بن ملكشاه من اشتداد نفوذ طغتكين، مع ظهور بوادر ميله للتقارب مع الصليبيين.
 - من الأفضل أن تكون الموصل هي نقطة انطلاق القوات؛ يحكم موقعها واتصالها ببلاد الجزيرة.
 - استقلال الحماس الديني والسياسي لدى مودود، لأنه حديث التولي للموصل.
 - خشية السلطان محمد بن ملكشاه من تطلع طغتكين لضم الموصل إلى دمشق؛ إذا ما انتصرت القوات المتحالفة.
- وبالرغم من عدم قبول شرط طغتكين؛ إلا أنه قدم بقواته لمساعدة القوات الإسلامية^(٦).

وقرروا التوجه بهذا الجيش نحو الرها، وذلك لخطورة موقعها بالنسبة للجزيرة^(٧) فضلاً عن أن الباحثة ترى أن السلطان محمد يهدف إلى معاقبة جاوولي سقاوو (٥٠٠ - ٥٠٢ هـ / ١١٠٦ - ١١٠٨ م) - الحاكم السابق للموصل - نظراً لتحالفه مع الصليبيين ضده، وفي الوقت ذاته الضغط على الصليبيين بالسيطرة على الرها ذات الأهمية الكبرى لهم.

وأما قامت القوات الإسلامية المتحالفة بحصار الرها، في شوال ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م، أسرع أميرها بلدوين برح Baldwin of Bourg (٥٠٢ - ٥١١ هـ / ١١٠٨ - ١١١٨ م) يطلب التجدة المعاجلة من الملك بلدوين الأول Baldwin I (٤٩٤ - ٥١٢ هـ / ١١٠٠ - ١١١٨ م) ملك بيت المقدس. فقدم الملك الصليبي لتجدهم من بيروت ومعه ثالكرد صاحب أنطاكية Tancred (٤٩٨ - ٥٠٦ هـ / ١١٠٤ - ١١١٢ م). وريموند الصنجيلي صاحب طرابلس Raymond of st. Gilles (٤٩٦ - ٤٩٩ هـ / ١١٠٢ - ١١٠٥ م) وهذا مما أعطى الجيش الصليبي الضخامة في العدد.

وإذا رأى مودود أنه من الأفضل الانسحاب عن الرها، حتى يقابلوا الصليبيين بعيداً عن الحصون في المناطق المكشوفة، لكن معظم الصليبيين لم يوافقوه، بل اكتفوا أن رفع المسلمون حصارهم عن الرها. وذلك لأنهم ظنوا لخطة مودود^(٨)، ومن وجهة نظر الباحثة أن الملك بلدوين الأول كان مشغولاً بمشروعه الخاص بالسيطرة على مدن الساحل الشمالي.

وبالرغم من عدم وجود نتيجة حاسمة لحملة مودود السابقة، إلا أنها لقت الأظلم إلى أهمية الجبهة الإسلامية الموحدة في تحقيق النصر أمام الأعداء وأن اتخاذ الخطة العسكرية المناسبة كحل لتحقيق النصر.

وعادت القوات الإسلامية لديارها. أما الصليبيون فباتهم أخذوا، في طريق عودتهم، في تخريب البلاد الإسلامية التابعة لحلب، وفرضوا على رضوان بن تثن صاحب حلب (٤٨٨ - ٥٠٧ هـ / ١٠٩٥ - ١١١٣ م) جزية سنوية مقدارها اثنان وثلاثون ألف ديناراً^(٩)، بحملها إليهم مع خيول وبناب، مقابل أن يوقفوا أذاهم عن حلب، وفرضوا الجزية على شيراز^(١٠) وحماء وصيدا^(١١).

وبالرغم من تعهد الأمراء المسلمين بدفع الجزية المفروضة عليهم؛ إلا أن الصليبيين لم يتوقفوا عن مهاجمة حلب، بل استولوا على قلعة الأتاب^(١٢) التابعة لها^(١٣). لذا توجه أهل حلب إلى الخليفة العباسي المستظهر (٤٨٧ - ٥١٢ هـ / ١٠٩٤ - ١١١٨ م) يطلبون منه وقف العدوان الصليبي^(١٤)، وتزامن ذلك مع وصول رسل الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين Alexius Comnenus (٤٧٣ - ٥١٢ هـ / ١٠٨١ - ١١١٨ م) إلى السلطان محمد ملكشاه؛ تطلب منه نفس الطلب^(١٥).

وفي الحقيقة أن وفادة الإمبراطور البيزنطي إلى السلطان لم يكن غرضها محبة المسلمين أو الدفاع عنهم، إنما جاءت بعد خلافات نشبت بين زعماء الروم والفرنج على امتلاك بعض الإمارات في ساحل الشام؛ كان الروم اشتراطها على الفرنج عندما سمحوا لهم بالعبور من بلادهم في الحملة الأولى سنة ٤٩٠ هـ / ١١٩٦ م. فأراد الروم من هذه الوفادة أن يضربوا المسلمين بالفرنجة، وإشغالهم ببعضهم، فيستأثروا بالإمارات التي يطمنونها^(١٦).

وإزاء هذه الاستغاثة، طلب السلطان محمد بن ملكشاه من مودود أن يخرج بجيشه لجهاد الصليبيين، وطلب أيضاً من الأمراء في الشام والجزيرة، أن ينضموا لجيش مودود، فالتزم له أحمد يل صاحب مراغة^(١١٦)، وأبو الهيجاء صاحب إربل^(١١٧).

وسقمان القطبي صاحب خلاط^(١١٨) وتبريز، فضلاً عن ططكين صاحب دمشق^(١١٩).

ويلاحظ هنا الرابطة القبلية الجغرافية والتاريخية بين شمال الشام وشمال العراق، فهما امتداد واقعي لكل منهما، ناهيك عن أن الموصل وحلب مثلاً خطأ دفاعياً استراتيجياً، فأي خطر خارجي تتعرض له حلب، سيؤثر بصورة أو بأخرى على شقيقتها الموصل، وهذا يكشف لنا عن حقيقة محورية وهي: أن غاية آمال الصليبيين أن يتعاملوا مع المسلمين ككيانات صغيرة هشة، منعزلة غير مترابطة، أما الآن فقد وضحت خاصية جغرافية وتاريخية مهمة في صورة ارتباط المدن الإسلامية أمام الشعور بالخطر الخارجي الداهم^(١٢٠).

على أية حال سارت هذه الجيوش بقيادة مودود أوائل سنة ٥٠٥هـ / ١١١١م، نحو الرها وفرضوا الحصار عليها، لكن قوة تحصينها واحتوائها على الأسلحة، وطول مدة الحصار، أجبرت مودود أن يترك الحصار عنها، والزحف نحو سروج^(١٢١) وحصارها وبدأ على ذلك؛ قام الصليبيون بمهاجمة حلب^(١٢٢)، فأتجه المسلمون إلى حصار حصن تل بانشر^(١٢٣) دون أي نتيجة حاسمة لصالحهم^(١٢٤).

وقد تعددت أسباب فشل مودود في السيطرة على تل بانشر منها :

- تزامن حصار تل بانشر مع محاصرة تاتكرد أمير أنطاكية لحلب، فطلب التجدة من المسلمين، فاقترح أحمد يل أمير مراغة رفع الحصار عن تل بانشر والتوجه لإتخاذ حلب.
- يرى ابن القلاسي أن جوسلين، صاحب تل بانشر، قد أرسل إلى الأمير أحمد يل يلاطفه بمال وهدية، وسأله الرحيل عن الحصن.
- مرض سقمان القطبي وبيرسق بن برسق، فانسحب كل منهما عتداً لبلاده^(١٢٥).
- ومهما يكن من أمر، وسبب، فمن وجهة نظر الباحث أن بقاء حلب في ظل الحكم الإسلامي خير من التفكير في السيطرة على تل بانشر.

لكن مما يؤسف له، أن رضوان ما إن علم بقدوم التجندات الإسلامية حتى أغلق أبواب حلب دونهم. وإعله كان يخشى من سيطرة مودود على حلب فيفقد سلطته. فضلاً عن ذلك قام رضوان بالقبض على بعض أعيان حلب ممن شك في ولائهم له واحتجزهم في القلعة، وأوكل مهمة حماية حلب إلى جنده وأتباعه من الباطنية.

وقام بمصالحة تاتكرد صاحب أنطاكية، وتحالف معه ضد القوات الإسلامية، وقام رضوان بتخريض اللصوص على مهاجمة معسكر القوات الإسلامية، ونهب من يجدونه من الجنود في التواحي المتطرفة منه^(١٢٦).

إن موقف رضوان السابق يعتبر موقفاً عدائياً، وذلك بإفساد حصار القوات الإسلامية وإتخاذ القوى الصليبية من ضياع هذه المدينة وسقوطها في أيديهم، وذلك بطلبه منهم، وأستعجاله لهم في التقدم إلى حلب^(١٢٧).

ونتيجة لأعمال رضوان المسابقة، قرر مودود الانسحاب بقواته عن حلب، والمسير بها نحو معرة النعمان^(٣١) لقتال الصليبيين. لكن طغتكين بدأت تراوده المخاوف على دمشق من أن يسيطر عليها مودود، فشرع في مهانة الفرنج سرّاً^(٣٢).

وهكذا أدى التفكير في المصالح الشخصية إلى تفكك القوة الإسلامية، وكان المفروض أن يقدم كافة الأمراء والحكام، في ذلك الحين مصلحة الإسلام والمسلمين على مصالحهم الخاصة^(٣٣).

بعد ذلك خرجت القوات الصليبية، بقيادة بلدوين الأول، تساعده قوات طرابلس وأتراكية والرها قرب ألامية^(٣٤) أي في الجزء الأوسط من حوض نهر العاصي، فمار ابن منقذ صاحب شيزر إلى مودود وطغتكين وشجعهما على قتال الصليبيين، فرحلوا إلى شيزر، فقام المسمون بالغارات الخاطفة عليهم، ونذا تراجع الصليبيون إلى ألامية^(٣٥). ثم عاد طغتكين إلى دمشق ومودود إلى الموصل.

وقد استأنف مودود جهاده ضد الصليبيين، فقام عام ٥٠٦هـ/١١١٢م، بحملة بمفرده لاسترداد الرها لكنه فشل. ولذا توجه نحو سروج. لكن جوسلين Joscelyn صاحب نل بالشر والرها (٥٠٦-٥٠٢هـ/١١١٢-١١٣١م) نجح في التصدي له وهزيمته^(٣٦).

من العرض السابق لجهاد مودود نسل معركة الصنيرة نلاحظ عدة أمور :

- عدم وجود جيش نظامي متجدد من الأمراء المسلمين لجهاد الصليبيين.
- لم ترد أي إشارة عن وجود خطة تنظيمية لمقاومة العدوان الصليبي.
- أن تدعم الجيش الإسلامي وقوته تعتمد بشكل رئيس على ما يصنه من إمدادات.
- أن أمد حملات مودود قصير لا يتجاوز الشهرين.
- أن أسلوب حربه للصليبيين يعتمد على الحصار والغارات السريعة الخاطفة.
- أن الخلافات بين الأمراء المسلمين كثيراً ما تخنل مودود، وتجعل نتيجة حملاته محدودة الأثر.
- أن قادة الجهاد الإسلامي لا يلتزمون أمداً طويلاً خارج بلادهم، فبعد تحقيق أي نصر يعنون سريعاً لبلادهم، وذلك تحسباً لظهور أي غارة صليبية مفاجئة على بلادهم.
- وتكفل ما سبق ثم تسفر الحملات الأولى عام ٥٠٤هـ/١١١٠م و ٥٠٥هـ/١١١١م عن نتيجة حاسمة لأن الفرنجة حاربوا متحدين بقيادة بلدوين الأول ملك القدس، ولأن الجبهة الإسلامية لم تكن صلبة كما كانت تظهر^(٣٧).

الملك بلدوين الأول ومعركة الصنيرة :

تعرضت دمشق في أواخر عام ٥٠٦هـ/١١١٢م لهجمات صليبية^(٣٨)، ولذا استجد طغتكين بحليفه مودود. فقام الأخير بدوره بطلب التجنيدات العاجلة من أمراء المسلمين بالجزيرة.

فلما سمع طغتكين بذلك خرج بقواته والتقى بالقوات الإسلامية عند بلدة سلمية^(٣٧)، ومنها توجهوا صوب بحيرة طبرية، لكنهم فشلوا في ذلك بسبب قوة حصانتها، فزحفوا نحو الأحيوانة^(٣٨) وعسكروا في جزيرة بين جسرين غرب بحيرة طبرية^(٣٩).

ولما علم بلدوين بهذا التحرف الإسلامي، وكان محاصراً لعكا، عرض في البداية على طغتكين المسالمة والموادة مقابل أن يمنحه بلدوين حصن ثمانين وجبل عاملة، وتقدير ذلك بمنح طغتكين الصليبيين حصن الحبيس الذي في المواد وتصف المواد. وبموجب معاهدة السلام هذه يتوقف بلدوين عن الهجوم على أراضي دمشق، ويتوقف طغتكين عن مهاجمة أعسال الفرنج، ويترك التحالف مع موود. لكن طغتكين رفض هذا العرض وظل منتصباً لجيش موود^(٤٠).

ومن وجهة نظر الباحثة فإن بلدوين كان يهدف من وراء هذا العرض الي تكفييق الآصور التالية:

- ضرب تحالف جيش دمشق مع الموصل.

- إضعاف جيش موود إذا ما السحب منه القوى حليف.

- تفرغ بلدوين لحصار عكا، لأنه يتطلع للسيطرة على مدن الساحل الشامي.

وإزاء فشل بلدوين في التفاوض مع طغتكين فقد اضطر لترك حصار عكا، والتوجه بجيشه لصد قوات موود، وفي الوقت ذاته طلب سرعة النجدة والإمداد من روجر الصقلي حاكم أنطاكية Roger prince of Antioch (٥٠٦ - ٥١٣هـ/ ١١١٢ - ١١١٨م) ورونز كونت طرابلس Bons count of the Tripoli (٥٠٧ - ٥٢١هـ/ ١١١٣ - ١١٢٧م)، لكن بلدوين لم ينتظر وصولهم بل سارع بالخروج بجيشه فوصل إلى جسر الصنيرة^(٤١) جنوبي غربي بحيرة طبرية^(٤٢)، وهناك أعد له موود خطة عسكرية محكمة تتلخص في: أن يقيم المسلمون خيامهم في الجزيرة، ثم يرسلوا عدداً من الجند بحدود ألفين لكن يخرج منهم خمسمائة لمهاجمة الصليبيين.

ولذا تبادر إلى الملك بلدوين أن عدد الجند قليل، فجد مسرعاً نحوهم، وتظاهر الجند المسلمون بالهزيمة والتراجع نحو الجزيرة، لكن كانت المفاجأة أن خرج ألفان من جند المسلمين من كمينهم. وهذا الأمر قد غير موازين المعركة لصالح المسلمين، إذ شنوا هجوماً غيظاً على الصليبيين^(٤٣).

وقد تكلفت هذه الخطة بنجاح، إذ أدت إلى وقوع عدد من المشاة في أيدي المسلمين، حتى إن بلدوين نفسه هرب من الأسر بصعوبة^(٤٤)، فضلاً عن غرق عدد من الجند في نهر الأردن وبحيرة طبرية، حتى قتلهم المؤرخين بألف ومائتين من المشاة، وثلاثين من الفرسان^(٤٥).

وعبر مؤرخي العروب الصليبية عن هذه الهزيمة بكل ألم، حيث قال فوشيه الشارترى: «بالله من حزن عسوق!! ففي ذلك اليوم جانبت علينا خطايانا الكبيرة عازا عظيماً»^(٤٦). ووصفها ابن القلائسي بقوله: «وغرق منهم خلق كثير في البحيرة واختلط الدم والماء وامتدح الناس من الشرب منها أباما حتى صفت منه وراقت»^(٤٧).

وقال وأيم الصوري : «جرت منبحة مروعة في صفوف الهارين، حتى أن الملك ذاته ألقى بغمه الذي كان في يده إلى الأرض، وكانت نجاة هو إحدى المعجزات. وهكذا استولى العدو على مخيما، وعرفنا على خطايانا»^(١١٨).

من القراءة التحليلية للباحثة للنصوص السابقة يتضح لنا عدة أمور :

- عظم الهزيمة التي لحقت بالصليبيين وكثرة قتل جنودهم، حتى وصلت أرض المعركة بالمنبحة المروعة.
- تعجب واستنكار قوشيه للمصيبة العظمى التي حلت بهم.
- عجز الصليبيون عن الصمود بأرض المعركة، ولذا ولوا هارين وفي مقدمتهم ملكهم.
- اليأس الكبير الذي سيطر على الصليبيين، لذا اعتبروا نجاة ملكهم بلديين الأول من القتل وهروبه من المعجزات الخوارق.
- الأثر النفسي الأليم الذي تركته هذه المعركة في نفوس الصليبيين حيث سطرت في أنفسهم الحزن العميق، وهذا دلالة واضحة على انهيار روحهم المعنوية.
- استيلاء المسلمين على المخيم الصليبي وخيمة بلديين وما فيها من أثاث وأواني فضية.
- التفاق وأيم وقوشيه أن هذه الهزيمة المنكرة، والمنبحة المروعة، قد حلت بهم كنوع من عقاب الرب لهم، لأنهم عرفوا في الخطايا والآثام.
- كثرة القتلى في الجيش الصليبي، حتى إنها أثرت في صلاحية مياه البحيرة للشرب.
- جرح عدد كبير من جنود الجيش الصليبي.
- أن سرعة فرار الصليبيين من أرض المعركة، نتيجة للأذى الشديد، أدى إلى غرق عدد كبير منهم في البحيرة.
- ولذا أن نقف على أسباب هزيمة الصليبيين في معركة الصنيرة، فإن ذلك من وجهة نظر الباحثة يتمثل في عدة نقاط وهي:
- عدم وضع بلديين لأي خطة عسكرية لمواجهة الجيش الإسلامي، بل كان هجومه مفاجئا وعشوائيا، كما وصف : «وإدفاعه ضد العدو بطريقة عشوائية متهورة»^(١١٩).
- توجه بلديين من عكا مباشرة نحو الصنيرة، دون أن يعطي جيشه فرصة للراحة وتجهيز العتاد، قبل الانتقال لجهة أخرى.
- استعجال بلديين بالمسير نحو الصنيرة، دون الانتظار وصول قوات روجر وبونز. حيث قال وأيم الصوري : «ويرجع السبب في هذه التكية إلى الملك الذي لم يطلق صبرا حتى تصل إليه التجدة اطمئنتاً منه إلى شجاعته الذاتية»^(١٢٠). ومن وجهة نظر الباحثة أن استعجاله بالمسير بسبب خوفه من سرعة تقدم الجيوش الإسلامية، مما يعد نذيرا بتقطعهم لاسترداد بيت المقدس.
- عدم انتباه بلديين لطبوغرافية أرض المعركة، حيث قال الشارترى : «وقد أدانوا عدم فطنة الملك»^(١٢١).
- فشل خطة بلديين في ضرب التحالف الإسلامي، فلم ينجح عرضه في استمالة طغتكين لجانبه.

- لم يترك حامية عسكرية لحماية مؤخرة الجيش من أي هجوم مفاجئ.
أما بالنسبة للمسلمين فإن أسباب النصر لديهم تمثلت فيما يلي :

- اتحاد قوات الموصل مع دمشق.
- انتظار مودود لتوصل التجنيدات الإسلامية وضمها إلى جيشه.
- حسن اختيار المناطق المحصنة، حيث تمركزوا في ناحية طبرية، وفي هذه المنطقة عسكرياً عند جسر الصنيرة في الجزيرة الآمنة، كما قال عنها الشارقي : «وكانت آمناً جداً بحيث أن أي أحد يتخذ موقعه هناك لا يمكن مهاجمته، بفضل المداخل الضيقة المؤدية إلى الجسور»^(٤١).
- استخدام الخطة العسكرية المناسبة، والتي اعتمدت على عنصر المفاجأة للجيش الصليبي، بظهور بقية جنود مودود بعد ملاحقة بنودين لهم.

وأهم النتائج لهذه المعركة :

- أنها أدت إلى ارتفاع الروح المعنوية للمؤمنين، وتلقت أنظارهم إلى أهمية الوحدة الإسلامية في تحقيق النصر على الصليبيين، وأن جهاد مودود كان بمثابة الفجر المشرق الذي يبنى عن بناء الجبهة الإسلامية الموحدة.
- أسهمت في تأكيد المودة ووحدة الهدف والمصير بين أمراء المسلمين، بشمال الشام والجزيرة، مع إخوانهم في العراق ووسط بلاد الشام^(٤٢).
- أن عصر مودود - رغم قصره - أصبح نقطة تحول في تاريخ الصراع الإسلامي الصليبي، خلال تلك المرحلة المبكرة، فقد صارت فكرة الجهاد حقيقة واقعة، جعلت مملكة بيت المقدس تركز قواها للدفاع عن حدودها الشمالية، فالتصر بنودين الأول، خلال السنوات الباقية من عصره، على الدفع عن الكيان الصليبي^(٤٣).
- وعن الأحداث بعد هذه المعركة: فإنه وصلت قوات روجر ويونز، وهذه القوات جددت الأمل في نفوس الصليبيين، لكن الهزيمة التي أصابت جيش بنودين فرضت عليهما اللجوء إلى القتال غير المباشر، فقاموا بالاختباء بمرتفعات غرب مدينة طبرية. فقام المسلمون بربهم بالتشاب، وقطعوا عنهم الميرة، لكنهم استمروا على نفس أسلوبهم في القتال. وتم بحسم هذا القتال بنتيجة حاسمة لأحد الطرفين^(٤٤).
- ومما زاد الأمر سوءاً شدة حرارة الصيف^(٤٥)، وبذا استخدم المسلمون أسلوباً آخر في القتال وهو الغازات الخاطفة، وذلك بغرض الضغط على قوات أنطاكية وطرابلس، حتى يضطروا للانسحاب، وحتى يحصلوا على غنائم يتقوى به الجيش الإسلامي، فساروا إلى بيسان^(٤٦) ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا إلى القدس^(٤٧)، كما زحفت حامية عمقلان الفاطمية على بيت المقدس، وهذا مما يضعف الجبهة الصليبية عندما تتنوع عليها أسكن الضرب الإسلامية، وتمكنت الحامية الفاطمية من الوصول إلى أسوار مدينة القدس الخارجية، وأشعلوا النيران في المحاصيل هناك. لكنهم ما لبثوا أن تمسحوا عائدتين إلى عمقلان^(٤٨).

ومن الواضح أنه لو كانت هناك عندئذ خطة شاملة توحد جهود القوى الإسلامية، لأمكن أن تقوم الدولة الفاطمية بعمل حربي كبير يهدد الصليبيين تهديداً خطيراً ويجعلهم بين نارين^(١٠) كمن وقع بين السندان والمطرقة.

أما بالنسبة لمودود، فقد قرر العودة بقواته إلى بلاده، لأنهم مكثوا فترة شهرين دون تحقيق أي نصر يحسم الموقف، خاصة أن وصول الحجاج من بلاد ما وراء البحار، أدى إلى زيادة عدد الجيش الصليبي، بالإضافة إلى صعود رجال أنطاكية^(١١).

ولكل ماسبق أذن مودود لحلفائه بالعودة إلى بلادهم، لحلول الشتاء، كي يأخذوا فترة من الراحة، ويجمعوا به في الربيع القادم، لكن مودود ماثب أن قتل علي يد أحد الباطنية في جامع دمشق^(١٢).

الخلاصة

الحمد لله الذي أعانني على كتابة هذا البحث المعنون معركة الصنبرة أحداث ونتائج ١١١٣ هـ/١٠٠٧ م. فمن خلال هذه الدراسة توصلت للنتائج التالية:

- لعبت الموصل دوراً كبيراً في تزعم مشروع الجهاد ضد الصليبيين، ودعوة أمراء الشام والجزيرة للمشاركة معهم.
- لما اتضح دور الموصل الرائد للجهاد، استغلت بهم أهل حلب عام ١١١١ هـ/١١١١ م، لدفع الخطر الصليبي عنهم.
- قاد شرف الدين مودود أعظم أوار الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في الفترة (١٠٠٢ - ١١٠٨ هـ/١١١٣ - ١١٠٨ م).
- إن تقديم بعض الأمراء المسلمين مصالحتهم الشخصية على الصالح العام، كما فعل رضوان بن تثنى، وقف حجر عثرة لإتمام الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.
- إن الدولة العباسية، بالرغم من ضعفها إلا أنها ظلت الحارس الحامي للمسلمين، فدانما تصل للخليفة العباسي رسل الاستغلة، ويطلب النجدة ضد العدوان الصليبي.
- أوضحت الدراسة أهمية ارتباط المدن الإسلامية، كوحدة واحدة، أمام الشعور بالخطر الصليبي المشترك، ونبت الخلافات الداخلية بينهم.
- أوضحت الدراسة أهمية تكامل الجهود بين الخليفة العباسي، وأمراء الدويلات الإسلامية المستقلة، في دفع الخطر الصليبي.
- أهمية تحقيق الوحدة بين شمال الشام والعراق لدفع الخطر الصليبي.
- كشفت الدراسة عن مدى حنكة مودود السياسية والعسكرية، في خطواته وقراراته أثناء قيادته للعديد من الحملات ضد الصليبيين.
- أثبتت الدراسة أن المكان والخطة لهم دور كبير في تحديد مصير أي معركة.
- كشفت الدراسة عن أهمية مراعاة قائد المعركة للجنود في أخذ رأيهم بعد المعركة؛ بالاستمرار في الجهاد أو العودة لموطنهم.
- اتضح دور الباطنية العدائي ضد المسلمين، فكثيراً ما قاموا باغتيال قادة الجهاد الإسلامي مثل مودود عام ١١١٣ هـ/١٠٠٧ م.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية والمصرية

- ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن محمد، ت ٥٦٣هـ/١٢٣٢م.
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر طهيمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط ١٩٦٣م.
- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٩م.
- ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ط ١٩٧٢م.
- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧هـ/١٢٠٢م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن عبد الله، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م.
- تعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- أبو شامة : شهاب الدين محمد، ٦٥٥هـ/١٢٦٧م.
- الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٢، دار الجين، بيروت، د.ت.
- ابن شداد: عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم، ت ٦٩٤هـ/١٢٨٥م الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا عبادة، الجزء الأول - القسم الثاني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م.
- ابن العربي : غريغوريوس أبو الفرج بن هارون، ت ٦٦٠هـ/١٢٨٦م.
- تاريخ مختصر الدول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٧م.
- ابن العديم : كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد، ت ٦٧٢هـ/١٢٧٤م.
- زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ط ١٩٥١م.
- العظيمي : محمد بن علي العظيمي الحلبي، ٥٥٦هـ/١١٦١م.
- تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعرور، دمشق، ١٩٨٤م.
- أبو القدا : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م.
- تقويم البلدان، دار صادر، بيروت.
- المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٧م.
- فوشيه شارترى :
- الوجود الصليبي في الشرق العربي، ترجمة قاسم عبده قاسم، ذات الملامل، الكويت، ط ١، ١٩٩٣م.
- ابن القلاسي : أبو يعنى حمزة بن القلاسي، ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م.

- ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبى، القاهرة، د (ت).
- ابن كثير : عباد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت ١٣٧٤هـ/١٣٧٢م.
- البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- ابن الوردي : أبو حفص زين الدين، ت ١٣٤٩هـ/١٣٤٩م.
- تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- وليم الصوري : - الحروب الصليبية، ترجمة حسن حيشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ياقوت الحموي : شهاب الدين بن عبد الله، ت ٦٢١هـ / ١٢٢٨م.
- معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د (ت).
- لانيا : المراجع العربية والمحربة :**
- إبراهيم محمد المزيني :
- إمارة حلب بين تصارع القوى الإسلامية ومواجهة الصليبيين، الرياض، ط ٢٠٠٣م.
- أحمد عطية :
- القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ١٩٦٣م.
- إرشيد يوسف راشد:
- سلاجقة الشام والجزيرة، عمان، ط ١٩٨٨م.
- ارنست باركر :
- الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة العربية بيروت.
- رينيه جروسية
- الحروب للصليبية، ترجمة أحمد أبيض، دار كتبية، سوريا، ط١، ٢٠٠٢م.
- ستيفن رتسمان
- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
- سعد أحمد برجوي :
- الحروب الصليبية في المشرق، دار الأفاق، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- سعد عبد الفتاح عاشور :
- الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٩٧م.
- عصام عبد الرؤوف الفقي :
- بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٥، ١٩٧٥م.
- عليه عبد السميع الجنزوري :
- إمارة الرها الصليبية، ط القاهرة، ١٩٧٥ م.
- عماد الدين خليل :
- الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
- فريد حماد عاشور :
- جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

محمود سعيد عمران

- تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

مسفر سالم الغامدي :

- الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط١، ١٩٨٦م.

محمد مؤمن عوض :

- الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، دار عين، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

موضي عبد الله السرحان :

- بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين، دار الأوقاف، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.

- هانس ماير

- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، مجمع الفتح للجامعات، ليبيا، ط

١٩٩٠م.

هنادي السيد محمود :

- مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، دار العالم العربي، القاهرة،

٢٠٠٨م.



الهوامش

- (^١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٩م، ج ١٠، ص ٤٥٧ - ٤٥٩، ابن الفلاس : نيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبى، القاهرة، ص ١٦٠، ابن العربي : تاريخ مختصر الدول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٧م، ص ١٧٣، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٤٣.
- (^٢) خلاط : قصة أرمينية الوسطى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢، ص ٢٤١.
- (^٣) ميافارقين : أشهر مدينة بدمار بكر، الحموي : معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٤٩.
- (^٤) ماريين : قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة، الحموي : معجم البلدان، ج ٤، ص ١٩٤.
- (^٥) ابن الفلاس : نيل، ص ١٦٩، ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدغان، ج ٢، ص ٢٦٩، ستيفن رسيমান : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريبي، ط ١٩٩٣م، ج ٢، ص ١٨٧.
- (^٦) ابن الفلاس : نيل، ص ١٦٩ - ١٧٠.
- (^٧) ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥١، علية الجنزوري : إمارة لرها الصليبية، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٣٧.
- (^٨) ابن الفلاس : نيل، ص ١٦٩ - ١٧٠، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٦٥، محمود سعيد عمران : تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ٢٠٠٦م، ص ٤٥، هندي السيد محمود : مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٩٩، ستيفن رسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ١٨٨.
- (^٩) أبو الفدا : المختصر، ج ٢، ص ٤٤، ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٦م، ج ١، ص ٢٠.
- (^{١٠}) شيزر : قلعة تشمل على كوره بالشم قرب المعرة بينها وبين حماة يوم. الحموي : معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧١.
- (^{١١}) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٢، ابن الفلاس : نيل، ص ١٦٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٦.
- (^{١٢}) الأنبار : قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية. الحموي : معجم البلدان، ج ١، ص ٨٠.
- (^{١٣}) ابن الفلاس : نيل، ص ١٧٣، العظمي : تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعور، دمشق، ١٩٨٤م، ص ٣٦٥.
- (^{١٤}) ابن الفلاس : نيل، ص ١٧٣، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٧ - ١٥٨، آرنست باركر : الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريبي، دار النهضة العربية، بيروت، ص ١٥٤.
- (^{١٥}) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٣.
- (^{١٦}) إرشيد يوسف : سلاجقة الشام والجزيرة، عمان، ط ١٩٨٨م، ص ١٢١.
- (^{١٧}) مراغة : بلدة مشهورة من أعظم بلاد أرميجان، الحموي : معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٣٨، أبو الفدا : تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، ص ٣٩٩.

- (١٨) إربل : مدينة حصينة تعد من أعمال الموصل، الحموي : معجم البلدان، م ١، ص ١١٦.
- (١٩) تبريز : أشهر مدن أذربيجان وهي ذات أسوار محكمة، الحموي : معجم البلدان، م ١، ص ٤٣٠، أحمد عطية : القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ج ١، ص ٦١.
- (٢٠) ابن الأثير : الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر طينيات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص ١٨، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٨، ابن خلدون : العبر، بيروت، ط ١٩٧٦م، ج ٥، ص ٤١، ابن كثير : البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ص ١٩٨٥، ج ١٢، ص ١٨٥، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، القاهرة، ١٩٧٢م، ج ٥، ص ١٩٩.
- (٢١) محمد مؤنس عوض : الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، دار عين، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١٥٣.
- (٢٢) سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مصر، الحموي : معجم البلدان، م ٣، ص ٤٣.
- (٢٣) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٥، ابن خلدون : العبر، م ٥، ص ٤١.
- (٢٤) تل باشر : قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب، الحموي : معجم البلدان، م ١، ص ٤٥١.
- (٢٥) ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٨، ابن شداد : الأعلاني الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا عبادة، الجزء الأول - القسم الثاني منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩١م، ص ١٠٣، عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م، ص ٢٢٣.
- (٢٦) ابن الغلاتسي : نيل، ص ١٧٥.
- (٢٧) ابن الغلاتسي : نيل، ص ١٧٥، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٩، رنسيهان : تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ١٩٧.
- (٢٨) إبراهيم محمد المزني : إمارة حلب، الحميضي، الرياض، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ١٢٥.
- (٢٩) معرة النعمان : مدينة شهيرة لقبعة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحمص، الحموي : معجم البلدان، م ٤، ص ٢٨٧.
- (٣٠) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٧، عصام الفقي : بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٤٤.
- (٣١) فايد عاشور : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٥٥.
- (٣٢) أقابية : مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص، الحموي : معجم البلدان، م ١، ص ١٨٣.
- (٣٣) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٧.
- (٣٤) ابن العربي : تاريخ مختصر الدول، ص ١٧٣، ابن خلدون : العبر، ج ٥، ص ٤١، مسطر القامدي : الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي، دار المطبوعات، جدة، ١٩٨٦م، ص ١٤٥.
- (٣٥) هانس ماير : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غاتم، ليبيا، ١٩٩٠م، ص ١١٤.
- (٣٦) ابن الغلاتسي : نيل، ص ١٨٤، ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٥.
- (٣٧) سلمية : بلدة في ناحية البرية من أعمال حماة وكانت تعد من أعمال حمص، الحموي : معجم البلدان، م ٣، ص ٦١.

- (38) الأحموانة : موضع بالأردن من أرض دمشق على شاطئ جزيرة طبرية، الحموي : معجم البلدان، ج ١، ص ١٨٨.
- (39) ابن الأثير : الباهر، ص ٨١، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٦٣، ابن خلدون : العبر، ج ٥، ص ٤٢.
- (40) ابن الفلانسى : ذيل، ص ١٨٤.
- (41) الصنيرة : موضع بالأردن مقابل لفة الفيق بينه وبين طبرية ثلاثة أميال، الحموي : معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٣.
- (42) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٦، ابن الفلانسى : ذيل، ص ١٨٥.
- (43) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي في الشرق العربي، ترجمة قاسم عبده قاسم، ذات الملامح، الكويت، ١٩٩٣م، ص ٢٤٨، ماضي السرحان : بيروت تحت الحكم الصليبي، ط ١، ٢٠٠١م، الرياض، ص ٩٠، أبو شامة : الروضتين، دار الجليل، بيروت، ج ١، ص ٢٧.
- (44) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨، رثيه كروسية : الحروب الصليبية، ترجمة أحمد أبوش ن دار قتيبة، دمشق، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٥٧.
- (45) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨، وليم الصوري : الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٤م، ج ٢، ص ٣٠١.
- (46) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨.
- (47) ابن الفلانسى : ذيل، ص ١٨٥.
- (48) وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠١.
- (49) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٩.
- (50) وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠١، <http://archive.org>.
- (51) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٩.
- (52) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨.
- (53) مسافر القامدي : الجهاد ضد الصليبيين، ص ١٤٨ - ١٤٩.
- (54) هنادي السيد : منكرة بيت المقدس الصليبية، ص ١٠٤ - ١٠٥.
- (55) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٦، وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠١.
- (56) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٥٠.
- (57) بيسان : مدينة بالأردن بالقرب الشامي، الحموي : معجم البلدان، ج ١، ص ٤١٤.
- (58) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٥٠، وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠٢.
- (59) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٥٠، وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠٢.
- (60) سعد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٧، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٦٠.
- (61) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٥١-٢٥٢، وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠٣، سعد برجواي : الحروب الصليبية في الشرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م، ص ٢٢٨.

(٤٢) العظمى: تاريخ حلب، ص ٣٦٦، ولهم السوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص ٣٠٣ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١٧، ص ١٢٣. عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية، ص ٢٢٦.



مدارس أسيوط في العصر المملوكي

د. محمد أحمد محمد أحمد الكردوسي (*)

أولاً: ظهور المدارس في أسيوط

من الثابت والمعروف، لدى كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين، أن المدارس ظهرت في مصر لأول مرة مع بدايات العقد الرابع من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، في العصر الفاطمي، وأنها أنشئت في الأصل للدعوة للمذهب السنّي، وكان في طلبتها مدرستان سنيتان تأسستا بالإسكندرية^(١).

وهناك من الباحثين من يقر بوجود المدارس في أسيوط منذ ذلك العصر، فيقول الدكتور محمد زغلول سلام^(٢): إن الخليفة الفاتح^(٣) الفاطمي بنى بأسيوط مدرسة عُرفت باسمه الفاتحية، تولى للتدريس بها بعض الشيوخ والعلماء. ويرى باحث آخر أن سبب بنائها إنما جاء تمسها مع رغبة الخلفاء الفاطميين في بناء المدارس بصعيد مصر، بعدما أخذ المذهب الشيعي ينتشر في تلك البلاد، حتى اعتنق أعداد كبيرة من أهلها هذا المذهب^(٤).

وليس لدينا في الواقع من المادة المصنوية ما يجعلنا نطّلع بأن الخليفة الفاتح الفاطمي بنى مدرسة بأسيوط، أو حتى إن المدارس ظهرت أساساً في أسيوط في العصر الفاطمي، فقد جاءت المصادر التي بين أيدينا خالية تماماً من أية إشارات تفيد بوجود مدارس في أسيوط في ذلك العصر. ويبدو أن ما أورده الدكتور سلام، بخصوص مؤسس الفاتحية، كان رأياً استنتاجياً ارتكز فيه على مسمى المدرسة نفسه، حيث اعتبر تسميتها بالفاتحية أمراً يشير إلى الخليفة الفاتح الفاطمي، والمدعاه أنه أورد ذلك في كتابه: الألب في العصر الأيوبي، والأدب في العصر المملوكي، في حين لم يشر إلى ذلك في كتابه المعنون بالأدب في العصر الفاطمي، وكل ما أورده في ذلك الكتاب الأخير بخصوص وجود مدارس في أسيوط في ذلك العصر: أنه نقل عن التوطواط^(٥) قوله: "مدينة أسيوط على غربي النيل، بلد فرح بهج، خطر، جميل، به الأسواق والقياسر والحمامات والمساجد والمدارس...". ومعلوم أن التوطواط (أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي) لم يعش في العصر الفاطمي، حيث ولد سنة ١٦٣٢هـ/١٢٣٤م وتوفي سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م.

ولهذا فإن القول بأن الخليفة الفاتح الفاطمي هو باني المدرسة الفاتحية؛ قول بحاجة إلى تدقيق ومراجعة، فالخليفة الفاتح، المشار إليه، وإني الخلافة في الخامسة من عمره، ولم تزد فترة

(*) مدرس بكلية الآداب جامعة أسيوط.

خلالته عن ست سنين ونصف (١١٥٤/٨٥٥٥.٥٤٩م)، ومات وعمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر وست أيام، أي أنه كان طفلاً صغيراً^(١).

ولو أضفنا إلى ذلك ما اعترى هذا الطفل من اضطراب عقلي عند توليه الخلافة، ما شهدنا على أنه ياتي تلك المدرسة. وسبب ذلك الاضطراب كما يقول المقرئ^(٢): إن آباء لما قُتل وبُكر عباس (أي الوزير أبو الفضل عباس) إلى القصر وفحص عن الخليفة الظافر وقتل أخويه وابن عمه لينفي عن نفسه وإبائه التهمة، واستدعى ابن الظافر هذا وحمله على كتفه ونه من العسر نحو الخمس سنين، ووقف به في صحن القاعة وأمر الأمرء فدخلوا عليه. فلما مثلوا بالقاعة قال لهم: هذا ولد مولاكم وقد قُتل أبوه وعماء، والواجب إخلاص الطاعة لهذا الطفل. فقاتوا بأجمعهم؛ سمعنا وأطعنا، وصاحوا صيحة اضطرب منها الطفل ودخله من تلك الصيحة، مع ما شاهده من رؤية عمه والخدام وهم في دماهم ما خذل عقله، وبال على كتف عباس، فسيروه إلى أمه، وأقلم مختلاً بصرح وجدته تكلفه^(٣).

هذا من جانب، ومن جانب آخر لم تكن المدارس قد انتشرت في مصر في تلك الآونة. ومن المستبعد أن تكون أسبوط قد شهدت طبيعة الحال بناء مدارس فيها في العصر الفاطمي، فمن المعوم أن المدارس وإن كانت ظهرت في مصر مع أواخر العصر الفاطمي؛ إلا أنها لم تأخذ في الانتشار إلا بعد قيام الدولة الأيوبية، حيث عمد سلاطينها إلى الإكثار من بناء المدارس، لنشر المذهب السني ومحاربة المذهب الشيعي، وعلى رأسهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي أنشأ عدة مدارس بالمسقط والقاهرة ثم أهدى به أولاده وأسراره، في بنائها بالقاهرة ومصر وغيرها من أعمال مصر^(٤).

وبناء على ما سبق، لا تميل إلى الأخذ بالقول إن المدارس ظهرت في أسبوط منذ العصر الفاطمي، والأرجح أن ذلك كان في العصر الأيوبي؛ الذي جاء مقروناً بالانتشار المدارس في ربوع مصر شمالاً وجنوباً. ويقف معنا شاهداً ودليلاً على صحة ذلك، تلك الإشارات المتفرقة التي دللت على وجود مدارس في أسبوط في العصر الأيوبي، لعل أبرزها ما ورد بخصوص المدرسة "الفانزية"، حول قيام العالم المغربي تجم الدين أبو نصر الأموي المعروف بالفنري^(٥) بالتدريس فيها أواخر العصر الأيوبي وبدايات العصر المملوكي؛ وذلك بعد أن ارتحل وطوف بالبلاد في طلب العلم، فسافر إلى تونس وأقام بها مدة، ثم قدم دمشق ونقله بها، وبخل حماة وبغداد ودرس بهما^(٦)، ثم انتهى مطلقه العلمي بدخول الديار المصرية سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م، حيث حظ رحاله بمدينة أسبوط ودرس بمدرستها "الفانزية"، ثم عين قاضياً لها، وظل بها إلى أن توفي سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م.

وليس ثمة شك في أن مثل تلك الإشارات المصدرية الواردة بخصوص التدريس بالمدرسة الفانزية بأسبوط، في تلك الفترة، تعلمنا على التلميح بوجود مدارس في أسبوط في العصر الأيوبي، لكن مما يؤسف له أننا لم نعر، في المصادر التي بين أيدينا، على ما يدلنا على بداية ظهور المدارس في أسبوط خلال ذلك العصر، أو حتى ما يُعرفنا إن كانت المدرسة الفانزية هي

أول مدرسة بنيت في أسبوط لم لا والأدهى من ذلك: أن تلك المصادر لم تشر حتى إلى مؤسس الفانزية نفسها .

وعلى الرغم من هذا، ويحكم أن المدرسة الفانزية تعتبر أقدم مدرسة في أسبوط وبرت إشارات إليها في المصادر التي بين أيدينا حتى الآن، أرى من الأهمية بمكان محاولة معرفة مؤسسها بطريق الاستنتاج. وتبدأ ذلك بتحديد الإطار الزمني الذي تأسست فيه فانزية أسبوط، ولربما هو الفترة المحصورة بين سنتي ٥٨٩/١١٩٣م و ٦٤٣/١٢٤٥م، فالأولى تمثل فيما نراه صحيحا . الحد الأدنى لتاريخ تأسيس الفانزية، بوصفها السنة التي انتهت حكم السلطان صلاح الدين، ومن المستبعد بناء تلك المدرسة في عهده، والأجدر أن تكون بنيت في عهد خلفائه، وذلك استنادا إلى ما أورده المقرئبي^(١٢٦) من أن السلطان صلاح الدين أنشأ عدة مدارس بالقسطنطين والقاهرة، ثم اقتدى به من بعده أولاده، وأمرأؤه، في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرها من أعمال مصر، أما السنة الثانية فيمكن اعتبارها الحد الأقصى لتاريخ تأسيس هذه المدرسة، ولا يمكن أن يكون بناؤها بعده، لأنه في تلك السنة جاء العالم المغربي نجم الدين أبو نصر الأيوبي إلى مصر، ودرس بالمدرسة المذكورة بأسبوط^(١٢٧)، وهذا معناه أنها كانت موجودة بالفعل في تلك السنة.

وبالتعقيب في المصادر، عبر الإطار الزمني الذي تم تحديده آنفا، لم يصادفنا غير رجلين من الممكن أن يُنسب لأحدهما تأسيس الفانزية بأسبوط، وذلك من حيث مُسماها، ومن حيث وجود علاقة تكلا للرجلين بالصعيد، الأول منهما هو: **الملك الفانز إبراهيم بن السلطان العادل أبي بكر بن أيوب** (ت ٦١٧/١٢٢٠م)، وكان يربطه بالصعيد تلك الإقطاعات^(١٢٨) التي قطعها له والده هناك، والتي تمثلت في إقطاعه الأعمال القوصية^(١٢٩)، وإن كان وجود تلك الإقطاعات في الأعمال القوصية يجعلنا نستبعد نسبة الفانزية إليه، فلو كانت تلك الإقطاعات في السيوطية تكان من السهل علينا قول ذلك.

أما الرجل الثاني فهو: **الأستاذ شرف الدين هبة الله بن صاعد الفانزي**، الذي خدم الملك الفانز إبراهيم بن السلطان العادل كاتبًا، ونُسب إليه بالفانزي، ثم خدم من بعده السلطان الكامل ثم وُده الصالح نجم الدين أيوب، وتدرج في الوظائف حتى صار وزيرا للسلطان المعز أبيك التركماني سنة ٦٤٨/١٢٥٠م مع بداية دولة المماليك البحرية. ولما قُتل المعز، باشر الوزارة لابنه المنصور عني أياما، ثم قبض عليه سيف الدين قطز مديرا دولة المنصور وصارده، وسجنه، فمات في حبيسه مخلوقا سنة ٦٥٥/١٢٥٧م.

وذاك الرجل الثاني نتوقع، بنسبة كبيرة، أن فانزية أسبوط تُنسب إليه، والذي حدا بنا إلى ذلك التوقع، فضلا عن مُسماها، ما لُمسناه في سيرته من وطيد علاقة كانت تربطه بأسبوط، فهو أسبوطي النشأة والهوى، والمتتبع لسيرته في المصادر يمكنه أن يطمئن ذلك، فقد ورد عنه أنه كان من جملة نصارى صعيد مصر، وعمل كاتبًا على المصايد بأسبوط^(١٣٠)، ثم قدم إلى القاهرة وأسلم في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وتولى نظر الديوان في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب مدة يسيرة، ثم ولى بعض أعمال ديار مصر^(١٣١)، وهذه الأخيرة لم تنصَح عنها المصادر، وقد يكون من بينها أسبوط، أو غيرها، من أعمال الوجه القبلي القريبة

منها. وربما نتأكد لنا علاقته الوطيدة بأسبوط والصعيد، في صورة أوضح، بعد توليه الوزارة وخروجه على رأس العمسك إلى تلك البلاد لمحرارية بعض الأمراء الخارجين على الدولة هناك^(١٠).

زد على ذلك: أن هذا الرجل كان عنده حسن تدبير، وسمو لقم، وأريحية، وكرم طباع^(١١)، كثير الصناعات والبر والصلات^(١٢)، فأولى اهتماما بالإنشاء والتصير بدافع فعل الخيرات، سواء قبل توليته الوزارة أو بعدها، فيما يُجمده لنا تلك المدرسة التي بناها بمصر (القساط) سنة ١٢٣٦هـ/١٢٣٨م أو ١٢٣٧هـ/١٢٣٩م، والتي نسبت إليه بالفائزية، وكذلك القيسارية التي أنشأها بالقاهرة^(١٣)، والتي وسعت على اسمه بقيسارية الغالزي، وهذا يجعلنا نزيد في ترجيحنا، إلى حد التأكيد مرة أخرى، على توقعنا أن فائزية أسبوط تنسب إليه، وأنها كانت من بين منشأته المعيارية الخيرية التي بناها قبل أن يسي الوزاره، فقد سبق وأسلفنا أن تلك المدرسة كانت موجودة بالفعل سنة ١٢٤٣هـ/١٢٤٥م.

وغاية القول، إن وجود المدرسة الفائزية بأسبوط في تلك الأونة، يُعد مؤشرا على كون أسبوط واحدة من الأفعال أو البلدان التي حظيت بظهور المدارس فيها منذ العصر الأيوبي، لا سيما وأنها كانت، وما زالت، واحدة من أبرز الحواضر المصرية في الصعيد.

ثانيا: أشهر مدارس أسبوط في العصر المملوكي :

مصر سلاطين المماليك، وأمرائهم وأتباعهم، على نهج أساليبهم الأيوبيين في بناء المدارس^(١٤)، وشهدت مصر في عصرهم **زهارة غير مسبوقة** في الحركة المدرسية، حيث أكثر السلاطين والأمراء، وأصحاب اليسار من الأعيان وغيرهم، من تشييد المدارس في الوجهين البحري والقبلي^(١٥). وبلغ من انتشار المدارس في الوجه القبلي أنه كان من الميسور على تلك المدارس استيعاب أعداد الطلبة بما في ذلك الوافدين على هذه البلاد من طلاب العلم^(١٦). وكانت أسبوط واحدة من بلاد الوجه القبلي التي تميزت بمدارسها في تلك العصر، وقد وردت بالمصادر إشارات دلت على انتشار المدارس بها زمن المماليك، منها مثلا قول الطوطا^(١٧): "مدينة أسبوط على غربي النيل، بلد ... به الأسواق والقياسر والحمامات والمساجد والمدارس"، وقول ابن دماق^(١٨): "وبها عدة مدارس"، وقول القلقشندي^(١٩): "وبها مساجد ومدارس".

والمحاولة تتصب هنا على تتبع أشهر مدارس أسبوط التي وردت تسمياتها عبر إشارات مصدرية أو مرجعية، مع تقليد هذه الأخيرة على أوضاع الأولى وعلى ما لدينا من مطبوعات واقعية، من خلال ما قلنا به من زيارت ميدانية لمنطقة أسبوط القديمة، فذلك كله يساعدنا في رسم صورة واضحة لتلك المدارس، من حيث نشأتها وموقعها وتطورها، وهي في الحقيقة مجموعة مدارس لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى تركيز اهتمام مؤرخي العصر المملوكي على مدارس العاصمة المملوكية، نون التطرق إلى مدارس الأقاليم، لدرجة أن كثيرا منها لم يحظ حتى يذكر اسمائها في المصادر. وعلى أية حال فلنفسح المجال هنا للتعرف على أشهر مدارس أسبوط زمن المماليك.

١ . المدرسة الفانزية :

تعد المدرسة الفانزية من أشهر مدارس أسيوط وأقدمها، أنشأها شرف الدين هبة الله بن صاعد الفانزي في أواخر العصر الأيوبي على نحو ما أسلفنا، واستمرت تلك المدرسة تؤدي رسالتها العلمية والثقافية زمن المماليك. وكان مبناها^(٢٧٦) يقع أمام الجامع العمري^(٢٧٧) أو للمسجد الأموي^(٢٧٨)، أو الجامع الكبير كما اصططح الناس على تسميته.

ومن تولى التدريس بها في العصر المملوكي؛ الشيخ نجم الدين أبو نصر الأموي، وقل يدريس بها إلى أن توفي بأسيوط سنة ٨٦٣/١٦٦٥م، وكان يُدرّس فيها الفقه على مذهب الشافعي، والأصول والنحو والعروض والحكمة والمنطق^(٢٧٩) وإشارات ابن سينا^(٢٨٠).

ومن أسند إليه تدريسها أيضاً، الصلاح الحسني السيوطي، مُخْتَدِ بن أبي بكر بن علي بن حمد بن مطهر (٧٨٣ - ٨٥٦/١٣٨١-١٤٥٢م)، الذي أورد عنه المسخاوي^(٢٨١) أنه ولد ونشأ بأسيوط، وقرأ القرآن وتلقى تعليمه الأولي بها، ثم انتقل إلى القاهرة ودرس على أيدي عثمانها، ثم عاد إلى أسيوط وأقام بها إلى سنة ٨٠٦/١٤٠٣م، فلقى تركيا سكرانا فراجعها كلاماً فطغى عليه فقتله، فانتقل بأهله إلى القاهرة فطنها، وبرع في كثير من العلوم والفنون، وكتب الخط الحسن ونسخ به الكثير لنفسه ولغيره، وكان يقات منه تختليه عن الوظائف الدنيوية، لكنه ولى بعد سنة ٨٣٥/١٤٣١م تدريس مدارس بأسيوط ونظرها، وكان من بينها المدرسة الفانزية، فلم يتم له ذلك، فاستمر منقطعاً عن الالتفات بالكتابة إلى أن بنى قراقبا الحسني^(٢٨٢) مدرسة ... وجعله خطيبها وإمامها وكفاه مؤونة كبيرة.

وتستوفقنا هنا العبارة الأخيرة الواردة في كلام المسخاوي . سلف الذكر . لأنها تدل على أنه على الرغم من إسناد تدريس المدرسة الفانزية، وبعض المدارس الأخرى بأسيوط، إلى الصلاح الحسني بعد سنة ٨٣٥/١٤٣١م، إلا أنه لم يبق بالتدريس في تلك المدارس بالفعل، كما ظن بعض الباحثين^(٢٨٣)، ولو كان الصلاح الحسني قد مارس مهنة التدريس بها، أو النظر عليها، لرأينا على الأقل إشارة إلى ذلك يكتب التراجم التي وردت بها تفاصيل عن حياته العلمية والعملية، منذ ولادته بأسيوط وحتى وفاته بالقاهرة^(٢٨٤). والتراجع أنه تم تنحيته عن هذه المدارس قبل أن يتوجه إليها، وهذا ما توضحه بجلاء عبارة فلم يتم له ذلك الواردة في كلام المسخاوي، وقد يكون سبب ذلك سعي غيره من العلماء لتولي تلك المدارس بدلا منه، بوصفها من المدارس المتميزة في صعيد مصر، مستغلين عزوفه عن الوظائف الدنيوية، وتخوفه مما قد يجابهه من مشكلات عد عويته لأسيوط، بسبب قتله رجلا تركيا فيها منذ زمن مضى.

٢ . المدرسة الشريفة :

أنشأها زين الدين محمد بن أبي بكر علي بن محمود الجعفري، المتوفى سنة ٧٨١/١٣٧٩م، وهو من أبناء أسيوط، وأحد قضاتها المشهورين، نقله على الدمشوري^(٢٨٥)، وكتب الخط الحسن، وشارك في الفضائل، وبنى بأسيوط المدرسة المذكورة، ونسبت إليه^(٢٨٦) بالشريفة لانتمائه إلى السادة الأشراف (آل البيت)، كما هو واضح من اسم الجعفري الوارد في

نسبه. ويزداد ذلك وضوحا عندما تعلم أنه ابن عم شرف الدين عبد الوهاب، والد جلال الدين، الشريف الجعفري الأزدي الأسبوطي^(١٤٦).

يقول ابن حجر العسقلاني^(١٤٧) عن زين الدين مؤسس تلك المدرسة: إنه زين الدين بن الناظر الأسبوطي، وهذا القول بحاجة إلى مراجعته، لأن ابن الناظر الأسبوطي رجل آخر غير زين الدين، وعاش في فترة لاحقة له، وربما حدث خطأ أو خلط بين الرجلين من كون اسم كل منهما محمد بن أبي بكر. لأن ابن الناظر كما يقول عنه السخاوي^(١٤٨) هو مُحَمَّد بن أبي بكر بن أحمد بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن عبد القفار بن يحيى بن إسماعيل، الشريف الحمصي المغربي، الفاسي الأصل، الصعدي المالكي، نزيل الحجاز وينسب أبوه بالناظر. ولد في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الثانية سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، في نواحي الصعيد من بلاد مصر ورس في نواحي أسبوط من بلاد الصعيد ... وارتحل للفاخرة في سنة ثلاث وأربعين ... وارتحل لممشق في سنة أربع وأربعين ... ثم عاد لمصر وركب البحر من القصور، في سنة ثمان وأربعين، فدخل لبنان يتبع، فالتصق بصاحبها الشريف معزى، فجهزه للحج، ثم زار النبي صلى الله عليه وسلم، وأقام عند معزى، يقرأ أولاده، إلى أن نفي البقاعي في ربيع الآخر من التي بعدها ... وما علمت شيئا من خيره بعد ذلك.

أما عن موقع المدرسة الشريفة بأسبوط، فقد جاءت المصادر التي بين أيدينا خالية تماما من أية إشارات إليه، وتتوقع أنها كانت بحرب الشريفة، الذي من الواضح أنه سُمي كذلك لوجودها به، وهو درب مشهور ومعروف بأسبوط القديمة، وبه مسجد صغير يعرف بمسجد الشريفة، بُني مكان المدرسة الشريفة، وبمرور الزمن نرج التماس على تسميته بمسجد الشريفة بدلا من الشريفة^(١٤٩).

وعم أسند إليه تدريس تلك المدرسة، الصلاح الحمصي الميوطي، مُحَمَّد بن أبي بكر بن علي بن حسن بن مطهر، وكان ذلك بعد سنة ١٤٣٥/١٤٣١م، عندما أسند إليه تكريمها مع مدارس أخرى بأسبوط^(١٥٠)، لكن نسوء الحظ لم يتم له التدريس بتلك المدارس، كما سبق وأوضحنا في سياق الحديث عن المدرسة الفانزية.

ومن بين مدرسيها المشهورين في العصر المملوكي، جلال الدين بن شرف الدين عبد الوهاب، المتوفى سنة (١٤٤٧/١٤٤٣م)، ووالده ابن عم زين الدين مؤسس تلك المدرسة كما أسلفنا. وما يجب ذكره هنا، أن جلال الدين هذا ليس هو جلال الدين الألبشيهي، كما اعتقده أحد الباحثين^(١٥١)، لأن جلال الدين الألبشيهي هو الجلال أبو الفضل بن البدر بن فتح الدين أبي الفتح، الشافعي، نزيل القاهرة^(١٥٢)، ولم يرد عنه أنه درس بأسبوط أو حتى زارها من الأصل.

وهناك من يعتبر أن الشيخ شرف الدين شارح المنارات (ت ١٤٤٣/١٤٤٧م) تولى التدريس بتلك المدرسة^(١٥٣)، لكن تلك العقول بحاجة إلى مراجعة^(١٥٤)، لأن شرف الدين المذكور لم يُدرَس بها إطلاقا، وهو من علماء قريم^(١٥٥)، وتوفي بمدينة أرنه^(١٥٦) التركية.

٣. المدرسة الخضيرية:

تُعد تلك المدرسة من بين المدارس التي عُرفت بأسبوط في العصر المملوكي، وأوردها السخاوي^(١٥٧) تحت مسمى "الديرية الخضيرية"، وتبعه في ذلك علي مبارك في خطته^(١٥٨). وهناك

من المؤرخين المحدثين من قسم ذلك المسمى تصفين، معتبرين أن البدرية مدرسة، والخضيرية مدرسة أخرى^(٢٧)، والراجح أنهما مدرسة واحدة عرفت بالخضيرية وبالبدرية، كما هو ثابت بالمصادر، وإن كانت شهرتها بالخضيرية أوسع وأعم.

وليس لدينا في الواقع أية معلومات عن سبب تسميتها بالبدرية، أما بخصوص تسميتها بالخضيرية وفيما يتعلق بتاريخ إنشائها، فيرى أحد الباحثين - من خلال مطالعته لعدد من حجج الوقف الخاصة بتلك المدرسة في العصر العثماني - أنها ورثت في الوثائق شارة مسبوقة بكلمة مسجد، وشارة مسبوقة بكلمة مدرسة، ويرجح أن مبنائها كان مسجداً مخصصاً للصلوات الخمس، ومدرسة لتعليم علوم القرآن واللغة، خاصة وأن الخضيرية، إحدى الطرق الصوفية التي كانت موجودة بمصر في العصر العثماني، قد اتخذت من هذا المسجد مقراً لها^(٢٨).

وهو بذلك يوصل لتلك المدرسة من حيث النشأة والتسمية على أنها تعود إلى العصر العثماني، مستندا في ذلك، على حد قوله، إلى أن أقدم ذكر لها، في حجج الوقف الخاصة بها، يرجع إلى ٩ رجب سنة ١١٥٤هـ/١٧٤١م، حيث تشير حجة مؤرخة بهذا التاريخ إلى قطعة أرض مقدارها ثمانية فرائط، موقوفة على مسجد الخضيرية^(٢٩).

والحقيقة أن تلك المدرسة تعود إلى العصر المملوكي، وليس إلى العصر العثماني، فقد يكون استدل هو، بوصفه متخصصاً في علم الآثار، من خلال مبنائها على ما يوحي بأنها عثمانية تشكل من حيث طرازها المعماري، لكن هذا قد يكون من جراء إضافات أو تجديدات طرأت على مبنائها زمن العثمانيين، لكنها هي في الأصل مملوكية، وهي مدرسة وابست مسجداً، وقد أوردها السخاوي في كتابه الضوء اللامع^(٣٠) على أساس أنها مكرسة كما تكبرنا أنفاً. وربما أطلق عليها مسجد من جراء التشابه الكبير ما بين المسجد والمدرسة، لدرجة تكاد عسرة المدارس بعسرة المساجد والجوامع في العصر المملوكي، والذي لم يقف عند حد تخطيطها فحسب، وإنما أيضاً في انتقال بعض الوحدات والعناصر من المساجد والجوامع إلى المدارس، مثل: المنبئة والمنبر، وكنة المنبئ أو المؤنن، وخلوة الخطيب ومكسي المصحف^(٣١) لدرجة أن من المدارس ما كان على شكل المسجد تماماً، ومن هنا وجدنا المدرسة الخضيرية يطلق عليها، في الوثائق العثمانية، كلمة مسجد في بعض الأحيان.

وعلى أية حال فما دامت تلك المدرسة تعود إلى العصر المملوكي، فترجح أن بابها أحد أجداد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٨٩١١هـ/١٥٠٥م)، العالم الجليل، صاحب التأليف والتصانيف المشهورة، لاسيما وأن أجداده كان يطلق عليهم الخضيرية أو الخضرية، ويتضح هذا بجلاء عند قراءة ترجمته لنفسه، أو لوالده كمال الدين أبو بكر (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، في أكثر من مؤلف له^(٣٢)، لاسيما في كتابه "حسن المحاضرة" و"التحدث بنعمة الله"، وعلى وجه الخصوص الكتاب الثاني منهما، الذي وضعه السيوطي ليتحدث فيه عن نفسه وعن نسبه وعائلته وولد والده، وغير ذلك من الأمور المتعلقة بحياته، والذي علمنا من خلاله، ومن غيره، معلومات تفيد بأن جدّه الأعلى الشيخ همام الدين الهمام الخضيرى، وهو الجد الثامن له^(٣٣)، تعود نسبته بالخضيرى إلى محلة ببغداد، تعرف بالخضيرية أو الخضرية^(٣٤)، على حد قول

الشيخ جلال الدين الميوطي، خاصة وأنه سمع من مصدر موثوق به، عن والده، أن جدّه الأعلى كان أعجمياً أو من الشرق^(١٢٧).

ولو ربطنا ذلك بما ساقه الميوطي^(١٢٨) في موضع لاحق في ثنايا ترجمته لوالده، لتبين لنا بالفعل أن أحد أجداده هو باني المدرسة الخضرية بأسبوط، إذ يقول عقب انتهائه من الحديث عن جدّه الهمام الخضرى: وأما من دون جدى المذكور من أجدادى، فقد كانوا من أهل الوجاهة والرياسة، منهم من ولى القضاء بأسبوط، ومنهم من ولى الحامية بها، ومنهم من كان فى صحبة الأمير شيخو^(١٢٩)، وبني مدرسة بأسبوط، ووقف عليها أوقافاً، ويحكى أنه سأل الأمير شيخو أن يأمر البناء الذى بنى مدرسته بالصليبية^(١٣٠) أن يذهب معه إلى أسبوط فيبنى له مدرسة نظيرها، فأجابته إلى ذلك....

وثمة أمور ثلاثة مهمة يمكن استنساخها، أو استلهاها، من النص السابق الذى أورده الميوطي: أولها تاريخ بناء المدرسة الخضرية، والذي يمكن أن نحصره بين سنتي ٨٧٥٦/١٣٥٥م و٨٧٥٨/١٣٥٧م، فلا يعقل أن تكون تلك المدرسة بليت قبل السنة الأولى، لأنها السنة التي بليت فيها مدرسة أو ختقاء شيخو^(١٣١)، والتي على شاكلتها بنيت الخضرية، كما لا يمكن أن تكون بليت، على وجه الترجيح، بعد سنة ٨٧٥٨/١٣٥٧م، لأنها السنة التي قتل فيها الأمير شيخو^(١٣٢)، والبناء الذي بنى المدرسة ذهب إلى أسبوط بأمر منه.

والأمر الثاني الذي يمكن استلهاها من النص ذاته: أن باني المدرسة الخضرية بأسبوط، وهو أحد أجداد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن الميوطي، كان على اتصال بالأمير شيخو، وأن ثمة علاقة ربطت بينهما وساهمت في استجابة الأمير شيخو لإرسال البناء معه إلى أسبوط، ولا نستبعد أن يكون سفر الأمير شيخو إلى أسبوط، ونزوله بها مع أواخر سنة ٨٧٥٤/١٣٥٣م، وأوائل سنة ٨٧٥٥/١٣٥٤م، للقضاء على ثورات العربان هناك^(١٣٣) قد لعب دوراً فاعلاً في ربط أواصر الصلة بين الرجلين، حيث استقبله أهل أسبوط وأطعموه على أسور العرب وعلى أعدادهم، ومدى عزمهم على المحاربة^(١٣٤)، ومن دون شك أن جد الشيخ جلال الدين المشار إليه، كان من بين المستقبين للأمير شيخو بأسبوط، وكيف لا ؟ وهو يعد واحداً من عليّة القوم بأسبوط، ومن وجهاتها^(١٣٥) الذين عملوا بالتجارة^(١٣٦).

أما ثالث أمر يعكسه النص المذكور، ولا يقل أهمية عن سابقه، أن المدرسة الخضرية بأسبوط بليت على نسق المدرسة أو الخالفة الشيوخونية بالقاهرة، وهذا في حد ذاته يعكس أن مدارس أسبوط في العصر المملوكي، كانت تُبنى على غرار مدارس العاصمة، الأمر الذي يجعلنا في ميسر الحاجة هنا إلى توجيه دعوة لعماء الآثار، وعلى الأخص للمصريين منهم، ليذل مزيد من الجهود العلمية المتأنية، لكشف النقاب عن مثل تلك المدرسة بأسبوط وغيرها، ومحاولة تقديم الدراسات الأثرية اللاتقة بها، التي يمكن أن نطلع من خلالها على أوصاف تلك المدارس جميلة وتفصيلاً، لا سيما وأنها كانت على شاكلة مدارس العاصمة من حيث مبانيها وملحقاتها، ومن المؤكد أنه روعي عند بنائها الأغراض التعليمية، بحيث اشتملت على مواضع للتدريس، وخزانة للكتب، وأماكن للصلاة، ومسلك للطلبة والموظفين. وبذلك أمر لم تنفرد به مدارس أسبوط، وإنما كان من الأمور المرعية عند تشييد مدارس صعيد مصر بصفة عامة^(١٣٧)، والمطلع

على ما كتبه الأنقوي^(٢٧١) (١٧٤٨/٨٧٤٤٧م)، في العصر المملوكي، يضاف وسط كتاباته إشارات إلى مثل هذه الأمور.

وعن موقع المدرسة الخضيرية بأسسيوط: فإنها كانت تقع بمنطقة الخضيرية (أو الخضرية)^(٢٧٢) جنوب غرب مدينة أسسيوط، وتطل واجهتها الغربية على شارع الخضيرية، وواجهتها الشمالية على شارع الطوبجي^(٢٧٣).

وظلت هذه المدرسة في أداء رسالتها العلمية والتعليمية، في أسسيوط، طوال العصر المملوكي، بل وبعد ذلك في العصر العثماني، وقد حفظت سجلات وقائع محكمة أسسيوط الشرعية، المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، بالكثير من حجج الوقف الخاصة بها^(٢٧٤) خلال ذلك العصر الأخير.

وممن أسند إليه تدريسها ونظرها في العصر المملوكي: الصلاح الحمصي السيوطي، الذي وأبها هي والشرفية والغازية، وكان ذلك بعد سنة ٨٢٥/١٤٣١م، لكن لم يتم له التدريس بتلك المدارس^(٢٧٥) كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

٤. مدارس أخرى

إلى جانب المدارس السابقة، وجدت مدارس أخرى في أسسيوط، وفي بعض توابعها في العصر المملوكي، وقد ورد ذكرها عرضاً في المصادر والمراجع، ولم نقف حتى على مسمياتها، والأمانة العلمية تقتضي هنا إعطاء لمحة سريعة عنها، لأن عدم ورود تفصيلات عنها في المصادر والمراجع، تصريحا أو تلميحاً، لا يعني بالضرورة أنها لم تكن من المدارس المعروفة في العصر المملوكي، فمن المؤكد أنها كانت تعرف لدى الدارسين آنذاك أو حتى على الأقل داخل الوسط الإقليمي الواقعة في إطاره، ومن المؤكد أيضاً أنها أسهمت مع نظيراتها من المدارس المشهورة سابقة الذكر، في تشييط الحركة المعرفية والثقافية في أسسيوط في ذلك العصر، لكنها لم تحظ بتمليط الأضواء عليها عبر الكتابات التاريخية أو الأثرية أو غيرها، الأمر الذي ضاعت معه حتى مسمياتها نفسها.

ومن هذه المدارس: مدرسة كانت بمكان مسجد سيدي جلال الدين السيوطي، وهو ذلك المسجد المشهور الذي يقع بشارع القيسارية، وعلمنا أن ثمة مدرسة كانت هناك مع أورده سيد علي الطوبجي^(٢٧٦) في سياق مقدمة كتابه الذي كتبه عن أسسيوط في العصر الحديث (سنة ١٣٦٨/١٩٤٩م)، إذ يقول عن أسسيوط: 'ولو لم أكن منها لثمنت أن أكون منها، وقد سبقني أبي وجدي، فجددي أثرها على يده المليماتية عاصمة الموصل، فأدى بها ثقافة علمية، تدريس اللغة التركية، بمدرسة كانت بمكان مسجد سيدي جلال، وكذا فقه الحنبلية والحديث النبوي. وقد ذكر (تلك) جدي أحمد في سند رسمي صادر من السيد أحمد رافع عفيف الدين، والسيد محمد عبد الرحيم عفيف الدين سنة ١٢٥٣/١٨٣٧م.'

ويمتاز ما كتب في المراجع حول مسجد سيدي جلال، الذي كانت بمكانه المدرسة المذكورة، وجدنا عثمان فيض الله^(٢٧٧) يقول عنه: إنه كان يسمى قديماً باسم مسجد الجنصي نسبة إلى أحد أهالي بلدة جنص بالشام، والذي قدم إلى أسسيوط واستوطن به مدة، ولقد جُدد المسجد عدة مرات، في العصر الحديث، بإشراف وزارة الأوقاف، ويقول عنه سيد علي الطوبجي،

نقلا عن أحمد باشا تيمور: إنه عُرف بمسجد سيدي جلال عند العامة، وبمسجد الجنصي عند أهل العلم، وإن نسبته إلى الجنصي عند الخاصة ربما كانت لتجديده أو لتوحيه الإمامة أو للتدريس فيه أو النظر عليه، وإيحقق ذلك، فكله مبني على الظن والاحتمال^(١٢٧).

وبناء عليه، حاولت تحقيق تلك التسمية من خلال تقصي المعلومات الواردة بالمصادر المملوكية، عن كل من لُقّب بالجنصي، فتبين لي أن الجنصي، الذي نسب إليه ذلك المسجد بأسبوط قبل أن يُعرف بمسجد سيدي جلال، هو الشيخ سراج الدين أبو حفص عمر بن موسى بن أحمد بن الأريثي الحُزْزُومي الحمصي، ثم القاهري الشافعي، ويعرف بابن الجنصي (ت ٨٦٦هـ/١٤٥٧م)، فهذا الرجل ورد عنه بالمصادر: أنه وُلِّي قضاء أسبوط سنة ٨٢٥هـ^(١٢٨)/١٤٢٢م، وأقام في قضاها مدة طويلة، وعُثر بها جامعاً^(١٢٩)، فمن المؤكد أنه هو الجامع أو المسجد المذكور الذي نسب إليه، والذي لا نعلم على وجه اليقين هل كان جامعاً بالفعل، كما قال السخاوي، أم كان مدرسة كما اعتبره الطويجي؟ وإن كنت أميل إلى الأخذ برأي الأخير، وخاصة في ظل الخلط الذي كان سائداً، في عصر المماليك الجراكسة، بين كل من المسجد أو الجامع، والمدرسة، والخانقاة، فمن المعروف أن المدرسة أصبحت زمن المماليك مكان عبادة ودرس، وكان أهم ما يميزها عن المسجد: مساكن الطلبة التي كانت تلحق عادة بالمدارس ليعيش بها الطلاب والمدرسون^(١٣٠).

وهذه المساكن من الصعب علينا، بالطبع، معرفة وجودها من عدمه في المكان الذي نحن بصدد الحديث عنه، أو حتى معرفة **أوصاف المعنى الذي كان قائماً هناك** من حيث تكوينه وعناصره المعمارية، فقد فُقدت تلك العنصر، وأقيم مكانه المسجد المعروف حالياً بمسجد سيدي جلال، والذي طُرأت عليه **تغييرات وتجديدات لم تُبق للمعنى القديم** معالم أثرية مادية، كما لم يسجلها التاريخ، فضاقت تلك المعالم، وذهب معها الريم والأسم.

ومهما يكن من أمر فقد اتخذ القاضي سراج الدين الحمصي من ذلك المكان الذي بناه بأسبوط سواء كان مدرسة، وهو الأراجح، أو جامعاً اتخذ منه مكاناً للتدريس، ومن ثم تعلمت على يديه فيه: والد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، قبل انتقاله إلى القاهرة^(١٣١).

ولعل ارتباط اسم والد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي بذلك المكان، وتخرجه منه يقصر لنا نسبة المسجد، الذي حل مكان المدرسة إلى الشيخ جلال الدين السيوطي، وذلك من الأمور المهمة التي يجب التنبيه إليها وتصحيحها هنا، لأنها من الأخطاء الشائعة بين الناس إلى الآن، ومما يزيد في خطورتها أن تلك التسمية لم تقف عند حد المسجد، بل تسحبت كذلك على لضريح الموجود بالمسجد، فقيل إنه قبر الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، وصار ذلك من الأمور المُستَمُّ بها، مع أن الشيخ جلال الدين السيوطي لم يأت إلى أسبوط ولم يرها، كما روى ذلك بنفسه، في قوله عن أسبوط: **وقد أفردت لها تاريخاً حسناً في مجلد لطيف^(١٣٢)**، افتداءً بمن أفرد من المُحدثين لبلده تاريخاً، مع أنني لم أرها إلى الآن، فإني إنما ولدت بمدينة مصر، ولم أسافر إليها البتة، وإنما فُقت ذلك لكونها بلد الوالد والأجداد^(١٣٣). وقد حقق أحمد تيمور قبر الإمام السيوطي وموضعه بالقاهرة ونقل عنه سيد علي الطويجي^(١٣٤) قوله: إن في مدينة أسبوط مسجداً يعرف بجامع سيدي جلال الدين السيوطي وبه ضريح تزعم العامة جهلاً أنه

ضريحه، إلى أن قال: والذي أراه أن ذلك الضريح هو المكان الذي كان يدرس به كمال الدين أبو بكر ووالده الإمام جلال الدين السيوطي قبل انتقاله إلى القاهرة، فسمية المسجد إلى السيوطي إما هي لوالده لا للمدفون في الضريح، فمن توالي الأيام ظنوه أنه السيوطي، مع أنه مكان أبيه.

ويمكن أن نضيف هنا: أن ذلك الضريح إما هو للشيخ همام الدين الهمام الخُضيري، وهو الجد الأعلى للشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، وذلك استناداً إلى ما قاله السيوطي^(١١) عن جده هذا: إنه كان أحد مشايخ الصوفية وأرباب الأحوال والولايات^(١٢) إلى أن قال: «وجدنا هذا ضريحاً بأسبوط يُزار ويُتبرك به».

فمن المؤكد أنه هو ذلك الضريح، ولما بنى السراج الحمصي بجواره المدرسة أو المسجد، عرف أولاً بمسجد الحمصي، ثم صار يطلق على ذلك المسجد اسم السيوطي، نسبة إلى والد الشيخ جلال الدين الذي تعلم به، ونسب كذلك الضريح إلى السيوطي على اعتبار أنه لجدّه، ثم مع مرور الزمن، وغموض الحقيقة، نُسب المسجد والضريح إلى جلال الدين السيوطي نفسه لشهرته. وربما وجود هذا الضريح بالمسجد يجعلنا نعود لنؤكد، من جديد، على أن ذلك المكان الذي عُثره الحمصي إنما هو في الغالب مدرسة وليس مسجداً، ذلك لأن المدرسة لم تكن في عديد من الحالات، في ذلك العصر، بناءً مستقلاً قائماً بذاته، وإنما كانت جزءاً ملحقاً بالقبة المدفون بها أحد الأشخاص^(١٣).

وعلى كل حال، لم يقتصر وجود المدارس في أسبوط على المدارس أنفة الذكر، أو بمعنى آخر لم يقف عند حد مدينة أسبوط، ووصفها قاعدة أو مركزاً للأعمال السيوطية، وإنما وجدت المدارس أيضاً في بعض المدن الأخرى التابعة لتلك الإقليم، وإن كنا لم نحظ في المصادر بإشارات كافية عن تلك المدارس، فيكفي لتفنيل على وجودها، على سبيل المثال، ما أورده ابن نضماي^(١٤) (ت ١٤٠٦/٨٨٠٩م) في سياق وصفه لمدينة أبوتيج^(١٥)، التي كانت - وما زالت - إحدى المدن التابعة لأسبوط، إذ يقول عنها: وهي مدينة على ضفة النيل الغربية بعيدة عن النيل قليل، وبها جامع كبير قديم وبها مدارس... .

ويمكن الاستدلال من وجود تلك المدارس في مدينة أبوتيج على المكانة التي تبوأها تلك المدينة كواحدة من المراكز العلمية المهمة بصعيد مصر في العصر المملوكي^(١٦)، وقد وردت بمصادر ذلك العصر إشارات إلى أسماء علماء وفقهاء نشنوا بتلك المدينة وتلقوا تعليمهم بمراكزها التعليمية^(١٧).

وصفة القول: إن وجود هذه المدارس في أسبوط وفي بعض توابعها، في العصر المملوكي، يعكس وجود حركة مدرسية، ونهضة تعليمية، واسعة النطاق داخل الإقليم الأسبوطي في تلك الأونة.

ثالثاً: الحياة التعليمية في مدارس أسبوط في العصر المملوكي :

كانت مدارس أسبوط، وغيرها من المدارس، في العصر المملوكي تُعطل المرحلة العليا من مراحل التعليم آنذاك، أو بمعنى آخر كانت عبارة عن كليات إسلامية عالية، يلتحق بها الطلاب لإتمام الدراسة. ويكون الالتحاق بها، في الغالب، عقب سن البلوغ بعد الانتهاء من مرحلة

التعليم الأولى بالكتاب (أو الابتدائية^(١٠٩)). فمن الثابت والمعروف: أن الطفل كان يلتحق بالكتاب أو المكتب وعمره سبعة أعوام، وإن كان كثير من الآباء، في العصر المملوكي، يتحفظون أبناءهم به في سن أقل، ليستريحوا من تعييبهم، وليس من أجل القراءة^(١١٠)، ويستمر الطالب في المكتب منتقلا بين حلقاته: من حفظ للقرآن، أو سماع للحديث أو تعلم للغة، أو اشتغال بالقراءة والكتابة والخط، حتى سن البلوغ، ثم ينتقل إلى المدارس أو المساجد التي تروق له، ليلتحق بإحدى حلقاتها، وإن لم يرغب فيصرف لشؤون الحياة^(١١١).

وعندما يلتحق الطالب بالمدرسة ينخرط في حياة تعليمية مفعمة بتلقى معارف مختلفة وعلوم متنوعة، وقد شهدت المدارس بصعيد مصر، بما فيها مدارس أسبوط، ذلك التنوع فيما كانت تقدمه لأبنائها من العلوم والمجالات المعرفية المختلفة، فكان يُدرس بها أئند العلوم الدينية، كاللغة والأصول والحديث والتفسير والقراءات، فضلا عن العلوم التنوفية، كالتنحو والصرف والبلاغة، كما اتسع المجال فيها لتدريس العلوم العقلية، كالنفسفة والمنطق، وكذلك العلوم العملية، كالطب والكيمياء والفلك والهندسة^(١١٢).

ولدينا من الشواهد ما يمكن الاستناد إليه للتدليل على التنوع المعرفي داخل مدارس أسبوط المملوكية، وأول هذه الشواهد: أن المدرسة الفارسية كان يُدرس فيها، في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي؛ الفقه على مذهب الشافعي، والأصول، والتنحو، والعروض، والحكمة، والمنطق^(١١٣) والأدب والشعر^(١١٤).

ومن الشواهد المثبتة لذلك، أيضا، أن السير الذاتية الواردة في ثلثا المصادر لبعض العلماء الذين تلقوا تعليمهم، أو بعضها منها، في أسبوط زمن المماليك، حوت في سياقها معلومات تفيد بذلك التنوع في العلوم والتخصصات التي سادت الوسط التعليمي في أسبوط وغيرها، ليس في عصر المماليك البحرية فحسب، وإنما كذلك في عصر المماليك الجراكمة، ويمكننا من خلال نظرات سريعة في مثل هذه السير، التأكد من ذلك، فطس سبيل المثال: أورد جلال الدين السيوطي^(١١٥) في سيرة والده كمال الدين أبي بكر السيوطي أنه ولد في أول القرن (أي التاسع الهجري) تقريبا، وأقبل على العلوم بأنواعها، فأخذ عن مشايخ عصره، وبرع في اللغة والأصول، والنحو والصرف، والمعاني والبيان، والفرائض والصاب بأنواعه، والمنطق، والوثائق.

وبمطالعة سيرة أخرى، مثل سيرة الشريف الحسني، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أحمد بن إسماعيل بن عبد الوهاب، الملقب أبوة بالنظر، يمكننا التأكيد على ما سبق، بل إن هذه السيرة تمدنا بتفاصيل لنق عن التخصصات والعلوم التي كانت تُدرس بأسبوط، في العصر المملوكي، لأنها تفيد في معرفة أشهر الكتب والمؤلفات والمتون المعتمدة أو "الكراريس" التي كان المتعلمون ملزمين بحفظها، وعرضها على مشايخهم قبل أن يأخذوا معهم في مباحثها وبسط قواعدها، إذ ورد في ثلثا تلك السيرة أن صاحبها "ولد في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الثانية سنة إحدى وعشرين وثمانمائة في نواحي الصعيد من بلاد مصر ورأس في نواحي أسبوط من بلاد الصعيد فقرأ بها القرآن وتلا به لأبي عمرو على مؤدبه الشريف محمد بن أحمد بن علي التمسائي، وحفظ السبعة^(١١٦)، وأربعي النووي (في الحديث)، والرسالة (في أصول الفقه للإمام الشافعي رحمه الله)، وأكثر المختصر المغربيين (في الفقه)، وجميع جمع الجوامع (في أصول الفقه)،

والفقيه ابن مالك (في النحو)، والمنحة^(١١٠)، والجرومية^(١١١) وتصريف العزى^(١١٢)،
والرحبية^(١١٣) في الفرائض، وإساغوجي^(١١٤) (في المنطق)، والتفحة الوردية (في النحو لعر بن
الوردي المتوفى سنة ٥٧٤٩/١٣٤٨م)، والبعض من المفصل (في النحو للزمخشري)، والحاجبية
(في النحو والصرف لابن الحاجب)، وأكثر ناطق العين^(١١٥)، والصدقات في علم الهيئة (أي
الفلك)، وألفية العراقي^(١١٦)، والشاطبيتين^(١١٧)، والساوية^(١١٨) في العروض، وارتحل للقاهرة في
سنة ثلاث وأربعين...^(١١٩).

وفي الإطّار ذاته: يمكن أن نأخذ من سيرة محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، الشمس
الأسبوطي المنهجي، شاهدا جديدا على صحة كلامنا، حيث يقول المسخاوي^(١٢٠) في سياق تلك
السيرة: «ولد كما قال لي في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وقبل سنة عشر بأسبوط،
ونشأ بها فحفظ القرآن عند سعد الدين الواحي وغيره، والصدقة، وأربعي النووي، والشاطبية
والمنهاج الفرعي والأصلي، وسطور الإعلام في معرفة الإيمان والإسلام^(١٢١) للحمصي، فيما
رغمه». ثم يستطرد المسخاوي بعد ذلك بكلام عن هذا الرجل، يفيد أنه عرض محفوظاته وتلقى
تعليمه في علوم الفقه والنحو والحديث والقراءات والأدب، على مشايخ وعلماء بالقاهرة وأسبوط.
وعلى كل حال، ففي ظل هذا التنوع في العلوم والمجالات المعرفية، كان الطلبة في المدارس
يختارون العلوم التي يدرسونها، وكثيرا ما اعتمد هذا الاختيار على مكانة المدرس وشهرته
العلمية^(١٢٢).

وتكشف لنا الحياة التعليمية في مدارس أسبوط، في العصر المملوكي، عن وجود مدرسين
أو أساتذة ومشايخ بارزين بتلك المدارس، عكفوا على تدريس صنوف العلوم بها، وساهموا من
خلال مؤلفاتهم التي وضعوها في تلك العلوم، ومن خلال قيامهم بشرحها وتدريسها، مع غيرها
من مؤلفات سابقيهم من العلماء أو المعاصرين لهم، في نشر الثقافة والمعرفة بأسبوط في ذلك
العصر، وتخريج جيل من العلماء المتميزين، كانوا على شاكلتهم، فجاوبوا كثيرا من مدن مصر
وغيرها، تاركين بها بصمات واضحة في المجالين: العلمي والمعرفي، جاعلين بتلك من مدارس
أسبوط ومؤسساتها التعليمية الأخرى، واقدا مهما من روافد التعليم في مصر في تلك الأونة،
وليس أدل على ذلك مما أورد المسبوطي في كتابه المصنوع بـ «التحدث بنعمة الله»^(١٢٣)، عن كثير
من أسماء العلماء الخارجين من أسبوط أو المنسوين إليها، والذين يحمل كل منهم في اسمه
لقب المسبوطي أو الأسبوطي، فمنهم رواة للحديث النبوي ومسننون، ومنهم أدباء ونحاة وشعراء
وأولياء، وغير ذلك، ومن المؤكد أن من بين هؤلاء العلماء من تبرز أو تبرز بالمدارس
الأسبوطية، وللتدليل على ذلك يكفينا في مجال الحديث، على سبيل المثال لا الحصر، ونون
الخوض في ذكر تفاصيل أو أسماء، أن نأخذ من كلام المسبوطي في هذا التصدد قوله: «وقد خرج
من أسبوط ونسب إليها خلائق من رواة الحديث... ورحل إليها لسماع الحديث خلق من الأئمة
والخلفاء».

ولتعرض هنا نماذج لبعض المدرسين الذين شغلوا وظائف التدريس في مدارس أسبوط، زمن
المماليك، للتعرف على جوانب من حياتهم العلمية والتعليمية، ومكانتهم العلمية الرفيعة التي
وصلوا إليها، ومدى مساهماتهم في حركة التعليم ونشر الثقافة في العصر المملوكي.

وأول أولئك المدرسين: العالم المغربي نجم الدين أبو نصر الأموي، الفتح بن موسى بن حماد، المعروف بالقصري، وهو من العلماء الذين اضطلوعوا بالتدريس بالمدرسة الغلزية بأسبوط، ومن قضاياها المشهورين، وتناولنا التعريف به من قبل^(١١١)، ووطنه في كثير من بلدان العالم الإسلامي طلبا للعلم، وانتهاء ذلك المطاف بدخوله مصر سنة ٥٦٤٣/١٢٤٥م، ثم استقراره في أسبوط لحين وفاته بها سنة ٥٦٦٣/١٢٦٥م. وبقي أن نشير هنا إلى مؤلفاته، والتي من أشهرها: نظم المفصل^(١١٢) لتزخشري في النحو، ونظم كتاب الإشارات (أي الإشارات والتنبيهات في الحكمة) لابن سينا، ونظم السيرة لابن هشام^(١١٣) المسمى بد الوصول إلى الرسول في نظم سيرة الرسول^(١١٤)، وهو على قافية رقمية في اثني عشر ألف بيت^(١١٥)، وله أيضا منظومة في العروض^(١١٦).

ومن المدرسين والعلماء الأجلاء الذين درسوا بأسبوط أيضا: الحسن بن عبد الرحيم بن الأثير، القرشي، محيي الدين الأرمني، الفقيه الشافعي، الذي أورده الألفوي ضمن من ترجم لهم في كتابه^(١١٧)، وقال عنه: إنه كان من العلماء الصالحين الفقهاء العلماء العاملين، وتولى التدريس بمدينة أسبوط، وأقام سنين يُدرّس بها، وسافر من أسبوط، فتوفي في الطريق، وحمل إلى مصر، ودفن بسفح الجبل المقطم، وكان ممن يثبته الناس به ويقصدون الدعاء منه، وكانت وفاته في سنة ٥٦٩٧/١٢٩٧م.

ومنهم أيضا: تقي الدين يحيى بن عبد الرحيم بن الأثير الأرمني، الذي وصفه الألفوي^(١١٨) بقوله: كان من الفقهاء الشافعية المشاركين، درس بمدرسة سيوط سنين كثيرة، وتولى الحكم بإبطح^(١١٩) وبمغلقوط (إحدى مزارق أسبوط حاليا)، وسيرته فيه حميدة، وهو من بيت علم ورياسة، وجلالة ونفاسة، وحكم وعدالة، وسيادة وأصالة، وعقدت سنة أربع وخمسين وستمئة، وتوفي بمدينة سيوط سنة ثمان وسبعمئة.

وجدير بالملاحظة هنا أن الألفوي في ترجمته لتقي الدين المذكور لم يوضح لنا في أي مدرسة كان يُدرّس، ويتوقع أنه كان يدرس بالغلزية، حيث لم تكن الشريفة أو الخضرية أنشئت بعد، وربما كانت الغلزية هي المدرسة الوحيدة في أسبوط وقت تدرسه بها، ولهذا نقرأ في كلام الألفوي عبارة **درس بمدرسة سيوط**. فلو كان بأسبوط مدارس غيرها ما وصفها الألفوي بأنها مدرسة أسبوط.

ومن كبار المدرسين كذلك: جلال الدين بن شرف الدين عبد الوهاب، الشريف الجعفري الزنبيسي الأسبوطي، مدرس المدرسة الشريفة بأسبوط، وكان ممن أسند لهم الحكم أو القضاء بها مدة، وتوفي سنة (٥٨٤٧/١٤٤٣م). وقد سبق التعريف به في سياق الحديث عن المدرسة الشريفة.

ولا يغيب عن البال هنا: الشيخ كمال الدين أبو بكر الخضرى السبوطي (ت ٥٥٥/١٤٥١م)، والد الإمام جلال الدين عبد الرحمن السبوطي، الذي يقول عنه ولده^(١٢٠): إنه اشتغل بالتعلم ببلده أسبوط ووثي بها القضاء قبل قدومه إلى القاهرة. ويتوقع أنه درس بأسبوط بالمدرسة التي كانت مكان مسجد سيدي جلال الدين السبوطي حاليا، وهو المكان الذي تتلمذ فيه على يد القاضي سراج الدين الحمصي، كما سبق ذكره.

ومصادر العصر المملوكي المتأخرة، وما بعده، تحصل في طياتها مادة علمية غزيرة، ترجم فيها أصحابها لشخصية هذا العالم الجليل^(١٢١) ومن بين تلك التراجم نسوق مقتطفات من ترجمة ابنه له في كتاب "التحدث بنعمة الله"، ففيها الكفاية للتعرف على مشواره العلمي، ومكانته العلمية، ويالتالي مكانة خريجي مدارس أسيوط، وإسهاماتهم في إثراء الحياة العلمية في العصر المملوكي.

يقول السيوطي^(١٢٠) عن والده: كان مولد والدي بأسيوط في أوائل القرن تقريباً ... واشتغل بالعلم ببندده، وولي بها الحكم نيابة. وقدم القاهرة سنة تيف وعشرين، فسمع صحيح مسلم على الحافظ ابن حجر، في سبع وعشرين. وكتب له الشيخ برهان الدين بن خضر^(١٢٢) ... ولازم العلامة شمس الدين القاباني^(١٢٣) فأخذ عنه الكثير في الفقه والأصول والكتاب والنحو والإعراب والمعاني والبيان والمنطق، وأجازته بتدريس هذه الفنون كلها في سنة تسع وعشرين. وأخذ عن الشيخ باكور علم المعاني والبيان. وتلا على الشيخ محمد الجبلاتي، وبرع في الفنون وتصدى للتدريس والإفتاء زماناً. وكتب الخط المنسوب الفائق. وبلغ في فن الإنشاء والبراعة والترسل والتوثيقات نهاية أذن له فيها أهل عصره قاطبة، واتعد الإجماع على تفرداه بهذا الفن في عصره. وكان الأكبر من أهل هذا الفن يخضعون له ويأتون إليه ... ولتوالد تعاليق وفوائد ضاعت. ولم ألق عليها. ومما رأيت من تعاليقه حواشي على شرح الألفية لابن المصنف ... وحاشية على العضد^(١٢٤). ورسالة في إعراب قول المتنجاه: وما ضيبت بذهب أو فضة. وحواشي على آيب القضاء للقرني، وأجوبة اعتراضات ابن المقرئ على الحاوي. وأخذ عن التوالد جماعة فضلاء وانتفعوا به...

والملاحظ من خلال التمازج السابقة ومن غيرها من الأمثلة - هنا الخوف من الإطالة ذكرها هنا، لبعض المدرسين بمدارس أسيوط، في العصر المملوكي، أنهم كانوا يشغلون بجانب وظائفهم التدريسية ووظائف القضاء والتبليغ في الحكم^(١٢٥).

كما نلاحظ أيضاً: أن المدرسين بمدارس أسيوط لم يكونوا كلهم من أبناء أسيوط، وإنما كان منهم علماء من البلاد المصرية الأخرى من الصعيد ومن الوجه البحري، بل كان من بينهم علماء غير مصريين، منهم من كان من المغرب مثل الفتح بن موسى بن حماد، ومنهم من كان من الشام مثل سراج الدين الحمصي، وهذا أمر طبيعي في ظل اعتبار مدن العالم الإسلامي مدينة واحدة، بحق للعالم والمتعلم التنقل بينها جميعاً، بل والاستقرار بأي منها، ما دام يجد بها ما يشبع ذمينا من نهمه العلمي على أيدي علمائها، أو تقديم ما ينفع طلاب مدارسها، دونما وجود عوائق أو عقبات تحول دون ذلك العطاء العلمي.

وفي ظل هذه الحرية في الحركة العلمية والتعليمية، داخل العالم الإسلامي في تلك العصور، لم يأل الطلبة في مدارس أسيوط جهداً في تحصيل العلم، سواء من المدرسين والعلماء الغائبين بها، أو حتى من العلماء وطلاب العلم الغريباء التازلين بها عبر رحلاتهم وأسفارهم، إذ كان نزول أمثال هؤلاء بمدارس يعطى الفرصة لطلاب المدرسة لمناقشة ومناقرة القادم إليهم، ويوسع آفاق المتعلم للاطلاع على علوم أخرى غير التي يدرسها في مدرسته، ويحبب إليهم الرحلة، وكل ما يثرى الحركة العلمية^(١٢٦)، وفي هذا الصدد يمدنا السخاوي^(١٢٧) بمثال في غاية الروعة عن:

مُخْتَد بن أحمد، الأسيوطي المنهاجي، الذي تلقى نصيباً من تعليمه بأسيوط ثم أكمله بالقاهرة، إذ يقول عنه: وأخذ عن الشهاب المسخاوي^(١٢٦) القام عليهم أسيوط؛ مجموع الكلاسي^(١٢٧) والملحة، وقيل الشهاب العجيمي^(١٢٨) وهو الذي سمعته منه.

لكن هذا ليس معناه أن يبقى الطالب في أسيوط قابعاً في مدارسها، وإنما كان من الأمور المتعارف عليها في الحياة التعليمية آنذاك: أن يُرْمَع طالب العلم وجهه شطر أي بلد به عالم أو شيخ نال من الشهرة العلمية ما يستحق السفر إليه للتعلم من علمه، وبناء عليه كان طالب العلم يجرى في مختلف البلاد، والانتظار ليسمع من مشاهير العلماء فيها^(١٢٩).

ويمكن استخلاص بعض الأمثلة على هذا الترحال والتنقل بين البلاد طلباً للعلم وبمقدد الاستفادة والإفادة العلمية، مما سطره لنا أصحاب كتب التراجم في العصر المملوكي، ومن ذلك مثلاً: ما ورد عن يوسف بن أبي محمد بن أبي البركات، الميوطي (ت ٥٧٢٤هـ/١٢٢٤م)، الذي يقول عنه الألفوي^(١٣٠): "...اشتمل بالفقه في بلده ويمصر، وناب في الحكم بيهوتج وطما^(١٣١) وغيرها من بلاد سيوط، ثم توجه إلى مصر واشتمل بها، ثم يستكمل الألفوي سيرته بكلام يفهم منه أنه شغل وظائف القضاء والتدريس ببعض بلاد الصعيد كقوص وأرمنت وإسنا وأطو وأسوان.

وهناك عبد الرحمن بن عثير بن علي بن أحمد بن يقظوب، الزين العثماني البهوتيبي (ت ٥٨٦٤هـ/١٤٥٩م)، الذي تلقى شطراً من تعليمه الأولى بمدينة بيهوتج، ثم سافر إلى القاهرة مع أبيه في سنة ٥٧٨٤هـ/١٣٨٢م، وعرض على بعض علمائها، في سنة ٥٧٩٦هـ/١٤٩٤م وأجازوا له، ثم فطن القاهرة^(١٣٢).

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك: أن الصلاح الحسيني الميوطي، مُخْتَد بن أبي بكر (ت ٥٨٥٦هـ/١٤٥٢م)، بعد أن تلقى تعليمه الأولى بأسيوط، انتقل به والده إلى القاهرة، ليعرض كتاب "العدة" على الشيخ الزين العراقي، وبعد أن تأكد الشيخ من إلمامه به، كتب له إجازة، ثم عاد مع والده إلى أسيوط، وأقام بها إلى سنة ٥٨٠٦هـ/١٤٠٣م، وبعدها انتقل بأخيه إلى القاهرة ففطنها، وتهل من علم علمائها، ويرع في كثير من العلوم والفنون، ثم أسند له بعد سنة ٥٨٣٥هـ/١٤٣١م، تدريس بعض المدارس بأسيوط، ولكن لم يتم له ذلك^(١٣٣)، كما سبقت الإشارة إليه في موضع متقدم من هذا البحث.

وهناك أيضاً محمد بن أحمد، الأسيوطي المنهاجي، وكذلك كمال الدين أبو بكر الخضيري وولد الإمام جلال الدين السيوطي، اللذان تلقيا شطراً من تعليمهما بأسيوط، ثم اتجها إلى القاهرة فحفظا كثيراً من المعارف والعلوم على أيدي علمائها^(١٣٤).

وعلى أية حال، فمن الأمور المهم ذكرها هنا، والتي أساطت الحياة التعليمية في مدارس أسيوط التثام عنها: أن تلك المدارس ضمت في نظامها التعليمي "معدين"، بوصفهم طرفاً معلوماً للمدرسين أو الأساتذة، وهو ذلك النظام المعمول به حالياً في نظم للتعليم الحديثة بالجامعات العربية والأجنبية على حد سواء. ومن الذين شغلوا وظيفة الإعادة بأسيوط، أمين الدين محمد بن حمزة بن عبد المؤمن، الأسفوني، الميوطي المولد والمنشأ، والذي يقول عنه الألفوي^(١٣٥): إنه كان فقيهاً فاضلاً متديناً، تولى الحكم بلبي تيج، وتولى إسنا، وأعاد بمدرسة أسيوط، وتوفي سنة

التنين وعشرين وسبعمان، وجدَّ أبوه من أسفون^(١١١)، وأقام جدُّه بها، وانتقل إلى سيوط وتأهل بها.

وكان هؤلاء المعيدون يقومون بدور مهم في العملية التعليمية، من خلال جنوبهم مع الطلبة قبل الدرس أو بعده، لمساعدتهم على استذكار دروسهم ومراجعتها، ليستوعبوا ويفهموها^(١١٢)، فضلا عن تشجيع المتعلمين على طلب العلم وحثهم على تحصيله، والمعيد بهذا يساعد المدرس في أداء عمله ويوفر عليه بذل الجهد والوقت لإعادة شرح بعض الدروس، لمن يحتاج إلى ذلك من الطلبة، وكان القصد من قيام المعيد بمهمة الإعادة: المحافظة على وقت المعلم وعلى احترامه ومكاتبته، وتخفيف الجهد عنه وعن المتعلمين معا، والمساهمة في إعداد المعيد وتهينته للقيام بوظيفة المدرس مستقبلا^(١١٣).

وعن عملية التعلم أو طرق التدريس المتبعة في مدارس أسيوط في العصر المملوكي: فلم تسعنا المصادر في الحصول على توصيف لها، لكن يمكن القول، بوجه عام، إنها لم تخرج عما كان مألوفا أو معهودا في كافة المدارس، خلال العصر المملوكي، من لتفاف الطلبة بغاية التدريس حول أستاذهم، في صورة مجالس أو حلقات تدريسية، مستمعين لما يلقيه على مسامعهم، وما يقرأه زملائهم من الكتب المختلفة ليتم التباحث فيه^(١١٤)، فمن المعروف أن التدريس بالمدارس في تلك العصور، وما قبلها، عادة ما كان يعتمد على الإلقاء والتلقين والإملاء، وربما دارت مناقشات علمية بين المدرس وطلابه، وكان هناك تنظيم مطبق في قاعات التدريس بغية العمل والإفادة^(١١٥).

وبخصوص مواعيد الدراسة بتلك المدارس: فمن المؤكد أنها لم تخرج عن إطار التقليد المعمول به في العصر المملوكي، والذي حددته وتأنق الوقت بدقة تامة، وهو أن اليوم الدراسي كان ممتدا من طلوع الشمس إلى أذان العصر، وكان على المدرس أن يختار الوقت المناسب حسب إمكانات المكان، وحسب ظروفه، خلال اليوم الدراسي، أما أيام الدراسة فكانت تتراوح ما بين ثلاثة أيام وخمسة أيام، من كل أسبوع، حسب شرط الواقف، وكان هناك إجازات سنوية يحددها الواقف، وتتلق في الغالب والمناسبات الدينية التي تقام فيها شعائر دينية معينة، سواء كانت فرضا أم سنة^(١١٦).

ولم تخل الحياة المدرسية في أسيوط، كشأن كافة المدارس زمن المماليك، من ضروب الترويح عن النفس، فأقيمت بالمدارس، بين حين وآخر، حفلات لمختلف المناسبات العلمية، كختم البخاري، أو الانتهاء من تصنيف كتاب، وجرت العادة أن يقوم الداعي بإحضار الأطعمة من الحلوى والفاكهة، ويجلس الطلبة والشيوخ ومعهم الأعيان والقضاة، حيث يمشون بعض الوقت في حديث ومناقشات علمية مفيدة، وربما صرفت المدرسة على الحفل من أوقافها^(١١٧).

وكان إذا أتم الطالب دراسته، يحصل من شيخه على إجازة (الشهادة حاليا)، وهي بمثابة ورقة كتابية يجيزه شيخه من خلالها بالتقيا والتدريس، يذكر فيها اسم الطالب ومذبه وتاريخ الإجازة واسم مجيزها وغير ذلك^(١١٨)، وهذا النوع من الإجازات يكون غالبا في تخصص بالعلمه أو أكثر، ومن الأمثلة عليها ما ورد ببعض المصادر: من تلك الإشارات التي تفيد منح الشيخ سنان البوتيجي^(١١٩)، المتوفى سنة ٥٧١١/١٣١١م بأسيوط - إجازات لعلماء من الصعيد في

علم القراءات^(١١٠)، ولم تقتصر الإجازات آنذاك على هذا النوع، وإنما وجدت أنواع أخرى من الإجازات عرفها المعاصرون، منها الإجازة 'بعضية الكتب'، فإذا حفظ الطالب كتابا في الفقه أو أصول الفقه أو النحو، أو غيره من الفنون، يعرضه على أحد مشايخ العصر، فيختبره فيه، ويستقرأه في عدة مواضع متفرقة منه، فإن مضى فيها من غير توقف ولا تعلم، استدل من ذلك على حفظه للكتاب، وكتب له إجازة بذلك^(١١١)، ومن أمثلة هذا النوع: تلك الإجازة التي حصل عليها الصلاح الحميني السيوطي (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م)، من الشيخ، الزين العرقي، عندما عرض عليه كتاب 'العدة'، وأجازته له^(١١٢).

وهناك أيضا الإجازة بالمرويات^(١١٣) ويمكن أن نسميها الإجازة الحديثية أو إجازة الرواية، وهي عبارة عن إذن الشيخ لتلميذه بالرواية عن طريقه، وتكون بالسماع، أو أن الطالب قرأ على شيخه متنا من المتون، أو كتابا من كتب الحديث، فيجيزه بروايته، وأتوقع أن ذلك النوع من الإجازات كان يمنح بكثرة في أسبوط في تلك العصور، لاسيما وأنها خرج منها ونسب إليها كثير من رواة الحديث، ورحل إليها لسماع الحديث خلق من الأئمة والحفاظ^(١١٤). الأمر الذي يعكس معه توفر قاعدة علمية في أسبوط في هذا المجال منذ فترة قد تكون سابقة، لدرجة أن وجد بها نساء حافظات، كن يمتحن مثل هذه الإجازات، نخص بالذكر متهن هنا: بيت الشام بنت أبي صالح زواحة بن علي بن الحسين بن زواحة، التي عاشت في القرن السابع الهجري، وسمعت من أبي القاسم عبد الله بن الحسين بن زواحة الأرمين البدائية للمتلقي^(١١٥)، وغير ذلك، وحدثت عنه، وكانت تجوز بالرواية عنها، ويقال لها شامية^(١١٦).

وقبل أن تطوى الحديث عن الحياة التعليمية في مدارس أسبوط المملوكية؛ بغني أن تؤكد على أن الأوقاف كانت هي مصدر التمويل الأساسي، الرهين والمستديم، للصرف على هذه المدارس وضممان استمرار العملية التعليمية بها. فمن الثابت تاريخيا أن الأوقاف في العصر المملوكي هي التي تبنت أركان المدرسة، ودعمت نظامها، ومكنتها من القيام برسالتها^(١١٧)، وكان الربيع الذي تغله الأعيان الموقوفة على المدرسة، شهريا أو سنويا، نقدا أو عينا، هو ضمان استمرار العسل بالمدرسة، حيث تدفع منه مرتبات أرباب الوظائف بالمدرسة والطلبة، بالإضافة إلى الأصناف العينية التي تصرف لهم يوميا، فضلا عن المخصصات السنوية لهم في المواسم والأعياد^(١١٨)، وكل ذلك بالطبع حسب شروط لوائف.

ونتوقع أنه: ما من مدرسة بأسبوط، زمن المماليك، إلا وأخصصت لها أوقاف معينة من قبل مؤسسها للصرف على شئونها، وإن كنا، لسوء الحظ، لم نعر حتى الآن على وثائق أو حجج وقف نمثل منها على ذلك الأمر، إلا أن ما ذكره السيوطي^(١١٩) عن أحد أجداده من أنه: كان في صحبة الأمير شيخو، وبنى مدرسة بأسبوط، ووقف عليها أوقافا. لخبر شاهد على أن نظام الوقف على المدارس كان معولا به، في أسبوط، في العصر المملوكي.

ومن الشواهد الأخرى على ذلك ما أورده السخاوي^(١٢٠) عن الشيخ الصلاح الحميني السيوطي، محمد بن أبي بكر (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م) من أنه: ولى بعد سنة ٨٣٥هـ / ١٤٣١م تدريس 'مدارس بأسبوط وهي: الشريفة والغازية والبدرية الحضرية ونظرها، قدم يتم له ذلك'. فعنى تولىه نظر تلك المدارس، أي نظر أوقافها والإشراف عليها، وهذا يعكس أن تلك المدارس

خصصت لها أوقاف للصرف عليها، كما يعكس، معه أيضا، أن الإشراف على المدرسة لم يوضع، في كل الأحوال تحت تصرف المشرف على الوقف أو صاحبه، وإنما كان يعهد بذلك أحيانا لبعض المدرسين، فيجمع المدرس بذلك بين التدريس وبين نظر الأوقاف الموقوفة على المدرسة، أو بمعنى أدق: بين وظيفتي الإشراف العلمي والإداري^(١٧٧) على المدرسة. وهذا أمر طبيعي وكان متبعاً في كثير من مدارس مصر المماليكية^(١٧٨).

وختاماً: يمكن القول بناء على ذلك الطرح العلمي: إن مدارس إسبوت كانت في أوج نهضتها العلمية خلال العصر المملوكي، وإنها كانت بمثابة كليات إسلامية عالية ساهمت بشكل أو بآخر في تخريج أجيال من العلماء، كان لهم باع طويل في تشييط الحركة العلمية والمدرسية، ونشر الثقافة العربية والإسلامية خلال ذلك العصر، ويكفي أن تلك المدارس ظلت في صيرورة عطائها كمنارات للعلم به بلاد الصعيد، خلال العصر الجراكمي، على الرغم مما منيت به بلاد الصعيد، خلال ذلك العصر، من تدهور في الحياة الثقافية وإغلاق الكثير من دور العلم بها، نتيجة الفتن والاضطرابات التي كانت تموج بها تلك البلاد من جراء ثورات العريان، فضلاً عما أصاب البلاد من مجاعات وأوبئة وطواعين، وغير ذلك من مؤثرات سببية على الحركة التعليمية^(١٧٩). والمدقق في صفحات ذلك البحث؛ يجد أن كثيراً من المعطومات الواردة في ثناياه، عن الحياة التعليمية وعن العلماء بتلك المدارس، إنما تعود إلى العصر الجراكمي، الأمر الذي يحمل معه التأكيد، من جديد، على النهضة العلمية بتلك المدارس طوال العصر المملوكي.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

(١) ابن جلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إسماعيل عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٠م، ج ٣ ص ٤١٧، القلشندي: صبح الأعشى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٤، ٢٠٠٥م ج ١٠ ص ٤٥٨، ٤٥٩. جمال الدين الشبل: أول أسنن لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية، مقال منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مجلد (١١)، ١٩٥٧م، ص ١٣، ١٤ وأعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠١م، ص ١٢١، ١٣٧- أمن فؤاد سيد: المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي، بحث نُشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية الذي تضمن أبحاث تدوة المدارس في مصر الإسلامية التي عُقدت بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية في أبريل ١٩٩١م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص ١١٦، ١١٧.

Lane Poole (S.): A history of Egypt in the middle ages, London 1924, p.188.

(٢) الألب في العصر الأيوبي، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٠م، ص ١٨١، الألب في العصر المملوكي الدولة الأولى (٦٤٨هـ - ٧٨٣هـ)، الجزء الأول (ممثل في العصر واتجاهاته الفكرية والفنية) منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٥م، ص ١٣٣.

(٣) هو الخليفة الفائز بنصر الله عيسى أبو القاسم بن الخليفة الظاهر بأمر الله.

(٤) نصر جمعة محمد نصر: الحياة العثمانية في صعيد مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ١٩٩٤م، ص ٩٩، ١٠٠.

(٥) الوطواط: من مباحج الفكر ومناهج التعبير صفعات من جغرافية مصر، دراسة وتحقيق عبد العال عبد المنعم الشامي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨١م، ص ٩٤. محمد زغول سلام: الألب في العصر الفاطمي، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٢م، ص ١١٤.

(٦) المقرئ: تعاطف الحنقا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للثقوث الإسلامية، القاهرة ١٩٩٦م، ج ٣ ص ٢٣٨.

(٧) المقرئ: تعاطف الحنقا، ج ٣ ص ٢٣٩.

(٨) المقرئ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار أو (الخطط المقرئية)، مكتبة الآداب، القاهرة (د. ت)، ج ٤ ص ١٩٢، ١٩٣.

(٩) هو فتح بن مؤمن بن خضاد بن عبد الله بن علي بن عيسى، ولد سنة ٥٨٨/١١٩٢م بالجزيرة الخضراء بالأندلس، وغرف بالفنرى لأن والده نقله إلى قصر ابن عبد الكريم المعروف بقصر كتامة

- وعصره مقدار خمس سنين، فنشأ بالقصر، فلهذا نسب إليه (اليوناني: ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى ١٩٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ج ٢ ص ٣٢٧، ٣٢٨. الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام شمر، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٣م، ج ٤٩ ص ١٥٣، ١٥٤). وسوف يتم استكمال الترجمة لحياة ذلك الرجل وإسهاماته العلمية في جزء لاحق من هذا البحث إن شاء الله تعالى.
- (١٠) الحسيني: صلة التكملة لوفيات النخلة، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٧م، مج ٢ ص ٥١٨، ٥١٩. ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطنحاني وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٤هـ/١٩٦٤م، ج ٨ ص ٣٤٨. ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد العظيم خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند ١٩٧٩م، ج ٢ ص ١٨٥. السبوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، لبنان، (د. ت)، ج ٢ ص ٢٤٢.
- (١١) اليوناني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢٨.
- (١٢) أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، تحقيق محمد زاهد الكوثري، دار الجيل، بيروت ١٩٧٤م، ص ٢٣٣. الحسيني: صلة التكملة لوفيات النخلة، مج ٢ ص ٥١٨. اليوناني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢٨. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٩ ص ١٥٤. ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨ ص ٣٤٨. المنريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، ج ٢ ص ٢٩. ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج ٢ ص ١٨٥. السبوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢. وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٨م، ج ١ ص ٣٥٨.
- (١٣) الخطف، ج ٤ ص ١٩٢، ١٩٣.
- (١٤) اليوناني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢٨.
- (١٥) ساد نظام الإقطاع مصر في عصر الأيوبيين، وصارت أراضي مصر كلها تقطع للملطان وأمرانه وأجناده، وكانت الإقطاعات توزع على المقطعين مقابل خدمات مدنية يؤديها المقطع في إقطاعه، فضلا عن الخدمات الحربية التي يلتزم بها (محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا في عصر سلاطين الدولتين الأيوبيه والمملوكية، مطبعة الأمانة، القاهرة ١٩٨٧، ص ٥١).

- (١٦) التويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ، ج ٢٩ ص ٨٥. والأصمأل القوسية المذكورة كانت عملا متمسعا ينتهي آخره إلى أسوان البحر الديار المصرية في البر الشرقي والغربي، ويضم عدة مدن وقرى بالصعيد الأعلى، ومقر ولايته مدينة قوص الواقعة على الشط الشرقي للنيل (العربي: مسالك الأبصار في ممالك الأبحار، تحقيق أحمد عبد القادر الشاذلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي ٢٠٠٣م، ج ٣ ص ٤٩٩- القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٠٠، ٤٠١).
- (١٧) الصغدني: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤاوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م، ج ٢٧ ص ١٦٣، ١٦٤.
- (١٨) التويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٩ ص ٤٥٩. المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٥.
- (١٩) المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٥.
- (٢٠) المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٦ والملوك معرفة دول الملوك، ج ١ ص ٤٨٧ و ج ٤ ص ١٩١: ١٩٤.
- (٢١) ليونيللي: ذيل مرآة الزمان، ج ١ ص ٨٠. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٨ ص ٢٢٠. أبو المحاسن: التجويد الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٧ ص ٥٥.
- (٢٢) ابن كثير: البداية والنهاية، دار التلوي، القاهرة ١٩٩٩م، ج ١٣ ص ٢٠١.
- (٢٣) المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٩٦.
- (٢٤) ابن دساق: الانتصار بواسطة عبد الأبحار، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٠٩، ج ٤ ص ٩٢.
- (٢٥) المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٥.
- (٢٦) المقرئزي: الخطط، ج ٤ ص ١٩٣.
- (٢٧) مصطفى عبد الله محمد شحجة: دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة البيهنية، بحث نُشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٤٦٦.
- (٢٨) محمد أحمد محمد بيدي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٥٩، ٢٦٠.
- (٢٩) من مباح الفكر ومناهج العبر كصفحت من جغرافية مصر، ص ٩٤.
- (٣٠) الانتصار بواسطة عبد الأبحار، ج ٥ ص ٢٢.
- (٣١) صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٠٠.
- (٣٢) اعتبر الدكتور ضياء محمد جاد الكريم مبنى الفلأزية ضمن الآثار الدارسة، وأدرجه ضمن القائمة التي أعدها بهذا الخصوص في ملاحق كتاب (تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، ج ٤) (الآثار

الإسلامية والقيطية)، أسبوط ٢٠٠٨م، ص ٢٤٠) وعندما زرت المكان الذي كانت به المدرسة، تبين لي من سؤال القاطنين هناك أن ميناها كان قائما حتى سنة ٢٠٠٦م حيث شب فيه حريق، فأهمل، ثم هدم بعد ذلك، ويعد الآن بناؤه تحت مسمى "مجمع الغازية"، ولحسن الحظ عثرت على صور فوتوغرافية لهذا المبنى قبل أن يهدم، التقطتها الشيخ حسن سيد حسن البنديك، إمام الجامع الكبير (الأموي)، وحصلت منه - مشكورا - على نسخة منها، وأدرجت بعضها كملحق لهذا البحث، خشية ضياعها، خاصة وأنها لم تحظ بالنشر من قبل، وبإسهامة للفت نظر المهتمين بعلم الآثار إلى مثل تلك المعالم الأثرية المهمة، التي تحتاج عناية ودراسات متأنية لإماطة اللثام عن كثير من جوانبها الغامضة.

(٣٣) يقع هذا الجامع في وسط مدينة أسبوط تقريبا ويطل بواجهته الشرقية على شارع المحضر، وتطل واجهته الشمالية الغربية على شارع الجامع الكبير، ويشتمل جداره الجنوبي على فتحة باب نقصي إلى الميضاة التي تطل على شارع كوم الغزاة، وأسماها ذلك الجامع تدل على أنه من أوائل الجوامع التي أنشئت بمدينة أسبوط (ضياء محمد جاد الكروي: تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، ج ٤ ص ١٧).

(٣٤) سيد علي الطويجي السيوطي: مجمل تاريخ حاضرة الموصل أسبوط، ج ١ (المقال الموجز في مدينة أسبوط)، المطبعة الفاروقية بأسبوط، ١٩٤٩م، ص ٢. وكان سبب تسمية ذلك الممجد بالأموي، فلم أحظ بأية إشارة إليها في المصادر القديمة أو المراجع الحديثة، والذي يتبادر إلى الذهن من تلك التسمية أنها مرتبطة بيناله أو تجديده في العصر الأموي، وحسب ظني أن الأمر ليس كذلك، والأرجح أنه سمي بها في العصر المملوكي، نسبة إلى العالم الجليل نجم الدين أبو نصر الأموي الذي دزم زمانا بالمدرسة الغازية أمام ذلك المسجد، ثم غين قاضيا لأسبوط (البونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢٨) ومن غير المستبعد أنه ولى إمامة ذلك المسجد والنظر عليه، فأشهر ذلك المسجد بالأموي نسبة إليه.

(٣٥) السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢ - محمد زغلول سلام: الأدب في العصر الأيوبي، ص ١٨١ والأدب في العصر المملوكي، الجزء الأول (مدخل في العصر واتجاهاته الفكرية والفنية)، ص ١٣٣.

(٣٦) سيد علي الطويجي السيوطي: المقال الموجز في مدينة أسبوط، ص ٢.

(٣٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (د. ت)، ج ٧ ص ١٧٨ - التبر المسبوك في ذيل السنوك، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٨٩٦م، ص ٤١١، ٤١٢.

- (٣٨) هو الأمير أرفلجا الحشني الظاهري برفوق، رقي في الرتب إلى أن استقر به الظاهر رأس ثوية التوب في سنة ٨٨٤٢/١٤٣٨م، ثم نقله فيها إلى الأخوية الكبرى، فأقام فيها سنين، وكان ذينا متواضعا عفيفا، مات سنة ٨٨٥٣/١٤٤٩م بالمعاون (السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ٢١٦).
- (٣٩) سيد علي الطويجي السيوطي: المقال الموجز في مدينة أسبوط، ص ٤. ماهر أحمد مصطفى: صعود مصر في عصر المماليك الجراكسة، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٢٤٥. كوثر سيد عبد العال: الحياة العلمية والثقافية في أسبوط في عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك، نُشر ضمن تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، الجزء الثاني (العصر الإسلامي)، أسبوط ٢٠٠٨م، ص ٣٢٣.
- (٤٠) النظر: السيوطي: نظم العقبان في أعين الأعمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٤٠، ١٤١. ابن الجنصي: حوادث الزمان ووقيات الشيوخ والأقربان، تحقيق عبد العزيز فياض، دار الثقافة، بيروت ٢٠٠٠م، ج ١ ص ٦٠. خير الدين الزركسي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين والمستشرقين، دار العم للمالين، بيروت ٢٠٠٢م، ج ٦ ص ٥٧.
- (٤١) هو سراج الدين أبو حفص، عسر بن محمد بن علي بن قنوح، الدمشقي، مولده بعد سنة ٨٦٨٠/١٢٨١م، برع في النحو والقراءات والحديث والفقه، وكان جامعاً للعلوم، تزم وأقتى، وحديث عنه أبو اليمين البصري، مات سنة ٨٧٥١/١٣٥٠م (السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٢٣. ابن العاص الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٨ ص ٢٩٤).
- (٤٢) ابن حجر العسقلاني: إنباء القصر بأبناء العصر في التاريخ، تحقيق حميد حبشي. المجلس الأعلى للعلوم الإسلامية، القاهرة ١٩٩٨م، ج ١ ص ٢٠٧. ابن العاص الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٨ ص ٤٦٩).
- (٤٣) ابن حجر العسقلاني: إنباء القصر، ج ٤ ص ٢٢٣. السخاوي: الضوء اللامع، ج ١١ ص ١٥٥. وعن لقب الجعفري الزيتي، يقول المقرئ: إن العشيرة المعروفة ببني ثعلب التي نزلت بحرجة مير من أعمال سيوط، هم من الجعافرة الزيتية أولاد علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. وعرف بنو علي هذا بالزيتانية؛ لأن أمه السيدة زيتب بنت علي بن أبي طالب، ويقال: فيمن هو في بني ثعلب؛ الثعلبي الجعفري الزيتي (المقرئ: البيان والإعراب عما يارض مصر من الأعراب، مطبعة المعارف، مصر ١٩١٦م، ص ٣٩، ٤٠).

(٤٤) إنباء الغمر، ج ٤ ص ٢٢٣.

(٤٥) الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٥١، ١٥٥.

(٤٦) تبين تلك الاستنتاج من خلال زيارتي لتلك المكان، وغرقت من الناس هناك أنه كان يوجد به فعلا مسجد أو زاوية قديمة هُدمت وبني مكانها مسجد يسمونه مسجد الشريفة، وهم يعتقدون أن الشريفة هذه كانت ست صالحة، ومنهم من يقول إنها سمت خضرة الشريفة، وهناك ضريح لها بقرعة أعلى المسجد، وهو من دون شك اعتقاد خاطئ، والذي يقرأ تاريخ أسبوط خلال فترات لاحقة على العصر المملوكي يمكن له تبين صحة ما توصلنا إليه من استنتاج، فعلى سبيل المثال يقول عثمان فيض الله عند حديثه عن أسرة الخازندار: رب هذه الأسرة هو الحاج حسن الخازندار، وتبين في هذه الوثيقة في عهد محمد علي باشا، وكان منزله في صقع من مدينة أسبوط كان ينزل به الحكام والأشراف ويسمى درب الشريفة (حارة الخازندار الآن) ولا يزال البيت القديم قائما إلى اليوم. أي سنة ١٩٤٠م. (الطرق: مدينة أسبوط بحث في بيتها بين الماضي والحاضر، الهيئة العامة لتصور الثقافة، القاهرة، ط٢٠١٠، ٢٠١٠م، ص ١٨٩).

(٤٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨.

(٤٨) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج ٤ ص ٢٢٣، السخاوي: التبر المبيوك، ص ٨٦ والضوء اللامع، ج ١١ ص ١٥٥، ١٥٦.

(٤٩) ماهر أحمد مصطفي: صعيد مصر في العصر المماليك الجزائسية، ص ٢٤٤، ٢٤٥. قد يكون المسبب الذي جعل الدكتور ماهر يقول: إنه هو جلال الدين الألبشيهي أنه تعجل في نقل أول اسم أورده السخاوي ضمن مجموعة أشخاص حوت أسماءهم اسم جلال الدين، وكان من بينهم ابن شرف الدين عبد الوهاب الجعفري مدرس الشريفة بأسبوط، فالتيس الأمر على الدكتور الكريم واعتبر أن مدرس الشريفة هو جلال الدين الألبشيهي. حيث يقول السخاوي في ذلك: "جلال الدين) بن الألبشيهي في الألبشيهي، وابن الأسبوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي، وابن الأمانة عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عثمان، وابن الميرجي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن يوسف، وابن شرف الدين عبد الوهاب الجعفري الزينبي الأسبوطي مدرس الشريفة بأسبوط وهي من إنشاء ابن عم أبيه زين الدين، وكان قد ولي الحكم بها مرة، مات سنة سبع وأربعين، وابن الملقن عبد الرحمن بن علي بن عمر بن أبي الحسن و..... و..... الخ" (الضوء اللامع، ج ١١ ص ١٥٥، ١٥٦).

(٥٠) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٩ ص ٢٤٤.

- (٥١) ماهر أحمد مصطفى: سعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص ٢٤٥.
- (٥٢) في تقديرني أن الذي حدا بالدكتور ماهر إلى القول بهذا؛ تصوره للعبارة التي اختلفت بها السخاوي كلامه عن جلال الدين بن شرف الدين عبد الوهاب، في ثنايا كتابه الشبر المسبوك (ص ٨٦). وكرر الكلام نعمه في الضوء اللامع، ج ١١ ص ١٥٥) والذي اعتمد عليه الدكتور ماهر في توثيق مقولته هذه، على أنها عبارة موصولة بترجمة شرف الدين شارح المنار الذي ترجم له السخاوي عقب ترجمته لجلال الدين مباشرة في الصفحة ذاتها، فتلك العبارة يقول فيها السخاوي وكان قد ولى الحكم بها مرة- أي بأسبوط- وهنا ينتهي كلامه عن جلال الدين، وهذا هو الطبيعي، وللتحقق منه يمكن مراجعة كتاب إنباء الفسر (ابن حجر الصقلاني، ج ٤ ص ٢٢٣) وهو المصدر الذي نقل عنه السخاوي أصلاً العبارة المذكورة. لكن الدكتور ماهر قرأها موصولة بما بعدها، فصارت العبارة حسب قراءته وكأنها تقول: وولى الحكم بها مرة شرف الدين شارح المنار. الأمر الذي عكس لديه أن شرف الدين ولى التدريس بالمدرسة الشريفة، مع أن هذا أمر لم يحدث.
- (٥٣) المقصود بها إقليم شبه جزيرة القرم، وتقع جنوب أوكرانيا على البحر الأسود.
- (٥٤) أبو المحاسن: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤م، ج ٢ ص ١٤٢.
- (٥٥) الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨.
- (٥٦) الخطط التوثيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠، ج ١٢ ص ١٠٧.
- (٥٧) محيي الدين الطعسي: الذهب المنقوطة في تاريخ أعيان أسبوط، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٨م، ص ١١٩. ماهر أحمد مصطفى: سعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص ٢٤٥.
- (٥٨) ضياء محمد جاد الكريم: تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، ج ٤ ص ٦٤.
- (٥٩) ضياء محمد جاد الكريم: المرجع نفسه، ج ٤ ص ٦٤.
- (٦٠) ج ٧ ص ١٧٨.
- (٦١) محمد حمزة إسماعيل الحداد: العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفية والتخطيط المعماري للمدرسة في العصر المملوكي، بحث نُشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٢٧٧.
- (٦٢) انظر: بغية الوعاة، ج ١ ص ٤٧٢. التحدث بنعمة الله، تحقيق اليزابيث ماري سارتين، القاهرة ١٩٧٢م، ص ٥: ١١. حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٨٠، ٣٨١. نظم العقيان، ص ٩٥.

(٦٣) لأن والده هو كمال الدين أبو المناقب أبو بكر بن ناصر الدين محمد بن سابق الدين أبي بكر بن فخر الدين عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضير. وهذا النسب ورد في صدق لابن عم والده، نور الدين علي بن جمال الدين عبد الله بن سابق الدين أبي بكر (السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٥).

(٦٤) يقول ابن عبد الحق (ت ٨٧٣٩/١٣٣٨م) عن الخضرية إنها: محلة كانت ببغداد، في الجانب الشرقي، وكانت المحلة التي يستونها الآن الخضرية، مجاور مشهد الإمام أبي حنيفة، ويعرف بسوق خضير. (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبلد، دار الجبل، بيروت ١٩٩٦م، ج ١ ص ٤٧٢).

(٦٥) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٦٥. حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٩٠.

(٦٦) التحدث بنعمة الله، ص ٧. حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٩٠.

(٦٧) هو سيف الدين شيخو العسري، اشتراه الناصر محمد بن قلاوون وجعله من ممتلكه فعرف بالناصري، تدرج في المناصب إلى أن صار من كبار رجال الدولة، وعين في وثيقة رأس نوبة الأمراء سنة ١٣٥٤/٧٥٥م في سلطنة الناصر حسن الثانية، ولقب بالأمير الكبير، وقتل سنة ١٣٥٧/٧٥٨م (المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ١١٣: ١١٥. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢ ص ١١٥، ٢٣٣).

<http://Archivebeta.Salhit.com>

(٦٨) يقصد بتلك المدرسة خانقاه شيخو التي بخط الصليبية خارج القاهرة تجاه جامع شيخو (المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ٢٨٣ والسووك، ج ٤ ص ٢١٩. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢ ص ٢٣٣).

(٦٩) المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ٢٨٣ والسووك، ج ٤ ص ٢١٩.

(٧٠) المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ١١٥.

(٧١) المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ١١٤ والسووك، ج ٤ ص ١١٤: ١١٤.

(٧٢) المقريزي: السووك، ج ٤ ص ١٩٣.

(٧٣) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٧.

(٧٤) السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٩٠.

(٧٥) محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٥٥، ٢٦١.

(٧٦) الطالع المسعد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تطبيق سعد محمد حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٩م. على سبيل المثال لا الحصر ورد في ذلك الكتاب (ص ٥٨٠) أن خزانة الكتب بالمدرسة النجيبية بمدينة قوص كانت تحتوي على جملة كتب، من بينها كتاب يقع في ثلاثين مجلد .

(٧٧) عثمان قبض الله: مدينة أسبوط بحث في بيتها بين الماضي والحاضر، ص ٩٢.

(٧٨) زرت المنطقة التي كانت بها المدرسة الخضيرية، ووجدت تلك المدرسة قد فُتحت، وبنى الآن مكانها مسجد يسمونه مسجد الخضري أو الخضيرى. ولحسن الحظ لقد احتفظ لنا الدكتور ضياء محمد جاد الكريم بصور لمدرسة أو مسجد . على حد قوله . الخضيرية قبل أن تُهدم، ونشرها في كتاب تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، وللإطلاع عليها انظر الكتاب المذكور، ج ٤ ص ٦٥، ٦٦.

(٧٩) ضياء محمد جاد الكريم: المرجع نفسه، ج ٤ ص ٦٧ .

(٨٠) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨ . على مبارك: الخطط التوفيقية، ج ١٢ ص ١٠٧.

(٨١) المقال الموجز في مدينة أسبوط، ص ١ .

(٨٢) عثمان قبض الله: مدينة أسبوط بحث في بيتها بين الماضي والحاضر، ص ٢٠٩.

(٨٣) سيد علي الطوبجى: ملخص تاريخ فجر أسبوط، الإمام جلال الدين الشيخ عبد الرحمن السيوطي، مطبعة المثير بأسبوط، ط ١، ١٩٣٣م، ص ١٦، ١٦١.

(٨٤) سبط ابن العجمي: كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق شوقي شعث وأتاح البكور، دار القلم العربي بحلب، سورية ١٩٩٧م، ج ٢ ص ١٦٣، ١٦٤، السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ١٣٩، ١٤٠.

(٨٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ١٤١، ١٤٠.

(٨٦) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ١٢٥٠-١٢٥٠/١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٠م، ص ٢٣٨، ٢٣٩.

(٨٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ١٤١ و ج ١١ ص ٧٢.

(٨٨) يقصد كتاب "المضبوط في أخبار أسبوط"، وللأسف هذا الكتاب مفقود، وعلمت أن منه نسخة مخطوطة بمكتبة برلين بألمانيا محفوظة تحت رقم ٩٨٤٥ / ٥٧، فرأيت تلك المكتبة عبر موقعهم الإلكتروني، لطلب تلك النسخة، وجاءتني الإفادة أن رقم المخطوطة موجود بالفعل في الفهارس لديهم، لكن المخطوطة نفسها غير موجودة، وكان هذا ردهم نصاً: "Dear Dr. Al-

Kardousi,

Unfortunately, this manuscript is not in the state library. In the catalog it is mentioned only as an example for other manuscripts on this subject, but in Berlin we don't have this manuscript.

With best regards, T. Hanstein"

(٨٩) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ١٦.

(٩٠) ملخص تاريخ فخر أسبوط الإمام جلال الدين الشيخ عبد الرحمن السيوطي، ص ١٠، ١١.

(٩١) التحدث بنعمة الله، ص ٥.

(٩٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية،

القاهرة ١٩٩٢م، ص ١٦٦.

(٩٣) الانتصار بواسطة عقد الأمصار، ج ٥ ص ٢٤.

(٩٤) هي مدينة ومركز أوتوج الحالية، وتقع جنوبي مدينة أسبوط، وهي من المراكز المهمة بالمحافظة.

(٩٥) ماهر أحمد مصطفى: صعود مصر في عصر العماليك الجراكسة، ص ٢٤٦.

(٩٦) نظراً الأنقوي: الطالع السعيد، ص ٥٣٠ - ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة

الثامنة، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م، ج ٤ ص ٧. السنخاوي: الضوء التامع، ج ٢ ص ١٢٤، ٢٥٤

وج ٤ ص ١١٥ وج ١١ ص ١٨٢.

Mahamid (Hatim): Curricula and educational process in Mamluk (١٧)

Madrasas, Education Research Journal Vol. 1(7), December 2011,

<http://archivebeta.sakhr.net>

p.145, 146.

(٩٨) ابن الحاج: المدخل، بيروت ١٩٩٥م، ج ٢ ص ٤٥٨، ٤٥٩.

(٩٩) أمال رمضان عبد الحميد: الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية

الشرعية والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ٢٨٨.

(١٠٠) محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٥٦.

(١٠١) السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢. محمد زغلول سالم: الأدب في العصر الأيوبي، ص

١٨١ والأدب في العصر المملوكي، الجزء الأول (مدخل في العصر واتجاهاته الفكرية والفنية)،

ص ١٣٣.

(١٠٢) الحسيني: صلة التكملة لوحيات النقلة، مج ٢ ص ٥١٩. ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة

لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م، ج ٥ ق ١

ص ٥٣٣.

(١٠٣) نظم العقبان في أعيان الأعيان، ص ٩٥.

(١٠٤) كتاب في فروع الشافعية، للإمام أبي بكر: محمد بن أحمد الشاشي (ت ١١١٣/٥٠٧م)، صنفه لعدة الدين ولد المستظهر وهو: المسترشد الخليفة الفضل المتوفى سنة ١١٣٥/٥٢٩م، ثم اعتنى به العلماء فشرحه كثير منهم بعد ذلك، مثل ابن دقيق العيد (ت ١٣٠٢/٨٧٠٢م)، وتاج الدين الثاقلاني (ت ١٣٣٠/٨٧٣١م)، وعلاء الدين البغدادي (ت ١٣٤٠/٨٧٤١م)، وابن الملك (ت ١٤٠١/٨٨٠٤م)، وغيرهم (انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون عن أساسي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت)، ج ٢ ص ١١٦٩، ١١٧٠).

(١٠٥) المقصود بها التلحة البديرة، وهي في النحو، للشيخ أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٨٧٤٥/١٣٤٤م)، (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١٨١٨).

(١٠٦) تعرف أيضا بالمقدمة الأجزومية، ألفها أبو عبد الله بن محمد الصنهاجي المعروف بابن آجروم، المتوفى سنة ٨٧٢٣/١٣٢٣م، وتعتبر من أهم متون النحو العربي، وأهميتها تصدى لشرحها جهازة العلماء والتجاة قديما (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١٧٩٦).

(١٠٧) كتاب في علم الصرف لعمز الدين إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني (ت بعد ١٢٥٧/٨٦٥م)، وشرحه التفتازاني المتوفى سنة ٨٧٩٩/١٣٨٩م (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١١٣٨، ١١٣٩).

(١٠٨) هي أرجوزة أو قصيدة تعرف بالقرائن الرحيبية أو غلبة الباحث، وهي للشيخ صلاح الدين يوسف بن عبد التطيف بن الرحي الشافعي الحموي (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١٢١١).

(١٠٩) إيساغوجي: لفظ يوناني معناه الكليات الخمس: الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام، وهو: باب من الأبواب التسعة للمنطق، وصنف فيه جماعة من المتقدمين والمتأخرين، والمشهور المتداول منه كتاب (المختصر) المنسوب إلى أثير الدين الأبهري (توفي حوالي ٨٧٠٠/١٣٠٠م)، وهو مشتمل على ما يجب استحضاره من المنطق، ويسمى إيساغوجي مجازا من باب إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل، أو تسمية الكتاب باسم مقدمته وله شروح وحواش كثيرة (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١ ص ٢٠٦).

(١١٠) كتاب في المنطق لشمس الدين أبو الشتاء الأصبهاني، محمود بن عبد الرحمن بن أحمد، المتوفى سنة ٨٧٤٩/١٣٤٨م (ابن حجر الصقلاني: الدرر الكامنة، ج ٤ ص ٣٢٧، ٣٢٨).

(١١١) منظومة في علوم الحديث، المسماة للتبصرة والتذكرة في علوم الحديث، للإمام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦/١٤٠٣م، وهي مطبوعة الآن.

- (١١٢) قصيدتان في علم القراءات للشاطبي، القاسم بن فيره بن أحمد (ت ٥٩٠هـ/١١٩٤م)، إحداهما هي القصيدة اللامية أو "حزب الأملاني ووجه النهائي في القراءات السبع المثاني" وهي مشهورة للغاية ولها شروح كثيرة، وتعرف بالشاطبية، وعدد أبياتها ١١٧٣ بيتا (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١ ص ٢٤٦). والأخرى هي القصيدة الترددية أو "عقيلة أتراب القاصد في أسنى المقاسد"، وهي في بيان رسم المصحف (خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٤ ص ٣١١).
- (١١٣) في علم العروض والقافية؛ لصدر الدين محمد بن الحسن الملوحي (ت ٥٤٩هـ/١٣٤٨م)، ويوجد منها نسخة خطية بجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، تحت رقم ٣٩٥٥ / ٤١٦/ من.س.
- (١١٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٥٤، ١٥٥.
- (١١٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٣.
- (١١٦) يسمى هذا الكتاب أحيانا بسطور الإعلام في مباني الإيمان والإسلام، وهو من تأليف عمر بن موسى بن الحسن، الحمصي (ت ٨١٦هـ/١٤٥٧م)، ويوجد منه نسخة خطية محفوظة يقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، تحت رقم ١٤٧١ / ٢١٤/ من.ح.
- (١١٧) كوثر سيد عبد العال: الحياة العلمية والثقافية في أسبوط، نشر ضمن تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، الجزء الثاني (العصر الإسلامي)، ص ٣٢١.
- (١١٨) انظر: ص ١٥، ١٦.
- (١١٩) وذلك في سياق الحديث عن ظهور المدارس في أسبوط.
- (١٢٠) أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، ص ٢٣٣.
- (١٢١) ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨ ص ٣٤٨. السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢ وحسن المحاضرة، ج ١ ص ٣٥٨.
- (١٢٢) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٥ ص ١٣٤.
- (١٢٣) الذهبى: تاريخ الإسلام، ج ٤٩ ص ١٥٤. ابن قاضي شهبه: طبقات الشافعية، ج ٢ ص ١٨٥.
- (١٢٤) السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢.
- (١٢٥) الطالع السعيد، ص ٢٠٦.
- (١٢٦) الطالع السعيد، ص ٧٠٨. وانظر أيضا: الصفي: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد، وآخرون، دار الفكر، دمشق ١٩٩٨م، ج ٥ ص ٥٦٦. ابن حجر الصقلاني: الدرر الكامنة، ج ٤ ص ٤١٩.

(١٢٧) إطفيح: إحدى مراكز محافظة الجيزة، يقع على الضفة الشرقية من النيل في مواجهة مركز العياط، وكانت في عهد المماليك، تعرف باسم الأعمال الإطفيحة.

(١٢٨) السيوطي: يتحدث بنعمة الله، ص ٨.

(١٢٩) انظر مثلاً: السخاوي: الضوء اللامع، ج ١١ ص ٧٢، ٧٣. السيوطي: بغية الوعاة، ج ١ ص ٤٧٢

وحسن المحاضرة، ج ١ ص ٣٨٠، ٣٨١ ونظم العقيان، ص ٩٥. ابن أبياس: بدائع الزهور في وقائع

الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م، ج ٢ ص ٢٨٩.

ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٩ ص ٤١٥، ٤١٦. علي مبارك: الخطط التوفيقية،

ج ١٢ ص ١٠٦.

(١٣٠) يتحدث بنعمة الله، ص ٧ : ١٠.

(١٣١) هو الفقيه إبراهيم بن خضر بن أحمد، الشافعي، القصورى الأصل، نسبة إلى القصور قرية

بالصعيد، ولد بالقاهرة سنة ٥٧٩٤/١٣٩٢م، ومات سنة ٨٨٥٢/١٤٤٨م (السيوطي: نظم العقيان،

ص ١٥، ١٦).

(١٣٢) هو محمد بن علي بن محمد بن يعقوب بن محمد القايي، الشافعي، قاضي القضاة بالديار

المصرية، ولد في سنة ٥٧٨٠/١٣٧٨م، وقيل سنة ٥٧٨٥/١٣٨٣م. كان إمام عصره في العلوم،

تولى التدريس بعدة مدارس، مات سنة ٨٨٥٠/١٤٤٦م (السيوطي: نظم العقيان، ص ١٥٤).

(١٣٣) كان لكل قاضي قضاة أعوان يتوبون عنه في مصر والقاهرة يسمون التواب من الحكام (محمد

قديبل البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، نُشرت كمنحق لكتاب صبح الأعشى (ج ١٥)، القاهرة

٢٠٠٦م، ص ٣٥٣). وبالطبع كان للقضاة بالأقاليم، ومن بينها أسبوط، أعوان يتوبون عنهم، مثل

مصر والقاهرة تماماً، ويطلق على كل منهم نائب الحكم، ومن الأمثلة على ذلك فيما يخص أسبوط

أن والد جلال الدين السيوطي تولى بها الحكم نيابة (السيوطي: يتحدث بنعمة الله، ص ٨).

(١٣٤) أمال رمضان عبد الحميد: الحياة العثمانية في الإسكندرية في العصر المملوكي، ص ٢٩٥.

(١٣٥) الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٣.

(١٣٦) هناك أكثر من شخص عرف بالشهاب السخاوي، ونرجح أن المقصود هنا هو الشهاب ابن موني

السخاوي المالكي، أحمد بن محمد بن زين، الذي برع في العربية والفقه وأصوله وغيرها وتصدى

للإفتاء بأبوتيج (إحدى مدن أسبوط) وكان مقبلاً بها والقاهرة، وعثر بحيث جاز التسعين أو

قاربها، ومات في سنة الثمانين وستين وثمانمائة (السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢ ص ٢٥٤، ٢٥٥،

٢٦٢).

(١٣٧) كتاب المجموع في علم الفرائض. للشيخ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن شرف الكلبي، الشافعي المتوفى سنة ٥٧٧٧/١٣٧٥م (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١٦٠٥، ١٦٠٦).
 (١٣٨) ترحم السفاوي لاثنتين كل منهما يعرف بالشهاب العجمي، أولهما أحمد بن عبد الله الشهاب العجمي الحنبلي، أحد الفضلاء الأتقياء، أخذ عن شيوخ عصره، ومهر في العربية والأصول وقرأ في علوم الحديث، ولازم الإجراء والاستقلال في الفنون، ومات عن ثلاثين سنة بالطاعون في رمضان سنة تسع بالقاهرة. أما الثاني فيقول عنه السفاوي "هو أحمد بن محمد الشهاب العجمي الصوفي بالخلفاء السرياقوسية، قرأ على شيخنا الترمذي في سنة أربع وأربعين وبلغ له بالشيخ، وكان متوددا، مات فيما أظن بعد المئتين" (النظر في الضوء للامع، ج ١ ص ٣٧٢ وج ٢ ص ٢١٧). وإن كان المنهجي السيوطي تعلم على يدَي الشهاب العجمي، فأكبر الظن أنه الشهاب العجمي الحنبلي، المذكور أولا، لأن الواضح من سياق الترجمتين أن الأول منهما هو الذي اشتغل بالعلم والتدريس.

(١٣٩) كوثر سيد عبد العال: الحياة العلمية والثقافية في أسبوطا، ص ٣٢١.

(١٤٠) الطالع السعيد، ص ٧٢٦ : ٧٢٨.

(١٤١) طما: مدينة بالمسعيد، تلح غرب النيل، شمال طهطا وجنوب صدفا، وتتبع الآن محافظة سوهاج.

(١٤٢) السفاوي: الضوء للامع، ج ١ ص ٦١٥.

(١٤٣) السفاوي: الضوء للامع، ج ٧ ص ١٧٧، ١٧٨.

(١٤٤) السفاوي: الضوء للامع، ج ٧ ص ١٣.

(١٤٥) الطالع السعيد، ص ١١٨. وانظر أيضا، الصفي: أعيان العصر وأعيان التصر، ج ٤ ص ٤١٩.

(١٤٦) قرية تسمى أيضا أسفون، وتتبع حاليا مركز إسنا في محافظة الأقصر. وكانت في العصر

المملوكي تابعة للأعمال القوسية (ابن دلقاق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج ٥ ص ٣٠).

(١٤٧) ابن جماعة: تذكرة المشايخ والمنكلم في أدب العالم والمنكلم، تحقيق عبد السلام عمر علي

الجزائري، مكتبة ابن عباس، مسعود، مصر ٢٠٠٥م، ص ٢٦٠. القفشدلي: صبح الأعشى، ج ٥

ص ٤٦٤.

(١٤٨) للمزيد حول طبيعة عمل المعيدين ومهامهم في العصر المملوكي، وأسس اختبارهم، وتوليتهم،

وتحديد أعدادهم، وإقامتهم بالمدارس، ودورهم في إثراء الحياة العلمية، وشغل بعضهم وظائف

أخرى بجانب الإعادة، وعزلهم وتلزل بعضهم عن الإعادة وأسباب ذلك، والمناصب التي شغلوها

- بعد الانتهاء من الإعادة، (النظر: محمد أحمد محمد الكردوسي: الإعادة بمدارس مصر المملوكية، بحث منشورٌ بمجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد (٤٠)، أكتوبر ٢٠١١م، ص ٥٠: ١٥٩).
- (١٤٩) النظر: ابن جماعة: تَذَكُّرُةُ السَّامِعِ وَالْمُتَكَلِّمِ، ص ٢٢٩: ٢٣٢ - ابن السبكي معبد النعم ومبيد النقم، دار الحدائق، بيروت ١٩٨٥م، ص ١٠٨.
- (١٥٠) عفاف سيد محمد صيره: المدارس في العصر الأيوبي، بحث نُشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص ١٩٠.
- Mahamid (H.): Curricula and educational process in Mamluk Madrasas, p. 148.
- (١٥١) النظر: محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص ٢٤٩: ٢٥١.
- Mahamid (H.): Curricula and educational process in Mamluk Madrasas, p. 146.
- (١٥٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ١٦٣ - محمد أحمد محمد بديوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٦١.
- (١٥٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٢٢: ٣٢٦. سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري، ص ١٦٢، ١٦٣.
- (١٥٤) هو سليمان بن أبي الطاهر بن أبي القاسم بن عبد الكريم البوتيجي، المقربى الضير، كان مقرباً موجوداً مشهوراً بالدين والصلاح، ومات بأسيوط في آخر سنة ٨٧١١/١٣٩١م أو أول السنة التي تليها (ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ١٥٣).
- (١٥٥) لطالع السعيد، ص ٥٣٠، ٧١٧، ٧٢٠، الصفي: أعيان العصر، ج ٤ ص ٤٩١ والواقفي بالوفيات، ج ٣ ص ١٩٨ - ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٤ ص ٧ - السيوطي: بغية الوعاة، ج ١ ص ١٥٨.
- (١٥٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٢٧ - سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري، ص ١٦٣.
- (١٥٧) المخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨.
- (١٥٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٢٢.
- (١٥٩) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ١٥. من المحدثين المشهورين يعزو الإسلام، الذين رحل إليهم الناس لسماع الحديث منهم بأسيوط: زين الدين عبد الرحمن بن أبي صالح روضة بن علي بن الحسين بن مظفر بن نصر بن روضة الأنصاري الحموي الشافعي، (ت ٨٧٢٢/١٣٢٢م)، منع

- من جدّه لأنه أبي القاسم بن راحة، وصفية القرشية (الذهبي: العبر في خبر من غير، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن يسوي زغول، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ج ٤ ص ٦٥، ٦٦ - العربي: مسالك الأبصار في ممالك الأبصار، ج ٢٧ ص ٥٢٨ - الصفي: أعيان العصر وأعيان النصر، ج ٣ ص ٢٦، ٢٧ والوافي بالوفيات، ج ١٨ ص ٨٧ - المقرئ: المنوك، ج ٣ ص ٥٦ - ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٣٢٨ - السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١ ص ٣٣٨).
- (١٦٠) هو الحافظ أبو طاهر المتوفي: أحمد بن محمد الأصبهاني (ت ٥٢٦/١١٨٠م)، من أهل أصفهان، رحل في طلب الحديث، وكتب تعليقات وأمال كثيرة، وبني له الأمير العادل (وزير الخليفة الظاهر الفاضل) مدرسة في الإسكندرية سنة ٥٤٦/١١٥١م فإقام إلى أن توفي فيها. وكتب الأربعين البدائية، من تأليفه، وهو المسمى الأربعين المستغني بما فيه عن المعين، وهو في علم الحديث، حفظه عبد الله ربيع، وطبع بمكتبة دار البيروني بدمشق سنة ١٩٩٢م.
- (١٦١) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ١٢٦.
- (١٦٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ١٦٣.
- (١٦٣) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ١٤٠، ١٤٦، ٢٤٠. محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٦١، ٢٦٢.
- Haarmann (Ulrich): "Mamluk Endowment Deeds as a Source for the History of Education in Late Medieval Egypt", in al-Abhath/American University Of Beirut, Vol. 28, 1980, P. 34.
- (١٦٤) التحدث بلغة أفد، ص ٧، حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٩٠.
- (١٦٥) الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨.
- (١٦٦) عفاف سيد محمد صيرة: المدارس في العصر الأيوبي، بحث نشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، ص ١٨٢.
- (١٦٧) انظر على سبيل المثال، الثوري: نهاية الأرب، ج ٣١ ص ٩٥ - السخاوي: الضوء اللامع، ج ١ ص ٦٣.
- (١٦٨) ماهر أحمد مصطفى: صعود مصر في عصر المماليك الجركسة ص ٢٤٣، ٢٤٤.

ملحق عبارة عن مجموعة صور للمدرسة الطائرية قبل هدمها
من تصوير الشيخ حسن سيد حسن النذّاك، إمام الجامع الكبير (الأموي)

١- باب ومدخل الطائرية



٢. الفانوية من الخارج



٣. الفانزية من الداخل



الصراعات الداخلية الحبشية في العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية من خلال المصادر الحبشية

(٨٣٨-٩٤٧هـ/١٤٣٤-١٥٤١م)

د. محمد أحمد محمد بهنساوي (*)

واجه أباطرة الأسرة السليمانية، في العصر الثاني لها، العديد من الصراعات والثورات الداخلية في البلاد، وذلك نتيجة فترة الاضطرابات السياسية التي جاء على خلفتها الإمبراطور زره يعقوب Zar'a Y'aqob (٨٣٨-٨٧٣هـ/١٤٣٤-١٤٦٨م) على عرش البلاد، ولقد روي قبل الخوض في هذا الموضوع: إعطاء نبذة مختصرة عن هذه الصراعات التي سادت في العصر الأول (٦٦٩-٨٣٨هـ/١٢٧٠-١٤٣٤م) من حكم هذه الأسرة.

بعد الصراع الداخلي بين أمراء الأسرة الزنغوية^(١) (٣٢٩-٦٦٩هـ/٩٤٠-١٢٧٠م) أحد أهم العوامل التي أدت إلى سقوط هذه الأسرة، وليس أدل على ذلك من قيام مذبحه كبيرة بين أعضاء الأسرة الحاكمة، في دبرا دامو Debra Damo، في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وذلك أثناء حكم الملكة (جوديت- إسترا-Esthera)^(٢) (٣٢٩-٣٧٠هـ/٩٤٠-٩٨٠م) اليهودية الأصل، وقد استمرت مثل هذه الصراعات والثورات الداخلية في ظل تولي ملوك من ديانات مختلفة على رأس المملكة^(٣)، لذا أنشأ الملك (لابيالا-Lalibela)^(٤) (٥٨٥-٦٢٢هـ/١١٩٠-١٢٢٥م) صرخاً كبير ليحجز فيه أبناء الأسرة الحاكمة لتلافي الصراعات فيما بينهم، وهو ما أطلق عليه المسجون الملكي أو أمبا جيشن^(٥) حيث استمر هذا التقليد بين أباطرة الحبشة عامة، حتى بدايات العصر الحديث^(٦).

وعلى الرغم من وجود هذا المسجون الملكي، إلا أن هناك العديد من الإشارات، في بطون المصادر الحبشية، التي تدل على استمرار وجود مثل هذه الصراعات والثورات في عصر الأسرة السليمانية عامة، تزداد حدتها بصفة خاصة عند اعتلاء كل إمبراطور جديد عرش المملكة الحبشية^(٧)، فالإمبراطور (أو ملك الملوك) هو رأس الحكم، ونظامه ملكي استبدادي، يستند حكمه إلى حق أبيه ورثه بتسلسل عن منليك الأول (طبقاً للأسطورة المعروفة)^(٨)، وهو يرث الحكم عن أبيه، ولكنه لم يكن ثلثين الأكبر بقدر ما كان ثلثين الأقوى^(٩)، وربما يمكن التناوب على صحة هذا الرأي بالإشارة إلى فترة حكم ييجيبا صيون Yagba soyan (٦٨٤-٦٩٤هـ/١٢٨٥-١٢٩٤م) والذي كان له خمسة أبناء اتفق معهم أن يحكم البلاد كل منهم لمدة عام بالتناوب^(١٠)، إلا أن آخر أبنائه، والذي يدعى سابا أسجد Sab'a Asgad (٦٩٨-٦٩٩هـ/١٢٩٨-١٢٩٩م)

(*) باحث حاصل علي درجة الدكتوراه.

لم يصبر حتى تنتهي نهاية فترة حكم أخيه (جين أسجد Djin Asgad ٦٩٧-٦٩٨هـ/١٢٩٧-١٢٩٨م)، فدير مؤامرة لتقبض عليه وأخوته الآخرين، إلا أنه لم يعيش طويلاً^(١١١). كما أن جديبا صيون نفسه قد وُثِرَ الحكم عن أبيه بكونه أملاكه، برغم أنه أصغر أبنائه، حيث تمكن من سجن أخوته جميعاً^(١١٢). وفي نفس الصدد أيضاً فقد استطاع ونم بن سيف أورد Wedem Sayfa Ar'ed (٧٧٤-٧٧٤هـ/١٣٧٣-١٣٨٢م) أن يأخذ الحكم من أخيه داود Dawit I (٧٨٤-٧٨٤هـ/١٣٨٢-١٤١١م) برغم صغر سنه^(١١٣)، وهكذا فإذا اعتلى أحدهم العرش لا يمكنه الاستمرار في الحكم إلا بمقدار قوته وقدرته على المحافظة عليه من الطامعين^(١١٤).

أما في الحالات التي كان يتوفي فيها الإمبراطور دون ترك وريث ذكر، كانت القوات الملكية فور موت الإمبراطور تسرع إلى السجن الملكي لاختيار الأمير الشاب الذي يتولى عرش المملكة، والذي غالباً ما يكون أخو الإمبراطور السابق^(١١٥). ويلاحظ أن انتقال الحكم من عائلة حاكم إلى شقيقه كان يعد حادثاً مهماً في البلاد يستلزم إحضار هذا الأخ من فوق جبل الأمراء أمبا جيشاً ليتوج بدلاً من الإمبراطور الراحل^(١١٦).

ولم يكن موت الإمبراطور هو السبب الوحيد لوجود الصراعات بين أعضاء الأسرة الحاكمة على العرش، بل كان هناك العديد من محاولات اغتصاب العرش بالقوة أثناء حياة الإمبراطور، فهناك ثلاث محاولات لانتزاع الحكم في أوائل حكم الأسرة المسميتية، حتى عهد الإمبراطور (داود)، فالتقاء حياة هذا الإمبراطور لشارات مصادر القديسين الأقباط إلى أن القديس (ماري) St. Mary جمع حوله العديد من رجال الدين، واستقر رأيهم على وجوب تنازل (داود) عن العرش لابنه (توبودوس)^(١١٧)، وقد استعان (داود) ب(العقابي ساعات سبجاقا) Saraqa في دير حيق، وبعض قادة الجيش الذين طلبوا التطوع والسماح من القديس (ماري) الذي وافق وسامحه، بل أنه صلي من أجله، وتتفق تلك المصادر على أن (العقابي ساعات) مات في عام ١٤٠٣م، أي أن هذه الواقعة حدثت قبل هذا التاريخ الذي أدى فيها (العقابي ساعات) دوراً رئيساً في استقرار المملكة فترة من الوقت، فقد أبقى (داود) على عرشه ما لا يقل عن سبع سنوات كاملة^(١١٨).

وهكذا بنت المملكة الحبشية على شفا هاوية عندما اعتلى الإمبراطور زرة يعقوب عرشها، ليقوم بأعظم عملية ترميم في بناء المملكة المتداعي في العصور الوسطى. ويبدو أنه ليس من الواضح في شيء أن نعد زرة يعقوب أول المتوك المصلحين الذين عملوا على إنقاذ المملكة، إذ وجد من الذين تعاقبوا على عرش المملكة الحبشية من أحصوا بخطرورة الموقف ورغبوا في الإصلاح، لاسيما الإمبراطور (عمدا صهيون الأول) الذي أطلقت عليه المصادر المختلفة المؤسس الحقيقي للأسرة المسميتية^(١١٩).

أما عن الصراعات والثورات الداخلية، التي قامت في العصر التالي من حكم الأسرة المسميتية، فهي تختلف عما نقرأه في كتب التاريخ المختلفة، فلم تكن ناتجة عن تمرد الشعب بسبب فرض المزيد من الضرائب، وسوء الأحوال الاقتصادية وكثرة الحروب الداخلية، بقدر ما

كانت نابعة من الأطماع الداخلية في الاستيلاء على العرش، من قبل أعضاء الأسرة الحاكمة، وبعض كبار النبلاء ورجال الدين .

وقد اختلفت الأسباب التي أدت إلى قيام مثل هذه الدسائس تبعاً لأحوال كل عصر، إذ يشير النص الملكي الحبشي في عهد (زرع يعقوب) إلى كثرة الارتعاد والخوف الذي كان في أيامه؛ نتيجة قوة حكمه وفضاله تحت ستار الشرعية الدينية^(٢١)، حتى إن كبار القادة حين يدخلون عليه لإلقاء كلمة، كانوا يسجدون على ركبهم، ويقبلون الأرض خوفاً وارتعاداً كلما سمعوا صوت الإمبراطور^(٢٢).

أما الثورات والتمردات الداخلية التي عاصرت (ينيد ماريام ٨٧٣-٨٨٣هـ/١٤٦٨-١٤٧٨م) فقد كانت على العكس من ذلك تماماً، إذ كانت نتيجة مناخ الحرية الذي جاء به الإمبراطور، وأحسن به الشعب، بعد ظلم مرير إيان عصر أبيه، مما سمح للشعب بغزو الأصوات التي صمعت طويلاً، بينما يشير النص الملكي الحبشي، في عهد الإمبراطور (الأكستندر ٨٨٣-٨٩٨هـ/١٤٧٨-١٤٩٢م) إلى تطع بعض رجال الدين إلى إدارة شئون المملكة^(٢٣)، فضلاً عن قيام المنازعات بين كبار مسئولى المملكة، بسبب صغر سن الإمبراطور، وعدم داريته بالحكومة وشئون البلاد^(٢٤).

وهكذا ازدادت الصراعات السياسية في ظل صغر سن أباطرة هذه الفترة، مما أدى إلى تطع بعض رجال الدين إلى التدخل في الأمور السياسية، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسية في فترة حكم (عمدا صيهون الثاني ٨٩٨-٨٩٩هـ/١٤٩٢-١٤٩٣م) والتي اشتهرت - برغم قصرها - باشتعال الحروب الأهلية، ورافقة الذمء بين النصارى وانتصار عمه الإمبراطور (تلاؤود ٩٠٠-٩١٤هـ/١٤٩٤-١٥٠٨م) الذي تولى الحكم من بعده، لقد أستطاع أحد رجال الدين، ويدعى (تكلا كرسوس)، إثارة الشعب ضده، وكانت الثورة أن تهلك البلاد لولا نهايته السريعة^(٢٥).

والملاحظ أن هذه الثورات اختلفت تقريباً بشكل كبير في عهد الإمبراطور لبنا دنجل، ٩٦٤-٩٤٧هـ/١٥٠٨-١٥٤١م، بسبب انشغال عهده بالحروب مع المسلمين^(٢٦)، أما عن أحداث هذه الصراعات والدسائس، فسنناولها بشر من التفاصيل في الفقرات التالية :-

١- في عهد (زرع يعقوب ٨٢٨-٨٧٣هـ/١٤٢٤-١٤٦٨م) :

وضع أغلبية المؤرخين والرحالة (زرع يعقوب) كواحد من أقوى أباطرة الحبشة في العصور الوسطى، إذ لم يوضع أحد مقامه سوى الإمبراطور (عيزانا) كأقوى أباطرة الحبشة، وعلى الرغم من ذلك؛ فإنه يصعب تصور عدد المؤامرات والدسائس التي قامت في عهده، وقد أورد بعض الباحثين أن سبب هذه المحاولات هو: التحراف هؤلاء عن الإيمان الصحيح بالعقيدة النصرانية، لذا جيكت الدسائس، وقامت الثورات من جانب أبنائه وبناته وأزواج بناته، بالإضافة إلى رجال البلاط، وبعض رجال الدين، وذلك في محاولات عديدة لإقتضاله عن عرشه^(٢٧)، وذلك على النحو التالي:-

١- الثورات التي قامت من جانب الأسرة والبلطاق الملكي :

على الرغم من أن الإمبراطور أعطى ثباته بعض المناصب السياسية والإدارية كحكام لبعض المقاطعات، إلا أنه لم يردن للتصرف في هذه المقاطعات وكأنها مستقلة عن البلاد، و تشير المصادر الحبشية إلى التمرد الذي قام به البحث ود (عامد مسقل) الذي دعى فيما بعد باسم (عامد الشيطان) وهو زوج ابنة (زرع يعقوب) التي تدعى (برهان زمدا)، وكانت جريمته الأساسية، وشاية وصلت إلى الإمبراطور بأنه يظلم الناس ويتمرد، إلا أن المؤرخ الملكي يروي أن جريمته الأساسية أنه تزوج سرا بامرأة أخرى، بمساعدة "الصاسرجوية" (حامل الزينة الملكية) الذي يدعى (أمخا إياسوس)، فما كان من الإمبراطور إلا أن عقد مجلسًا عسكريًا، وكشف أمام قاضيه جرائم (عامد مسقل) وانتهى المجلس إلى الحكم عليه بالإعدام، إلا أن مؤرخ البلاط يذكر أنه تم نفيه - (عامد مسقل) - إلى مكان لا يعلمه إلا الإمبراطور، كما تم عقاب بعض رجال الدين الذين ساعدوه على ذلك، مثل (النيورايد نوب) - حاكم أكسوم - في دير دامو وأعدم معه^(١٧).

وتشير المصادر الحبشية أيضًا إلى أكبر حركة تمرد في عصر (زرع يعقوب) وهي تمرد البحث ود (إيساياس Isaias) الذي كان أيضًا زوجًا لإحدى بنات الإمبراطور (ادل منجشا)، وكان (إيساياس) حاكم منطقة تجرى وبعد زواجه من ابنة الإمبراطور تم تعيينه في منصب البحث ود، وقد استطاع إقناع حاكم مقاطعة جنبي بالاشتراك معه في التمرد، ومما زاد من خطورة هذه الثورة، انضمام بعض فرق الجيش وقواته مثل (بدل ونبي) الذي كان رئيس فرقة الشباب، ورئيس فرقة الجان بنو، و (بدل كفت) رئيس فرقة الصراحييت، وقد أراد هؤلاء المتمردون تعيين بعضهم في مناصب أعلى في الحكومة الإمبراطورية، وإبعاد بعض من وصفوه بالفاسدين عنها، إذ طلب (إيساياس) أن يكون حاكمًا لمقاطعة جوجام وجنبي معًا، وعندما رفض الإمبراطور طلباتهم، بدأت هذه القوات في أحداث عمليات شغب في أرجاء المملكة، وعلى الرغم من فشل بعض قادة القصر في التخلص منهم، إلا أن القوات الملكية استطاعت السيطرة عليهم، كما أثرت ضدهم بعض الدعاية المسيئة، فراح مؤرخ البلاط ينسب قيام زعمائهم ببعض الأفعال المنافية للأداب، حيث يشير النص الحبشي إلى أن (بدل ونبي) قد زنى بامرأة أبيه، كما كان تزوج أخته (حرب سجد) نفس العلاقة معها، وكلاهما يعلم^(١٨).

على أن أمر هذه الدسائس والمؤامرات لم تلق عند حد بنات الإمبراطور وأزواجهن، بل امتد ليشمل أولاد الإمبراطور الذكور، فيحكي (زرع يعقوب) نفسه في كتاب "مصنف ميلاد" عن أولاده (جلابوس) و (عامد ماريام) الذين اتجها بمساعدة أميها إلى السحرة والعرافين، وأجبروها على تقديم القرابين للشيطان، بل وصل الأمر إلى الاتفاق فيما بينهم على أن يأتي (جلابوس) ببعض مؤلفات أبيه "طومار نصبت" - مصنف برهان - لحرقها، وذلك في مقابل الاعتراف به ملكًا على البلاد، وقد تم الكشف عن هذه المؤامرة، وعاقبها الإمبراطور بالضرب بالسوط، فمنهم من عاش ومنهم من مات^(١٩).

كما ثار أيضًا (بنيد ماريام) ابن (زرع يعقوب) بمساعدة أمه، وذلك في السنوات الأخيرة من حكم أبيه، بعد أن شعر بطول فترة حكم أبيه وارتغبه الجاسحة في تولي الحكم، إلا أن هذه

المؤامرة قد تم الكشف عنها أيضاً، و أمر الإمبراطور بربط يدي وقدمي ابنه (بنيد ماريام) وجلده حتى كاد أن يهلك هو وخالده (محاري كرسستوس (Mahari Krestos) لولا شفاعته بعض رجال الدين، وعلى رأسهم كل من: رئيس دير ليبابوس Dabra Libabos ، ودير كاسوا Dabra Kaso وأب الرحيم (أبو فير) التابع لدير اندجيطن، فأطلق الإمبراطور مراحه و أنعم عليه بمنحه بعض المناصب الشرفية^(٢٢٠).

وهكذا ذكرت المصادر الحبشية ترمذ أولاد وبنات الإمبراطور، و ذكرت أسماء من تمردوا من أبناء الإمبراطور، إلا أنها لم تذكر أسباب تمردهم بشئ من التفاصيل، كما ذكرت عقابهم أمام الناس، ليرى بأنفسهم ماذا يفعل الملك بأبنائه من أجل المسيح، إذ يفهم من ذلك اتجاه البعض منهم لعبادة الأوثان أو لدين آخر، وهو الأمر الذي يقضي إلى عقوبة الموت^(٢٢١).

ب- تمرد بعض رجال الدين :

لم تقتصر تلك الثورات داخل العائلة الملكية فحسب، بل امتدت لتشمل بعض رجال الدين ورؤساء الأديرة الذين أرادوا تحية (زرع يعقوب) عن العرش وتولية غيره، وقد وصف مؤرخ البلاط هؤلاء بالرجال الأشرار الذين يدعون (تعاوق برهان) و (زرع صهيون)^(٢٢٢). والجدير بالذكر أن هذا التمرد اشترك فيه بعض حكام المقاطعات، وبعض الرهبان مثل الأب (أندريوس Abba Indiriyas) رئيس دير ليبابوس، والملاحظ أن كاتب النص لم يذكر معلومات دقيقة حول هذا التمرد، ربما يرجع ذلك إلى أن الطبيعة السياسية لأعمال الإمبراطور شغلت المؤرخ بما سجل من مثل هذه الأحداث، فينكر أن الملك وحده يعرف قصة هؤلاء الحقيقية، وفضل عدم إعلان التهمة الموجهة لهم سوى أنهم كانوا يعبدون الأوثان، كما أن أمهاتهم كن سبياً في ضلالتهم إلى السحر الأسود، فضلاً عن ادعائهم باطلاً أن الإمبراطور قام بتجنيد جيش من الجواسيس في أنحاء المملكة، يسكنون ببعض أفراد الشعب ليحفظوا أتوفهم بمسامير حديدية وجمعوا مئاهم في أوعية كبيرة ثم يتم غليه، وعندما يبرد يدهن به الإمبراطور جسده^(٢٢٣)، على أن (زرع يعقوب) قد نفى عن نفسه هذه الشائعات التي وصفها بالبهلاء^(٢٢٤).

ومن خلال سيرة حياة القديسين نتعرف على بعض الطرق التي لجأ إليها الإمبراطور لمعالجة هذه الأزمات، من ذلك مناقشة القديس تكلا هاوتريت Abba Takla-Hawaryat لعلاج أمر هذه الإضرابات، وعندما اختلف مع الإمبراطور اختلفاً بيناً رأى فيه الإمبراطور تظواً على شخصه؛ ألقى به في السجن^(٢٢٥). وهكذا لجأ الإمبراطور إلى سياسية الحديد والنار لتقمع هذه الثورات جميعاً، كما أنه لجأ إلى البطريك والقضاة والمطران المصري، إذ إنه نجح في إقناع البطريك (يوحنا) لاستصدار وثيقة حرمان من قبل الأب يوحنا (٨٣١-٨٥٧هـ/١٤٢٨-١٤٥٣م) تكل من يحاول عصيان الملك أو أراد تولية غيره على عرش المملكة يكون مطروداً ومحروماً بكلمة الرب^(٢٢٦).

ومنذ تلك الحين، في عام ٨٦٦هـ/١٤٦٢م، عاش (زرع يعقوب) بحكم المملكة بيد من حديد طيلة ست سنوات، إلا أنه نتيجة هذه التمردات عاشت الحبشة، في هذه الفترة، في ارتداد

وخوف من شدة حكم الملك، فقد كان (زرع يعقوب) يقتل من يريد من الناس ويعفو عن برید، ويقتل من يريد ويعظمه ما دام قد نفذ مشيئة الرب وأمر الإمبراطور^(٢١).

٢- في عهد (بنيد ماريام) (٨٧٢-٨٨٢/٨٤٦٨-١٤٧٨ م) :

رغم شدة حكم (زرع يعقوب) في قمع الثورات التي قامت في عهده، إلا أن هذه الثورات استمرت في عهد خليفته (بنيد ماريام)، ولكنها جاءت بصورة مغايرة تمامًا عما كانت عليه في عهد أبيه، إذ جاءت في صلب العقيدة المسيحية نفسها، ومن ذلك أنه انتشرت صورة للرسم الإيطالي (فرانسيسكو دي ليون) التي تجسد السيدة مريم العذراء وهي تحمل طفلًا صغيرًا على ذراعها الأيسر، كما درجت عليه عادة في أوروبا آنذاك، إلا أن ذلك يتعارض مع الاعتقاد الشائع لدى الأقباط عمومًا بأن اليد اليسرى هي علامة الشر، بخلاف اليد اليمنى التي تدل على الخير، مما أدى إلى قيام الأقباط بثورة اعتراضًا على هذه الصورة^(٢٢).

وهكذا دخلت ثورات الحبشة طورًا جديدًا واختلفت أهدافها، إذ تحولت من الثورة على الحكم إلى المجادلات الدينية والعقائدية، من ذلك أنه احتدم النقاش بين عدد من رجال الدين في البلاط الملكي وبعض الرهبان السريانيين والخوانهم المصريين حول طبيعة السيد المسيح، فقد رأى فريق منهم أن السيد المسيح من نفس طبيعة الأب، لأنه إله ابن إله، بينما رأى فريق آخر بأن طبيعة الابن أقل درجة من طبيعة الأب، لأن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن لكنه صنع من مادة فاتكة الوصف، فجسد المسيح لم يصنع مثل الإنسان العادي من دم ولحم وشرابين.... إلخ^(٢٣)، وعلى هذا فقد أمر (بنيد ماريام) بالقبض على هؤلاء وأمر يعاقبهم بالجلد والقضبان الحديدية، تبعًا لدرجة عقوباتهم كل حسب درجة^(٢٤).

على أن أمر هذه المجادلات لم يقتصر على النقاش حول الأمور الدينية فقط، بل امتد إلى طريقة عمل الإمبراطور ذاته، ومن ذلك أنه أثير جدل واسع عن كثرة تغلات (بنيد ماريام) بين مقاطعات المملكة كهلما برید، فقد أوردت المصادر الحبشية أن الإمبراطور يقضي معظم وقته على ظهور الخيل، وأهمل المملكة وترك شئونها الداخلية، وبخاصة أمور القضاء، وأن الإمبراطور لا يعيش وفق تقاليد ومبادئ أسلافه، وأنه يلهو كما يلهو الشباب، وانتشرت مثل هذه الأحاديث بين الشعب، ويشير كولمبس إلى لشرك بعض قادة الجيش في هذه الوشائيات^(٢٥)، وقد أثارت مثل هذه الأحاديث حفيظة الملك، وأمر بجمع الناس ومعهم كثير من الرهبان والبياقطاني (قاض من القضاء) واجتمع الجميع في إحدى قاعات الملك، وقال لهم "وكنتم أن منكم لا يقضي يومه في أمر القضاء، وفي شريعة الملك، بل في ركوبه الخيل - هكذا كنتم، لأن هذا التقليد - ركوب الفرس وإطلاق السهام - لم يكن لدى أبائي الأقدمين من قبل" وأمر بتقديم أصحاب هذه الوشائيات للمحاكمة، وإلا فال موت للجميع، ورغم إنكار الجميع لهذه التهمة؛ إلا أن الإمبراطور أمر بقطع أرجلهم وتم نفيهم إلى عدة أماكن مختلفة^(٢٦).

وعلى الرغم من شدة حكم الإمبراطور إزاء هذه المجادلات، إلا أنها تطورت و وصلت إلى الإمبراطور نفسه، فيذكر النص الملكي أن البياقطاني (بثلي) اتفرد بالإمبراطور وأخبره بأن الجان مساروتش^(٢٧) تمردوا عليه، وأرادوا تنفيذ مؤامرة للتخلص من حكمه، وفي اليوم التالي أمر

الإمبراطور بإحضار هؤلاء جميعاً لاستجلاء الحقيقة، وعلى الرغم من أن الجميع أقسم بكنيسة صهيون على نفيه القيام بأي محاولة لإيذاء الملك، إلا أنه أمر بتعليق الجان مساروتش من رقابهم^(١١).

وهكذا اضطر (ماريام) إلى اتباع سياسة أبيه في مواجهة هذه الثورات التي حيكّت ضده، لذلك فقد دخل الرعب إلى قلوب الشعب^(١٢) والذي ظن في بداية الأمر بأن هذا الملك يختلف عن أبيه، بدليل إصداره العفو العام عن جميع المسجونين الذين اعتقلوا في عهد أبيه (زرع يعقوب) وأعادهم إلى ديارهم، بالإضافة إلى أنه سمح لجميع الناس بارتداء ما يشاءون من الملابس ذات الألوان مختلفة^(١٣). إلا أنه انتشر بين الشعب الحبشي في ذلك الوقت: أن الإمبراطور أشد ضوفاً من أبيه، ومما يدل على ذلك عقابه للتصاريحية الذي يدعى (جبرواحد) بحجة استخدامه ضرائب الممنكة فيما لا يحق له^(١٤).

٢- في عهد (ألكساندر ٨٨٢-٨٩٨هـ/ ١٤٧٨-١٤٩٢م) :

كانت إدارة للمملكة الحبشية في عهد هذا الإمبراطور تتم عن طريق (العقابي ساعات تاسفا جورجيس Tafsa - Giyoris) ^(١٥) وكال من الوزيرين: البحت وبد اليمين الذي يدعى (أمادا ميكلا Amda - Mikal el)، والبحت وبد اليسار الذي يدعى (بدالي Reda - Badia) فضلاً عن وصاية أمه، إذ كان طفلاً صغيراً^(١٦).

وقد اتفرد بإدارة أمور المملكة (أمادا ميكلا) لكونه أكثرهم خبرة، وكان ذا قوة كبيرة منذ أيام (زرع يعقوب). لذلك كانت له اليد الطولى في الحكومة أيام (ألكساندر) حتى إن الملكة (روماته) اخضعت تقريباً من السلطة السياسية في ذلك الوقت، سداً لئلا تحيطة باقي كبار رجال البلاط، فتعاونوا بقيادة كل من الأب (حسيبو Hasabo - Abba) و(مليمون باسيدك Meeman Basedequs) والأب (أمادوا Amda - Abba) لإسقاطه، وعلى الرغم من ذلك استطاع البحت وبد (أمادا ميكلا) القبض عليهم جميعاً، وقام بجلدهم عدة مرات ثم تم نفيهم جميعاً، وأثناء سيرهم إلى المنفى لقي بعضهم مصرعه^(١٧).

وهكذا انتصر (أمادا ميكلا) على أعدائه، ولكن بمرور السنوات ازدادت المعارضة ضده وبخاصة بعد أن أدرك (ألكساندر) حقيقة الأمور، فقد كان محاطاً بالعديد من رجال البلاط الذين نظروا إلى البحت وبد وكأنه عبئة ثقيل في طريق طموحاتهم، وقد أرادوا وضع حد لسلطته، وعلى الرغم من أن النص الملكي لا يشير، على وجه الدقة، إلى الأسباب التي أدت إلى سقوطه، إلا أنه من الواضح أن أعداءه عزوه عن الإمبراطور الشاب، وقاموا بالوشاية ضده أكثر من مرة، مما جعل الإمبراطور يصدر أمراً بالقبض عليه ونفيه إلى مكان مجهول^(١٨).

وتشير المصادر الحبشية إلى أن (أمادا ميكلا) تمكن من تجميع أنصاره مرة أخرى بالتعاون مع بعض فرق الجيش واستطاع الرجوع إلى البلاط، وراح جلوده ويعثون في البلاد سلباً ونهباً، إلا أن الإمبراطور تمكن من إلقاء القبض عليه وحكم عليه بالإعدام^(١٩).

كما تشير الأحداث أيضاً إلى أن الموت أدرك الملك فجأة، وهو في سن صغيرة فلم يكد يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً، فأخضت الملكة الكبيرة (إيليني) خبر وفاته، وأمرت بحفظ

جثته خوفاً من محاولة (زا سلبوس) اغتصاب العرش، وهو ما يثير العديد من التساؤلات حول هذه الوفاة^(٢٠٦).

٤- في عهد **عمدا صهيون الثاني** ٨٩٨-٨٩٩هـ/١٤٩٢-١٤٩٣م:

على إثر الموت المفاجئ للإمبراطور (ألكساندر) اندلعت الحروب الأهلية في الحبشة، فقد زحف (زا سلبوس) بسرعة مع بعض قواته نحو جبل المنوك أميا جيشين في أمهرة، و استطاع أخذ الأخ الأصغر للملك المتوفى و يدعى (تاوود)، وأعلنه ملكاً على البلاد ثم اختفى بسرعة خوفاً من قوات رجال الحرس الملكي^(٢٠٧).

وعلى الرغم من إعلان (تاوود) إمبراطوراً على الحبشة، إلا أن مجلس الوصاية بمشاركة المنكة (إيليني) وتأييد أقوى مسؤولي البلاط الذي يدعى (تكلا كرسبوس Takla - Kristos) سارعاً بتتويج ابن (ألكساندر) الذي يدعى (عمدا صهيون الثاني)، وهو لم يتجاوز السابعة من عمره، وبذلك انقسم البلاط الملكي في الحبشة بين معسكرين، معسكر أنصار (عمدا صهيون الثاني) بزعمارة (تكلا كرسبوس) ومعسكر لنصار عمه (تاوود) بزعمارة (زا سلبوس)، وقد اندلعت الحروب الأهلية بين المعسكرين ووصلت إلى العديد من المقاطعات الحبشية، واستمرت هذه الحروب الأهلية ستة أشهر كاملة هي عمر الملك (عمدا صهيون) في الحكم، تمكن خلالها (تكلا كرسبوس) من هزيمة (زا سلبوس)، وسجن معظم ثوار جيشه، و عاقبهم بإفقادهم أبصارهم، وقد أعلن الحداد في بعض الكنائس الحبشية نتيجة كثرة عدد القتلى، إلا أن هذا الحداد انتهى بموت الإمبراطور، حتى أن سجل حياة وسير القديسين أعلن ارتيابه لموته، ويشير بعهد الخير والسلام بعد أن تولى (تاوود)^(٢٠٨).

٥- في عهد **تاوود** ٩٠٠-٩١٤هـ/١٤٩٤-١٥٠٨م:

وهكذا اتقبت الأوضاع في الحبشة بعد موت (عمدا صهيون الثاني)، وأصبح أعداء الأوس هم أنفسهم أصدقاء اليوم، فها هو (تاوود) الذي رشحه (زا سلبوس) قبل ستة أشهر فقط يتولى العرش، وكان الصراع ما زال مشتتاً على السطح في بعض المقاطعات، عندما أعاد (زا سلبوس) إعلانه لثمرة الثالثة (تاوود) ملكاً في أمهرة في (ذي الحجة ٨٩٩هـ/أكتوبر ١٤٩٤م)، وقد أدى هذا الإعلان إلى فرار كثير من حكام المقاطعات والتبلاء الذين كانوا معارضين لإعلانه إمبراطوراً، كما فر (تكلا كرسبوس) إلى إيلفات عام ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م، وراح يثير أهالي إيلفات ضد الإمبراطور عن طريق عدد من فرساته، إلا أن أهالي إيلفات نجحوا في القبض عليه، واقتادوه مقبداً بالسلاسل إلى الإمبراطور الذي قام بتفقيه، وقام بعض أفراد الحرس الملكي بلفن عينيه أثناء ترحيله إلى المنفى^(٢٠٩).

ويذكر النص الحبشي أن للراهب (يوحنا) بشر بأن (تاوود) سوف يكون عهد عهده مثبناً بالخير والهدوء والسلام^(٢١٠).

كما أصدر الإمبراطور قراراً باللعو العام عن بعض السجناء، وقد سخر بعض رجال الدين من مثل هذه النبوءة، وراحوا يثيرون الفتنة الداخلية ضد الإمبراطور وبعض مسؤولي البلاط،

وكان علي رأس هذه الفتنة الراهب (أندرو Andrew) ، وقد استطاع الملك إلقاء القبض عليه وقطع لسانه^(٢٨).

٦- في عهد (لينا دنجل ٩٦٤-٩٦٧هـ/١٠٠٨-١٠٤١م):

اعتلى (لينا دنجل) العرش في ٢٢ أغسطس ١٠٠٨م، بعد أبيه (تاوود). وكان لديه أربعة أخوة هم: (فكتور) و(يعقوب) وقد ماتا في حياة أبيهم (تاوود). بالإضافة إلى (كلونيوس) و(مينا). وكان اختيار وريث من بينهما أمراً صعباً، لكن الملكة الحكيمة (إيليني) نجحت بالاشتراك مع الأب (ماركوس Abuna Marcus) في اختيار (لينا دنجل) لصغر سنه، وكان في الثانية عشرة من عمره^(٢٩).

وعلى الرغم من موافقة كبار النبلاء على هذا الاختيار، فقد وقعت بعض المواجهات بين أنصار (لينا دنجل) وبين معارضيه، إلا أن الأمور سرعان ما انتهت لصالحه، نظراً لأن خطر المسلمين كان قد ازداد منذ أواخر عصر (تاوود)، إذ تم احتلال عاصمة البلاد لأول مرة في تاريخ الأسرة المسيمانية الجديدة في عهده^(٣٠).

ولم يذكر النص الحبشي في عهد (لينا دنجل) أي إشارات أخرى ربما تشير إلى ظهور أي تمردات أو دسائس على حكمه، سواء من رجال الدين، أو كبار مسؤولي البلاط أو النبلاء، ورغم بدء التنكحات البرتغالية في البلاد في ذلك الوقت، بل على العكس من ذلك، فتشير المصادر الحبشية، في عهد هذا الملك إلى أنه لم يجرؤ أحد من الشعب على إهدات أي تمرد أو شغب سياسي أو ديني^(٣١).

وهكذا، فقد ساد طيبة هذه الفترة العديد من الاضطرابات السياسية، داخل وخارج البلاط الملكي، التي لم يخل عهد حاكم منها (اللهم في عهد لينا دنجل)، فضلاً عن ثورات قوات الحدود نتيجة بُعد وضع السلطة المركزية، كل ذلك أدى إلى ضغط المملكة المسيحية، وخاصة منذ بداية عهد (الكساندر) الذي عانى من هزيمة عسكرية في سلطنة عدل، كما ازداد الضغط الإسلامي على حدود المملكة عامة، وذلك نتيجة الصراعات الداخلية بين النبلاء المسيحيين، والمذاهب الدموية بين بعض رجال الحرس الملكي .

(وتيفة الصرمان)

ወወጽሐፈ ፡ ገበየሰ ፡ ከወን ፡ ደብሰ ፡ ጥ²¹ ፡ ፑልገገ²² ፡
 ገበሩ ፡ ለእገዚአ ፡ ሊፑሱስ²³ ፡ ከርስተስ ፡ ዘጸዋሚ ፡ ዘሊድሐወተፕ²⁴ ፡
 ለተሐላ፡ ፡ ሂስ²⁵ ፡ መንበረ ፡ ማርቀስ ፡ እብሐ ፡ ዘበጃ ፡ እገዚአ ፡ ሊፑሱ
 ስ ፡ ከርስተስ ፡ እንዘ ፡ ህሉ ፡ ወልድ ፡ ቱሩስ²⁶ ፡ ወናቶር²⁷ ፡ ከወረ²⁸ ፡ ህ
 ሳፂ²⁹ ፡ ንጉሥ ፡ ዘርላ ፡ ያዕቆብ ፡ ዘተሰማየ ፡ ቀጠጠጠጠጠጠ ፡ ዘንግር ፡ ላ
 ዕለ³⁰ ፡ መንበረ ፡ ናዊተ ፡ ዘምሕረተ ፡ እገዚአጤሊር ፡ ንገሠ ፡ ዘሥተ ፡
 ዘበሕረ³¹ ፡ ሊተጽዶፕ ፡ ጸተዕ ፡ ላዕለ ፡ ሃይማኖተ ፡ ርጉዕተ ፡ ለርተዶባ
 ፡ ሳዊተ³² ፡ ሊይተጻዶ ፡ ጀለምተእዘተ ፡ ወድኡን ፡ ውእቱ³³ ፡ እገዚአ³⁴ ፡ ወ
 ከወረ ፡ ወስደዓ³⁵ ፡ ቃሉ³⁶ ፡ ወደኡን³⁷ ፡ ዠሉ ፡ ነረ³⁸ ፡ ሉቱ³⁹ ፡ ወ
 ዠሉ⁴⁰ ፡ ዘተዕደዕ ፡ ተእዛዘነ ፡ ዘወሰነ ፡ ወዘለዓዕ⁴¹ ፡ ወወተር ፡ በእ
 ቲለዎ⁴² ፡ ዘገነ ፡ ዘዊና ፡ እምወሉድ ፡ ለጻጦ ፡ እምላርእስተ⁴³ ፡ ወወህን
 ንተ⁴⁴ ፡ ወዠሉ ፡ ወረዊት ፡ ገሐስ ፡ ወወደይ ፡ ዕድ ፡ ወለንዕተ ፡ ለእጃ ፡ ፈ
 ቀዱ ፡ ያንገሠ ፡ ካልላ ፡ እንዘ ፡ ህሉ ፡ ዘርላ ፡ ያዕቆብ⁴⁵ ፡ ዘተሰማየ ፡ ቀስ
 ፡ ጠጠጠጠጠጠ ፡ ሂስ ፡ መንበረ ፡ መንገሥቱ ፡ ሕሳሂ ፡ ወዘፈቀደሂ⁴⁶ ፡ ዞሂላ ፡
 መንገሥተ⁴⁷ ፡ ውንዘ ፡ ለይኩን ፡ ወዘሰሉቱ ፡ ለዕማተ ፡ እገዚአጤሊር ፡ ዘው
 እቱ⁴⁸ ፡ ለብ ፡ ወወልድ ፡ ወመንገሥ ፡ ቀዳስ ፡ እመቦ⁴⁹ ፡ ዘተዕደዕ ፡ እዞ
 ዘ ፡ ወስ ፡ ወወተር⁵⁰ ፡ ዘዕለዐ⁵¹ ፡ ተእዛዘነ ፡ ለንጉሥ⁵² ፡ ዘርላ ፡ ያዕቆ
 ብ ፡ ዘተሰማየ ፡ ጠጠጠጠጠጠ ፡ ዘንቡር⁵³ ፡ ሂስ ፡ መንበረ⁵⁴ ፡ መንገሥ
⁵⁵ ቱ⁵⁶ ፡ ሊተጽዶፕ ፡ ለው ፡ ዘይፈቀድ ፡ ቀረሰተ ፡ ወለንቀሐቀሰተ ፡ እወን
 በረ⁵⁷ ፡ መንገሥቱ ፡ ለው ፡ ወንቡእ ፡ ወዘከዎተ⁵⁸ ፡ ለው ፡ በሥረይ ፡ ለ
 ው⁵⁹ ፡ ዘተብረ⁶⁰ ፡ ላዕሊዎ ፡ ዘምከር ፡ እኩይ ፡ ውእቱ ፡ ደኩን ፡ ለሱረ⁶¹ ፡
 ወወንዘ ፡ በኃሰ ፡ እገዚአጤሊር ፡ ወኃረ ፡ ቀዳማይ ፡ ዘውእቱ⁶² ፡ ሥሉስ⁶³ ፡
 ቀዳስ ፡ ለብ ፡ ወወልድ ፡ ወመንገሥ ፡ ቀዳስ ፡

ترجمة وثيقة الحرمان

* أنا يوحنا عبد سيدنا يسوع المسيح الذي دعاني بما لا يحق لي لأخدمه فوق عرش مرقس
أقول :

باسم سيدنا يسوع المسيح، بينما كان الابن المبارك والمحبيب العظيم المقام الإمبراطور زره يعقوب، الذي دعي قسطنطينوس، الجالس على عرش داود برحمة الرب، ملك ملوك إثيوبيا الثابت على العقيدة الأرثوذكسية الحقة فلا يتعدى أحد أوامره، ويكون هو السيد العظيم المسموع كلامه، ويكون الكل خاضعاً له .

وكل من تعدى أمرنا الذي حددناه وسجلناه وقضينا به، كأننا من كان من بشي آدم من الرؤساء والأمراء وجميع الجنود، الصغير والكبير، الرجال والنساء. وإن أرادوا تولية غيره بينما زره يعقوب الذي دعي قسطنطينوس موجود على عرش مملكته، سواء هؤلاء أو من أراد أخذ ملكه ليكن محروماً بأسماء الرب الثلاثة التي هي الأب والابن والروح القدس. وإن وجد من تعدى ما حددناه وحكمنا به وعصى أمر ملكنا زره يعقوب الذي دعي قسطنطينوس الجالس على عرش مملكة إثيوبيا، أو من أراد قتله وإزاحته من عرش ملكه سرّاً أو علانية أو بالسحر، أو من اجتمع ضده بتدبير أثم، ليكن معنوياً ومحروماً بكلمة الرب الفاطح الأول الذي هو الثالث المقدس : الأب والابن والروح القدس.

المصدر الأصلي :

Rossini,C : IL Libro della luce del negus zar a ya qob,(Mashafa Berhan). II (Text)pp20-21

نقلاً عن مجدي عبد الرازق سليمان : النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصري الإمبراطورين زره يعقوب وابنه بلد ماريام. ص 1٩-٥٠

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق الحبشية :

- 1- Jules Perruchon (traduction) : Vie De Lalibala Roi D' Ethiopia, Manuscrit Du Musee Britannique, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1892.
- 2- : Histoire des guerres d'Amda Seyon, roi d'Ethiopie, in Journal asiatique.ser.8. t.Xiv.1889.
- 3-: Les chroniques de Zar.a ya.eqobe et de Baeda Maryam, Rois d'Ethiopie de 1434 A 1478, Paris, 1893.
- 4-: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od , rois d'Ethiopie . Texte ethiopien inedit comprenant en outre un fragment de la chronique de Ba.eda- Maryam, leur Precededdeur, et traduction. In Journal asiatique.ser.9.vol.3. 1894 .319-366. Sep.-Dr. Paris, 1894 mit eigner Seitenzahlung .
- 5- Manfred Kropp : : Die Geschichte Des Lebna-Dengel, Claudius Und Minas. Scriptoros Aethiopoci, Tomus 84, Vol 83,84, Lovanii in Aedibus E. Peeters, 1988.

ثانياً : المخطوطات :

مجهول .

1 - سيرة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي، مخطوط يدار الكتب المصرية، رقم ٩٩ لاهوت.

ثالثاً : المصادر العربية المطبوعة :

١- القرآن الكريم :

- عرب فقيه : (شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان الجيزاني، الشهير بعرب فقيه، عاش في القرن السادس عشر الميلادي).
- ٢- تحفة الزمان وضوح الحبشة، نشره رينيه ياسية، تحقيق محمد شلتوت ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- العربي : (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٨٧٤٩ / ١٣٤٨م) .
- ٣- مسالك الإيصار في ممالك الأمصار، الجزء الرابع، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزاليمة و يوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة لأولي، ٢٠٠١م.
- المغربي : (نفي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، ت ٨٨٤ / ١٤٤١م) .
- ٤- الإلغام بأخبار من بأرض الحبشة من منوك الإسلام، مطبعة التأليف، القاهرة، ١٩٥٨م.

رابعاً : المراجع العربية والمصرية :

- ١) راشد البراوي : الحيشة بين الإقطاع والعصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١م.
- ٢) زاهر رياض : كنيسة الأسكندرية في أفريقيا، مطبعة الجيش، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.
- ٣) — تاريخ أثيوبيا، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ أوروبا العصور الوسطى، جزآن، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩١م.
- ٥) عبد المجيد عابدين : بين الحيشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م.

خامساً المراجع الأجنبية :

- 1) A.H.M. Jones and Elizabeth Monroe : A history of Ethiopia, oxford university, at the clarendon press, 1974.
- 2) Budge (E .A .W) : A History Of Ethiopia , Nubia & Abyssinia, London, 1928.
- 3) Charles F . Rey , F.R.G.S : Unconquered Abyssinia As It Is To-day : an account of a little known country, its peoples & their customs, considered from the social, economic & geographic points of view, its resources & possibilities, & its extraordinary history as a hitherto unconquered nation, London, 1923.
- 4) Edward Ullendorff : The Ethiopians an introduction to country and people, London, oxford university ,Press Newyork.toronto, 1965 .
- 5) Elaine Murray Stone : A Saint and His Lion, The Story Of Tekla Of Ethiopia , Paulist Press , 2003.
- 6) Francisco Alvarez : The Prester John of the Indies translated by C.F. Beckingham and G.W.B Huntingford , Cambridge ; Hakluyt Society, 1961.
- 7) Hiob Ludolf : A New History of Ethiopia, the University of Michigan, (U.S.A) 1984.
- 8) J. B. Coulbeaux: Histoire politique et religieuse d'Abyssinie (The Political and Religious History of Abyssinia), Paris, 1929.

- 9) John Cameron Grant : The Ethiopian A narrative of the Society of Human Leopards, Paris,1901.
- 10) Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea The Rise and Decline Of The Solomonic Dynasty and Muslim – European Rivalry in the Region, Gainsborough House, London, E11.Rs, England, 1980 .
- 11) Paul B . Henze : Layers Of Time A history Of Ethiopia , Hurst , Company, London , 2000.
- 12) Peter Schwab : Ethiopia ; politics, economics and society, Published London Pinter,1985.
- 13) Richard Pankhurst : The Ethiopians , Blackwell, Cambridge , London , 1998.
- 14) : The Ethiopian Royal Chronicles, Oxford university press, London, 1967.
- 15) Tadesse Tamrat : Church and State in Ethiopia (1270-1527), Oxford, Clarendon press, 1972.
- 16) Thomas P. Ofcansky and Laverie Berry : Ethiopia A Country Study, Federal Research Division Library of Congress,2004.

<http://Archivebeta.Sakhrit.co>

سادساً : الدوريات العربية

- ١) كرم الصاوي باز : عمدا صيون وإصلاحاته الداخلية في الحبشة (٧١٤-٧٤٥ هـ / ١٣١٤-١٣٤٤م).مجلة دراسات أفريقية، نشرة خاصة محكمة، ٢٠٠٠م.

سابعاً : الدوريات الأجنبية

- 1) Knud Tage Andersen: The Queen of the Habasha in Ethiopian History,Tradition and Chronology, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 63, No. 1. (2000).
- 2) Tadesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval Ethiopian History, in(RA),1970.
- 3) : The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, in(JES), VIII, no.1, 1970.

ثامناً : الرسائل العلمية :

- ١) زاهر رياض: العصر الأول من الأسرة المملوكية في الحبشة من (يكونو أملاك) إلى (زرع يعقوب) وعلاقة المسمومين بالمسيحيين بوجه خاص (١٢٦٨ - ١٤٦٨م)، رسالة دكتوراه غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ٢) مجدي عبد الرزاق سليمان: النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصري الإمبراطورين (زرع يعقوب ١٤٣٤-١٤٦٨) وابنه (يليد ماريام ١٤٦٨-١٤٧٨) ترجمة ودراسة تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.



الهوامش

1 - هي الأسرة التي حكمت الحبشة قبل مجيئ الأسرة السلطانية ويختلف كل من عبد المجيد عابدين وراشد البراوي و Edward Ullendorff في بداية حكمها، حيث يدّعون أنها تمكنت من الاستيلاء على حكم الحبشة عام ٥٣٢هـ / ١١٣٧م وهو يختلف بذلك عن جميع المراجع التي بين أيدينا، كما أن هناك اختلافاً آخر بين الباحثين على عدد منوك هذه الأسرة، فبينما يشير البعض أنهم كانوا أحد عشر متناً تذكر القوائم المنكية تلك الفترة أنهم كانوا تسعة فقط وهم - Djan Germe - Djan Seyum - Pantadem - Pantaw - Yemrehana - Na'akueto La'ab - Lalibala - Arbe - Yetbarak ، إلا أن هناك اتفاقاً عاماً بين معظم الباحثين على أن مدة حكم الزغاوة كانت ثلاثة قرون وثلاث وأربعين سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. للمزيد انظر عبد المجيد عابدين: بين الحبشة والغرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م، ص ٦٦، راشد البراوي، الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٥٦، كذلك :

Budge : (E.A.W): A History Of Ethiopia , Nubia & Abyssinia , London ,1928, p.277 see also Edward Ullendorff, The Ethiopians an introduction to country and people , London, oxford university Press Newyork. toronto, 1965 , p.64.

2-جوديت: يشير بعض الباحثين أنها كانت من العائلة السلطانية القديمة، استطاعت الوصول إلى الحكم بمساعدة بعض قبائل الأجاو وذلك بسبب موقفهم المتشدد من عدم ترشيح النساء للحكم، وقد ساعدتها ظروف البلاد في الوصول إلى العرش إذ اشدد التنافس بين اثنين من الأمراء على الوصول للحكم وراح كل منهما بدعم موقفه بتأييد العديد من رجال الدين، مما جعل جوديت بعد وصولها للعرش تزداد في اضطهاد رجال الدين المسيحيين بل وقتل ونفي الكثير منهم، فضلاً عن احراق جميع الكنائس وإحراق جميع أنواع الخراب بها، وتعقب المسيحيين في كل مكان، في حين يشير بعض الباحثين إلى أن هذا كان بسبب تعصبها للديانة اليهودية، وبسبب ذلك وضعها الأقباط بالاشتراك مع الإمام أحمد الجوزان في قائمة وحوش التاريخ الحبشي، وعلى الرغم من ذلك فقد استطاعت حكم البلاد طيلة أربعين عاماً حققت فيها نوعاً من الاستقرار والسلام، للمزيد انظر المقرئبي : الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التآليف، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ١٢، أيضاً

- Paul B.Henze : Layers Of Time A history Of Ethiopia , Hurst , Company, London, 2000, pp. 53-56 & Knud Tage Andersen: The Queen of the Habasha in Ethiopian History, Tradition and Chronology, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 63, No. 1. (2000), pp.39-41.

٣ - أشار العديد من المراجع التاريخية إلى أن الملكة (جوديت) لم تكن وحدها من ملوك الزغاوة التي تكين باليهودية، فقد أشار بعض المؤرخين إلى تقسيم ملوك الزغاوة إلى قسمين من حيث الديانة، إذ يشار إلى أن عدد ملوك القسم الأول والذي يبلغ خمسة ملوك كانوا يدينون جميعاً بالديانة اليهودية، أما القسم الثاني فكان عدد ملوكه ستة ملوك كانوا يدينون بالديانة النصرانية. لمزيد انظر

-Charles F. Rey : *Unconquered Abyssinia as it is to-day : an account of a little known country, its peoples & their customs, considered from the social, economic & geographic points of view, its resources & possibilities, & its extraordinary history as a hitherto unconquered nation*, London, 1923, p. 86.

4 - اتخذ الملك لاليبالا لنفسه لقب جبراماسقال (Gebre Mesqel) ومعناها خادم الصليب، وقد عرف عنه حبه للسلام واهتمامه برجال الدين، وقد قام بتزيم العديد من الكنائس وبني أكثر من عشر كنائس جديدة في جميع أنحاء البلاد ما زال بعضها باقياً حتى الآن استعان فيها بعدد من العمال المصريين بالإضافة إلى بعض الهنود، ويقال إنه قبل توليه الحكم نفى بسبب عداوة عمه Tatadim إلا أنه استطاع الهرب وقام بثورة استطاع الاستيلاء بها على الحكم في عهد أخيه الكبير لذا يعتقد أنه وصل للحكم بقوة السلاح، ويختلف الباحثون في سنوات حكمه (١١٨٩ - ١٢٢٩م) بينما ينكر آخرون أنها (١١٨٠ - ١٢٢٠م) وبينما نجد فريداً ثالثاً يؤكد أنه كان معاصراً للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٩٩٦-١٠٢٠م) ولكنهم يهتمون على أن مدة حكمه كانت أربعين عاماً انظر زاهر رياض، تاريخ أثيوبيا، مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٢٦ - ١٢٧ كذلك

- Jules Perruchon (traduction) : *Vie De Lalibala Roi D' Ethiopia*, Manuscrit Du Musee Britannique, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1892, p.51.

5 - يقول ألفاريز إن أول من فكر ووضع أول سجن ملكي هو الملك "Yimrha" حيث فعل ذلك بأمر إلهي وذلك لوقوع العديد من مشاكل الخلافة على العرش بين أبناء الأسرة الأجيوية ووقوعها أكثر من مرة في عهد معظم الحكام، كما كان أول من فكر في بناء كنيسة على هذا الجبل هو الملك لاليبالا. أما عن تنظيم "جيش" كسجن ملكي فربما يرجع إلى الاضطرابات التي سادت بعد وفاة (يكونو أملاك) انظر :

-Francisco Alvarez: *The Prester John of the Indies* translated by C.F. Beckingham and G.W.B Huntingford , Cambridge ; Hakluyt Society, 1961, p.165. see also Hiob Ludolf, *A New History of Ethiopia*, the University of Michigan, (U.S.A) 1984, pp. 195-197.

وتوصف جبل أمبا جيشن والمزيد من التفاصيل حول دوره في المملكة الحبشية انظر:

-Alvarez : op . cit , pp. 237-248.

6-A.H.M.Jones and Elizabeth Monroe: *A history of Ethiopia*, oxford university, at the clarendon press, 1974 , pp.26-31.

7- John Cameron Grant : *The Ethiopian A narrative of the Society of Human Leopards*, Paris,1901,p.38.

8- تنسب الأسرة السليمانية إلى سيدنا سليمان عليه السلام. وتقول الأسطورة أن ما كيدا ملكة سبأ قامت بزيارته حيث أعجب بها وتزوجها وحملت منه ثم عادت إلى قومها وأنجبت ابنه حكيم. وقد شب الغلام في رعاية أمه إلى أن كبر وأراد أن يزور أبيه، فأرسلته إليه حيث فرح به سليمان كثيراً وغير اسمه إلى متليك وعلمه حكمته، ولما صمم على أن يعود إلى أمه وقومه، تمكن أن يأخذ من أبيه تابوت العهد الذي كان سليمان يحفظ فيه الأتواح الإلهية التي كتبها الله للنبى موسى عليه السلام. ثم عاد به إلى الحبشة ليحكمها ومعه أسباط إسرائيل ومنه تسلسل ملوك الحبشة منذ القرن العاشر قبل الميلاد حتى القرن العاشر الميلادي حين اغتصب العرش منها أسرة أخرى حكمت البلاد حوالي أربعة قرون حتى تمكن يكوئو أملاك من طردها في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وإعادة الأسرة القديمة إلى عرشها ممثلة في شخصه. أنظر مجهول : سيرة الأنبا تكلا هيمنتوت الحبشي، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩ لاهوت، ورقة ٣، زاهر رياض، العصر الأول من الأسرة السليمانية في الحبشة من يكوئو أملاك إلى زره يعقوب وعلاقة المسلمين بالمسيحيين بوجه خاص (١٢٦٨ - ١٤٦٨م)، رسالة دكتوراة غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٣٤.

9 -Tadesse Tamrat: *Hagiographies and the Reconstruction of Medieval Ethiopian History*, in *Rural Africana*,1970, p.105.

10 - Mordechai Abir : *Ethiopia and The Red Sea The Rise and Decline Of The Solomonic Dynasty and Muslim - European Rivalry in the Region*, Gainsborough House, London, E11.Rs, England, 1980,p . 21.

11 - Budge : op , cit , p. 287 .

12- Elaine Murray Stone : *A Saint and His Lion, The Story Of Tekla Of Ethiopia* , Paulist Press , 2003, p36.

13-Thomas P. Ofcansky and Laverle Berry : *Ethiopia A Country Study*, Federal Research Division Library of Congress,2004, pp. 24-26 see also Jules Perruchon ,*Histoire des guerres d'Amda Seyon, roi d'Ethiopie*, in *Journal asiatique*.ser.8, t.Xiv,1889,p.xx.

14 - التجدير بالذكر أن الملك الحبشي كان يمنح ابنه الأكبر بعض السلطات السياسية والإدارية أثناء حكم أبيه، فقد أعطى يكوئو أملاك ابنه بعضاً من هذه السلطات، وكذلك فعل عدداً صيرون الذي أعطى إدارة إقليم التيجري لأحد أبنائه حيث منحه لقب بحر ساجاد - Bahr Sagad ، كما أضيف إلى مهامه حكم المقاطعات المجاورة للبحر الأحمر وذلك عام ١٧٢٨/ ١٣٢٨م، كما تذكر المصادر الحبشية أنه عندما اقترب موعد موت زره يعقوب تم إلقاء القبض على بعض الأمراء الذين كانوا حاضرين في بلاط الملك، حيث أعلن تولي ابنه بلد ماريام ملك الحبشة بمباركة من زره يعقوب نفسه . انظر العمري،

مسالك الأبحار في معارك الأمصار، الجزء الرابع، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزيمة ويوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ٤٢، مجدي عبد الرزاق سليمان، النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصري الإمبراطورين (زره يعقوب ١٤٣٤-١٤٦٨) وابنه (بنيد ماريام ١٤٦٨-١٤٧٨) ترجمة ودراسة تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة، ١٩٩٨م، ص ص ٩٨-٩٩، زاهر رياض، تاريخ أثيوبيا، ص ١٣١ وعن حكم عمدا صيون وتنظيم مملكته الداخلية - انظر، كرم الصاوي باز، عمدا صيون وإصلاحاته الداخلية في الحبشة (٧١٤-٧٤٥هـ/١٣١٤-١٣٤٤م)، مجلة دراسات أفريقية، نشرة خاصة محكمة، ٢٠٠٠م، ص ص ٨-١١، انظر أيضاً

-Jules Perruchon : Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Ba'eda Maryam, Rois d Ethiopie de 1434 A 1478, Paris, 1893,pp124-125.

15-Taddesse tamrat : Church and State in Ethiopia (1270-1527), Oxford, Clarendon press, 197., p. 282.

16- زاهر رياض: كنيسة الإسكندرية في أفريقيا، مطبعة الجيش، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م، ص ٥٣.

17-Taddesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval, p.106

18 - Taddesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, p. 282-283.

19- Peter Schwab : Ethiopia : politics, economics and society, Published London Pinter,1985, p.211.

20- وكان في أيام ملكنا زره يعقوب خوف عظيم وذعر بين كل أهل أثيوبيا، بسبب قانون حكمه وشدهته انظر:

- Perruchon :Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.4.

21 - "وحين يدخل هؤلاء الغداة- حيث يوجد الملك- لإلقاء كلمة، بسجد الجميع برؤسهم، ويقبلون الأرض خوفاً وارتعاداً كلما سمعوا صوت الملك " انظر :-

- Perruchon : op, cit , P.33.

22 - Taddesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, p.292.

23 - " وبالتمسية للملك لم يكن يعرف لا الحكومة ولا شئون الحبشة- لأنه كان واقتد طفلاً صغيراً انظر

- Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od , pp.353-354.

24 - " وتأمّر مع أصدقائه وقاموا بثورة ضد الملك " انظر

- Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od , p.364.

- 25- Manfred Kropp : Die Geschichte Des Lebna-Dengel, Claudius Und Minas, Scriptores Aethiopioci, Tomus 84, Vol 83,84, Lovanii in Aedibus E. Peeters, 1988,, p.5.
- 26- عرب لفظه : تحفة الزمان وأتوح الحبيشة، نشره رينيه باسية، تحقيق محمد شنتوت ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م ، ص ١٣٢، انظر أيضاً
- Tadesse Tamrat : op, cit , P.282.
- 27 - حين سمع الملك عنه أمر ظلم كثير وتمرد وقد فعل خطيئة أخرى حين تزوج سراً امرأة- وهو زوج لإسرائيلية- وهي إياها الصاسرجويه أمغا ياسوي ليتزوجها. ويمجرد أن سمعت زوجته برهان زماً، أهدرت إياها الملك * انظر
- Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda Maryam, pp.10-11. see also, J. B. Coulbeaux: Histoire politique et religieuse d'Abyssinie ("The Political and Religious History of Abyssinia"), Paris, 1929, p.138.
- 28 - مجدي عبد الرزاق سليمان : المرجع السابق، ص ص ٤٦-٤٧.
- 29 - وفي تلك الوقت جمع الملك الكثير من الناس، وأطلعهم على عقوبات أولاده ومحاکماتهم القاسية قاتلاً : انظروا كيف فعلنا بأولادنا حين أهدروا علي الرب، ونجرة له ثم نرحمهم* انظر
- Perruchon :Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.99.
- مجدي عبد الرزاق سليمان، المرجع السابق، ص ٤٤.
- 30- وحمل الرسل الذين أرسلهم بنود ماريام إلي القديسين بشارة هؤلاء القديسين : من دير لبياتوس، ودير كامبو، ومن الأب الرحيم أبو قير التابع لدير إنجبتن* انظر
- Perruchon :Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.108.
- 31- مجدي عبد الرزاق سليمان : المرجع السابق، ص ٤٨
- 32- وفي تلك الوقت قام أشرار من الناس يدعونهم : تعاقو برهان، وزره صهيون بعد أن وضع الشيطان في عقولهم شراً، فافتروا ظلاماً علي هؤلاء الأمراء وغيرهم من الناس* انظر
- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.98.
- 33 - Coulbeaux: op, cit,p.137.
- 34 - مجدي عبد الرزاق سليمان : المرجع السابق، ص ٤٨
- 35 - Tadesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, p. 241
- 36 - انظر وثيقة الحرمان في الملاحق.
- 37 - وهناك (في دير برهان) قتل الكثيرين من الناس وبغى البعض حين افتروا علي الرب ومسيحه، وقدر الكثيرين وعظمهم، ممن نفذوا مشيئة الرب، وأمر الملك* انظر
- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.73.
- 38 - Budge : op, cit ,p.304.

39 - تعد هذه المشكلة من أكبر المشاكل التي واجهت الديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي، إذ قسمت العالم المسيحي إلى قسمين وتأثرت البغضاء الدينية والسياسية فيما بينهم لمدة طويلة، ذلك أنه حدث خلاف بين اثنين من رجال الكنيسة بالأسكندرية حول تحديد هذه العلاقة، فقال أريوس -وهو كاهن سكندري منلقب- أن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن، ولما كان المسيح الابن مخلوقاً لتلايه الأب فهو إذا بونه ولا يمكن بأي حال أن يعادل الابن الإله الأب في المستوى والقدرة . وبعبارة أخرى فإن المسيح مخلوق لا إله بمعنى هذه الكلمة المطلق، وإلا فإن المسيحيين يصبحون متهمين بعدم التوحيد وعبادة إلهين. أما أثناسيوس فقال بأن فكرة التثاوث المقدس تحتم بأن يكون الابن مساوياً للإله الأب تماماً في كل شيء بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه، هذا وإن كنا نشخصين متميزين . ومن الواضح أن المذهب الأريوسي كان يتلقى ومنطق المثقفين لأنه أراد أن يقيم العقائد المسيحية على أساس من المنطق والتعقل، في حين كان المذهب الأثناسيوسي يستقيم وتفكير عامة الناس من البسطاء الذين يحكمون عواطفهم قبل عقولهم. ولم يلبث أن ساد المذهب الأثناسيوسي في بلاد الغرب اللاتيني في حين أصبحت العقبة في الشرق التهنيتي للمذهب الأريوسي. هذا فضلاً عما نلاحظه من أن معظم المفكرين والفلاسفة والأبناء كانوا أريوسيين موحدين، في حين كانت معظم الطبقات الوسطى والدينا التي انتمى إليها رجال الدين من الأثناسيوسيين . للمزيد انظر سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوربا العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٣٩-٤١ .

40-Richard Pankhurst : The Ethiopian Royal Chronicles, Oxford university press, London, 1967, p.45.

41 - Coulbeaux: op. cit, p.166.

42 - Richard Pankhurst : The Ethiopian Royal, p.47see also Perruchon , op, cit, p. 128.

43 - الجان مساروتش: جمع مفرد لكلمة (جان مساريه) وهو صاحب المراسم الخاصة بالملك، والمسلول عن تقديم الأجانب في حضرة الملك' انظر مجدي الازرق سليمان، المرجع السابق، ص ١١٢ .

44 - 'وفي اليوم التالي أمر الملك أن يجعوا جميع الجان مساروتش، وأن يأتوا بهم إلى القصر . وحين أدخلوهم إلى القصر في الفجر أخذوا كل واحد منهم وخنقوه بمفرده، حتى اضطرب وارتعد جداً كل الذين شاهدوهم....بينما ظلوا مغلقين من رقابهم في ذلك اليوم من الفجر حتى الساعة التاسعة' انظر

- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, pp.162-163.

45-ولهذا السبب دخل الرب في قلب كل الشعب حتى تحدثوا فيما بينهم بأن هذا الملك أشد من أبيه' انظر

- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam.p.129.

- 46 - ولهما بعد نادي العنادي قاتلاً : من الآن فصاعدا ارتدوا جميعكم ما يحلو لكم (من الملابس) سواء (كانت) بيضاء أو حمراء. ولتم أيها السجّاء، يا من كنتم عن قريب أو عن بعد عودوا إلي منازلكم النظر
- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p. ١٦٨, see also Richard Pankhurst : op, cit, pp.43-44.
- 47 - وقد أمر ملكنا ثلثية بأن يجعلوا في ملابسهم زيتاً ويدهنوه كثيراً، ويشعلوا ناراً، ويأخذوا ملابسهم التي دهنت بالزيت، ويحرقوه مبروطاً مصلوباً ورأسه إلى أسفل" انظر
Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p. ١٦5.
- 48 - أحد أبرز الذين حاربوا البعث ودد أماد ميكللا وقد أتعت عليه الكنيسة بلقب " - Makbiba Beta - Kristiyan وهو لقب أعطي من لقب "العقابي ساعات" لكثرة إنعامه على رجال الدين، إذ يرى هذا اللقب في قداس ديشي عن طريق القديس تكلا إيسوس مو . انظر
- Taddesse Tamrat: The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, in(JES), VIII, no.1, 1970, pp .109-111.
- 49 - "ووالدته رومانة والعقابي ساعات تاسفا جورجيس والبعث ودد أمادا ميكللا اتفقوا فيما لا اعتراض بينهم ولا في العداوات ولا في الأوسر التي أصدروها" انظر
- Perruchon : Histoire d'Eskenfer , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.353.
- 50 - ولكن سرعان ما بدأت العداوة بين كل من الأب حسيبو والأب أمادا ميكللا وميامون باسبيدك ضد البعث ودد أمادا ميكللا عندما ارتكوا أنه الحاكم الحاكم لأثيوبيا انظر
- Perruchon : Histoire d'Eskenfer , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.353.
- 51 - Coulbeaux: op, cit,p. 171.
- 52 - Perruchon : Histoire d'Eskenfer , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.354.
- 53 - Budge : op, cit ,p.322.
- 54 - Taddesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, pp.290-293.
- 55-Richard Pankhurst : The Ethiopians , Blackwell, Cambridge , London , 1998, p. 36
- 56 - "ووصل إلى محافظة إيفات وسعي أن يضم إلى عمله للقالم كل جنود الشوا الذين كانوا في هذه المحافظة ولكن هؤلاء وهم عارلون بتكفيره تركوه بسبب خيانتهم وقبدهم بالسلاسل واقتادوه إلى الملك" انظر
- Perruchon : Histoire d'Eskenfer , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.364.
- 57 - " حيث كانت كل البلاد هائلة وقد قص أحد الكهنة واسمه يوحنا قبل مجيئة ما يلي " لقد سمعت صدًى من السماء يقول " نازود بحكم ممتحناً ومختلفاً " انظر
- Perruchon : Histoire d'Eskenfer , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.363.
- 58 - Budge : op, cit ,p.323.

٥٩ - "توأ هذا الملك الحكم وهو في عمر الثانية عشر" النظر

- Manfred Kropp : op, cit , p.3.

60 - Budge : op, cit , p . 324

٦٤ - "وفي عهده لم يقم متمرد ثائر ولم ينبت أحد حيف.... لأن العدل والقسطن قد باتا زينة عرشه،
وعم كل أقطار مملكته استقرار وسلام" النظر

- Manfred Kropp : op, cit , p.5.



التنظيمات العسكرية والخطط الحربية في دولة الإيلخانيين (٦٦٣ : ١٢٦٥/هـ : ١٣٢٥م)

د. محمد سيد كامل (*)

من أوائل الإصلاحات الإدارية التي اهتم بها الإيلخانيون^(١) في دولتهم: التنظيمات العسكرية والخطط الحربية، نظراً لأهمية الجيش في تعزيز مكانة الدولة، والقضاء على الفتن والثورات الداخلية، فضلاً عن درء الأخطار الخارجية، والتوسع في البلدان المجاورة. لقد أدرج المغول الإيلخانيون^(٢) أهمية الاتحاد كقوة عسكرية، بين أفراد القبائل التتارية والمغولية، في إعداد جيشهم وتنظيمه. فبعد أن اتحدوا بدأوا مهاجمة المناطق الشرقية للعالم الإسلامي كقوة موحدة، فتجدد "جنكيزخان" بجهز قواته تجاه "خوارزم"^(٣) ويقضى على دولة "خوارزمشاه"، ويجبر السلطان "جلال الدين منكبرتي" على عبور نهر السند مختزلاً بلاد الهند، مع عدد قليل من رجاله لاجئاً إلى السلطان "شمس الدين ألتمش" طالباً منه تخصيص منطقة من أسلاك دولة المماليك الأتراك ليقوم عليها هو وأتباعه، بعد هزيمته المنكرة على يد "جنكيز خان"^(٤).

لقد اهتم المغول اهتماماً كبيراً برفع كفاءة جنودهم إلى أعلى درجة ممكنة، منذ عهد "جنكيزخان"، وقد اكتملت قوة وكفاءة هذا الجيش في عهد "هولاكوخان"^(٥)، الذي أثر تأثيراً كبيراً في تاريخ الأمم والشعوب الواقعة في أواسط آسيا وجنوب شرقي أوروبا، وأصاب المسلمون بالكثير من الأضرار، وخاصة بعد إسقاط الخلافة العباسية في بغداد وقتل الخليفة "المستعصم" سنة ١٢٥٨م^(٦).

وبالرغم من إشارة "هولاكو" على بغداد بحملة استطلاعية قوامها تومائين^(٧)، وما تعرض له العالم الإسلامي على يد المغول من تخريب ودمار وسفك للدماء، إلا أن "هولاكو" وأبناءه من بعده أسسوا دولة حاكمة أطلق عليها في التاريخ: الدولة الإيلخانية التابعة للخان الأعظم في عاصمته "قراقورم" بالصين، في عدة مناطق من "أذربيجان" و"فارس" و"خوزستان" و"كباريك" و"خراسان" و"بلاد الروم"^(٨) وغيرها، حيث ارتبطوا بهذه البلاد التي توارثوا حكمها، وجعلوا تبريز^(٩) عاصمةً لمملكتهم، ومن ثم تأثروا بالحضارة الإسلامية، وشديناً فديناً اعتنقوا الإسلام، وتلاشت تدريجياً صلتهم بمغول الصين^(١٠).

أولاً: نبذة عن مغول الإيلخانيين:

حكم مغول الإيلخانيون في "فارس" و"العراق" و"كباريك" عقب وفاة "هولاكوخان"، في الفترة ما بين سنة ٦٦٣هـ : ٧٥٦هـ / ١٢٦٤م : ١٣٥٥م، وتعاقد على حكمهم ستة عشر حاكماً،

(*) استناداً لمساعد التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة المنيا.

وتقتصر هذه الدراسة على دور ثعالي ليخانات منهم حتى عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م، أي حتى نهاية عهد السلطان أبو سعيد خان، مركزاً على دورهم العسكري والحربي.

يعتبر أباقلخان أول حكام الإيلخانية في الفترة ما بين ٦٦٣هـ - ٦٨٠هـ / ١٢٦٤م - ١٢٨٠م، الذي ساندته الأمراء وكبار القادة وأولاده السيدة كوقوزخاتون حتى وصل لتعرش. طبقاً لأحكام الياسا الجنكيزية^(١١). وفي عهده تحركت جيوش الإيلخانية في عدة اتجاهات، منها جيش الأمير يشموت - أخو الإيلخان إلى تريند^(١٢)، ضد توقاي حاكمها، فسيطر يشموت على نواحها وعلى ثرون و"موغان" حتى حدود التنان، كذلك سير الأمير كويسين إلى خراسان و"مارندران" حتى ضفاف نهر جيحون^(١٣). كذلك خرج أباقلخان بنفسه، في سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م، لمحاربة براق في بلاد ما وراء النهر، الذي أغار على تخن، راجياً في مهاجمة منكو تيمور - وهو أخ آخر للإيلخان - في قابدو، حيث أعد كميناً فأوقع الهزيمة بجنودهم وقتل وأسر الكثير منهم، ثم حصل على غنائم وافرة، إلا أن جيش أباقا أنزل به الهزيمة وردة عن ما وراء النهر^(١٤).

وفيما تجدر الإشارة إليه: أن أباقلخان خرج بنفسه على رأس عدة حملات عسكرية، منها تجاه بلاد الروم، حيث فرض الجزية السنوية على أهلها وهي حوالي أربعمائة ألف دينار، وعزل سلطاتها "عياث الدين" - من سلاجقة الروم - وعين بدلاً منه ابنه زكن الدين^(١٥). هذا ومن أهم حملات أباقا العسكرية موقعة أيلستين^(١٦)، حيث التقى مع سلطان مصر المملوكي الظاهر بيبرس، والذي كان أمراء بلاد الروم، وعلى رأسهم الأمير ابن الخطير، والأمير معين الدين البروتانه، قد راملاء للتصدي لجيش أباقا، الذي رغب في التوسع في داخل بلاد الشام، معزراً بجيش أخيه منكوتيمور والذي سار إلى حلب، وقد انتهت هذه المعركة بقتل أمراء بلاد الروم^(١٧)، وانزال الهزيمة بجيش المغول، ففضل أباقا تجنب القتال مع المماليك، حتى يتفرغ لجهة أرمنيا والقبجاق^(١٨)، وقد قيل إن القائد منكو تيمور مات كمداً، متأثراً بتلك الهزيمة التي حلت به في حلب^(١٩).

خلف الإيلخان أباقا على العرش أخاه تكودار بن هولوكو فترة قصيرة، من ٦٨٠هـ - ٦٨٣هـ / ١٢٨٠ - ١٢٨٣م^(٢٠)، وذلك وفقاً لتعاليم الياسا الجنكيزية التي تنص قواتها وشروطها على: أنه إذا مات الحاكم لا يجلس بدلاً منه إلا أكبر الأمراء سنأ^(٢١)، وهذا الشرط كان ينطبق على تكودار، ولا ينطبق على أرغون بن أباقا. وقد واجه تكودار عقبة أخرى في سبيله لاعتلاء العرش، حيث إن مجلس القورينتاي^(٢٢) اختلف في أمر تعيينه حاكماً على الأيلخانية، بسبب اعتناقه الدين الإسلامي^(٢٣)، وإطلاق اسم أحمد على نفسه^(٢٤).

لقد نتج عن دخول أحمد تكودار الإسلام عدة نتائج من أهمها، عدم إرسال الخان الأعظم فرمان التوثيق له^(٢٥)، وكذلك خروج أحد الأمراء عليه ومحاربه، وبذلك اضطر أحمد تكودار إلى تجريد جيش ضده بقيادة ألباق التناق نائبه، ثم اضطر للخروج بنفسه على رأس جيش قوامه أربعين ألف فارس تجاه خراسان، فأنزل الهزيمة به وأسر^(٢٦). ولابد أن نشير هنا إلى أن أحمد تكودار قام ببذل الأموال والعطايا، وأغدى من أموال الخزان على أخوته وأمرائه وقادة

جيشه لكي يستأنوه ، لدرجة أنه أطلق سراح 'أرغون' مناقشه على العرش في محاولة منه لاستماتته^(٣٧).

ومن الطبيعي أن يبحث تكودار^{٣٨} عن حليف قوى يوازره ويقف إلى جانبه، لذا أرسل سفارة على رأسها الشيخ كمال الدين عبد الرحمن^(٣٩) إلى سلطان مصر 'المنصور قلاوون' تحمل رسالة بوضوح فيها مدى حبه للدين الإسلامي^(٤٠)، إلا أن هذه السفارة لم تؤت ثمارها، نتيجة لأن مجلس القوريلتاي والجيش انقسم على نفسه، وتحالف عدد من القادة مع 'أرغون'، مثل الأمير 'قرنغرتاي' القائد على جيش بلاد الروم، والأمير 'اليناي' قائد جيش 'الكرجي' والأمير 'بوغا' والأمير 'طغاجار' الذين رغبوا في تسيير جيش ضد بلاد الشام والمماليك في مصر، وقد انتهى الموقف بقتل 'أحمد تكودار' وتولية الحكم ل'أرغون'^(٤١).

واستمر حكم 'أرغون' حتى سنة ٦٩٠هـ/ سنة ١٢٩١م، وكان من المتوقع أن يرسل جيشاً لبلاد الشام، إلا أنه أرسل جيشاً تجاه جبال 'هكتار' بكرديستان. لقتال الأكراد الذين كانوا يقطعون الطرق ويشيرون القنن ، قوام هذا الجيش ستة عشر لوف فارس وعلى رأسه عدد من الأمراء منهم الأمير 'ملازون' و'القوشجي' و'تورين'، كما تحرك 'أرغون' عندما وصلت الأخبار من خراسان بتقدم ثلاثين ألفاً من الفرسان من جنود 'كباد' ومقدمهم 'بوسون نويان'، وعبورهم 'البنجاب' ونهبهم جهات 'بلخ' و'سمرقند'، فصددهم 'أرغون' في سنة ٦٨٧هـ/ سنة ١٢٨٨م^(٤٢).

كذلك تصدى في ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م لتسرد الجنود في ناحية 'نيرند'، وقتل منهم ما يقرب من ثلاثمائة فارس وأسر عدداً آخر، والجدير بالذكر أن 'أرغون' لم تكن في عهده أي حملات خارج إيران، فلم يتقدم تجاه بلاد 'الشام' التي كان المماليك فيها يهدفون إلى تصفية بقايا الصليبيين بالشام، وبذلك كانت الفتن الداخلية في الإيلخانية بمثابة محاولة تعمل على إضعاف الدولة^(٤٣).

وفي ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م توفي 'أرغون' متأثراً بمرض ألم به، فتولى بدلاً منه العرش كيقااتو بن أباقا، حتى عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م^(٤٤)، والذي عمل على تحسين أوضاع البلاد المالية عن طريق استبدال العملة الذهبية والفضية بالعملة الورقية المسماة 'الجالو'^(٤٥)، ولابد أن نشير هنا إلى أنه في عهد كيقااتو ظهرت عدة فتن داخلية، منها فتنة 'أفراسياب' حاكم 'تومستان' وثورة 'الطور'^(٤٦)، إلى جانب ثورة التركمان والنويان في بلاد الروم، لذا صمم كيقااتو على الخروج بنفسه لمحاربتهم، فأسند شؤون البلاد لثاليه المسمى 'شيكاتور نويان'، وزحف على بلاد الروم وقضى على الفتنة بمساعدة عنصر 'الكرج'^(٤٧).

وبرغم هذه الإنجازات، إلا أن أمراء الإيلخانيين تأمروا على كيقااتوخان بسبب ضعف شخصيته، واتقياده لقائد جيشه الأمير 'طغار'، الذي ألقعه بالمعسكر لمحاربة الأمير 'غازان' في خراسان، ثم ما لبث أن تركه وانضم إلى صفوف معارضيه، وبذلك دارت الدائرة على كيقااتو^(٤٨) فتم قتله في ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م^(٤٩).

تعتبر فترة حكم 'غازان' الذي تولى الحكم سنة ٦٩٤هـ- ٧٠٣هـ/ ١٢٩٤-١٣٠٣م، والذي اتخذ لنفسه اسم محمود، بعد اعتناقه للإسلام وإعلانه ديناً رسمياً للبلاد، من أهم الفترات التي ظهرت فيها التوسعات الخارجية، بعد ازدياد قوة الخلافة بينه وبين السلطان 'التناصر محمد بن قلاوون'، بسبب فرار العديد من المغول المؤيدين لساسن ملوك الإيلخانيين الأمير 'بايدو' من

إيران -ويقدر عددهم بعشرة آلاف فرد- إلى الديار المصرية، وترحيب سلطان مصر بهم، وإتزالهم في ساحل بلاد الشام، وإحضار رؤسائهم لاستقباله في مصر. فزحف "غازان" بنفسه على رأس ثلاث حملات حربية لغزو بلاد الشام، تمكن في الحملتين الأولى والثانية من الاستيلاء على عدة مدن، فالتصر في "مرج المروج" سنة ١٢٩٩/٥٦٩٩م^(١٣٨).

وفي الحملة الثانية، سنة ٧٠٠/٥٧٠-١٣٠٠م، سار الأمير قتلغ شاه على مقدمة جيشه^(١٣٩)، ثم تقدم "غازان" تجاه القرات ومنها إلى حلب، ومن اللافت أن سلطان مصر لم يخرج بجيشه لصد الإيلخانيين، وقد قيل إنه خرج بجيشه حتى "حماء" دون أن يتم الاشتباك بين الطرفين^(١٤٠). هذا وقد قيل إن السبب الرئيس في زحف "غازان" هو رغبته في التوسع^(١٤١) أولاً، ثم استنجا بعض أمراء المعاليك به، وهم "سيف الدين قبيجق" والأمير "قارس الدين البكي"، و"سيف الدين بكتمر السلحدار"، الذين زبنوا له مهمته لغزو الشام^(١٤٢)، والذين كانوا على خلاف مع سلطان مصر، نتيجة لذلك فقد كافأ "غازان" الأمير "سيف الدين قبيجق" بتعيينه حاكماً على المنطقة الشامية، ومن ثم عاد "غازان" إلى تبريز^(١٤٣).

تجددت مسيرة "غازان" للمرة الثالثة على بلاد الشام، في ٧٠٢/٥٧٠-١٣٠٢م، حيث زحف قتلغ شاه بجيش قوامه مائة ألف شخص، ومعهم أعوانهم من الكرج والأرمن، فخرج "الناصر محمد" من مصر، مصطحباً الخليفة المستنفي بالله العباسي، وتمركز القتال في "مرج الصفر" على مقربة من حمص، فدارت الدائرة على "غازان" وجنوده، ففر قائد جيشه وغرق كثير من جنده، ومات آخرون في الصحراء من شدة الجوع والعطش^(١٤٤)، وبذلك حلت الهزيمة بالإيلخانيين، وأصيب "غازان" بجحالة من الهجوم، وأمر بمهاجمة قوات جيشه المهزومين، فأعدم منهم اثنين، وأمر بضرب اثنين آخرين، وهما قتلغ شاه و"جويان"، ضرباً مبرحاً^(١٤٥)، وسرعان ما أصابته حالة نفسية سيئة مات على إثرها في ٧٠٣/٥٧٠-١٣٠٣م^(١٤٦).

خلف "غازان" في عرش الإيلخانية أخاه "أولجايتو بن أرغون"، الذي بويع بالعرش بحضور الأمراء والوزراء، إلا أن التقليد العام للجيش "هرقداق" كان مبالاً إلى تولية الأمير "الأفرك بن كخاتو"، ولكن "أولجايتو" تمكن من القضاء على معارضيه والوصول إلى الحكم، واستمر طوال الفترة ما بين ٧٠٣-٧١٦/٥٧٠-١٣٠٣م^(١٤٧).

اعتنق "أولجايتو" الإسلام على المذهب السني، وتسمى "محمد"، وشرع في بناء مدينة "السلطانية"، التي خصص لها نخل بعض الولايات لصد نفقات البناء، حيث استمر العمل في بنائها حوالي عشر سنوات، حتى عام ٧١٣/٥٧١-١٣١٣م^(١٤٨).

أما عن نشاطه الحربي: فقد بدأ "أولجايتو" حياته العسكرية بغزو منطقة "جيلان" بأربعة جيوش إيلخانية، أجبرت أمراتها على دفع الجزية التي كانت عبارة عن كميات من منسوجات الحرير^(١٤٩)، كذلك فتح في سنة ٧٠٦/٥٧٠-١٣٠٦م مدينة "هراة"، التي فرض عليها الحصار الشديد الذي أدى إلى ظهور مجاعة شديدة مع قلة الأقوات والأطعمة، فاستسلم أهلها، وبالتالي كان سقوطها فرصة كبيرة للإيلخانيين، حتى يتمكنوا من فرض سلطتهم على إقليم خراسان ككل^(١٥٠).

وبذلك فقد أظهر "محمد أولجايتو" نشاطاً عسكرياً كبيراً، وفتح عدة مناطق وأحمد أكبر تمرد في "هراة" ولكن محاولته فتح "مارندران" باءت بالإخفاق، بسبب سوء الأحوال الجوية وارتفاع

درجة الحرارة في المنطقة^(١١١)، كذلك جهز حملة على بلاد الشام في سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، بعد فرار عدد من أمرائها إليه، وعلى رأسهم الأمير فراسنغر حاكم دمشق، فزين له مهاجمة بلاده، فتقدم إلى الموصل وحاصر الرجبة، إلا أن حكمها رفض تسليمها إليه وأبلى بلاء حسناً في الوقوف في وجهه، ومن ثم أصدر الإيلخان أمره بفتح الحصار والانسحاب إلى إيران^(١١٢).

تولى أبو سعيد بهادرشاه الحكم في خراسان ولماً للعهد، في سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م، ولم يكن عمره يتعدى التاسعة، حيث أسند والده 'أولجايتو' إلى الأمير 'سمنج' الأتابكية عليه^(١١٣)، ولما توفي 'أولجايتو' رجع إلى العرش، وقد تعرض في بداية حكمه إلى عدة ثورات، منها ثورة 'الجغتايون' في خراسان الذين تقدموا إلى 'مازندران'، وكذلك لفتنة 'أوزبك خان' ملك صحراء القبچاق الذي تقدم إلى 'أران' و'أذربيجان' على رأس جيش كبير، هذا إلى جانب هجوم جيش مصر على حدود ديار بكر^(١١٤)، ولكن أبو سعيد بمساعدة أتباعه تمكن من القضاء على تلك الفتن والثورات. كما تمكن، في سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م، من التدخل في مفاوضات صلح وعلاقات طيبة مع الناصر محمد بن قلاوون، نتج عنها عقد معاهدة صداقة وود بين الدولتين^(١١٥).

دخلت الدولة الإيلخانية في فترة ضعف عقب وفاة 'أبو سعيد'، وتولى حكمها عدد من الإيلخانات، منهم 'موسى خان' حفيد 'أليدو'، الذي اتجه بجيش تجاه إقليم 'أذربيجان'، وأحق الهزيمة 'بأرباخان' ووزيره 'غياث الدين محمد'، وقتله سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م^(١١٦). ونتيجة لضعف حكام الإيلخانية، فقد استطاع الأمير 'حسن كوجاك' بن 'جويان' من تأسيس الدولة 'الجلاترية' في حدود سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، والقضاء على آخر الإيلخانات وهو 'توشيرين العادل'^(١١٧).

ARCHIVE

ثانياً- التنظيمات العسكرية في الدولة الإيلخانية: <http://archive.org>

اعتمد الإيلخانيون على العديد من التنظيمات العسكرية في الحروب والقتال، فلفترة التي حكم فيها الإيلخانات إيران تعد من أخطر فترات تاريخها، وأكثرها اضطراباً، وأشدّها فتناً وإيلاماً بالنسبة لشعبها، نتيجة لما ارتكبه المغول من مجازر ومذابح وتدمير، ولم يوقفهم عند حددهم إلا دخولهم الإسلام، الذي هذب نفوسهم فتركوا قوانينهم وعاداتهم المغولية. واتبعوا الشريعة الإسلامية، وهي الفترة الثانية من حكمهم، والتي تبدأ من عهد 'غازان' إلى نهاية تولتهم^(١١٨). ومن أهم هذه التنظيمات العسكرية :

١- اعتماد المغول على العامل النفسي والتعبئة الروحية لجنودهم

اعتمد الإيلخانات على العامل النفسي في تسيير جنودهم للقتال، فحرصوا على زيارة المنجمين في محل إقامتهم، وأخذ رأيهم في نتيجة الحرب، ثم نشرها بين الجنود والقادة، فقد كانوا لا يعنون الجيوش أو يدخلون حرباً إلا بعد الرجوع إلى كهنة البوذيين، والأخذ بموافقتهم، فبلى جانب الاستعداد المادي للحرب، كان هناك التعبئة الروحية، وهي ضرورة لازمة لكسب الحرب، لأنها تعنى بالشعور وتقوى العزيمة وتمد المحاربين بالقوة المعنوية، وتغصمهم الصبر والثبات وتبهون عليهم الصعاب^(١١٩)، كذلك لجأ بعض حكامهم إلى الاعتقاد في السحر والشعوذة والنجوم،

فقد كان أرغون خان، مثل أغلب سلاطين المغول الأوائل، يعتمد عليهم في تحركاته، ووصل القلمون على تلك الأمور إلى منزلة كبيرة في الدولة^(١١).

أما في عهد إيلخانات المسلمين، فإن روح الإسلام طغت عليهم، فكلوا يؤدون ركعتين قبل بدأ المعركة مثلما حدث في سنة ١٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، عندما سار غازان خان إلى مدينة حمص بالشام، حيث صلي "غازان" مع جميع رجالات جيشه ركعتين، ثم ركب وواجه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بما جمع له من الجنود والقادة^(١٢)، وذلك تكريماً لله تعالى، طالبين النصر والتأييد منه تعالى.

هذا التغيير في الفكر العسكري ظهر بصورة واضحة كذلك في عهد محمد أولجايتو، الذي حاول كسب وتأييد الأهالي عن طريق الاختلاط بالرموز الصوفية، فزراه بكرم مولانا قطب الدين الشيرازي، ويجلس سيدي سيف الدين على الرفاعي، ويطلب منه التأييد الروحي لجيشه وتجهيزاته العسكرية^(١٣).

٢ - الاهتمام بوضع قواعد وتوانين تحكم العمليات العسكرية للجيش :

ومن أهم التنظيمات العسكرية في دولتهم أن يخرج الجنود والقادة بحسب تقاليد وقواعد منظمة مرعية فيما بينهم، مشابهة لترتيبات رحلات الصيد الجماعي وقتص الفريسة، وكان لهذا قواعد وشروط موجودة في الياسا الجنكزية، فقد كانوا يقومون بتحرك ألف شخص، طبقاً لقواعد الحرب نفسها، من مينة وميسرة وقب، وإذا ظنت فريسة أجريت التحقيقات، وكانوا يعتبرون ذلك من الواجبات، وقد يقتل المتسبب في فشل ذلك^(١٤). وفي حفيظة الأمر فإن الإيلخانيين اهتموا اهتماماً كبيراً بتعليم صفراء الأمراء فنون الفروسية والصيد، لكي يأهلهم بقيادة جيوش دولتهم^(١٥).

لقد جرت العادة على تعينة الجيوش واعدادها إعداداً دقيقاً، من حيث استدعاء آلاف الجنود المدربين على استخدام أدوات الحرب والقتال، مثل المنجنيق وقاذفات النبط والسهام، وتجهيز الأعداد الصغيرة من الجنود حتى تشاع الرهبة والرعب منهم.

أما في حالة تفهقر الجيش، أو فرار الجنود والقادة، فكان يعقد مجلس أعلى لمحاكمة القائد العام للجيش والقواد الفارين، يتم في هذه المحاكمة سماع أقوالهم ومعاقبتهم بقدر جرمهم، مما يترتب عليه خشية الجنود والقادة محاولة الفرار أو التلهقر من ساحة القتال، مثلما حدث في سنة ١٣٠٣هـ/ ١٣٠٣م، عندما عقدت محاكمة للقائد "قنغ شاه" والأمير "جويان" وغيرهما من القادة، الذين فروا من موقعة "مرج الصفر" في عهد الإيلخان "غازان"، وقد ترتب على هذه المحاكمة أن استمر الاستجواب يومين كاملين، وأعدم اثنين من القادة، وحكم على كل من "مولاي" و"قنغ شاه" و"جويان" بالضرب المهين بالهراوات دون أنسى شفقة أو رحمة^(١٦).

وهكذا كانت عادة الإيلخانات هي: عقد مجالس لمنافسة أي أخطاء في أثناء القتال ومحاسبة المقصر، وبالتالي مكافأة المنتصر والفائز^(١٧).

٢ - قيادة الجيوش:

اهتم الإيلخانيون بقيادة جيوشهم، واختيار الأمراء بعناية كبيرة، فقد كان تعيين قيادة الجيش يتم بواسطة الإيلخان نفسه، فهو صاحب الحق الأول والأخير في اختيار القادة

وترشدهم لمهامهم، وكانت شارات القيادة والإمارة هي البوق والطم والبطول، حيث تفرع التطبول على يابه صياحاً ومساءً، بالإضافة إلى أن هناك عدداً من الحراس على يابه^(١٧١).

لقد اهتم الإيلخانيون بشك القيادة التي هيمنت على مقدرات الجنود وتحركاتهم، والتي عملت على خلق جيوش قوية تحمل الولاء للتمام لحكامها، والتي تنزل الرهبة في قلوب الأعداء، وتدل على مقدرة فذة في فن تنظيم الرجال ودعم قوتهم بالعتاد والسلاح، والسيطرة النفسية على جنودهم، فكانت حياة الجندي هي المسيطرة على مقاليد الأمور، لدرجة إطلاق المقولات التي تشير إلى أن جيش المغول قوة لا تقهر.

جرت عادة القيادة العامة للجيوش الإيلخانية أن تركز السلطة في الجيش، في أغلب الأحيان، في يد الأسرة الإيلخانية نفسها، فقد تولى معظمهم قيادة الجيوش بأنفسهم، حيث اعتبر القائد الأعلى للجيش والمحرك الأول له، وفي هذه الحالة يكون موضعه في القلب، وللحقيقة فقد قاد أباقاخان جيشه ضد بلاد الروم، واستطاع أن يفرض الجزية السنوية عليهم^(١٧٢). وفي عهد كيخاتوخان خرجت الجيوش، وعلى رأسها الإيلخان، للتصدى لفتنة 'الفراسياب' حاكم 'لويستان' وثورة 'الطور'. وقتلة التركمان واليونان في بلاد الروم، والذي استطاع أن يتصدى للفن ويقضى على الثائرين، وذلك في سنة ٦٩٠هـ/١٣٩٠م^(١٧٣). كذلك خرج 'غازان' على رأس جيوشه في ثلاث حملات على الشام، ضد دولة المماليك في عهد 'الناصر محمد'، انتصر في حملتين سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م، وسنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، وهزم في الحملة الأخيرة في 'مرج الصفره' سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م^(١٧٤). حيث تأثر بما حل بجيوشه فعات 'غازان' متأثراً بتلك الهزيمة^(١٧٥).

هذا وقد أظهر 'أولجايتو' نشاطاً حروبياً كبيراً بلنحية منطقة 'جبلان' وسيطرته عليها، ونجح 'أولجايتو' في فتح مدينة 'هواة'، إلا أنه أخفق في حملته على بلاد الشام، ومحاصرته للرحبة، فاضطر للعودة إلى عاصمته من جديد^(١٧٦).

أما في عهد السلطان 'أبي سعيد' والذي قاد عدة حروب، وكان على رأس جيوشه وفي قلب تشكيل الجيش، فقد خرج بجيشه ضد ديار بكر وحكامها، وأبدى الإيلخان صموداً منقطع النظير. حتى لقب 'ببهارخان' - أي الخان البطل - هذا اللقب الذي أصبح من الألقاب المحببة إليه، لدرجة أنه أمر بكتابته في الغرامات والمراسيم الرسمية التي تصدر عن دولته^(١٧٧)، تشبهاً بجده 'جنكيزخان' الذي كان يحمل لقب ملك العالم أو فاتح العالم^(١٧٨).

ومن البديهي ألا يفهم من كلامي السابق أن قيادة الجيوش قاصرة على الإيلخان فقط، فإن قيادة الجيوش أيضاً كانت بيد أمراء الأتواس، وهم أربعة أكبرهم برتبة 'البيكلوي' بلك' وأبيه أمر قيادة الجيوش، ثم يليه أمراء الأتواس الثلاثة ويقال لكل منهم 'النوين'، وهو أمير عشرة آلاف ويعبر عنه بأمير 'التومان'. ثم هناك أمير ألف، فأمر مائة، وأخيراً أمير عشرة^(١٧٩).

ومن أهم قيادات الجيوش القائد العام للجيش، أو ما يطلق عليه لقب أمير الأمراء، ومن أبرز من تولوا هذا المنصب الأمير 'يشموت' والأمير 'منكوتيمور' - أخوان أباقاخان^(١٨٠)، كذلك نرى القائد 'قرغزتاي'، في عهد 'أرغون'، يعتبر من أمراء الأتواس^(١٨١)، أما في عهد 'غازان' فهناك الأمير 'كفتغ شاه' للقائد العام للجيش الذي كان مقره في العاصمة تبريز، وعليه شئون الجيوش وتجهيزهم بالأسلحة وتفتاتهم، ثم أسند 'غازان' منصب أمير الأمراء والإشراف العام على

الجيش للقائد حاجي نوزيك^(٢٤)، كذلك كان الأمير "جويان" في عهد "أولجايتو"، هذا إلى جانب قائد عام الجيوش في عهده الأمير "هرقداق"^(٢٥).

ولا بد أن نشير إلى أن الجيوش الإيلخانية كان لها فواد صغار يتبعون القائد العام لهذه الجيوش، وذلك من منطلق أن جيوشهم كانت تقسم إلى ميمنة وميسرة وقلب، لذا كان لكل قسم من هذه الأقسام قائد يرأسها، ويتعاون الجميع في تنفيذ الخطة العسكرية بإشراف وتوجيه القائد العام، ففي سنة ٦٧٥هـ/١٣٧٥م، خرج الجيش في عهد "ألفاخان" إلى بلاد الشام متجهاً إلى منطقة "ألبستان"، وذلك في جيش جرار عليه عدة أمراء، مثل "طوقرين إينكاي نويان"، والأمير "نرعتو وتودان بن سونوم"، ومع كل واحد منهم جيش يتكون من عشرة آلاف مقاتل^(٢٦).

وفي ختام كلامنا عن قيادة الجيوش لا بد أن نشير إلى أن الجيش لا يبقى عاطلاً في أوقات السلم، بل يصل في ميادين الصيد^(٢٧)، الذي خصص له مبالغ كبيرة لتربية وتدريب فهود وكلاب الصيد، فالصيد فرصة كبيرة لتدريب الجنود، وتعوددهم على الخضونة، وتوفير الطعام من صيدهم للجنود، وكذلك يعتبر ترفيحاً للقادة.

٤- التنظيمات المتبعة في تحريك الجيوش لساحات القتال:

من الثابت تاريخياً أن المغول، بعد أن ثبتوا حكمهم في إيران وغيرها من البلدان بأساليبهم الإرهابية، ركبهم الغرور والخطرة، ونظروا إلى غير بني جنسهم على أنهم أقل منهم، وأنهم المادة والصفوة وما دونهم خاضعين لسيادتهم^(٢٨)، وعلى الرغم من ذلك: فبهم تبعوا نظاماً واحداً في تحريك جيوشهم في ساحات القتال، وكانت أولى خطواتهم التنظيمية هي: إرسال قوة صغيرة لا تتجاوز ما بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف، كقوة طبيعية استطلاعية على رأسها قائد، إلى الجهة التي يرغبون في فتحها. هذه القوة الاستطلاعية لها عدة مهام رابعة من أهمها: استطلاع الطرق والمسالك، وجمع أسرار وأخبار الجنود وتبليغها للقيادة الرئيسية في جيوشهم، وكشف بعض نقاط الضعف وعورات الجيش المعادي، ففي سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م، قاد الأمير "كراي" قوة استطلاعية من ثلاثة آلاف فارس مجهزين تجاه بلاد الشام، فتصدى لهم حاكم دمشق الأمير "سنقر الأشقر"، وذلك في عهد "ألفاخان"^(٢٩).

كما جرت العادة في عهد "غازان"، على إخراج قوة استطلاعية أمام جيوشه، مثل ما حدث في سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، عندما أرسل قوة طبيعية بقيادة "قتلغ شاه"، فعبر نهر الفرات، ووصل إلى حلب، ثم تجاوز حماه، ونزل بمحاذاة مدينة السلمية^(٣٠).

لم تكن القوة الاستطلاعية يقتصر خروجها على الحملات الخارجية، فقد كانت أيضاً تخرج في الفتن والثورات الداخلية في الدولة، ففي سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، في أثناء فتنة الأمير "توروز"^(٣١)، سير "غازان" قوة استطلاعية على رأسها الأمير "قبرتو" لاستطلاع الأخبار، فعدوا بأخبار مهمة هي زحف "توروز" على رأس جيش كبير تجاه العاصمة تبريز، مما أدى إلى قضاء جيش "غازان" عليه وقتله^(٣٢).

كذلك أنقذت القوة الاستطلاعية جيش "أرغون خان" من الهزيمة المحققة، لوصول الأخبار عن طريق الطبيعة بأن الأمير "إيناق" الشار على الإيلخان، قد سار من "موغان" إلى

الرى وقزوين وخراسان، ويذك حشد أرغون جيشه، وأسرع إلى هذه المناطق، وتصدى لهذا التشر، وانتصر عليه، وذلك في صفر سنة ٦٨٣هـ/ ٢٨٤م^(٩٧).

ومن أهم التنظيمات العسكرية لدى الإيلخانيين: تقسيم جيوشهم في ساحة القتال إلى عدة أقسام وهي الميمنة والميسرة والقلب، والقلب يعتبر من أهم أقسام الجيش، يكون فيه الإيلخان في الغالب، أو على رأسه القائد العام للجيوش. وقد أشار معظم المؤرخين الذين تحدثوا عن حروب الإيلخانيين إلى هذا التقسيم، ففي حرب "ألباقخان" ضد الأمير "براق"، جعل الخان ميمنة جيشه إلى الأمير "كيشين أغول"، وكان معه للمساعدة الأمير "سماغار" والأمير "هندويان"، وعلى الميسرة أخيه "يشموت"، ومعه للمساعدة الأمير "سوتنای" والأمير "أرغون آقا"، أما القلب فقد أسند إلى القائد العام "أباتای نويان"^(٩٨) شريطة أن تقوم تلك التقسيمات كلها بمهاجمة قوات العدو في وقت واحد، مما يؤدي إلى تشتيت انتباه قوات العدو وعدم تركيزها في جبهة واحدة.

صار تقسيم الجيوش الزاحفة على أعداء الإيلخانية سمة من سمات الجيش، وتطبعها عسكرياً لا بد من اتباعها في معظم حروبهم، سواء تم لهم النصر أو عكس ذلك، ففي سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م قسم "غازان خان" جيوشه على نفس الطريقة، ووضع "قتلغ شاه" و"مولای" على ميمنة جيشه، و"كروغشا بهادر" ويساتده أربعة قادة آخرين على الميسرة، وفي القلب كان الإيلخان بنفسه يساتده الأمير "جويان"^(٩٩)، وهو نفس النظام الذي اتبعه الإيلخان في موقعه "مرج الصفرة"، وحذف بخمسين ألف مقاتل، وأسندت قيادة الجيوش لعهد من العادة الكبار، مثل "قتلغ شاه" والأمير "جويان"، و"مولای"، والأمير "تيلان" و"سوتنای"، ويرغم هذه التنظيمات العسكرية، وتقسيم الجيش على النحو السابق المتبع في تنظيمات الإيلخانات، فإن هذا لم ينقذ الموقف وحلت الهزيمة بالقوات، وسقط عدد كبير منهم أسرى، فقد عددهم بحوالى عشرة آلاف جندي^(١٠٠).

٥- نظام تعبئة الجيوش وتجهيزها بالعتاد.

اتبع الإيلخانيون نهجاً خاصاً في تعبئة وتجهيز قواتهم، وفق الظروف التي خلقتها هزيمتهم في عين جالوت^(١٠١)، من منطلق الحفاظ على جنودهم وعدم تعرضهم لأية هزيمة جديدة، خاصة وأن هؤلاء الجنود امتازوا بالشجاعة في القتال وأنهم لا يفرون أبداً من ساحة الوعى^(١٠٢)، ومن المعروف عنهم أنه إذا سقط منهم أحد في الأسر، إنما يعمل بكل الوسائل على قتل نفسه أو التخلص من أسره بأية طريقة كانت، مع التشار مغونة مؤداها: أن الجيش المغولي لا يفهر.

هذا وقد كان ضبط الجيش وتنظيمه كما نصت عليه قواعد الياسا الجنكيزية بأن على الأمير أو القائد أن لا يتردد إلى باب أمير آخر، ولا يغير المكان المخصص له، وأن يقوم الجنود بعرض آلاتهم الحربية على أسرائهم كاملة عند التحرك إلى القتال، وكان على الجندي أن يطيع قائده طاعة عمياء، وإذا أخطأ أحد الأمرء فإن عليه أن يسلم نفسه لرسول الإيلخان، حتى لو كان من أخص وأحقر الناس، وأن ينقى نفسه بين يديه ذليلاً، لباخذة بموجب خطاله، ولو كان فيه القتل^(١٠٣).

ومن هذا المنطلق فإن الإبلخان، بمجرد أن خلف والده "هولاكو" على العرش، بادر إلى العمل على إعادة سعة المغول الحربية إلى سابق عهدها، فمار على سياسة مناوأة المعايك ومصادقة الصينيين، ومحاولة التوسع في بلاد الشام^(١١١)، وفي بداية عهده نجح في إنزال الهزيمة بجيوش "مغول القهباق" بقيادة "يركة خان بن جوجي"، و"مغول التركستان" بقيادة "براق خان"^(١١٢)، فتنظيم الجيوش هو مفتاح النصر، وعلى القائد المحنك أن يضع في فكره عامل الوقت، وعدم القتال في جهتين في آن واحد، والقضاء على الفتنة في مهبدا. وفي حقيقة الأمر فإن نظام تعبئة الجيوش يتم بتقديم لواء الأحمال الثقيلة وخيام العلمان والأطفال والنساء، ويعرف هذا باسم "عزوق"، وإقامة منازل للقوافل لإمداد الجيوش بالعلف والطعام والشراب^(١١٣)، وكانت تصدر الأوامر من الإبلخان بتعبئة الجيش، ويمد هذا الأمر إلى أمير الإشراف، الذي يشرع في إصدار أوامره للجنود بنقل الغلال من المخازن، التي ياكلون منها في أثناء تنقلاتهم ويطصون دوابهم، ولابد أن تكون تلك الغلال كثيرة وكافية قدر الإمكان^(١١٤).

هذا عكس ما كان متبعاً مع المقاتل المغولي قديماً، الذي كان يحمل كل ما يحتاجه أثناء الحرب، فيحمل آلات لشحن رماحه، ويحمل الإبرة والخيوط لاستعمالها عند الحاجة، ولا يأخذ معه من المؤن إلا قرياً من اللبن وأنبية من الفخار، ليطهي فيها طعامه، وخيمة صغيرة وآلة لحفر الأرض، ويحسب من الجند يحمل فيه ملامسه، ويستعمله في عبور الأنهار^(١١٥).

ولم يكن لرواتب الجنود وقواد الجيش نظام ثبت قبل عهد "غازان خان"، فقد كان بعض القادة يحصلون على كمية محددة من الغلال، فقد "غازان" رواتب للجنود يزيد معدلها سنوياً، وقد أصدر مرسوماً بتحديد إقطاعات للجنود أطلق عليها اسم: "الباسا الغلاتية"^(١١٦) على غرار الباسا الجنكيزية.

ومن أهم التنظيمات التي اعتمى بها الإبلخان: نظام استعراض الجنود والإطمئنان على معداتهم وأسلحتهم وتوابعهم، حيث كان الإبلخان يقوم بمهمة استعراض الجنود بنفسه، كذلك الاهتمام باستعداداتهم العسكرية، وخاصة قبل المسير إلى ساحة القتال، فعلى سبيل المثال: كان غازان يستعرض جنوده بنفسه قبل المسير للقتال في حربه على بلاد الشام^(١١٧)، وذلك حتى لا يقصر أحد في أمر من أمور الجيش.

كذلك أقاموا على ديوان الجند رئيساً أطلق عليه اسم: العارض أو رئيس ديوان العرض^(١١٨)، المختص بشئون الجيش ونفقته، وجميع فرقته وإمداداته، وأشهر من عمل في هذا المنصب "ضياء الملك" في عهد "غازان"^(١١٩). ومن هنا نستنتج أن من أهم مهام العارض: استعراض الجنود في الميدان قبل الخروج للقتال، وفي المناسبات العامة، والإطمئنان على حالة الجند وإستعداداتهم العسكرية، وصرف أرزاقهم، فقد بسط "غازان" يديه وأغدق على القواد في خمسة عشر يوماً ثلاثمائة تومان من العملات الذهبية، وعشرين ألف خنعة، وخمسين منطقة مرصعة، وثلاثمائة تومان من العملات الذهبية، كذلك أمر بتعيين الكتاب والفرق، وكتابة أسماء الجنود وربتهم في السجل، وهم مطالبون بالعرض في كل شهر، لتفقد عتادهم وعددهم من فرسان ومشاة، بموجب الضبط والقانون^(١٢٠).

كذلك عمل "أرغون" على إحضار الأموال من عاصمته، وقسمها على الجنود، حتى تستقر الأوضاع ويأخذ الجنود أرزاقهم^(١١٠). وقد اهتم الإيلخانيون اهتماماً كبيراً بمخصصات الجنود ورواتبهم، وخبر نبل على ذلك أن أحمد توكودار^(١١١) أمر بفتح الخزان، وقسمها على الخواتين - نساء القصر - والأمراء وقادة الجيوش، وأعطى كل واحد منهم مائة وعشرين ديناراً^(١١٢)، كذلك قام أبو سعيد، وهو حاكم على خراسان، بمطالبة "أولجايتو" بإرسال الأموال لدفع مرتبات الجنود^(١١٣).

والخلاصة: أنه كان هناك فرق كبير بين المغول في عهدهم الأول في معاملتهم لجنودهم، لدرجة أنه كان لابد من إبقاء الجنود في حالة من الفقر والاحتياج حتى يحرصوا على النصر، وبين عهد الإيلخانيين، الذين اهتموا بتنظيم الإنفاق على الجنود، وإقطاعهم الإقطاعات في المدن والقرى.

ثالثاً : الخطط الحربية

بعد التخطيط الحربي الجيد مفتاح النصر في المعارك، وعلى القيادة المحنكة أن تضع نصب عينها أن يكون هناك عدد من الخطط التي تدير عليها في تحريك جيوشهم، فمن مبادئ الفكر العسكري للمغول: عدم تغيير الفكر التخطيطي لهم في حروبهم، فكان التهديد والوعيد من أساليبهم، ومن وسائلهم العمل على جذب عناصر من قبائل الراكين في غزوها إلى صفوفهم، من أمثال الأمير "منقر الأشقر" حاكم "نمشق"^(١١٤) الذي سهلوا له مهمة الفرار إلى عاصمة الإيلخانيين تبريز^(١١٥) والاستقرار بها، لكي يفشي أسرار الجيوش المملوكية والأوضاع السياسية في الشام ومصر، وذلك في عهد "أباخان".

أما في عهد "غازان" فقد تمت الخطة نفسها بأن رغب الإيلخان بالأمراء الفارين من بلاد الشام في عهد السلطان "الناصر محمد" إلى سلطنته، وهم الأمير "سيف الدين فيجق"، والأمير "قارس الدين ليكي" والأمير "سيف الدين بكتمر السلحدار"^(١١٦). وقد نتج عن ذلك التصار "غازان" في موقعه "مرج المروج" في سنة ١٢٩٩هـ/١٣٠٠م^(١١٧).

هذا وفي محرم سنة ١٢٧١هـ/١٣١١م، فر الأمير "شمس الدين فراسنقر" نائب السطة بحض إلى الإيلخانية، ونجح به كل من الأمير "جمال الدين أقوش الأوزم الدوادري" نائب طرابلس إلى "أولجايتو" ملك الإيلخانية، فأكرمهم ورفع من قدرهم، وقد استمر هناك حتى وفاتهم^(١١٨). ومن البيهقي أن تشير إلى استمرار الإيلخانيين، في نهاية عهدهم في عهد "أبي سعيد"، على نفس النهج والخطط الحربية، وهي جذب العناصر النافذة على أعدائهم المماليك في مصر والشام، فترى في معاهدة الصلح التي تمت بين الإيلخان والناصر محمد أن أحد شروط المعاهدة تشير إلى أن يصرف سلطان مصر النظر عن تسليم "فراسنقر"^(١١٩) الفار، وألا يكلف الدفوية الإسماعيلية بأي مهام في ممالك الإيلخانية^(١٢٠).

لقد كان دأب المغول استخلاص بعض العناصر النافذة على الحكم في بلادها، للاطلاع منها على أسرار الجيوش، ولم يظهر هذا في حروبهم ضد المماليك فقط، بل في حرب "أباخان" مع الأمير "براق خان" حاكم ما وراء النهر، في سنة ١٢٦٦هـ/١٢٦٧م، وذلك بأن استعان "أباخان"

برجل هندي لكي ينلهم على أسهل الطرق ليعبر نهر 'جيحون'، ويوصلهم إلى حاضرة 'براق' في ضواحي كيوجامة، وبالتالي أكرمه 'أباقا' ومنحه لقب 'ترخان' (١١٦).

ومن خططهم الحربية: إرسال وفد من الرسل محمدين برسائل تحمل التهديد والوعيد للبلدان الراجحين في حربها، حيث تعتبر الرسائل من أنظمة جيوش المغول التي اتبعتها في حروبهم، فعندما عزم 'أباقا' على المسير إلى بلاد الشام، أرسل رسولا إلى الظاهر بيبرس حاملا رسالة على سبيل التهديد والتخويف فيها: أن جيوشنا مستعدة لقتلك..... وإذا امتدت ليدنا في الشام، فإتيا بلا ريب سوف تأتي على كل ما لكم فيها... لأن الله قد وهب جنكيزخان وذريته بلاد العالم (١١٧)، ويضيف فواد الصياد (١١٨) إلى هذا الخطاب أنه ذكر: 'وأنت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلصت منا...، واتهمه بأنه عبد مملوك، مما يدل على احتقاره والتكثير من شره.

كذلك عمل 'أرعون خان' على إرسال الرسائل والمسافرات إلى الغرب الأوربي والبابا 'هرونوريوس الرابع'، لخلق تحالف مع الغرب لدرء خطر المسلمين المماليك، يقترح فيها على البابا توجيه حملة مشتركة لقتال المماليك، قائلًا: إذ تقع بلاد الشام بيننا وبينكم فسوف نطوقهما (١١٩)، إلا أن هذه الرسائل لم تسفر عن شيء ذي بال، وبذلك أخفق 'أرعون' في تحقيق أماته في غزو الشام وضمها إلى مملكاته.

وعلى نفس النمط أرسل 'غازان خان' رسله إلى السلطان الناصر محمد قبل خروجه بحملته على بلاد الشام، وقد تلقى الإيلخان الرد، وكانت رسالة 'غازان' تحمل التهديد والوعيد، وأنه أولى برعاية الإسلام والمسلمين من الناصر محمد، وكان سلطان المماليك رفض التلبية، ولم يوجب على طلبات الإيلخان بذكر اسمه في الخطبة والدعاء له على منابر المساجد (١٢٠)، وبذلك لم تحقق رسائله وسفارته هدفها ولم تسفر عن شيء اللهم إلا تبادل التهم والترشق بالألفاظ والتهديد والوعيد.

وقد سار الإيلخانيون على نفس سياستهم في حربهم ضد حاكم 'هراة' الملك 'أخر الدين' في عهد 'أولجايتو'، حيث أرسل قائده لعام على الجيوش 'نانشمند بهادر' سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م، برسالة بها تهديد ووعيد يطلب فيها بالإسراع إلى تلبية مطالب الإيلخان، والمخول تحت طاعته، والاضوف بنتزح منه الملك والحكم فهدراً وضراً بناء على أوامر 'أولجايتو' (١٢١).

ومن أهم الخطط الحربية المستخدمة في الإيلخانية: اكتشاف كل صغيرة وكبيرة عن تحركات أعدائهم وكشف نقاط ضعفهم ومراكز قوتهم، وهي استخدام التجسس والجواسيس، التي وضعت قواعد متعددة لنظامهم، والتي لم يحد عنها المغول طوال فترة حكمهم، وكان من أهمها الأمر بقتل الجاسوس الذي يغش في مهمته، وإجزال الهبات والعطايا للجاسوس النشط لتحفيزه على النجاح في أعماله ومهامه، فقد أرسل 'أباقاخان' في سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م جاسوساً هو 'قبرتو بهادر' للاستطلاع والتجسس على الأمير 'براق خان'، فلم يستطع الاقتراب من خطوط العدو، وبالتالي تم القضاء عليه، وأرسل الإيلخان جاسوساً ثانياً هو 'تويجاق بهادر' ويستأده الأمير 'تكبای بهادر' مع مائة فارس، فعدوا وقد شرحوا الأحوال التي كان عليها أمور العدو (١٢٢).

وفي حقيقة الأمر فإن المغول درجوا على إرسال جواسيسهم إلى بلاد العدو، فيجمعون لهم الأخبار من هنا وهناك، ويستقصون حالة الجيوش والحصون، ثم يعيدون بهذه المعلومات فيطعنون عليها القادة^(١١٠)، لقد أرسل 'رغون' سنة ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م جواسيس إلى منطقة هكتار في كردستان قبل الخروج إليها، لذا عاد الجواسيس يحملون أخباراً بأن جنود الملك 'قيسو' يبلاد ما وراء النهر تعدادها ثلاثين ألفاً^(١١١)، وبذلك كانت مهمة القائد 'طغاجار' سهلة وحقق النصر عليهم.

لقد اشتهر عن 'غازان خان' أنه كان يبحث قواده على إرسال الجواسيس والأئمة والعارفين بالدروب قبل التحرك، مع بذل كل الجهد للحفاظ على النظام والانضباط في جيشه^(١١٢)، ولم يكن استخدام الجواسيس قاصراً على حروبهم الخارجية، بل تعداه إلى استخدامهم ضد الأمراء وأفراد الأسرة نفسها، فمضى 'غازان' يوعز إلى 'صدرجهان'^(١١٣) بإرسال جاسوس من قبله إلى الأمير 'طغاجار' لكي يحاول الإيعاز له بضمه إلى صفوف 'غازان'، وترك مساندة 'بايدو خان'^(١١٤).

وفي عهد 'الباقخان' قدم عليه جاسوس هو 'مسعود بن محمود بلواج' -الذي كان حاكماً إدارياً في بلاد ما وراء النهر- من قبل الأمير 'براق' ملك 'أولواس جغتاي' على هيئة سفير، وكانت مهمته في الظاهر توطيد أواصر الصداقة بين العاهلين، ولكن في الباطن التجسس على تعداد الجيوش وجمع المعلومات، ومن ثم اكتشف 'الباقا' أمره، ولكن بعد أن عاد إلى بلاده^(١١٥).

ومن عادة الإيخانيين استغلال الجواسيس المرسلين إلى بلادهم في عمل عكسي لصالحهم، ففي سنة ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م، عندما علم 'الباقا' بوجود ثلاثة جواسيس في بلاده^(١١٦)، أمر باعتقالهم ثم استجوبهم، وأمر بقتل اثنين منهم، وأطلق الثالث لكي يحمل الأخبار التي يريد توصيلها إلى عدوه، وهي أخبار غير صحيحة، ومن الملاحظ أنه بمجرد وصول الجاسوس إلى الأمير 'براق' أعن قوله: أن عددهم الكثير من الأسحة والدواب، ولكن ليس في الأمراء والقادة شجاعة أو قوة، وبذلك انخدع 'براق' بهذه المعلومات واستبشر بالنصر، فنزلت به الهزيمة^(١١٧).

وفي حقيقة الأمر؛ فإن سقوط جاسوس تابع للإيخانية في يد أعدائهم كان يترتب عليه قتله فوراً، ففي أثناء حملة 'غازان' الثالثة على الشام قبض على رجل من أمراء حنب جندة المغول للعمل لصالحهم، فقبض عليه، وأمر السلطان 'التناصر محمد' بتسميره على خشبة والظوف به على حمل في مدينة 'مشق' وضواحيها، جزاء ما قدمه من التجسس على بلاده^(١١٨).

كذلك يعتبر من أهم الخطط الحربية للمغول اهتمامهم بالتحريز الخاص، ذلك الحرس الذي أنشئ في عهد 'جتيكيز خان'، وأطلق على أفراده اسم 'كشيكي'^(١١٩)، وهم عبارة عن ثمانين حارساً لحراسته بالليل، ومبعوثين لحراسته بالنهار، بالإضافة إلى فرقة من صفوف المقاتلين عددها ألف أطلق على كل منهم اسم 'بهادر' وتعنى المبارز الشجاع، عتو من طلائع حرس الجيش المغولي، وهؤلاء الحرس لم يدينوا بطاعة إلا طاعة أوامر الحاكم، وتوفر تحت أيديهم جنود يطيعون أوامرهم طاعة عمياء، وينفذونها تنفيذ الآلة لأمر صاحبها^(١٢٠).

استمر اعتماد الإيخانيين على فرقة الحرس في تسيير شئون الحراسة الخاصة بالمنشآت الحيوية، مثل السدود والخنادق، مثلما أسر 'الباقخان' بعض حرسه بحماية

الخنائق^(١٢١). ومن مهامهم أيضاً مراقبة المقبوض عليهم والثالين على الإبلخان، مثلما حدث مع الأمير أرغون، عندما وضعت عليه حراسة مشددة مقدارها أربعة آلاف جندي لحراسة خيمته، حتى لا يستطيع الفرار من مجنحه، وذلك في عهد أحمد تكودار^(١٢٢).

عمل "غازان" على رفع شأن فرقة الحرس العسكرية، وذلك بأن اشترى عدداً كبيراً من أولاد المغول، الذين يباعون في أسواق النخاسة بعد أسرهم^(١٢٣)، ويكون منهم حرسه الخاص، وعين لهم المرتبات والمؤن وأنزلهم في ولاية "المراعة"، وعهد بإمارة كتيبتهم المكونة من عشرة آلاف جندي إلى القائد "بولاد جينكسالك"^(١٢٤)، هذا ولوكل إلى هؤلاء الحراس مهمة حماية السهر على حراسة خيمته أثناء نومه، وحراسة آلات الحرب وأسلحته من أي إغارة^(١٢٥).

على عكس ذلك، فقد عامل المغول أسراهم معاملة تنطوي على القسوة والوحشية، فكانوا يضعونهم في مقدمة الجيش حتى يتلقوا السهام المنهالة عليهم، ولم يهدوا الطرق للجيش، ويكفلوا بحفر الخنادق وت نصب لوات الحصار والأعمال الحربية الضيقة الشاقة^(١٢٦)، ففي سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧١م، قام "هالاق" بإرسال قائده تيكسي بهادر مع عشرة آلاف مقاتل، فقام بالقتل والنهب في أهل بخارى، وحملوا كثيراً من الأموال والأسرى، فخرت بخارى عن آخرها^(١٢٧).

وفي عهد أرغون سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م، هوجمت ناحية كريند، فأصدر الإبلخان أمره بزحف الأمير توكال و تديكتور نويان بقواتهم لقتالهم فقتل ثلاثمائة فارس، وأسر نفاً منهم كان من جملتهم الأمير "هيركتاي"^(١٢٨)، الذي سبق إلى سوق النخاسة، فبيع هناك. بينما يشير الهمذاني^(١٢٩) إلى "غازان" وعظفه على الأسرى من "هراة" ونسائهم وأطفالهم، بحيث إنه أمر بإطلاق سراح بعضهم، ويزيد على ذلك بأنه طيب خاطرهم، وإن كان ذلك غير معهود في حروب المغول مع البلاد التي يقرها.

وقد دارت الدائرة على جيش المغول، في سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م، عندما هاجم "غازان" للمرة الثالثة بلاد الشام، فانتصر عليه السلطان الناصر محمد، وأسر عدداً كبيراً منهم بقدر يالغ وثمانمائة مغولي، ومائة وثمانون من جنود الأرمن، وسبقوا أسرى إلى الديار المصرية^(١٣٠).

ومن أهم ما يميز الخطط الحربية التي اتبعتها الإبلخانيون في حروبهم: اعتمادهم على عدة أجناس معينة التي تعددت في جيشهم، ويمكن حصر تلك الأجناس في عدة عناصر رئيسية يأتي في مقدمتها الاعتماد على العنصر المغولي^(١٣١)، وهم من أهم عناصر الجيش، منهم قادة الجيوش والقائد العام عليه، وهم المقربون من الإبلخان^(١٣٢)، أما المرتبة الثانية من عناصر الجيش فهو عنصر الأتراك، الذين كانت لهم اليد الطولى في ذلك، فقد فرضت طبيعة الدولة العسكرية أن يقوموا بشرارة القمصان العبيد الأتراك، وتربيتهم تربية عسكرية، حيث امتاز الأتراك كجنس عسكري بمميزات كثيرة، من أهمها الشجاعة والفروسية والإقدام، ففي عهد أحمد تكودار أمطر الأتراك جيوش الأعداء بالسهم^(١٣٣)، هذا وكان أكثر من نصف جيش "هولاكو" يتألف من الأتراك^(١٣٤).

ومن العناصر التي اعتمد عليها الإبلخانيون في حروبهم أهل "جورجيا"، فقد مالوا إلى استخدامهم بسبب قدرتهم العسكرية الكبيرة وصبرهم على النزال والحرب^(١٣٥)، هذا إلى جانب

استخدام عنصر المسلمين والأرمن والكرج، فقد أعد أحمد تكودار* أكثر من مائة ألف فارس من صفوة هذه العناصر مجهزين بالعدد والآلات وسيرهم، في سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٤م^(١١١)، لمحاربة أرغون* - الطمع في العرش - كذلك كان جيش أباخان يضم ثلاثة آلاف من الكرج، قتل منهم ألفان في معركة "أبستين"، وكانت قوة أباخان في حربه ضد الظاهر بيبرس* ثمانين ألف جندي منهم ثلاثين ألف من حشود وجموع من أجناس مختلفة مثل الكرج والأرمن والعجم^(١١٢).

ولابد من الإشارة إلى أن التشكيلات العسكرية في عهد الإيلخانيين كانت تتكون من صنفين رئيسيين هما، الفرسان وهم ما يطلق عليهم كشيكيجي^(١١٣)، وهم عماد الجيش الذي يكونون حرس الإيلخان الخاص، الذي يتحرك إلى ساحات القتال بأمره، ويكون موقعهم في القلب حوله، والذين كانوا يحملون الرماح والسيوف، ويلبسون الدروع^(١١٤)، كما شكلت الخيول أهمية كبرى في استخدامهم، وخاصة الخيول العربية بالذات^(١١٥)، فقد قر الأمير "أرغون" من سجنه في عهد أحمد تكودار* على جواد عربي، وكان للقائد "عليشاق" قائد علم الجيوش فارس عربي أصيل^(١١٦).

أما الصنف الثاني من الجيوش الإيلخانية فهم الرجالة - أي المشاة - الذين ينحصر دورهم في الحروب المحلية، وأثناء الحصار، وكانت أهم أسلحتهم الدروع والسهم، وكان على كل أمير أو جندي أن يحمل جعبة من الجلد أو الخشب لا ينزعها إلا وقت الصلاة، يضع فيها مجموعة من السهم^(١١٧)، يتراشقون بها عند التحام الطرفين في القتال^(١١٨)، هذا ولابد أن نشير إلى أن هناك فرقة من الرجالة مهمتها ضرب الطبول في بداية القتال، وفي حالة الانتصار على الأعداء^(١١٩)، وهو ما يطلق عليه اسم فرع الطبول، لإشغال الرهبة والخوف في صفوف الأعداء. هذا ومن عادة المغول رفع الأعلام البيضاء في حالة استسلام العدو^(١٢٠)، كما حدث في عهد أبو سعيد* ضد الأمير "الرتجين" حاكم نزار بكر، ووالده المنبذة فتغشاه خاتون* زوجة الإيلخان، التي رفعت الرايات البيضاء عند استسلام الأمير^(١٢١).

وخلاصة الأمر فإن الدولة الإيلخانية دولة عسكرية، اعتمدت على جيوشها في فرض نفوذها وتوسيع ممتلكاتها، منذ أن غزا "جنكيز خان" أراضي الدولة الخوارزمية، وأسقط "هولاكو" قلاع الإسماعيلية والخلافة العباسية في بغداد، هذا وإن الإيلخانيين اتبعوا نهجاً خاصاً في تعبئة وتجهيز جيوشهم، خاصة وأن تنظيم الجيوش هو مفتاح النصر، وإن القضاء على الفتنة في سبيلها يحقق النصر في المعارك، وأن استعراض الجنود والتأكيد على سلامة أسلحتهم ودوابهم من أهم لوازم القتال. هذا وقد اتبع الإيلخانيون نفس مبادئ وقوانين النامسا الجنكيزية في تحريك جيوشهم، ومنها إرسال القوة الاستطلاعية وإرسال التوقيود والرسائل، إلى جانب الجواسيس لإبلاغهم بالمعلومات القيمة عن جيوش أعدائهم، هذا إلى جانب اعتمادهم على عناصر وأجناس معينة في جيشهم على رأسها: المغول والأتراك والجورجانيين والكرج والأرمن والمسلمين وغيرهم.

ملحق رقم (١)

أسماء إيلخانات إيران (٦٥١ هـ - ٧٥٦ هـ / ١٢٦٢ : ١٢٥٥ م)

- ١- هولكو خان بن تولوي بن جنكيز.
 - ٢- أباقا بن هولكو.
 - ٣- أحمد تكودار بن هولكو.
 - ٤- أرغون خان بن أباقا.
 - ٥- كيخانو بن أباقا.
 - ٦- باينوخان بن طوغاي بن هولكو.
 - ٧- غازان خان بن أرغون.
 - ٨- أولجايتو خدابنده بن أرغون.
 - ٩- أبوسعيد بهادر خان بن أولجايتو.
 - ١٠- أريجاون بن أرتويوكان بن تولوي.
 - ١١- موسى خان عتي بن باينو.
 - ١٢- محمد خان بن منجو تيمور بن هولكو.
 - ١٣- ساني بيك ابنة أولجايتو.
 - ١٤- شاه جهان تيمور بن الأقرنك بن كيخانو.
 - ١٥- سلیمان خان بن يشموت بن هولكو.
 - ١٦- طفالتيمور خان.
 - ١٧- أتوشيروان العادل.
- من ٦٥١ هـ إلى ٦٦٣ هـ
من ٦٦٣ هـ إلى ٦٨٠ هـ
من ٦٨٠ هـ إلى ٦٨٣ هـ
من ٦٨٣ هـ إلى ٦٩٠ هـ
من ٦٩٠ هـ إلى ٦٩٤ هـ
من جمادى الأولى ٦٩٤ هـ إلى ذي القعدة ٦٩٤ هـ.
من ٦٩٤ هـ إلى ٧٠٣ هـ
من ٧٠٣ هـ إلى ٧١٦ هـ
من ٧١٦ هـ إلى ٧٣٦ هـ
من ٧٣٦ هـ
من شوال إلى ١٤ ذي الحجة إلى ٧٣٦ هـ
من ذي الحجة ٧٣٦ هـ
من ٧٣٩ هـ إلى ٧٤١ هـ
من ٧٣٩ هـ إلى ٧٤٠ هـ
من ٧٤١ هـ إلى ٧٤٦ هـ
من ٧٣٦ هـ إلى ٧٥٣ هـ
من ٧٤٤ هـ إلى ٧٥٦ هـ (١)

(١) عباس إقبال : تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ؛ زلمبور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

الفواصش

- ١- انظر ملحق رقم (١) الخاص بأسماء الحكام الإيلخانيين.
- ٢- الإيلخان: كلمة مغولية الأصل ، تتكون من مقطعين 'إيل' بمعنى الخاضع أو التابع، و'خان' بمعنى الحاكم وبذلك يصير معنى الإيلخان الخاضع للحاكم ، وذلك لأن هولاكو كان تابعاً لأخيه الخان الأعظم منكوقاً أن في الصين عندما زحف علي بغداد (فولاد عبد المعطي الصيد : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين - أسرة هولاكو خان ، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإسلامية قطر سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٢٨).
- ٣- خوارزم : أكثر ضوايح مدنها ذات أسواق ولحبرات وبكافين ، ومن التاجر أن تكون قرية لا سوق فيها مع أمن شامل وطمانينة تامة (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٣٩٦).
- ٤- الجويني : تاريخ جهاتكشاي المعروف بتاريخ فاتح العالم ، ترجمة وتحقيق محمد التونجي ، المجلد الثاني ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولى دار الملاح للطباعة والنشر ، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ١٠ ، ٤٨ : السلطان شمس الدين ألتمش من حكام سلطنة دهلي المنموكية ببلاد الهند ، وهو في الأصل من العبيد المغوليين من تركستان ، ترقى في المناصب الإدارية حتى وصل إلى حاكم مدينة داون (لوزجاتي : طبقات ناصري ، جلد اول ، به تصحيح ومقابلته وتحشيه وتعلقق عبد الحي حبيبي قندهار ، كابل ، سنة ١٣٤٣ هـ ، ش ، ص ٢٤١) ، حكم ما بين سنتي ٦٠٧ هـ / ٦٣٣ هـ / ١٢١٠ م / ١٢٢٦ م ، والتصدي للسلطان جلال الدين منكبرتي عندما طالبه بموضع في دهلي لإقامة فيه هو وزوجاته ، فقتل به السلطان ألتمش عليه قاطعاً بأن هواء دهلي لا يصلح لإقامة الطوارزمية ، ثم أرسل جيشاً بقيادة ناصر الدين قباچه للتصدي له (التسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، نشره و ترجمة حافظ حمدي ، طبعة دار الفكر العربي سنة ١٣٧٤ هـ / سنة ١٩٥٣ م ، ص ١٦٥) ، تصف ألتمش بالحزم والقوة ومال إلى العلم والعناء ، وأنشأ المدرسة الشمسية في دهلي ، واهتم بنسخ المصاحف الشريفة .
(Husan Qureshi : The Administration of the sultanate of Delhi .
P. 179 . (Delhi , 1944)
- تعاقب علي حكم دهلي من بعده خمسة من أبنائه ، وهم ركن الدين فيروزشاه ، ورضيه ومعز الدين بهرامشاه وعلاء الدين مسعود وأخبرهم ناصر الدين محمود (الجوزجاتي : طبقات ناصري ، ج ١ ، ص ٤٥٤) .
- ٥- هولاكو : أخو الخان الأعظم منكوقان ، الذي أمره بإعداد حملة عسكرية وأمدّه بكثير من الجنود وزحف بجيشه إلى إيران ، فالتزم إليه حاكمها أرغون وحاكم ما وراء النهر مسعود بك ، ثم عبر نهر جيحون واستولى على قلاع الإسماعيلية في فارس (رشيد الدين الهمداني : جامع التواريخ - الإيلخانيون تاريخ أبناء هولاكو من أباثا خان إلى كيخان خان ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ترجمة محمد صالح نشأت ومحمد موسى هندوي وفولاد عبد المعطي الصيد ، مراجعة يحيى الخشاب ، وثارة الثقافة والإرشاد ، ص ٣٤٠) توفي هولاكو سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م ، (م .م الرمزي : تلقيب

- الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قرآن وينغار وملوك التتار ، مجلد ١ ، طبعة المطبعة الكريمة والحسنية ببلده أوريغون ، ص ٣١١).
- ٦- أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، يحيى سيد حسين ، طبعة دار المعارف ، سنة ١٩٩٩ م ، ص ٢٣٣.
- ٧- اللومان لفرقة عسكرية يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل (القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٤ ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية ، الهيئة العامة للقصور الثقافية ، يناير ٢٠٠٥ م ، ص ٤٢٣).
- ٨- القلقشندي : المصدر السابق والجزء والصفحة : البديسي : شرقنامه ، ج ٢ ، ترجمة محمد علي عوني ، راجعه يحيى الخشاب ، الناشر دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢ م ، ص ١٣ ، برنولد شيويلر : العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، مراجعة سهيل زكار ، الطبعة الأولى ، دار حسان للطباعة ، دمشق ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٥٩.
- ٩- تيزيز : لشهر مدن أذربيجان ، وهي مدينة عامرة ، ذات أسوار محكمة مبنية بالأجر والجص ، في وسطها عدة أنهار جارئة والبساتين محيطتها بها ، والفواكه بها رخيصة (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٣).
- ١٠- البناكتي : روضة أولي الأتياب في معرفة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ البناكتي ، ترجمة وتقديم محمود عبدالكريم علي ، المركز القومي للترجمة القاهرة ، سنة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م ، ص ٤٥٨.
- ١١- الياسا الجنكيزية : "اليسق والتورا" واليسق هو الترتيب ، والتورا : المذهب باللغة التركية وأصل اليسق : سي يسا. وهي لفظة تركية من كلمتين سي بالعجمي ، بها بالتركي. لأن بالعجمي ثلاثة، ويسا بالمعنى الترتيب (بيررس الدوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك، تحقيق زبدة محمد عطا ، ج ٩ ، عين للدراسات والبحوث الإنشائية والاجتماعية ، القاهرة ، سنة ٢٠٠١ م ، هامش ص ١٥٦)؛ هي القرمات والتعظيم التي وضعها جنكيز خان لحكام المغول لتسير عليها في سياستهم بمعنى السياسة والغايات الذي يقضي باحترام المجتمع المغولي وتلقوه على غيره من المجتمعات وذلك في سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م (محمد أحمد محمد : إسلام الإبلخانيين ، شركة الصفا للطباعة والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٩ م ، ص ١٧) تنص الياسا الجنكيزية في شأن تولية العرش أن تتولى زوجة الخان المتوفى إدارة البلاد حتى يتم الاتفاق على تعيين حاكم جديد (ابن العربي : تاريخ مختصر الدول ، وضع حواشيه الأب أنطون صلحاني البوسعي المطبعة الكاثوليكية بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٥٨ م ، ص ٢٨٥ ؛ شعبان طرطور : موجز تاريخ إيران في العصر المغولي ، طبعة سوهاج ، سنة ١٩٩٦ / ١٩٩٧ م ، ص ٢٠).
- ١٢- تزييلد : هي من بلاد ما وراء النهر ، وتسمى باب الأبواب والتعجب (بها الدرندي (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٤٩).
- ١٣- الهددائي : جامع التواريخ ، مجلد ٢، ج ٢، ص ١٢؛ البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٥٩.

- ١١- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك، ج ٩ ، ص ١١٢٢ ،
خواندنمير : دستور الوزراء ، ترجمة حربي أمين سليمان ، تقديم فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ٣٢٢ .
- ١٥- ابن بيبي : تاريخ سلاجقة الروم المعروف بسلجوقنامه ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، طبعة
دار الثقافة العربية بالقاهرة ، يناير ١٩٩٤ م ، ص ٧٩ ، أبو القداء : المختصر في تاريخ البشر ،
ج ٤ ، ص ١١١ ، عيسى إقبال : تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ،
ترجمة عبدالوهاب غلوب ، المجمع الثقافي أبوظبي الإمارات ، سنة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م ، ص ٢١٧ .
- ١٦- أيلمنان : وتكتب أيلستين ، وهي مدينة مشهورة ببلاد الروم (بالبولت الحموي) : معجم البلدان ، ج ١ ،
ص ٩٧ .
- ١٧- ابن بيبي : سلجوقنامه ، ص ٧٩ ، بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١١٥٨ ابن بقاعي :
الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عاشور وأحمد دراج ، المملكة
العربية السعودية ، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٢٨١ .
- ١٨- التهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٨٢ ، أبو القداء : المختصر ، ج ٤ ، ص ٢٣ ،
Howarth : History of the Mongols, Vol. 3, P.270 (London, 1975).
- ١٩- التويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٧ ، تحقيق سعيد عاشور مراجعة محمد مصطفى
زيادة و فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ،
ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦ .
- ٢٠- زامباور : معجم الأمرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمه وأخرجه زكي محمد حمين وحسين
أحمد محمود وآخرون ، الطبعة دلي التراث العربي ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ،
ص ٣٦٢ .
- ٢١- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ص ٢٣٣ .
- ٢٢- القوريلتاي : هو مجلس شعوري المغول ، يجتمع فيه الأمراء وقادة الجيوش والخواتين - نساء
الطبقة الحاكمة - لدراسة أحوال الدولة ، وفي بداية عهد الإبلخانية كان يعقد في قراقورم عاصمة
المغول في الصين (الجويشي : تاريخ جهانكشاي ، ج ١ ، ص ١٧٥) .
- ٢٣- اعتلق أحمد تكودار الإسلام وهو صغير السن علي يد أحد المتصوفة الذي ينسب إلى الطريقة
الأحمدية (عبدالله الشيرازي : تحرير تاريخ وصاف ، بقلم عبد المحمد آيتي ، بنياد فرهنگ ايران ،
تهران ، ص ١١٠٥ م . الرمزي : تلخيص الأخبار ، ج ١ ، ص ٣٦١ رجب محمد عبدالحليم :
انتشار الإسلام بين المغول ، طبعة دار النهضة المصرية ، ص ١٧٨ ، وقد قام أحمد تكودار
بتحويل المعابد البوذية والكنائس إلى مساجد (خواندنمير : حبيب السير في أخبار أقراد البشر ، ج ١ ،
سوم ، جزء أول ، انتشارات كتبخانه خيام ، ص ١١٩) .
- ٢٤- البيلكني : تاريخ البيلكني ، ص ٤٦٧ .
- ٢٥- شعبان طرطور : موجز تاريخ إيران ، ص ٤٢ ، لقد أشار المؤرخ Howarth إلي أن أحمد
تكودار اعتنق المسيحية في بداية حياته وتسمى بنغولا (، History of Mongols , Vol. 3 ,
P. 270) .

- ٢٦- بييرس الدودار : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٤
 D'OHsson : Histoire des Mongols depuis tchingiuz khan, Vol.III,
 P.535 (Amsterdam, 1834)
- ٢٧- البناتكي : تاريخ البناتكي ، ص ٤٦٨ ؛ عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٣٥ .
- ٢٨- ابن القوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في العالة الثامنة ، تعليق مصطفى جواد مشكور ، المكتبة العربية ، بغداد ، سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ، ص ٤٣١ .
- ٢٩- أبو الفداء : المختصر ، ج ٤ ، ص ٣٥ ؛ عباس إقبال : نفس المرجع السابق والصفحة .
- ٣٠- بييرس الدودار : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٥ ؛ التويري : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٤٠٣ ؛ ٤٠٤ ؛ فواد عبدالمعطي الصياد : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، الطبعة الأولى ، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م ، ص ٦٠ .
- ٣١- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ؛ ١٣٨ ؛ استعان أرغون بأحد اليهود في إدارة دولته وهو سعد الدين اليهودي (خواندمير: مستور الوزراء ، ص ٢٦٠) الذي أسند حكم الولايات إلى بني جلدته من اليهود ، مثل فارس ونيار بكر ، ونقل الحراسة من بغداد إلى داره (ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، طبعة طهران ، ١٣٢٩ ، ص ٨ ، ش ، ص ١٧٢ .
- Howorth : History of Mongols , Vol. 3 . P. 350) .
- ٣٢- فواد عبدالمعطي الصياد : الشرق الإسلامي في عهد الإبخانيين ، ص ٢٠٠ .
- ٣٣- زامبور : معجم الأسرات الحاكمة ، ص ٣٦٢ .
- ٣٤- الجاوي : عبارة عن فرماتس منكم يتعامل به في جميع بلاد الخطا بالصين ، بدلاً من الدراهم ، وأما عملتهم التنفيذية فهي البناتكي - المسبلة التي اتصلت إلى الخزانة ، وفي سنة ١٢٩٤هـ / ١٢٩٤م ، أظهروا الجاوي في مدينة تبريز وروجوه ، وكانت الأواسر تقضي بقتل كل من لا يتعامل به في الحال (الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٨١ ؛ ١٨٢) .
- ٣٥- يرتولد شيبور : العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ص ٧١ .
- ٣٦- فواد عبدالمعطي الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٢٠٨ .
- ٣٧- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٢٨٤ ؛ خواندمير : حبيب السير ، مجلد ٣ ، ج ١ ، ص ١٤٠
 D'OHsson : Histoire des Mongols , Vol.III,P.115
- ٣٨- ابن أليك الدوداري : كنز الدرر وجامع الغرر المعروف بالدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر ا ج ٩ ، تحقيق هانس روبرت رويمر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٦٠ م ، ص ٢٢ ؛ ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص ٢٧٩ ؛ اعتنق غازان الإسلام على يد الأمير نوروز وبحضور الشيخ صدر الدين إبراهيم حموية، وبذلك أعلن الدين الإسلامي ديناً رسمياً للملك ، وأطلق علي غازان اسم محمود ، ولبست العمامة بدلاً من الفلانس ، وأمر بتحويل الكنائس ، والمعابد إلى مساجد (رشيد الدين الهمذاني: تاريخ غازان خان المعروف بجامع التواريخ ، دراسة وترجمة فواد عبد المعطي الصياد ، دار الثقافة للنشر القاهرة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ص ١٢٧ ؛ البناتكي : تاريخ البناتكي ، ص ٤٨٥ ، البديليسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ١١٥ م- الرمزي : تلقيب الأخبار ، ج ١ ، ص ٢٦١ ؛ رجب محمود : انتشار الإسلام ، ص ٢٨٨ ؛ فواد الصياد :

- الشرق الإسلامي ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩) ، كذلك أصدر غازان عملة إسلامية نقش عليها عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأمر بنقش اسمه على العملة وذكره في الخطبة دون الخان الأعظم ، وطرد نائبه من بلاد ، وألقي لقب أبلخان أي نائب الملك ، واتخذ لنفسه لقب خان (رجب عبدالحليم : انتشار الإسلام ، ص ١٩٣ ، محمد أحمد محمد : إسلام الإنجليز ، ص ٧٢) .
- ٣٩- الهدآني : تاريخ غازان ، ص ١١٦٧ ، ابن أبيك الدوادري : كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٤٧ .
- ٤٠- لقد أطلق العيني علي غازان اسم قازان (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك - حوادث وتراجم ، ج ٤ ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ١٢٨) .
- ٤١- ابن حبيب : تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، ج ١ ، تحقيق محمد محمد أمين ، مراجعة سعيد عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٦ ، ص ٢١٠ ، العيني : نفس المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨١ .
- ٤٢- التويري : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٤١١ ، البلاكني : تاريخ البلاكني ، ص ٤٨٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٢ ، ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج ١ ، ص ٢١١ ، ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ٣٩٨ .
- ٤٣- ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص ٣٣١ ، عبدالسلام عبد العزيز فهمي : تاريخ الدولة المغولية في إيران ، طبعة دار المعارف ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ٢٠٩ .
- ٤٤- العيني : عقد الجمان ، ج ٣ ، ص ٢٨٩ ، ج ٤ ، ص ٢٢٨ ، ج ٥ ، ص ١٣٣ ، خواندمير : حبيب السير ، مجلد ٣ ، ج ١ ، ص ١٧٧ ، البيلبلي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ١٦٧ ، عبدالسلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، شعبان طرطور : موجز ، ص ٥٥ .
- ٤٥- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٠٦ : ٣٠٧ .
- ٤٦- الهدآني : تاريخ غازان ، ص ١٩٥ ، ابن أبيك الدوادري : كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٤٦ ، Sykes : History of Persia , Vol. II , P.234 , (London,1958)
- ٤٧- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٤٧٠ ، فؤاد الصياد ، الشرق الإسلامي ، ص ٣٤٧ : ٣٤٨ .
- ٤٨- عبدالله الشيرازي : نفس المصدر السابق ، ص ٤٧٧ ، البيلبلي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ٢٠ ، عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، مراجعة السباعي محمد السباعي ، طبعة دار الثقافة والتوزيع والنشر بالقاهرة ، ص ٤٧٧ .
- ٤٩- جولان : ولاية صغيرة تمتد من حدود أربيل وخلصان حتى حدود كلارست ومنطقة مازندران (فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٥١) ، وفي جيلان قوم من أبناء فارس انتقلوا من نواحي اصطخر فنزلوا بطرف من البحرين فرسوا وزرعوا وحفروا وأقاموا هناك ، فنزل عليهم قوم من بني عجل (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٠١) .
- ٥٠- ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ .

- ٥١- برتولد شبولر : العالم الإسلامي ، ص ٧٦ : ٧٧ .
- ٥٢- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٨٧ ، عبدالله الشيرازي : تاريخ وصفا ، ص ٥٥٦ .
- ٥٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٢٠ .
- Sykes : History of Persia , Vol II , P. 115 .
- ٥٤- فؤاد المعطي الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٤١١ ، ٤١٤ .
- D'O'Hsson : Histoire des Mongols , Vol.III,P. 600 - 601 .
- ٥٥- تقرير سفر سفير من إيران لإبرام معاهدة مع مصر واستقبال من قبل سلطانها التاصر محمد باتود والتكريم وتم عقد المعاهدة ، ومن أهم بنودها ما يلي :
- ١- ألا يكلف سلطان مصر القذائين الإسماعيلية بأي مهام في الممالك الإيخانية .
 - ٢- ألا يطالب أي من الجانبين بتحويل رعاياه ممن يلجئون إلى أرضه .
 - ٣- ألا يحرض سلطان مصر أعراب البادية والتركمان على مهاجمة الممالك الإيخانية .
 - ٤- ترسيخ علاقات النود بين الدولتين وتمكين التجار من حرية التجارة والحركة .
 - ٥- حرية حركة قوافل الحجيج المستوية من العراق إلى مكة على أن ترفع علمين أحدهما باسم سلطان مصر ، والآخر باسم إيلخان إيران أيوسعيد .
 - ٦- أن يصرف سلطان مصر النظر عن تسليم الأمير فراسنقر الفار إلى دولة الإيلخان (عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٤٢) .
- ٥٦- حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشدي ، مقدمه وحواشي وتعليقات خانبا بيتي ، شركة تضامني علمي تهران ١٣١٧ هـ ، ص ١٩٣ .
- ٥٧- البديليسي : شرحنامه ، ج ٢ ، ص ٣٥ ، ٣٨ ، انظر الملحق رقم ١ الخاص بأسماء الإيلخانيين .
- ٥٨- الهمداني : تاريخ غازان ، ص ٨٤ ؛ عباس إقبال : نفس المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .
- ٥٩- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٩٩ .
- ٦٠- فؤاد الصياد : مؤرخ المغول الكبير ، ص ٦٤ .
- Howorth : History of Mongols , Vol. 3 , P. 90 .
- ٦١- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ .
- ٦٢- البناكتي : نفس المصدر السابق ، ص ٥٠١ .
- ٦٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ١١٨ : ١١٩ .
- ٦٤- الهمداني : تاريخ غازان ، ص ٨٢ .
- ٦٥- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٨٤ .
- ٦٦- الهمداني : تاريخ غازان ، ص ٤٣ .
- ٦٧- حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشدي ، ص ١٩٥ .
- ٦٨- ابن بيبسي : سلجوقنامه ، ص ٧٩ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار ، ج ٤ ، ص ١١ .
- ٦٩- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٢٠٨ ؛ برتولد شبولر : العالم الإسلامي ، ص ٧١ .
- ٧٠- ابن أبيك الدواداري : كثر الدرر ، ج ٩ ، ص ٢٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٤١١ ؛ البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٤ ؛ ابن

- حبيب: تذكرة النبيه ، ج ١ ، ص ٢١٠ ، ابن دقماق : الجواهر الثمين ، ص ٢٧٩ ، العيني : عقد
الجمان ، ج ٣ ، ص ٢٨١ ، البديسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ١٧ .
- ٧١- Sykes : History of Persia , Vol II , P. 234
- ٧٢- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصال ، ص ٥٥٦ ، ميرغواند : روضه الصفا ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ ، فؤاد
الصيد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٥٤ ، برتولد شوبار : العالم الإسلامي ، ص ٧٦ .
- ٧٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٣٠ .
- D'O'Hsson : Histoire des Mongols , Vol.III, P. 600.
- ٧٤- محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، ص ١٦ .
- ٧٥- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٢٢ .
- ٧٦- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٨٣ ، أبو الفداء : المختصر ، ج ٤ ، ص ٢٣ ؛
Howorth : History of Mongols , Vol.3 , P. 270.
- ٧٧- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٥ ، فؤاد الصيد : مؤرخ المغول ، ص ٦٠ .
- ٧٨- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ ، البديسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ١٦ .
- ٧٩- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصال ، ص ٤٧٠ .
- ٨٠- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٤ .
- ٨١- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ١١٩ .
- ٨٢- محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، ص ٧١ .
- ٨٣- شعبان طرطور : موجز تاريخ ، ص ٣٦ .
- ٨٤- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ .
- ٨٥- فتحة نوروز : لقد كان نوروز أتابغا لغازان كني أثناء حكمه علي خراسان ، ثم تولى منصب أمير
الأمرء ، وتم اعتناق غازان للدين الإسلامي علي يديه (عبدالله الشيرازي : تاريخ وصال ، ص
٣٢٢ ؛ خوانمير : دستور الوزراء ، ص ٣٠٧ : ٣٠٨) ؛ ولكن نتيجة للصراع الذي قام بين
الوزير جمال الدين الدمجرواني ونوروز والاتهامات التي قبلت بتكدير مؤامرات مع بعض الأمرء
ضد غازان ، وإتهامات الوزير صدر الدين الزغاني له بمراصلة سلطان مصر ، وأنه مؤوف مسلم
البلاد للمعاليك ، فإن غازان أمر بالقبض عليه وعلي أتباعه وأمر بإعدامهم ، هذا وقد نزلت
الهيزمة بنوروز وقواته بالقرب من نيسابور ، فالتجأ إلى هراة ، لاندأ بحماية ملكها فخر الدين
كرت ، الذي أسرع بتسليمه إلى غازان في شوال سنة ٦٩٦ هـ / ١٣٩٦ م (الهمذاني : تاريخ
غازان ، ص ١٢٣ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٤٩١ ؛ خوانمير : حبيب المسير
سجلد ٣ ، ج ١ ، ص ١٣٥ ؛ فؤاد الصيد : مؤرخ المغول ، ص ٧٨) .
- ٨٦- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٦ .
- ٨٧- خوانمير : دستور الوزراء ، ص ٣٥٢ ؛ عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٤١ .
- ٨٨- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ١ ، ص ٤١ ؛ ٤٢ .
- ٨٩- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٠ .
- ٩٠- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

٩١- عين جالوت : موقعة عظيمة بين الملك المغرر قطز مملوك المعز أيك ومعه الملك المنصور محمد صاحب حماة وأخوه الملك الأفضل وبين التتار بقيادة كتيبة نائب هولكو وكان النصر فيها لقوات قطز وكانت في رمضان سنة ٦٥٨هـ (أبو القداء : المختصر في تاريخ البشر ، ج ٣ ، ص ٢١٥).

٩٢- Howorth : History of Mongols , Vol. 3 , P. 91

٩٣- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣١١ : ٣١٢.

٩٤- عيد السلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية ، ص ١٥٤.

٩٥- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ١ ، ص ١٢ ، شعبان طرطور : موجز تاريخ ، ص ٣٣.

٩٦- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ١٢٤.

٩٧- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ١١١ : ١١٢.

٩٨- عبدالسلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية ، ص ٢٧.

٩٩- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٣٣٨ ، عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٠٤.

١٠٠- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٧.

١٠١- خوالتمير : دستور الوزراء ، ص ٣٧٩.

١٠٢- البديسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ٢٧.

١٠٣- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٣٤٧ ، عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٨٥.

١٠٤- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٥.

١٠٥- البناكني : تاريخ البناكني ، ص ١٦٨ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٢٥.

١٠٦- شعبان طرطور : موجز تاريخ ، ص ٦٦.

١٠٧- دار النزاع بين الأمير مسنقر الأتسق والسultan قلاوون علي تولية العرش ، وبالتالي تم تبادل الرسائل بينه وبين أبانخان للمأذنة والوقوف إلى جانبه ضد قلاوون وجيشه (فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٩٧).

١٠٨- التنويري : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٤١١ ، البناكني : تاريخ البناكني ، ص ٤٨٧ ، ابن كثير :

البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٢ ، ابن حبيب : تذكرة النبي ، ج ١ ، ص ٢١١ .

١٠٩- العيني : عقد الجمان ، ج ٤ ، ص ٢٨١ ، ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ٣٩٨ .

١١٠- ابن حبيب : تذكرة النبي ، ج ١ ، ص ٣٧ .

١١١- لقد خرج الأمير شمس الدين فرانسفر ملتجأ إلى الإبلخان أوتجايتو ، وقد أرسل إليه الإبلخان أميراً مغولياً هو سوتاي علي رأس عشرة آلاف جندي ، لاصطحابهم إلى داخل الإبلخانية (ابن أيك :

الدواداري : كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٢٣٠ ، أبو المحاسن : لتجوم الزاهرة في مملوك مصر

والقاهرة ، ج ٨ ، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت-

لبنان ، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص ١٦٤).

١١٢- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٤٢ .

- ١١٢- الهمداني : جامع التواريخ، مجلد ٢، ج ٢، ص ١١٦، ترخان : لقب يفيد امتياز حامله بالإعطاء من كل التكاليف ، فهو لا يدفع نصيباً مما يقم في الحرب ، ويدخل على الملك وقت ماشاء ، وترخان اسم قبيلة جغتائية كذلك. (الهمداني: نفس المصدر السابق والجزء ، هامش ص ١٧).
- ١١٤- الهمداني : نفس المصدر السابق ، والجزء ، ص ٦٣ : ٦٤ .
- ١١٥ - الشرق الإسلامي، ص ٧٥.
- ١١٦ - فؤاد الصياد : نفس المرجع السابق، ص ١٩٢، محمد أحمد محمد : إسلام الإبلخانيين، ص ٦٨ .
- ١١٧- أبو المحاسن : التجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ١٤٥ : ١٤٣ كان علي رأس تلك السفارة كل من القاضي نصير الدين التبريزي والشيخ قطب الدين الموصلبي (البديليسي) شرفنامه، ج ٢، ص ١٩).
- ١١٨- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٦١ .
- ١١٩- الهمداني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٣٤ .
- ١٢٠- فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ج ١ ، دار النهضة العربية للطباعة بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ٣٦٤ .
- ١٢١- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ١٨٩ : ١٩٠ .
- ١٢٢- الهمداني : تاريخ غازان ، ص ٥٣ ، عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٨٨ .
- ١٢٣ - الأمير صدر جهان : اسمه صدر جهان أحمد الخاندي الزنجاني وزير غازان ، وهو أحد أبناء قضاء ولاية زنجان ، والتحق بالخدمة لتأشير طغاجار ، ولما أصبح طغاجار أميراً لآلنواس في عهد أرغون جعل صدر جهان أحد مسؤولي تنظيم أسواق البلاد ، فنظم أعماله تنظيمياً كاملاً (خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٦٦ ، عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٤٦٢ ، فؤاد الصياد : مؤرخ المغول ، ص ١٨) .
<http://Archivebeta.S>
- ١٢٤- الهمداني : تاريخ غازان خان ، ص ٥٣ : ٥٥ .
- ١٢٥- خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٢٢ .
- ١٢٦- البنكاتي : تاريخ البنكاتي ، ص ٤٦١ .
- ١٢٧- الهمداني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٣٧ : ٣٩ .
- ١٢٨ - فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٠٣ .
- ١٢٩- كشيكي : كلمة مغوية معناها التوبة ، وقد اختيرت فرقة خاصة من هؤلاء الحرس ، مكونة من ألف رجل هم نخبة المحاربين لا يخرجون إلى الحرب إلا إذا كان الإبلخان نفسه مع جيشه في ميدان القتال (فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ص ٣٦٠) .
- ١٣٠- عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٣٩٠ : ٣٩١ .
- ١٣١- البنكاتي : تاريخ البنكاتي ، ص ٤٥٩ ، خواندمير : حبيب السير ، ج ١ ، ص ١٠٨ .
- ١٣٢- عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٤١ .
- ١٣٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٠٥ .
- ١٣٤- الهمداني : تاريخ غازان ، ص ٣٤٨ .
- ١٣٥- الهمداني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٣ .

- ١٣٦- فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ص ٣٦٦ .
- ١٣٧- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٣ .
- ١٣٨- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٥٤ : ١٥٥ .
- ١٣٩- تاريخ غازان ، ص ١٠٤ ، ويشير الهمذاني في موضع آخر في تاريخه بأن غازان كان رحيماً مع أسراه ، وأنه أمر بأن يحضروا من خزائنه قباء وكتسوة ومنطقة - حزام وحذاء - وألبسوا الأمير هذه الأثيابه وهو الأمير أرسلان أشول ، ثم أركبوه جواداً من جياد الخاصة ، كما أمر غازان بحضور جرحى المعركة ، وصار يضع اليدوية على جروحهم ، مما يدل على مدى رحمته وإسلامه (تاريخ غازان ، ص ١١٥ : ١١٦) .
- ١٤٠- أبوالمحسن : النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ١٥٨ ، عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٤٦٢ ، فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٠٠ .
- ١٤١- أبو القداء : المختصر ، ج ٤ ، ص ١٥ .
- ١٤٢- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٤٢ .
- ١٤٣- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٨٣ .
- ١٤٤- برنولد شيبور : العالم الإسلامي ، ص ٥٧ .
- ١٤٥- برنولد شيبور : نفس المرجع السابق ، ص ٦٩ .
- ١٤٦- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٣ ، فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٤٤١ .
- ١٤٧- أبو القداء : المختصر ، ج ٤ ، ص ١٢٠ ، ١١١ ، عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٢٧ .
- ١٤٨- عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٣٩١ ، ٣٩٠ .
- ١٤٩- ابن أبيك الدواداري : كلز الدرر ، ج ٩ ، ص ٢٣٠ ، <http://Arch.230> .
- ١٥٠- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٢٦ .
- ١٥١- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، والجزء ، ص ١٠٦ ، ١١٥ .
- ١٥٢- حافظ أيرو : ذيل جامع التواريخ رشدي ، ص ٢١٠ .
- ١٥٣- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٥٩ .
- ١٥٤- البناكتي : نفس المصدر السابق ، ص ٤٦٢ ، ٤٧١ .
- ١٥٥- حافظ أيرو : ذيل جامع التواريخ رشدي ، ص ١٤٨ .
- ١٥٦- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٣٠ .

أسماء المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية :

- ١- ابن ليك الدوادري (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) : ليويكر بن عبدالله المنصوري . كثر الدرر وجامع الغرر المعروف بالغر الفاهر في سيرة الملك الناصر ، ج ٩ ، تحقيق هانس روبرت رويمر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٠م .
- ٢- بييرس الدوادار (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) : ركن الدين المنصوري المصري . زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك ، ج ٩ ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، سنة ٢٠٠١ م .
- ٣- ابن حبيب (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) : الحسن بن عمر . " تذكرة التوبة في أيام المنصور وبنه " ج ١ ، تحقيق محمد محمد أمين ، مراجعة سعيد عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٦م .
- ٤- ابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) : إبراهيم بن محمد بن أحمد العلاني . " الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عاشور وأحمد دراج ، المملكة العربية السعودية ، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢م . "
- ٥- رجب محمد عبدالحليم : " انتشار الإسلام بين المغول " ، طبعة دار النهضة المصرية .
- ٦- م.م. الرمزي : " تلقيق الأخبار وتلويح الآثار في وقائع قرآن وبلغار ومثوك التتار " ، مجلد ١ ، طبعة المطبعة الكريمة والحسينية ببلدة أورنورج .
- ٧- شعبان طرطور : " موجز تاريخ إيران في العصر المغولي " ، طبعة بوهاج ، ١٩٩٦ م / ١٩٩٧ م .
- ٨- عبدالسلام عبد العزيز فهمي : " تاريخ الدولة المغولية في إيران " ، طبعة دار المعارف ، سنة ١٩٨١م .
- ٩- ابن العربي (ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٦ م) : غريغوريوس المنطلي أبو الفرج بن الهرون " تاريخ مختصر الدول " ، وضع حواشيه الأب بطون صلحاني اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٥٨م .
- ١٠- العيني (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) : بدر الدين محمود " عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك " ، حوادث وتراجم ، ج ٤ ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م .
- ١١- أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) : الملك المؤيد علاء الدين إسماعيل بن علي " المختصر في أخبار البشر " ، ج ٣ ، ج ٤ ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، يحيى سيد حسين ، طبعة دار المعارف ، ١٩٩٩م .
- ١٢- فواد عبدالمعطي الصياد : " الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ، أسرة هولاكو خان - منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر ، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م .
- ١٣- _____ : المغول في التاريخ ، ج ١ ، دار النهضة العربية للطباعة ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٠م .

- ١٤- _____ : " مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، الطبعة الأولى ، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م .
- ١٥- ابن الفوطي (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) : كمال الدين أبو الفضل عبدالرازق : " الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة الثامنة " ، تعليق مصطفى جواد مشكور ، المكتبة العربية ، بغداد ، سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .
- ١٦- القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) . أبو العباس أحمد بن علي : " صبح الأعشى في صناعة الإنشاء " ج ٤ ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، يناير ٢٠٠٥ م .
- ١٧- ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) : الحافظ بن كثير : " البداية والنهاية " ج ١٤ ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف بيروت ، لبنان ، سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .
- ١٨- أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) : محمد جمال الدين يوسف بن تغري بردي " التجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " ، ج ٨ ، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- ١٩- محمد أحمد محمد : إسلام الإبلخانيين ، شركة الصفا للطباعة والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٨٩ م .
- ٢٠- الثويري (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : " تهابة الأرب في فنون الأدب " ج ٢٧ ، تحقيق سعيد عاشور ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٤٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- ٢١- بالقوت الحموي (ت ٦٦٦ هـ / ١٣٣٩ م) : شهاب الدين أبو عبد الله الروسي : " معجم البلدان " ٥ أجزاء ، طبعة دار صادر ، بيروت ، سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

ثانياً: المصادر والمراجع الفارسية :

- ٢٢- البديسي (ت بعد ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م) : شرف خان " شرقنامه " ، ج ٢ ، ترجمة محمد علي عوني ، راجعه يحيى الخشاب ، الناشر دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢ م .
- ٢٣- البناكتي (ت ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م) : أبو سليمان داود بن أبو الفضل محمد " روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ البناكتي " ، ترجمة وتقديم محمود عبدالكريم علي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .
- ٢٤- ابن بيبسي (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) : ناصر الدين يحيى بن محمد " تاريخ سلاجقة الروم المعروف بسجوقنامه " ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، طبعة دار الثقافة العربية ، القاهرة ، يناير ، ١٩٩٤ م .
- ٢٥- الجوزجاني (ت ٦٩٨ هـ / ١٣٠٠ م) : أبو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج الدين " طبقات ناصري " جلد أول به تصحيح ومقابله وتحشيه وتعليق عبدالحى حبيبي قندهار ، كابل سنة ١٣٤٣ هـ .

- ٢٦- الجويني (ت ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م) : علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين بن محمد الجويني : تاريخ جهانكشاي المعروف بتاريخ فاتح العالم ، تحقيق محمد التونجي ، المجلد الثاني ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولى ، دار الملاح للطباعة والنشر ، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٢٧- حافظ أيرو (ت ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م) : شهاب الدين عبدالله بن لطف الله : ذيل جامع التواريخ رشيدى ، مقدمه وحواشي وتعليقات خاتمايباني ، شركت نصابى علمى تهران ١٣١٧ هـ . ش.
- ٢٨- خواندمير (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م) : عياض الدين بن همام الدين : حبيب السير في أخبار أفراد البشر * جلد سوم جزء أول ، انتشارات كتابخانه خيام.
- ٢٩- _____ : * دستور الوزراء * ترجمة حري أمين سليمان ، تقديم فواد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٠ م.
- ٣٠- رشيد الدين الهمداني (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م) : رشيد الدين فضل الله : تاريخ غازان خان المعروف بجامع التواريخ * دراسة وترجمة فواد عبدالمعطي الصياد ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، سنة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- ٣١- _____ : * جامع التواريخ - الإينخانيون تاريخ أبناء هولكو من أباطا خان إلى كيكاتو خان ، المجلد الثاني الجزء الثاني ، ترجمة محمد صادق تشات ، محمد موسى هنداوي ، فواد عبدالمعطي الصياد ، مراجعة يحيى الخشاب وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- ٣٢- عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الظاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية * ترجمة محمد علاء الدين منصور ، مراجعة السباعي محمد السباعي ، طبعة دار الثقافة والنشر والتوزيع بالقاهرة.
- ٣٣- _____ : * تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ، ترجمة عبدالوهاب غلوب ، المجمع الثقافي أبو ظبي ، الإمارات العربية ، سنة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- ٣٤- عبدالله الشيرازي (ت في ٨ هـ / ١٤ م) : شهاب الدين عبدالله بن فضل الله . تحرير تاريخ وصال ، بقلم عبدالمحمد آيتي ، بنيد فرهنگ ، إيران ، تهران.
- ٣٥- ميرخواتد (ت ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م) : محمد بن خاوند شاه . "روضة الصفا" ج ٥ ، طبعة طهران ، ١٣٣٩ هـ . ش.
- ٣٦- التسوي (ت في ٧ هـ / ١٣ م) : محمد بن أحمد : "ميرة السلطان جلال الدين منكبرتي" ، نشره وترجمه حافظ حمدي ، طبعة دار الفكر العربي ، سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٣ م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية والمترجمة :

- ٣٧- برتولد شپوار : "العالم الإسلامي في العصر المغولي" ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، مراجعة سهيل زكار ، الطبعة الأولى ، دار حسان للطباعة والنشر دمشق ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

٣٨- زامباور : معجم الأسماء والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمه وأخرجه زكي محمد
 حسن وحسن أحمد محمود وآخرون ، طبعة دار التراث العربي ، بيروت - لبنان ،
 سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

39- D'Ohsson : Histoire des Mongols depuis tchingliuz khan, Vol.III
 (Amesterdam, 1834)

40- Howorth : History of Mongols , Vol. 3 , (London , 1975).

41- Husan Qureshi : The Administration of the sultanate of Delhi, (Delhi,
 1944).

42- Sykes : History of Persia , Vol. II , (London , 1958).



التحصينات الدفاعية في الأندلس عصر بني الأحمر

(٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م)

د. حسام محمود المحلاوي (*)

المقدمة :

يقصد بالأندلس، في عصر بني الأحمر، مملكة غرناطة الإسلامية منذ قيامها في عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م وحتى سقوطها في أيدي القوى المسيحية في عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م. وفي تلك الفترة؛ كانت دولة بني الأحمر تمثل الكيان الإسلامي الذي تدخل تحت لوائه كل البلاد واليمن الإسلامية؛ التي لم تكن القوى المسيحية قد نجحت في الاستيلاء عليها .

وقد استمرت دولة بني الأحمر قرابة القرنين ونصف القرن من الزمان، تطاحن من أجل البقاء وسط أطماع الممالك المسيحية المجاورة لها، التي كانت تتحين الفرصة من الحين لآخر لتلغزها عندها والاستيلاء على أملاكها، وطرد المسلمين نهائياً من بلاد الأندلس، وهو ما تحقق لها في عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م .

ولأن الاستحكامات الدفاعية كانت أهم أسباب بقاء مملكة غرناطة واستمرارها قرنين ونصف من الزمان، كان لزاماً دراستها والتعرف على طرقهم في تحصين دولتهم وحدودها الخارجية، وكذلك كيف أتم الله سبحانه وتعالى، على أهل مدن مملكة غرناطة بتحصين بلادهم بموقعها المتميز والفريد .

وقد اتسقت سلطين بني الأحمر بتشييد الاستحكامات الدفاعية طوال عمر دولتهم، فعدوا إلى تشييد الحصون، والرباطات، والأسوار، والأبراج، وغيرها من المنشآت الحربية المهمة والتي لفتت اهتمام سلطين الدولة، وكذلك عموم المسلمين في بلاد الأندلس في تلك الفترة، وبخاصة في المناطق الحدودية .

الأندلس عصر بني الأحمر :

بعد ضعف دولة الموحدين في بلاد الأندلس، عقب هزيمتهم في موقعة العقب Las Navas de Tolosa^(١) في ١٥ صفر سنة ٦٠٩هـ/ ١٦ يونيو ١٢١٢م، بدأت ثورة بعض القادة الأندلسيين ضد الموحدين وإعلانهم الاستقلال عنهم، وكان منهم محمد بن يوسف بن هود^(٢) الذي بدأت ثورته في شرق الأندلس، ثم نجح في إقامة دولته بالأندلس والتي استمرت عشر سنوات، من عام ٦٢٥هـ/١٢٢٧م، وحتى وفاته عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م. كما التف الكثيرون

(*) حاصل علي درجة دكتوراة التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة المنصورة.

حول القائد محمد بن يوسف بن نصر^(٢٧) المعروف بابن الأحمر، مؤسس مملكة غرناطة، وعقدوا عليه الأمل في جمع شمل المسلمين في الأندلس، وبإيعونه في يوم الجمعة ٢٦ رمضان سنة ٦٢٤هـ/ ٢٩ أبريل ١٢٣٧م^(٢٨). وبعد وفاة ابن هود في عام ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م^(٢٩)، تهيأت الأوضاع لسيطرة ابن الأحمر، ونار أهل غرناطة ضد حاكمهم من قبل ابن هود، عبدة بن يحيى المغلبي، وقلتوه، وأعلنوا بيعتهم لابن الأحمر، واستدعوه، فدخل غرناطة في أواخر رمضان سنة ٦٣٥هـ/ أبريل ١٢٣٨م^(٣٠) واتخذها عاصمة لدولته، وأعلن قيام مملكة غرناطة التي استمرت قرابة القرنين ونصف القرن من الزمان .

التحصينات الطبيعية للمملكة :

وهب الله سبحانه وتعالى جنوب بلاد الأندلس الإسلامية، وهو موقع مملكة غرناطة، موقفاً فريداً، كان نكك الموقع بمثابة حماية طبيعية منحها الله إياها، فكانت أحد أهم الأسباب التي حفظت حدودها كثيراً، وردت عنها أعداؤها مرات عديدة، لذا وجب التعرض لتناول هذا الموقع المحصن طبيعياً، وما أهم ملامح تحصينه.

فمملكة غرناطة كان يحيط بها ويخترقها عدة جبال، كانت لوعورتها وارتفاعها، عاملاً وحصناً طبيعياً لها . فقد كانت سلسلة الجبال العالية، التي تحيط بغرناطة العاصمة، تشكل سوراً طبيعياً منيعاً أمام الهجمات الكثيرة التي تعرضت لها . وأهم هذه الجبال جبل شيلر (ضمن سلسلة جبال تعرف باسم سيررا نيفادا Sierra Nevada) وهو تحريف للاسم اللاتيني القديم Solorius أي جبال الثلج، لشدة لمعانه لانعكاس أشعة الشمس على قممه المغطاة بالثلوج . ويطل جبل شيلر على غرناطة العاصمة، ويبلغ ارتفاعه ٣٤٨١ متراً^(٣١) ويذكر الزهري أنه لا بنيت في قممه نبات ولكن الثبات ينبت على سفحه^(٣٢).

كما أن وجود جبل طارق Gibraltar (نسبة إلى طارق بن زياد) بمثابة حصن طبيعي للمملكة من ناحية الجنوب، وخاصة بعد أن أنشأ الموحدون على سفحه مدينة الفتح، لتكون مركزاً لتعصبات الحربية (لذلك سمي جبل الفتح)، وقبل الفتح الإسلامي أطلقت عليه أسماء عديدة، أهمها الاسم الفينيقي Calpe ومعناه تجويف، حيث كان يطلق على مغارة كبيرة في هذا الجبل. أما عن مضيق جبل طارق، أو بحر الزقاق، فهو عمر مائتي ضيق، يبلغ عرضه في أضيق جهاته حوالي ١٥ كم، وهي مسافة ساعدت على عبور المغاربة إلى بلاد الأندلس^(٣٣)، وهو بوابة الأندلس إلى بلاد المغرب والعكس، وعنه يذكر ابن الخطيب:

هو الباب إذ كان للزاور والتلقيا ولغووث وغوث للصرخ وللسقا

فإن تترك الأيام فيه بحداث وأعزز به كل السلام على الدنيا^(٣٤)

كما أن جبل فارة (بتشديد الراء وضمها) Gibralfaro الذي يشرف على مرسى مدينة مالقة Malaga^(٣٥) كان بمثابة حصن طبيعي للميناء^(٣٦).

وكما كانت الجبال تحمي المملكة، كانت الأنهار التي تخترقها بمثابة أحد عوامل التحصين الطبيعي لها، وعاملاً مساعداً لوقوفها في وجه أعدائها فقد كان يخترقها عدد كبير من الأنهار، منها نهر الوادي الكبير الذي يمر بمسافات طويلة داخل بلاد الأندلس، ويتفرع منه عدة أنهار أخرى، أهمها نهر شنيل Genil، وهو النهر الذي تقع عليه العاصمة غرناطة، وينبع من

جبل سيرافيادا^(١٦٦)، وهو يؤمن المدينة من ناحية الجنوب^(١٦٧) ويقطع مسافة أربعين كيلومتر غرب العاصمة غرناطة. ^(١٦٨) كما يوجد نهر حدة Derra (بفتح الحاء والراء) والذي ينحدر من جبل قرب مدينة وادي أش Gaudix^(١٦٩) شرقي جبل شير، وينتهي إلى غرناطة العاصمة ويمر شرقها، ويلتقي بنهر شنيل خارج المدينة، وطوله ١١ كم^(١٧٠) كما أن نهر وادي المنصورة والذي يسميه العرب وادي بيرة- لأنه يصب في البحر المتوسط عند بلدة بيرة،- كان بمثابة حصن طبيعي لغرناطة^(١٧١).

وتُوجد الجبال والأنهار، سائفة الذكر، باتت بعض المدن الأندلسية محصنة طبيعيًا، فكانت بمثابة حماية طبيعية لها للتصدي لهجمات الممالك المسيحية، وبخاصة التي عاصرت بني الأحمر. ومن هذه المدن مدينة مالقة ذات الموقع المتميز، فهي تقع على البحر المتوسط في وادي عميق، يحد هذا الوادي من الشمال المرتفعات الشاهقة، ومن جنوبه منطقة وعرة كلها جرداء^(١٧٢). ومدينة وادي أش التي تطل من الشرق على نهر الوادي الكبير، ومن الغرب على صخرة مبنية عالية تشرف على واديهما الأخضر، وتبدو من بعده جبال سيرافيادا الشاهقة على بعد اثني عشر كيلومترًا منها.^(١٧٣)

كذلك كانت مدينة المرية Almeria^(١٧٤) محصنة بجبل شمالاً والساحل جنوباً، ومن الشرق والغرب واديان ضحلان.^(١٧٥)

وبذلك، فإن الناظر لحدود مملكة غرناطة، يجد أنه يحدها من الشمال مرتفعات جبال سيرافيادا ونهر الوادي الكبير، ومن الجنوب والشرق البحر المتوسط، ومن الغرب ولاية قادس وأرض الغرناطية^(١٧٦)

اهتمام المسلمين بتحصين المملكة :

كان لوجود مملكة غرناطة الإسلامية في مكان تحيط به الممالك المسيحية المترصصة بها من كل جانب، وبخاصة مملكتا قشتالة وأراجون، بالغ الأثر في نشغال الغرناطيون حكومة وشعبًا بإقامة التحصينات الحربية التي تساعد في عملية الدفاع عن البلاد، والمدن التابعة للمملكة، إذا ما تعرضت لهجوم القوى المسيحية في أي من الأوقات. وسادت حالة فريدة من التعاون بين الحكومة الغرناطية والشعب الغرناطي في مسألة إقامة التحصينات اللازمة لحماية البلاد والمدن. ويذكر المؤرخ المغربي: أن الدولة الغرناطية كانت تحت رعاياها الأندلسيين على المساهمة في إقامة التحصينات الدفاعية لأن أموال الدولة كانت تصرف في أوجه مختلفة أخرى، من شراء أسلحة والإغاثي على الجيش، لذلك كان الملوك يظنون من الرعية المشاركة في إقامة الحصون والأسوار والأبراج للحماية^(١٧٧)

وقد استجاب الغرناطيون لرغبة ملوكهم فشاركوا في تشييد الاستحكامات الدفاعية لمدنهم، خشية وقوعها في أيدي القوى المسيحية، وتزعم العلماء هذه الحركة، ومنهم أبو البركات بن الحاج اليفيقي (ت ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) - من أشهر العلماء المجاهدين في عصر بني الأحمر - وقد شارك في تحصين بلدته خشية الوقوع في قبضة للنصارى، فشارك في بناء الأسوار وحفر الأبرار، بل قام بتشيد سور حول أحد الحصون، وكان ذلك من ماله الخاص.

وفي ذلك يقول أبي البركات بن الحاج :

في التحار الأساس والآبار
وقعودى ما بين رمل وأجر
وامتنان يردى بالطين والعماء

وانتقال التراب والجير
وجص والطوب والحجار
وراسى وأحيتى بالقهار^(٢٧)

كما أن سكان المناطق الحدودية كانوا يقومون بدفع ضرائب مخصصة لإقامة التحصينات الدفاعية وبخاصة الأسوار لحماية البلاد من هجمات القوى المسيحية، وقد وافق العديد من فقهاء غرناطة على فرض هذه الضريبة، وذلك لما بها من مصلحة عامة تعود على المسلمين في بلاد الأندلس^(٢٨).

كما اهتم المرينيون^(٢٩) بتحصين المدن الأندلسية التي كانت خاضعة لسيطرتهم، وقاموا بتشيد العديد من الحصون والأسوار والأبراج بها، علاوة على الاهتمام ببناء مخازن الأسلحة والنخيرة. ويذكر المورخ ابن مرزوق: أن السلطان المريني أبو الحسن على^(٣٠) قام بتحصين مدينة رندة وعملوا على إنشاء عدد كبير من المنشآت الحربية بها، وعن ذلك يذكر... وفي بلدة رندة من آثار البناء المحدث عن أمره والمعقل المحصنة والأبراج الشامخة...^(٣١)

ويعد أن نجاح المسلمون، أندلسيون ومغاربة، في استرداد جبل طارق من أيدي القوات القشتالية في عام ٨٧٣٣/١٣٣٣م^(٣٢) اهتموا بإقامة تحصينات قوية للجبل، حتى إذا ما شن القشتاليون الهجوم عليه مرة أخرى، منعتهم التحصينات من الاستيلاء عليه. وأشرف على هذه التحصينات القائد أبو مالك بن السلطان المريني أبي الحسن علي. وقام المسلمون ببناء حصن بالجبل، كما عملوا على إحصار السور حوله، وبناء مسجد جامع به، ومرافق برية وبحرية. واستخدم المسلمون في هذه التحصينات المؤن والطائر اللازم لذلك، والذي أرسله السلطان المريني أبو الحسن على لإقامة تلك التحصينات^(٣٣).

أهم المنشآت الحربية :

الحصون:

الخصن في اللغة: من حصن المكان يخصن خصائنه، فهو خصين: منح، وأخصننه صاحبه وأخصننه. والخصن كل موضع خصين لا يوصل إلى ما في جوفه، والجمع خصون^(٣٤).

وكان بنو الأحمر مثل أسلافهم حكام الأندلس، يعدون إلى بناء الحصون لحماية البلاد الإسلامية من هجمات القوى المسيحية، وهذه الحصون تتقدم الأسوار لحمايتها وقت الهجوم، والحصن في غالبيه عبارة عن بناء ذي مشارب مستنقعة، له عدة أبواب متداخلة، عادة ما تكون في أحد زواياه. ويذكر ابن الخطيب أن السلطان أبي الحجاج يوسف الأول^(٣٥) (٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م) قام ببناء حصن على أحد الجبال المطلة على ميناء ملقة مباشرة، والمسمى جبل فارة لحماية الميناء من أي هجوم مسيحي متوقع، وعن ذلك يذكر

أن:..... وفي أيامه بنى الحصن الماسي الذروة، المبنى على القذرة، في الجبل المتصل بقصبة مائقة، فطمع به الفخر، وجل الذكر...^(٣١)

كما أن السلطان الغرناطي محمد الخامس^(٣٢) (٧٥٥-٨٧٩٣/١٣٥٤م-١٣٩١م) قلم بتجديد هذا الحصن، وأصدر بعض الظهائر إلى رعيته من أهالي مائقة بضرورة الاهتمام ببناء الحصون القوية على هذا الجبل حماية للمدينة وإعانة للمسافرين^(٣٣). ويعد حصن جبل قارة: صرخا إسلاميا يشهد على عظمة الصارة الإسلامية في تلك الفترة، وقد اختار المسلمون لبنائه ريوه عالية تشرف على البحر، ويقع على مسافة صغيرة من القصبة ويفصل الحصن عنها رقعة خضراء، ويرتبطان بطريق مسور، وأسوار الحصن الخارجية مشيدة من الآجر الأحمر، وبه برج رئيسي أبيض اللون، مستدير الواجهة، ويشرف الحصن على المدينة من ارتفاع شاهق، وأمام الحصن من الناحية الأخرى منحدر الجبل، وكان للحصن أربعة أبواب كبيرة في سوره الأسفل، أحد هذه الأبواب يؤدي إلى قصبة المدينة.^(٣٤) وقد سقط الحصن في أيدي الملكين الكاثوليكين عام ١٤٨٧/٨٨٩٢م، بعد حصار دام أربعين يوماً^(٣٥)، وما زال الحصن يحتفظ حتى الآن بطابع الطراز الإسلامي، فقد تبقى منه اليوم أسوار الميالجين وجزء من البرج الأعظم^(٣٦)

ومن أشهر حصون مملكة غرناطة: حصن الطاب، على مقربة من غرناطة، وحصن شلويتية وهو حصن بحري، وحصن البيول Buel^(٣٧)، كما أنه بالقرب من غرناطة العاصمة، وعلى بعد اثنين وثلاثين كيلو متراً شمال غربي المدينة، كان يوجد حصن موكلين المنيع، على ريوه عالية هرمية الشكل، وتشرف من ارتفاعها الشاهق على مسانئ البساط المجاورة، وفي أسفل الحصن تقع قرية موكلين، وقد لعب حصن موكلين دوراً بارزاً في حرب غرناطة الأخيرة، وكان من أمنع خطوط الدفاع الشمالية عن المدينة، وكان سبباً في رد القشتاليين عن غرناطة في شعبان ٨٩٠هـ/يونيه ١٤٨٥م، بعد هزيمتهم هزيمة فاسحة على أعقاب هذا الحصن^(٣٨). وقد حرص سلاطين بني الأحمر على تشييد العديد من الحصون ووضعوا عليها الأبراج بطول ساحل المرية لحماية مينائها من الهجمات المسيحية المتكررة على السواحل الإسلامية، بهدف السيطرة على الموانئ والمدن^(٣٩).

الأربطة:

تعددت الوظائف التي تقوم بها الأربطة، بين حربية ومدنية ودينية، حيث كانت في البداية قد نشأت حربية، واستخدمت للعبادة والتصوف، كما استخدمت أيضاً كمحطات تجارية، ومستودعات لحفظ المواد التموينية والغذائية، وأيضاً محطات بريدية، كما أشرفت على أمن الطرق، بالإضافة إلى حفظ الخيول والمواشي، وأيضاً حفظ المياه في الخزانات والسهارج. ولقد ظلت الأربطة تؤدي دورها الحربي طوال عصر بني الأحمر، ومثال ذلك: سلسلة الرباطات التي كانت تحيط بمدينة المرية مثل الرباط المسمى برباط القبطة Cabo de Cata على ساحل المدينة، والذي تم تشييده في عهد السلطان محمد الخامس، لحماية الساحل من أي هجوم

مسيحي محتمل^(٢٦). كما كان هناك رباط بجانة^(٢٧) القريب من ميناء المرية أيضا، وكذلك رباط عروس ورباط الخشنى^(٢٨).

وفي رحنته: تعرض ابن بطوطة لذكر الرباطات الأندلسية. فيذكر أنه في طريقه إلى مالقة مر برباط سهيل، والذي قضى فيه ليلته^(٢٩). كما أنه يذكر أنه في زيارته لمدينة غرناطة العاصمة توجه مع الشيخ الوالي الصالح أبي عبد الله محمد بن المحروق لزيارة رابطة الغلاب، وزاوية بني المحروق، ويذكر أن الغلاب جبل مطل على خارج غرناطة^(٣٠).

الأسوار:

كانت عمليات تحصين المدن والأحياء السكنية الكبرى الغرناطية تبدأ بتشييد الأسوار المرتفعة والمتينة، وكانت هذه الأسوار مزودة بأبراج على طول مسارها، لحمايتها إذا ما قامت القوى المسيحية بشن الهجوم عليها في أي من الأوقات. ففي عهد السلطان الغرناطي يوسف الأول: تم تشييد السور الأعظم الذي كان يحيط بأكثر المناطق السكنية في مدينة غرناطة العاصمة، وهو ريبض البيازين^(٣١).

والسور الغرناطي مثله مثل العديد من الأسوار في البلاد والمدن الإسلامية، في تلك الفترة. فهو في الغالب يتألف من براب في أعلاه، يسير عليه المحاربون، يطلق عليه في الغالب ممشى السور، وفي السور شرفات يُلقَّب معها بالسهم، كما يضم السور بعض الدورات التي تستخدم في الاحتماء^(٣٢).

وما يزال بعض أجزاء من سور مدينة غرناطة قائما حتى اليوم، يشهد على متانة بنائه وعظمة تشييده، وأغلب الأجزاء الباقية من السور تلك التي تقع في الجهة الشمالية الغربية، وتمتد نحو كيلو متر، كما بقيت بعض أجزاء من سور الجهة الشرقية، والتي تشهد على متانة التحصينات الغرناطية^(٣٣).

كما إن الحمراء^(٣٤) كان يحيط بها سورٌ حول قصورها كلها، وكان السلطان الغرناطي محمد بن الأحمر قد أنشأ بعض أسوار الحمراء، كما قام ابنه محمد الثاني الفقيه، في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر للميلاد، باستكمال بعض أجزاء السور، والعمل على تحصينه^(٣٥) وتوالت الإنشاءات في السور بعد ذلك حتى اكتمل حول الحمراء كلها في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف الأول، كما أتم بناء أبراجه وبيواته^(٣٦). وتكتمل هذه الأسوار القصبية في ناحية الغرب، وهذه الأسوار كانت منيعة ومشيدة بالحجارة الصلبة، ويتألف السور من جدار واحد فقط، وكانت هذه الأسوار شاهقة الارتفاع^(٣٧).

كذلك كان جبل طارق يحيط به سور قام السلطان محمد الخامس القنى بالله في عام ١٣٥٥/٨٧٥٦م بعمل تعبيد له، وإصلاح الأجزاء المعهكلة به^(٣٨).

كما أن أسوار مدينة المرية يرجع بناؤها إلى مؤسسها عبد الرحمن الناصر، وكان قد أقامها في عام ٩٥٤/٨٣٤٣م^(١١١) إلا أنها شهدت على مدار تاريخ المدينة منذ تأسيسها وحتى سقوطها في أيدي القشتاليين عام ٨٩٥/١٤٩٠م^(١١٢) عدة تجديدات وتحسينات، الزادت في عصر بني الأحمر، عندما اشتمت وطأة الممالك المسيحية على البلاد الإسلامية^(١١٣). وللمدينة سور كبير منبع عال من ناحية البحر لتحصين المدينة، وسور آخر بُني حول روضها الشرقي لحمايته، كما كان روضها الغربي محصناً بسور كبير أيضاً، وكانت مدينة المرية قد تعرضت لهجوم شديد وحصار قوي من جانب القوات الأراجونية في عام ٧٠٩/١٣٠٩م^(١١٤) ورغم أن آلات الحصار الأراجونية كانت حديثة وقوية، فإنها لم تتمكن من اقتحام أسوار المرية المتينة، فاضطرت إلى رفع الحصار عنها^(١١٥).

الأبراج :

البرج في اللغة : تباغاً ما بين الحاجتين، وكل ظاهر مرتفع فقد برج، وإنما قيل للبرج برجاً لظهورها وبيوتها وارتفاعها، والجمع أبراج^(١١٦).

والأبراج بناء حرسى قد يأخذ شكل المربع، أو المثلث أو المستدير أو غير ذلك من الأشكال، وتكون في موضع بارز فوق الأسوار، وكانت من أهم الاستحكامات الدفاعية في العصور الحربية الإسلامية، وبخاصة في بلاد الأندلس، لرد أطماع الممالك المسيحية المجاورة لها. فقد قام السلطان الغرناطي محمد الثالث^(١١٧) (٧٠١-٧٠٨/١٣٠٢-١٣٠٩م) بإنشاء خمسة أبراج على مشارف حصن غرناطة لحماية أهل الرباط وقت هجوم التنصاري عليهم^(١١٨)، ويذكر ابن الخطيب: أن عدد أبراج مملكة غرناطة بلغ أربعة عشر ألفاً^(١١٩)، ووقت استيلاء حملة قشتالة على مالقة وجدوا عدد أبراجها وقد بلغ ألف وثلاثين^(١٢٠).

وكان دور الأبراج المراقبة، فيذكر ابن بطوطة في رحلته إلى بلاد الأندلس: أنه توجه من مدينة مريلة إلى مدينة سهيل، ويذكر أنه بعد دخوله في حوز مدينة سهيل، رأى برجاً للمراقبة هو برج الناظور، وقال في نفسه: "... لو ظهر ها هنا عدو لأكثر به صاحب البرج..."^(١٢١) وبينما هو كذلك حتى شن أربعة أجناف^(١٢٢) للتنصاري على المدينة، ولم يكن الناظور بالبرج، ولم يعلمهم أحد بالغارة، وكانت النتيجة أن قتل فارس مسلم وتم أسر عشرة، ونجح فارس في الفرار^(١٢٣).

كما قام سلاطين بني الأحمر ببناء الأبراج المختلفة حول المدن للدفاع عنها فمدينة مالقة كان بها عدد كبير من الأبراج، والتي شُبهت أبراجها ببروج السماء في كثرتها وضيائها^(١٢٤)، واستمرت هذه الأبراج حتى كان تدمير أغلبها على أيدي الحملة التي عصت إلى الاستيلاء عليها، في عام ٨٩٢/١٤٨٧م، وكانت عقبة كبيرة في وجه الحملة القشتالية، إلا أن تفوق سلاح المدفعية القشتالية، الذي نجح في تدمير هذه الحصون، كان سبباً في نجاح تلك الحملة^(١٢٥).

كذلك غرف من الأبراج الغرناطية، في تلك الفترة، أبراج الطليعة أو المراقبة Torres Atalaya، وهي مأخوذة من الكلمة العربية الطليعة وهي أبراج قام المسلمون بتشييدها على ارتفاع كبير حتى يمكن من خلالها مراقبة تحركات القوى المسيحية، وتقوية الاستحكامات حول المدن والمناطق الجبلية في المملكة ومنها السواحل والمواليء. وكانت هذه الأبراج ملاماً آمناً للمسلمين إذا ما شنت القوى المسيحية هجوماً مباغتاً عليها^(٧٠) ومن أشهر أبراج الطليعة: الأبراج التي شيدت حول المدن المهمة كغرناطة والعرية ومالقة، علاوة على مدينة جيان Jaen^(٧١) التي عن طريقها كانت تكثر الغارات الغشتالية على الأراضي الإسلامية^(٧٢).

وقد عمد سلاطين بني الأحمر إلى تشييد أعداد كبيرة من هذا النوع من الأبراج، لما لها من دور حيوي في حماية المدن الإسلامية، ففي عهد السلطان الغرناطي يوسف الأول؛ شيد الحاجب أبو النعمان رضوان، عدداً كبيراً من أبراج الطليعة بطول الساحل الغرناطي، بلغ عددها أربعين برجاً، بهدف تأمين الساحل الغرناطي.^(٧٣) وكانت أبراج الطليعة تلقى اهتمام العديد من القيادات المسيحية، في حربهم ضد البلاد والمدن الإسلامية، فكان القادة المسيحيون حريصين حرصاً شديداً على تدمير أبراج الطليعة، في البلاد الإسلامية، وخاصة الحدودية، لأنها كانت تعوق حركتهم وتمنع تقدمهم في الأراضي الإسلامية مرات عديدة، لما تقوم به من إضرار المسلمين بقوات التصاري عند تقدمها^(٧٤).

وقام المسلمون في غرناطة بتشييد أنواع أخرى من الأبراج، كانت مربعة الشكل، تقام بين مسافة وأخرى، وكثير تشييدها في غرناطة والعرية ومالقة. كما قاموا بتشييد أبراج مستديرة الشكل، وكان الهدف من هذه الأبراج هو زيادة الاستحكامات الدفاعية على المدن الإسلامية^(٧٥). وكان البرج يتألف من تصفين؛ نصفاً أعلى مصمت، ونصف علوي يشغله غرفة، ويفتح سطحه مع سور الممشى، وتعلو جدرانه العليا شرفات، وقد تشغله غرفتان الواحدة فوق الأخرى، تخصص عادة للحماية. وترتد جدران البرج، في الغالب، بمنافذ للمهام تفتح فيه، ويغطي الغرفة في الغالب قبوات نصف كروية^(٧٦).

وعرف في عصر بني الأحمر البرج الممدد والمثمن والمتعدد الأضلاع، وهو ليس ابتكاراً إسلامياً، وإنما كان معروفاً في العصور الرومانية والبيزنطية^(٧٧) وتأثرت العمارة الموحدة والعمارة الرومانية والبيزنطية، وشيدوا أبراجاً ممددة الشكل. كما شيد الموحدون الأبراج المثمنة الشكل، وكذلك الأبراج متعددة الأضلاع، ونقل عنهم بنو الأحمر هذه الطريقة^(٧٨).

كما شيد الغرناطيون الأبراج المربعة الشكل التي استخدموها في الدفاع، ومن أهم الأمثلة تلك الأبراج المربعة الشكل الموجودة في قصر الحمراء، والناظر إلى هذا النوع من الأبراج يجده من الداخل على شكل فراغ مكعب الشكل، يكون في الغالب جزءاً من قصر، ويدل هذا النوع من الأبراج على تداخل فن العمارة العسكرة مع فن العمارة المدنية، ومنها الأبراج التي كانت تشكل جزءاً من قصر برج قمارش Comares وبرج معشوفة Machucas وبرج العقائل

Damas وكانت بعض أبراج الحمراء تشكل قصوراً كاملة، مثل برج هوميناجه Homenaje، وبرج الأسيرة Cantiva، وبرج الأميرات Infantas ^(٨١).

وشهد الغرناطون الأبراج البرانية، وهي ابتكار موحدى الأصل، والهدف منها تدعيم السور الخارجى للمدينة أو الحى، والبرج البرانى يرتبط بالسور الأصيلى عن طريق ستارة ثلوية، تسمى قورجة تستهدف غلق الطريق أمام الأعداء فى أضعف مناطق السور. ومن الأبراج البرانية ما هو مربع الشكل وما هو ثماني ^(٨٢). ومن أشهر هذه الأبراج: برج السيدات، وبرج الأسيرة، وبرج مدخع الملكة، وبرج الأمزاء وبرج قمارش.

وتشهد أسوار المرية على قوة تحصين المسلمين لبلادهم، فقد شيد بنو الأحمر عدد من الأبراج على أسوار المرية لحماية المدينة ضد أى هجوم مسيحي محتمل، ويذكر الدكتور السيد عبد العزيز سالم: أن الأبراج التى شيدها بنو الأحمر على أسوار المرية، كانت فى غالبيتها اسطوانية الشكل، ويرى أن تاريخ بنائها يعود إلى القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى. ^(٨٣)

الأسباب:

كما أن أبواب المدن، والأحياء السكنية الكبيرة، كانت ضمن اهتمامات المسلمين بتحصين مدنهم فى العصور المختلفة، وبخاصة فى عصر بنى الأحمر، وكانت أبواب المدينة تلعب دوراً مهماً فى إحكام غلق حلق الدفاع، إذا ما حاول عدو الاقتراب من المدينة، واقتحامها، فهى جزء أساسى من الأسوار وتستخدم فى الدفاع والهجوم، أوجود سقطات وفتحات ترمى السوائل المحرقة وفتحات ترمى السهام على المهاجمين، ولذلك اهتم أهل الأندلس بنظام بناء أبواب المدن الإسلامية، وهى بجانب دورها الدفاعى كانت منافذ للدخول إليها والخروج منها، وكانت هذه الأبواب، فى الغالب، تسمى بأسماء المدن التى تتجه إليها لتفتح الطريق مباشرة بينها وبين المدينة التى تقابلها. ^(٨٤) فمدينة غرناطة العاصمة كان يسورها أكثر من عشرين باباً ما زالت حالة بعضها مقبولة، ومن أهم الأبواب باب البيرة Puerta de Elvira، الذى يقع شمال غربى المدينة، ومنه يبدأ شارع البيرة، الذى ما زال يحمل اسمه العربى حتى الآن. وكان ارتفاع هذا السور حوالى اثنى عشر متراً، ولا يزال باقياً حتى اليوم ^(٨٥).

كما أن أسوار مدينة المرية كانت تحوى على العديد من الأبواب التى كانت تمثل مداخل المدينة، أهمها باب موسى، وربما يرجع إلى أحد أعلام المدينة، وباب بجاعة، وباب السودان، وباب العربى، وباب دار الصناعة، نسبة إلى دار الصناعة، وباب العقاب، وباب الزياتين، وباب البحر ^(٨٦).

ومن أهم الأمثلة لأبواب الأحياء السكنية الكبيرة: أبواب حى البيلايين أكبر أحياء مدينة غرناطة، والذى شيد المسلمون حوله سوراً لحمايته، به ثلاثة أبواب كبرى محصنة أيضاً، وهى

باب البيزيين **Puerta de Albaicin** ويقع في نهاية السور، وباب فحص التوز أو فج اللوزة **Puerta de Las Pesas** وباب الزيادة **Puerta de Fajalauza**.^(٨٦)

القصبات :

علاوة على الحصون والأسوار المشيد عليها العديد من الأبراج لحمايتها؛ عمد سلاطين بني الأحمر إلى بناء وتشيد العديد من القصبات بالمدن الأندلسية، وتجديد القصبات التي تحتاج إلى تجديد وترميم، وهذه القصبات تعتبر بمثابة ملاجئ في المدن الكبرى المأهولة بالسكان، مثل المرية ومالقة وواي أش، علاوة على العاصمة غرناطة. فيذكر المؤرخ ابن الخطيب: أن السلطان الغرناطي محمد الخامس الغني بالله، عمل على تجديد القصبات في مدن الأندلس، فيذكر أنه عمل على '... إطلاق البني للمدة القريبة والزمان الضيق بأثني وعشرين نفراً من البلاد المجاورة للعدو . والمشاركة الحدود، مع أراضي المرامية النيران لقرب جواره منها ثغر أرجدونة المستولى عليه الخراب، أنفق في تجديد قصبته، واتخذ جبهه ما يناهز عشرين ألفاً من الذهب فهو اليوم شجى العدو ... وحصن أشر وما كان من تحصين جبهه بالأسوار والأبراج على بعد أقطاره ... ثم ختم تلك بتجديد حصن الحمراء، رأس الحضرة، ومقل الإسلام ومفرع الملك ومعدق الأيدي وصوان المال والنفيرة، بعد أن صار قاعاً صافسفاً، وخراباً بلقاعاً...'^(٨٧) وفي غرناطة العاصمة توجد قصبة الحمراء، وهي ثلاثة أقسام: القصبة الجديدة أو القسم العسكري شمالي شرق القصر، وهي عبارة عن قلعة تحرس الحمراء، ولها برجان عظيمان أحدهما يسمى برج الشعرة أو الحراسة الذي يسهل على رقاد المدينة، وفي وسط الحمراء يقع القصر الملكي، ثم الحمراء العليا التي تضم مجموعة من البيوتات كانت مخصصة للخدم والحرفيين علاوة على المسجد، ودار المنكة.^(٨٨)

وتعد قصبة وادي أش، التي ما تزال باقية حتى الآن، تشهد على عظمة بنائها من المسلمين، فهي تقع فوق ريوه عالية ببل هي أعلى مكان في الربوة، بها برج كبير، ورجان صغيران قبيلته، يتصلان لسور ذي مشارف عربية، كما يوجد برج رابع في زاوية منعزلة منها، وهذه الأبراج تشرف على المدينة كلها، وربما كانت القصبة هي أعلى بناء للمسلمين بوادي أش.^(٨٩)

كما أن قصبة مالقة الحصينة، والتي لا زالت أجزاء عديدة منها باقية، تشهد على حصانتها، وهي تقع على منحدر صخري قريب من البحر، وأقيمت القصبة في المرة الأولى في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل، ثم جددت هذه القصبة وأعيد بناؤها في عصر باديس بن حبوس حاكم غرناطة في عصر الطوائف.^(٩٠) ثم شهدت قصبة مالقة عدة تجديدات في عصر بني الأحمر، على مرات متفاوتة، منذ أواخر القرن السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والقرن الرابع عشر الميلاديين، ولعبت قصبة مالقة دور كبيراً في تحصين المدينة أثناء حصار الغشتالين لها عدة سقوطها في أيديهم عام ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، وتضم القصبة عدة مباني منها الأبراج والأسوار، ويذكر بها أبنية سكنية، وكل هذه الإنشاءات تعود إلى عصر بني الأحمر.^(٩١) وكانت

أسوار القسبة شاهقة الارتفاع، مزودة بأبراج ضخمة مربعة الشكل، تمتد من مسافة لأخرى^(١١١). وكان بها اثنا عشر بابًا، ومائة وعشرة أبراج مهيبة عدا الصغيرة^(١١٢)، كما كان بالقسبة قصر فخم يسمى قصر باديس مؤسسه، علاوة على مجموعة من الدور الصغيرة، لا تقل أهميتها عن القصر، ويرى الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنها ربما كانت مخصصة لكبار الزوار^(١١٣).

كما أن مدينة العمرة كان بها قسبة منيعة لحمايتها تقع في الجزء الشمالي من المدينة، على ربوة جبل عالية صخرية، يبلغ ارتفاع الجبل عن سطح الأرض خمسة وستين مترًا، ويصعب ارتفاعه لوعورته، وهو آخر حلقة من سلسلة جبال جادور Gador القريبة من نهر أندرش وتشرف القسبة على ميناء العمرة^(١١٤). ووقوع القسبة على الجبل المرتفع حتى يتمنى الإشراف منها على الثغر، وتمتد القسبة من الشرق إلى الغرب بطول ٥٣٠ متر، وكان يصل القسبة بوسط المدينة باب، كما كانت مزودة بباب شرقي يخرج من أسوار المدينة، وكان بها مسجد جامع لا تزال آثاره باقية حتى الآن^(١١٥)، واهتم المسلمون بتلك القسبة ومبانيها وأسوارها وعملوا على تحصينها بالأبراج، حتى غدت من أعظم القصبات الأندلسية في تلك الفترة^(١١٦).

أما عن صورة قسبة العمرة فهي: عبارة عن ثلاثة مرتفعات غير متساوية، يفصل بين كل منها سور، والمرتفع الأول وهو الأعلى يقع غربي القسبة، ويتصل بسور رياض الحوض في خط يتلف مع طريق قائم اليوم، وهذا الجزء من القسبة هو سطلها المنيع، وأبراج هذا الجزء أسطوانية الشكل، أما المرتفع الثاني فيكون مريفاً منبسطة في سطحه، وكان يشغله القصر وملحقاته، ويتصل سور به بسور رياض المصلح، والمرتفع الثالث طويل للغاية، كانت في موضعه بساتين وحدائق. وتشتمل أسوار القسبة على عدد كبير من الأبراج لحمايتها^(١١٧).

الخاصة

خلص الباحث من هذا البحث بعدة نتائج منها

أولاً : الموقع الجغرافي لمملكة غرناطة: كان من أهم التعم التي من بها الله سبحانه وتعالى على أهل تلك البلاد فكانت محصنة طبيعياً إلى حد كبير، فكانت كل مدينة من مدن الأندلس تتميز بميزة في موقعها إما أن تكون محصنة من ناحية البحر فيتم إقامة سور على البحر في تلك الجهة فيأمن المسلمون شر الهجوم على مدنهم من ناحية البحر، أو أنها تطل على أحد الجبال التي يحميها من الهجمات المسيحية أيضاً، أو أن نهراً من الأنهار تطل عليه المدينة فتكون في ملن من تلك الجهة .

ثانياً : تشييد الاستحكامات الدفاعية في عصر بني الأحمر: لم يحظ باهتمام سلاطين بني الأحمر فحسب بل شارك فيه الأندلسيون كافة، وعمل الطماء والفقهاء في تلك الفترة على بث روح التعاون فيما يخص هذا الأمر، فتشويب المسلمون في بلاد الأندلس أروع المثل في ذلك. كما أن سلاطين بني مرين كانت لهم بصمة في بناء الاستحكامات الدفاعية في بلاد الأندلس، وهذا قبل من كثير قدمته دولة بني مؤين لدولة بني الأحمر، وكان عن حسن طالع دولة بني الأحمر أنها تأسست في نفس الفترة التي قامت فيها دولة بني مرين في بلاد المغرب .

ثالثاً : تشهد العمارة الأندلسية، في عصر بني الأحمر، على أحد أهم الفنون الإسلامية وهو: فن العمارة الأندلسية التي تطورت ووصلت إلى أوج ازدهارها في بلاد الأندلس في تلك الفترة فكانت خبرة المسلمين قد ازدادت وتبلورت فاضربوا أروع المثل في أعظم ميادينهم وهو: قسبة وقصور الحمراء التي لا تزال تشهد على عظمة المسلمين وروعة فنهم في تلك الفترة.

المصادر والمراجع

أولا المصادر العربية:

- ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت ٨١٠ هـ/١٤٠٧م)
 - النفحة النسرينية واللمحة المرينية - تحقيق عثمان محمد آل طصعة، دمشق، دار سعد الدين للنشر، ط٢، ١٩٩٢م.
- الإيرسي: أبو عبد الله محمد الشريف السبئي (ت حوالي ٥٤٨ هـ/١١٥٤م)
 - نزهة المشتاق في اختراق الأفاق - القاهرة مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.
- ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد الطنجي التواتي (ت ٧٧٩ هـ/١٣٧٨م)
 - رحلة ابن بطوطة - بيروت دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٢م.
- الحيمري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩ هـ/١٥م)
 - الروض المحطار في خبر الأقطار - تحقيق إحسان عباس، بيروت مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.
- ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ/١٣٧٤م)
 - الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق عبد الله علان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٧٤م.
- أعمال الأعلام ليمين بوبع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام - تحقيق ليلي بروقتمان، بيروت، دار المكشوف، ط٢، ١٩٥٦م.
- خطرة الطوف في رحلة الشتاء والصيف - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، الإسكندرية شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م.
- التلمحة البدرية في الدولة النصرية - تحقيق لجنة التراث، بيروت دار الأفاق الجديدة، ط ٣، ١٩٨٠م.
- معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط٢، ١٩٨٣م.
- مفارحات مالقة وسلا - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م.
- ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥م)
 - العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر - تحقيق خليل شحانة، بيروت، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٠م.
- ابن أبي زرع: أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع القاسمي (ت بعد عام ٧٢٦ هـ)
 - الأنيس المطرب بروض القرطاس - الرباط دار المنصور، ط١، ١٩٧٣م.
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية - تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور، ١٩٧٢م.
- الزهرى: أبو عبد الله محمد (ت في أواسط ٥٦ هـ/١٢م)
 - كتاب الجغرافية - تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.
- العصرى: شهاب الدين بن فضل الله (ت ٧٤٢ هـ/١٣٤١م)

- وصف إفريقيا والمغرب والأندلس من كتاب مسالك الألبان في ممالك الألبان، نشر حسن حسني عبد الوهاب، تونس، مجلة البدر، ١٣٤١هـ.
- المراكشي: عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٧م)
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب - تحقيق محمد زينهم، القاهرة، دار الفرجاني، ١٩٩٤م - مجهول:
- أخبار العصر في القضاء دولة بني نصر - تحقيق د/ حسين مؤنس، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩١م.
- ابن مرزوق: أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (ت ٧٨١ هـ / ١٣٧٩م)
- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن - تحقيق ماريما خوسوس بيغرا، الجزائر، مكتبة للشركة الوطنية، ١٩٨١م.
- المعري: شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ / ١٥٣١م)
- فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وتكر وزيرها لعمان الدين الخطيب - تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م.
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل (ت ٧١١ هـ / ١٣١١م)
- لسان العرب - تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م)
- معجم البلدان - بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ.

ثانياً المراجع العربية والمصرية

- أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر - الإسكندرية مؤسسة شباب الجامعة، ط١، ١٩٩٧م
- أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس - الإسكندرية مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٦٨م.
- صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس - الإسكندرية منشأة المعارف، ٢٠٠٠م
- أندرية جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية - ترجمة محمد مرزلي، تونس، الدار التونسية، ١٩٧٨م
- أولغ غرابار: نظرتان متضاربتان إلى الفن الإسلامي في شبه الجزيرة الإسبانية - ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، نشر د. سلمي الخضراء الجيوشي، مركز بيروت، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٨م.
- جورجين نونز: فنون الأندلس - ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، نشر د. سلمي الخضراء الجيوشي، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٨م.
- السيد عبد العزيز سالم: أضواء على مشكلة تاريخ بناء أسوار لشبونة في العصر الإسلامي مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمطرد، ١٩٧٥م
- البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس - بالاشتراك مع د. أحمد مختار العبادي، بيروت، دار النهضة العربية، ط١، ١٩٦٩م.
- تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس - القاهرة، دار النهضة، ١٩٦٩م
- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط ١، ١٩٨١م

- العصرة الإسلامية في الأندلس وتطورها - مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن، العدد الأول، أبريل - مايو - يونيو ١٩٧٧م
- في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس - الإسكندرية، شباب الجامعة، ١٩٨٩م
- عبد الحكيم الذنون : آفاق غرناطة - دمشق، دار المعرفة، ١٩٨٨م
- محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي - الإسكندرية، دار المعرفة، ١٩٩٦م.
- محمد عبد الله عنان: الآثار الإسلامية الباقية في أسبانيا والبرتغال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٩٩٧م
- دولة الإسلام في الأندلس - القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م
- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين - القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م
- محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب العربي والأندلس في العصر المريني - الكويت، دار القلم، ١٩٨٥م.
- محمد كمال شبانة : يوسف الأول سلطان غرناطة - القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٩م
- محمد ياسين الحموي : الأسطول العربي - دمشق، مطبعة الترقى، ١٩٤٥
- مونتغري وات : في تاريخ أسبانيا الإسلامية - ترجمة محمد رضا المصري، بيروت، شركة المطبوعات، ط ١، ١٩٩٢م
- واشنطن إفرنج: - أخبار سقوط غرناطة - ترجمة هانس إيحي نصرى، بيروت، الانتشار العربي للنشر، ط ٢٠٠٠م
- يوسف شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر - بيروت، المؤسسة الجامعية، ط ١٩٨٢م.

ARCHIVE

المصادر والمراجع الأجنبية

- Ahmad Mujtar Al-Abbadī : El-Reino de Granada en la Época de Muhamad V- Madrid, 1973
- Arie: (Dr. Rachel): L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides (1232-1492) - Paris, 1973
- El Reino Nasrí de Granada (1232-1492) - Madrid, 1992.
- Crónica de Don Alfonso XI, ed, Rosell, Madrid, 1953
- Harvey: (L. P.): Islamic Spain (1250 - 1500) - London, 1990.
- Luis Seco de Lucena: : El Hāyib Ridwān, la Madraza de Granada Y las murallas del Albayzín - (AlAndalus, Madrid Y Granada), Vol. XXI, 1956
- Mackay: (Angus):-La Espana de la Edad Media (1000-1500) - Madrid, 1977.

الهوامش

- (١) معركة العتاب Las Navas de Tolosa: سميت بذلك نسبة إلى قرية العتاب التي تقع بين جيان وقلعة رباح وعلى أرضها دارت المعركة بين الجانبين- الإسلامي بقيادة سلطانهم محمد الناصر، والمسيحي لتزعمه كشتالة بقيادة ملكها ألفونسو الثامن Alfonso VIII، وضم أيضا قوات من أراجون والبرتغال ونافار، وتلقى المسلمون فيها هزيمة قاسية. وللمزيد عن معركة العتاب انظر: عبد الواحد المرزوقي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب - تحقيق محمد زينهم، القاهرة، دار الفرجان ١٩٩٤م، ص ١٢٦٥، ٢٤٣.
- (٢) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجناس، ينتمي إلى أسرة بني هود الذين حكموا سرقيطة زمن ملوك الطوائف. وهو أول من ثار على الموحدين في الأندلس ولقب بأسير المسلمين، والمتموكل على الله، وسيف الدولة، ويسميه الأسيان ذافدولا Zafadola. كانت بداية ثورة ابن هود في مرسية، ويوبع له بها في عام ١٢٢٥هـ/١٢٢٨م. ودعا للخليفة المستنصر العباسي، دخلت في طاعته معظم مدن وقواعد الأندلس بعد ذلك مثل مدينة قرطبة، وبطليوس وغرناطة. وحاول الخلفاء الموحدين القضاء على دولته لكنهم فشلوا في ذلك. وقد دامت دولته بالأندلس عشر سنين (٦٢٥-١٢٢٨هـ/١٢٢٨-١٢٣٨م). عن ابن هود ودولته انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام لمن يوبع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام - القسم الثاني، تحقيق ليلى بروفسال، بيروت، دار المكتوف، ط ٢، ١٩٥٦م، ص ٢٧٨، الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ١، ١٩٧٤م، ج ٢، ص ص ١٢٨-١٣٢ ابن خلدون: العبر وديوان المبدأ والخير في ترويح العرب-الجزير ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر- تحقيق خليل شحانة، بيروت، دار الفكر، ط ١، ٢٠٠٠م، ج ٧، ص ص ٢٥١-٢٥٢.
- (٣) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري، ويلقب بالغالب بالله، ويعرف أيضاً بالشيخ، وهو نسبة إلى سعد بن عباد سيد الخرج، فهو بذلك من أعرق البيوت العربية، ولد في بلدة أرجونة Arjona التابعة لمدينة قرطبة، في عام ٥٩١هـ/١١٩٥م، وهو عام موقعة الأرك، ونشأ في تلك البلدة. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ٩٢: السمحة البدرية في الدولة المصرية- تحقيق لجنة التراث العربي، لبنان دار الأفاق الجديدة، ط ٢، ١٩٨٠م، ص ٣٣.
- (٤) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ٩٤.
- (٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق ٢، ص ص ٢٨١-٢٨٢، الإحاطة، ج ٢، ص ص ١٢٩-١٣٢.
- (٦) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٢٨٦: الإحاطة، ج ٢، ص ٩٨: السمحة البدرية، ص ٤٧.
- (٧) أبو عبد الله الزهري: كتاب الجغرافية- تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص ٩٦: الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار - تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط ٢، ١٩٨٤، ص ص ٣٤٣-٣٤٤.
- (٨) الزهري: كتاب الجغرافية، ص ٩٦.

- (٩) ابن الخطيب: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار - ضمن مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق د/أحمد مختار العبادي، الإسكندرية: شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م، ص ص ٧٤-٧٥، أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس-الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٦٨م، ص ص ١٠٣-١٠٤.
- (١٠) ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ص ٧٤-٧٥.
- (١١) مألقة: مدينة ساحلية جنوب شرق الأندلس يرجع تأسيسها إلى عام ١٢٠٠ ق.م في عهد الغنبيقيين، والذين أعطوها اسم مألقة Malako أو المملج، نسبة إلى الأسماك المملحة التي كانت تحفظ فيها، وفي عهد ملوك الطوائف كانت مدينة مألقة عاصمة الحمويين الأبراسة من ملوك الطوائف. النظر: ابن الخطيب: مغامرات مألقة وسلا- ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م، ص ص ٨٧ - ٨٩ الحميري: الروض المعطار، ص ص ١٧٧-١٧٨؛
- Guillén Robles, F: Málaga Musulmana - Málaga, Zed, 1957, Vol., I, pp.30-31.
- (١٢) أحمد مختار العبادي: صور من حياة العرب والجهاد في الأندلس- الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٠م، ص ٢٤٧.
- (١٣) الزهري: كتاب الجغرافية، ص ٩٨.
- (١٤) ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص ٩١.
- (١٥) العمري: وصف إفريقية والمغرب والأندلس من كتاب المسالك والممالك - تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس: مجلة الهدى، ١٣٤١هـ، ص ٢٧.
- (١٦) وادي آش Guadix: مدينة أوروبية من غرناطة يقع في الشرق منها جبل شيلر أو جبل الثلج ويقع على الضفة نهر ينبع بالقرب من الجبل. مشهورة بكثرة الأزوح والثمار المتنوعة خاصة التوت والأعقاب والزيتون. النظر: الحميري: الروض المعطار، ص ص ٦٠٤-٦٠٥؛ المقرئ: نوح العليب من حصن الأندلس الرطب وندر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - تحقيق إحصان عباس، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م، ج ١، ص ١٤٨.
- (١٧) الزهري: كتاب الجغرافية، ص ص ٩٣-٩٤؛ أحمد محمد الطوشي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر - الإسكندرية: شباب الجامعة، ١٩٩٧م، ص ٥١.
- (١٨) ابن الخطيب: خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م، ص ٣٦.
- (١٩) محمد عبد الله علان: الآثار الإسلامية الباقية في إسبانيا والبرتغال- القاهرة، مكتبة الخالجي، ط٢، ١٩٩٧م، ص ٢٤٢.
- (٢٠) نفس المرجع، ص ٢١٥.
- (٢١) المرية: تقع على الساحل الشرقي للأندلس، جنوب شرقي بجاية، على حافة البحر المتوسط، وهي مدينة برية بحرية، وكانت عاصمة ولاية المرية في زمن بني الأحمر. شدها الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث (التاسع) في عام ٩٥٦/٥٣٤م، لتكون قاعدة بحرية. بينها وبين مألقة ٢٢٢ كم، النظر: الزهري: كتاب الجغرافية، ص ١٠١؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ١٥٧ الحميري: الروض المعطار، ص ص ٥٣٧-٥٣٨.

(٢٢) محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي - الإسكندرية، دار المعرفة، ١٩٩٦م، ص ١٤٠.

(٢٣) أرض الغرناطية: هي بسط قرطبة وإشبيلية وطلطلة وجبان، أخذه من جوف شمال الجزيرة من الغرب إلى الشرق، ومعناها بالأندلسية الحدود الفاصلة بين دولتين. انظر: ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٢٢٩.

(٢٤) المقرئ: نفع الطيب، ج ٩، ص ص ١٠٩-١١٠.

(٢٥) نفس المصدر، ج ٥، ص ٤٧٢.

(26) Ahmad Mujtar Al-Abbadi : El-Reino de Granada en la Época de Muhamad V- Madrid, 1973, p.132.

(٢٧) بنو مرين أخذ من أفخاذ قبيلة زناتة، تولى زعامتهم في عهد الموحدين أبو بكر بن حماسة، ثم خلفه أبو خالد محيو بن أبي بكر، الذي أصيب في موقعة الأرك عام ٥٩١هـ/١١٩٥م إصابة كانت سبباً في وفاته. وعندما دب الضعف في دولة الموحدين استقل أبو محمد عبد الحق المريني بمكناسة وتازا، ثم تدعت أركان الدولة في عهد أبي سعيد عثمان بن عبد الحق. وفي عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م تمكن الأمير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني من إنهاء حكم الموحدين والاستيلاء على العاصمة مراکش. انظر: ابن أبي زرع: الأندلس المطرب بروض القرطاس - الزياطدار المنصور، ١٩٧٣م، ص ص ٢٧٨-٢٩٠، ابن الأحمر: النخبة النسرية والمحة المرينية - تحقيق عثمان محمد آل طهفة، دمشق، دار سعد الدين للنشر ط ٢، ١٩٩٢م، ص ص ٣١-٣٥؛ محمد عيسى الجريبي: تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني - الكويت دار القلم، ط ٢، ١٩٨٧م، ص ص ٣٦-٣٧.

(٢٨) هو السلطان علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، يكنى أبا الحسن، ولد في عام ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م، وتولى في ذي القعدة سنة ٧٣١هـ / أكتوبر ١٣٣١م بعد وفاة والده السلطان أبي سعيد عثمان، وتوفي السلطان أبو الحسن في عام ٧٥٢هـ / ١٣٥٢م. عنه انظر: ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن - تحقيق ماريّا خوسيس بيغرا، الجزائر، مكتبة الشركة الوطنية ط ١، ١٩٨١، ص ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٢٩) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص ٣٩٢.

Arie R.:L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides(1232-1492) - Paris, 1973, p.159.

(٣٠) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق ٢، ص ص ٢٩٧-٢٩٨، الإحاطة، ج ١، ص ١٥٣٧ للمحة البدرية، ص ٩٤؛ ابن خلدون: العبر، ج ٧، ص ٣٣٧.

Crónica de Don Alfonso XI, ed, Rosell, Madrid, 1953, pp. 266-268.

(٣١) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص ص ٣٩١-٣٩٢؛ ابن خلدون: العبر، ج ٧، ص ١٢٥٦؛ المقرئ: نفع الطيب، ج ١، ص ٤٥١.

Arie R.:L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides(1232-1492) - Paris, 1973, p.159.

- (٣٢) ابن منظور : لسان العرب - تحقيق عبد الله على الكبير وآخرين، القاهرة، دار المعارف، د.ت، المجلد الثاني، ج ١١، ص ٩٠٣.
- (٣٣) هو السلطان يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأتصاري الفخرجي، تولى بعد وفاة شقيقه محمد بن إسماعيل، وكان عمره وقتها خمسة عشر عاماً وثمانية أشهر. توفي في عام ١٣٥٤/٨٧٥٥م، مقتولاً على يد رجل مخبول، يوم عيد الفطر. عنه النظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق ٢، ص ص ٢٠٤-٢٠٦؛ الإحاطة، ج ٤، ص ص ٣١٨-٣٢٠؛ محمد كمال شبانة: يوسف الأول سلطان غرناطة-القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م، ص ص ٣٠-٥٠.
- (٣٤) ابن الخطيب: اللحة البدرية، ص ١٠٩.
- (٣٥) السلطان محمد الخامس: هو محمد بن السلطان أبي الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر، ولد في ٢٢ جمادى الآخر سنة ٧٣٩ هـ / ٢١ يناير ١٣٣٨م وتولى في عام ١٣٥٤/٨٧٥٥م وتوفي في عام ١٣٩١/٨٧٩٣م. عنه النظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ١٣.
- (٣٦) المقرئ: نفع الطيب، ج ٩، ص ١١٠.
- (٣٧) محمد عبد الله عفان: الآثار الإسلامية، ص ص ٢٤٦-٢٤٨.
- (٣٨) عن حملة سقوط مملكة النضر: مجهول: أخبار العصر في القضاء دولة بني نصر - تحقيق د/ حسين مؤنس، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩١، ص ص ٩٧ - ٩٨؛ مونتغمري وات: تاريخ أسبانيا الإسلامية - ترجمة محمد رضا المصري، لبنان، شركة المطبوعات ط ١، ١٩٩٢م، ص ١١٥٩.
- Arié, R.: El Reino El Reino Nasri de Granada (1232-1492) - Madrid, 1992, pp. 95 - 96. <http://Archivebeta.Sakhril.com>
- (٣٩) السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٣٨.
- (٤٠) ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ١٠٧.
- (٤١) محمد عبد الله عفان: الآثار الإسلامية، ص ص ٢١٨-٢٢٠.
- (٤٢) يوسف فرجات: غرناطة في ظل بني الأحمر - بيروت، المؤسسة الجامعية، ١٩٨٢، ص ٧٢.
- (٤٣) السيد عبد العزيز سالم و أحمد مختار العادي: البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس - بيروت، دار النهضة العربية، ط ١، ١٩٦٩، ج ٢، ص ٣٠٥.
- (٤٤) بجاة Pechena: بفتح الباء ويدها جيم مفتوحة مشددة بعدها ألفا وبعد الألف نون وهي مدينة أندلسية ساحلية تسمى أيضاً أثنس اليمن لأن الأيوبيين أنزلوا قبيلة بني سراج الغضاعين في هذه المنطقة وألزمهم بحراسة الساحل، بينها وبين المرية خمسة أميال - النظر: الحميري: الروض المططر، ص ص ٧٩-٨٠.
- (٤٥) أحمد مختار العادي: صور من حياة العرب والجهاد في الأندلس، ص ٢٤٧.
- (٤٦) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٩٢، ص ٦٦٩.
- (٤٧) نفس المصدر، ص ٦٧٢.
- (٤٨) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ٥١٧.

- (٤٩) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس - القاهرة، دار النهضة، ط ١، ١٩٦٩، ص ١٣٦.
- (٥٠) محمد عبد الله علان: الآثار الإسلامية، ص ١٧٥.
- (٥١) بعد دخول محمد بن الأحمر غرناطة في عام ١٢٣٨/٨٦٣٥م وإعلان قيام دولته، واتخاذ من مدينة غرناطة عاصمة له، رأى أن يقيم حصناً أو قلعة تكون حامية له، فاختار الحمراء، ويقع قصر الحمراء في الجانب الشمالي الشرقي من مدينة غرناطة، ويعود تاريخ إنشاءه إلى بداية دولة بني الأحمر، حيث أمر ابن الأحمر بإنشائه بعد استقرار الأمر له في غرناطة، وفي عهد ه ثم إنشائه القصر، وبعض الأبراج المنبوعة، وأنشأ سوراً حولها، ثم أمر ابنه محمد الثاني الفقيه باستكمال الحصن، والقصر الملكي، وشيد محمد الثالث بناء المسجد الجامع، ولكن يعتبر عصر السلطان أبو الحجاج يوسف هو العصر الذهبي لإنشاء قصر الحمراء، ثم أكمله ابنه محمد الخامس. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ٢٩٦، التلمحة البدرية، ص ١٤٣ السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس - الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥، ص ٢٠٤-٢٠٦، أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ٦٠-٦٣.
- (٥٢) محمد عبد الله علان: دولة الإسلام في الأندلس - القاهرة، مكتبة الفلاح، ١٩٩٧، ج ٧، ص ٢٨٩.
- (٥٣) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٤، ص ٣١٨.
- (٥٤) عبد الحكيم التتوني: أثالي غرناطة - دمشق، دار المعرفة، ١٩٨٨م، ص ٨٠.
- (٥٥) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ٣٣.
- (٥٦) الإدريسي: نزهة المشتاق في إلحراق الأفاق - القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د. ت، ج ٥، ص ٥٦٢، الحميري: الروض المططر، ص ٥٣٧-٥٣٨.
- (٥٧) عن سقوط المرية انظر: سيجول: أخبار العصور، ص ١٠٠.
- L.P. Harvey: Islamic Spain 1250-1500-London, 1990., p. 304; Arié, R: El Reino Nasri, p. 100.
- (٥٨) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص ١٤٣.
- (٥٩) عن تفاصيل الحملة الأراجونية على مدينة المرية انظر: ابن الخطيب: التلمحة البدرية، ص ١٧٥.
- ابن خلدون: العبر، ج ٧، ص ٣٢٩-٣٣٠.
- (٦٠) ابن الخطيب: التلمحة البدرية، ص ٥٦.
- (٦١) ابن منظور: لسان العرب، المجلد الأول، ج ٣، ص ٢٤٣.
- (٦٢) هو السلطان محمد بن محمد بن محمد بن نصر ثالث ملوك بني نصر، كان ضعيف البصر، لمواصله السهر، ومباشرة أنوار ضخام الشمع، بأثر السياسة في حياة والده، وكان شاعراً، يقرض الشعر، ويوصي إليه. تولى في يوم وفاة والده في يوم الأحد الثامن من شعبان سنة ٨٧٠/١٣٠٦م من أبريل ١٣٠٦م، وتوفي في آخر شهر شوال سنة ٨٧١/مايو ١٣٠٩م. والمثقب بالمخلوع لأنه خلع من الحكم عام ٨٧٠/١٣٠٨م. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ٥٤٣-٥٤٤، التلمحة البدرية، ص ٦١.
- (٦٣) أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ٢١٩.

- (١١) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ١٢٤.
- (١٢) واشنطن إيرفنج: أخبار سقوط غرناطة - ترجمة هاني يحيى نصري، بيروت، الانتشار العربي للنشر، ٢٠٠٠م، ص ص ٢٨٣.
- (١٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٦٦٩.
- (١٤) والجمع أجبان، وهي سفينة حربية وتجارية. ما كان يستخدم منها في الحروب يسمى الأجبان الغزوية. وما كان يستخدم في النقل منها يسمى الأجبان التجارية المقرى: فتح الطوب، ج ٧، ص ١٦٧ محمد ياسين الحموي: الأسطول العربي - دمشق، مطبعة الترقى، ١٩٤٥، ص ٤٤.
- (١٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٦٦٩.
- (١٦) أحمد مختار العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص ٢٤٧.
- (١٧) واشنطن إيرفنج: أخبار سقوط غرناطة، ص ص ٢٨٣-٢٨٤. ويضيف أن المسلمين المدافعين عن الأبراج والمتحصنين بها استمسكوا في الدفاع عنها، ولكن تمكن القائد القشتالي فرانشيسكو دي مادريد قائد قوات المدفعية من التسلل إلى البرج الأول ووضع تحته عبوة كبيرة قابلة للاشتعال، ولما نجح في إشعال التيران فيها انفجر البرج محدثاً صوتاً قوياً ففرح المسلمون لذلك، فاستولى الصليبيون على البرج ثم تقدموا نحو الأبراج الأخرى العوازية له، حتى تمكنوا في النهاية من دخول المدينة بعد سقوط الأبراج في أيديهم. انظر: واشنطن إيرفنج: أخبار سقوط غرناطة، ص ص ٢٨٣-٢٨٤.
- (١٨) أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ٢١٩.
- (١٩) مدينة جيان Jaen: تطلق بالقبح ثم التمدد، وأخره خون، مدينة أندلسية من أقدم المدن بالأندلس، تقع بالقرب من مدينة إبيزا El Ibiza، بينها وبين إبيزا مسافة تقدر بحضرين ميلاً انظر: الحميري: الروض المعطار، ص ص ٢٨٣-١٨٤.
- (٢٠) أحمد مختار العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص ٢٤٥.
- (٢١) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ٥١٧.
- (٢٢) أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ٢١٩.
- (٢٣) السيد عبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية وتطورها في الأندلس - مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن، العدد الأول، أبريل - مايو - يونيو ١٩٧٧م، ص ١٢٨.
- (٢٤) السيد عبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية وتطورها في الأندلس، ص ١٢٨.
- (٢٥) السيد عبد العزيز سالم: أضواء على مشكلة تاريخ بناء أسوار اشبيلية في العصر الإسلامي مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمطرد، ١٩٧٥م، ص ١٥٢.
- (٢٦) السيد عبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية وتطورها في الأندلس، ص ١٢٨.
- (٢٧) جيريلين تومز: فنون الأندلس - ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس - نشره: سلسي الخضراء الجبوتسي، مركز بيروت، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٨٨٥.
- (٢٨) السيد عبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، ص ص ١٢٨-١٢٩.
- (٢٩) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة العربية الإسلامية، ص ١٤٤.
- (٣٠) محمد أحمد أبو الفضل: العربية، ص ١٢٨.
- (٣١) يوسف شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٨١-١٨٢.

- (٨٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ص ١٩٢: المعرى: نفع الطيب، ج ١، ص ١١٠١ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ١٢٥.
- (٨٦) محمد عبد الله علان: الآثار الإسلامية، ص ١٦٨.
- (٨٧) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ص ٥١-٥٢.
- (٨٨) يوسف شكري فرحات : غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٨٩؛ محمد عبد الله علان: الآثار الإسلامية، ص ١٨٤ أونغ غرايار : نظرتان متضاربتان إلى الفن الإسلامي في شبه الجزيرة الإسبانية - ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، نشر د. سلمى الخضراء الجيوش، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ص ٨٥٠-٨٥١.
- (٨٩) محمد عبد الله علان : الآثار الإسلامية ، ص ٢١٦ .
- (٩٠) السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٤٢ .
- (٩١) محمد عبد الله علان : الآثار الإسلامية، ص ص ٢٤٣-٢٤٤ .
- (٩٢) السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٤٢ .
- (٩٣) محمد عبد الله علان : الآثار الإسلامية ، ص ٢٤٦ .
- (٩٤) السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٤٢ .
- (٩٥) محمد أحمد أبو الفضل: المرية، ص ص ١٤٢-١٤٣ .
- (٩٦) السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٤٠ .
- (٩٧) العمري : الروض المططر، ص ١١٨١ المعرى : نفع الطيب، ج ١، ص ١٥٣ .
- (٩٨) السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢٤٠ .

ARCHIVE

http://Archivebeta.Saikhrit.com

موقف ابن إياس من العثمانيين

د. محمد أسامة زكي زيد (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وبه نستعين

الحمد لله مالك الملك على الدوام، الذى خلق السموات والأرض وما بينهما بالتمام،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى نهاية
الزمان.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتوا إلا وأنتم مسلمون
وإلتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها
كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) [آل عمران ١٠٣].

ثم أما بعد... المؤرخ الكبير أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفى، الذى توفى
عام ١٥٢٤/٥٩٣م^(١) هو شيخ مؤرخى مصر فى زمانه. ولا تكون قد ذهبنا بعيداً إن قلنا أن
كتابه (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) الذى ينتهى بأحداث عام ١٥٢٢/٥٩٢٨م، هو أهم
مصدر لتاريخ سلطنة المماليك بعد وفاة المؤرخ الكبير أبو المحاسن جمال الدين ابن تغرى بردى،
صاحب (التجويد الزاهرة فى منوك مصر والقاهرة) الذى توفى عام ٨٧٤ هـ/١٤٦٩م.

ولابن إياس مصنفات أخرى منها (تزهر الأمم فى العجائب والحكم)، (تسقى الأزهار فى
عجائب الأقطار) (عقود الجمال فى وقائع الزمان)، (الجواهر الفريدة والتوابع المفيدة)^(٢). وبالرغم
من مكاتبة ابن إياس العمية إلا أن من خلفه من المؤرخين لم يهتموا بالترجمة له فى كتبهم، فلم
يترجم له نجم الدين لغزى فى (الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة)، ولم يترجم له عبد القادر
العيدروس فى (التور السافر عن أخبار القرن العاشر)، ولم يترجم له ابن العسك الحنبلى فى
(شذرات الذهب فى أخبار من ذهب)، لذلك فنحن لا نعرف عن ابن إياس القليل، ومن نلك ما بين
برقوق، وأما والذى فإنه عاش من العمر نحواً من أربع وثمانين سنة وجاءت من الأولاد خمسة

(*) باحث.

وعشرون كتبه هو عن نفسه في نكر خبر وفاة والده في شعبان عام ١٥٠٣/١٤٠٨م فقال ما نصه^(٤١): (وفي يوم الجمعة ثالث عشره توفي والدي المرحوم الشهابي أحمد بن المرحوم إياس الفخري من جنيد، وكان أصله من مملوك الظاهر برفوق، وقرر دوادار ثلثي في دولة الناصر فرج ولدا ما بين نكور وإنثا غير المسفوط، وعاش له من ذلك ثلاثة صبيان وبنات وكان كثير العشرة للأمرء وأرباب الدولة رحمة الله عليه، وكان من مشاهير أبناء الناس^(٤٢)).

وقد عاصر ابن إياس الفتح العثماني لمصر والشام، وشهد زوال السلطنة المملوكية عام ١٤٢٣/١٥١٧م، وبنون الوقائع والأحداث بتفصيلاتها في الجزء الخامس من تاريخه (بدايع الزهور في وقائع الدهور)، وكان آنذاك في العقد الأخير من عمره وقد بلغ مبلغاً من الحكمة والعزم وسعة الإبراك، وقد ذم ابن إياس الفتح العثماني لمصر والشام، ودم السلطان سليماً الأول خاصة، ورجال الدولة العثمانية عامة بغير حق في كثير من الأحيان، فمن يطالع الجزء الخامس من كتبه المذكور بعناية وتدقيق نظر سيبين له أن ابن إياس الذي بدأ كتابة تاريخه وفقاً لمنهج يتسم بالحياد وحسن التحقيق وكمال التدقيق، استصعبه حتى نهاية الجزء الرابع، قد فقد شيئاً من حياده وإنصافه في تدوينه للجزء الخامس المتعلق بوقائع الفتح العثماني لمصر والشام، والمتمتد الأولى من الحكم العثماني في مصر. ولست أدري ما إن كان ابن إياس مدركاً لحال العالم الإسلامي آنذاك، ومدركاً لضرورة وحتمية ما قام به السلطان سليم الأول من إعادة توحيد بلاد المسلمين لمواجهة الأخطار الثلاثة التي تكاثرت عليهم في آن واحد، أم أنه كان غافلاً عن ذلك فظن أن الفتح العثماني لمصر والشام ما هو إلا بقاء وتدوان عثماني !! وقيل أن أقيم الإثمة على تحامل ابن إياس على العثمانيين ينبغي توضيح حال كتب العالم الإسلامي قبيل الفتح العثماني لمصر والشام، والذي دفع السلطان سليماً لقبام بفتوحاته:

فبعد أن استولى الإسبان والبرتغالي على الأندلس وطردهوا المسلمين منها توجهت أظفارهم إلى سائر بلاد المسلمين وطمعوا فيها وعزموا على أخذها، ففي عام ١٤٩٩/١٤٩٤م تم توقيع إتفاقية (توردي سيلاس) بين إسبانيا والبرتغال برعاية البابوية في روما لاكتساح أجزاء من بلاد المسلمين بينهما لئلا يختلعا، فقد حصلت إسبانيا على المغرب الأثني والمغرب الأوسط، وحصلت البرتغال على المغرب الأقصى والساحل الإفريقي على المحيط الأطلسي وبموجب ذلك شن الإسبان والبرتغال حروباً على تلك البلاد طالت سنوات عديدة، ولم تكن الروح الصليبية غالبية عن الأوروبيين يومئذ، بل كانت أهدافهم تنطلق من تلك القاعدة، وقد أرسل كريستوفر كولومبوس رسالة إلى ملكي إسبانيا فرناند وإيزابلا عام ١٤٩٧/١٥٠١م يطلب منهما تجهيزه بحملة عسكرية للاستيلاء على بيت المقدس^(٤٣). وكان الإسبان والبرتغال آنذاك أقدر دولتين في أوروبا على الاضطلاع بمهمة تجهيز الحملات الصليبية على المسلمين لأنهما كانتا الأكثر تطوراً بفضل ما آل إليهم من تراث المسلمين في الأندلس. ولكن بفضل من الله وإحسان باعته جهودهم بالفشل، وتلاشت أحلامهم، وتحطمت تلك الموجة العاتية من الحملات الصليبية على سفرة آل عثمان بفضل من الله الكريم المنان.

وفقاً للاتفاقية المذكورة قام الإسبان بالاستيلاء على بجاية^(١) ثم وهران^(٢) في عام ١٥١٣هـ/ ١٥٠٧م ثم على طرابلس الغرب^(٣) عام ١٥١٦هـ/ ١٥١٠م، وقد عمدوا إلى التصير الجماعي أو الإبادة الجماعية لأهل تلك البلاد، وقد نقل (شارل فيرو)^(٤) نص خطاب فرناند ملك إسبانيا إلى الكونت (بيرو دي نالارا) وهو في طريقه إلى الاستيلاء على طرابلس، وقد جاء فيه: (سبق وأن ذكرتم لي في خطاباتكم مراراً أننا إذا ما أردنا أن نحافظ على وجودنا في إفريقيا، فإنه يتحتم علينا أن نحمل مدن وهران وبجاية وطرابلس، وفي حالة احتلالنا لهذه الأخيرة يتوجب علينا أن نصرها برمتها بالتصاري والافان المغاربة بما أنهم يسودون بقية مناطق البلاد، إذا ما سمحنا لهم بالسكن في مدن الساحل فإنه سيستحيل علينا أن نحفظ بما احتلتناه وقتنا طويلاً. وإذا فإن انتظاراً لما هو أفضل، يتحتم أن تصكر في المدن الثلاث المذكورة حامية كبيرة من التصاري وألا يسمح لأي مغربي أن يظاها). وقد علق فيرو على ذلك بقوله: (وتبعاً للتبرامج العكسي الذي وضعه فرناند ملك إسبانيا والذي سبق لجانب منه أن نفذ باحتلال مدينتي وهران وبجاية فإن جميع الطرابييسين قد طردوا من مدينتهم وهدمت فيها المنازل والمباني العامة كلية)^(٥). قلت: ولا ريب أن الإسبان كانوا يخططون لهدم ملكهم إلى بني غازي، ثم الإسكندرية، ثم ليبيا ثم العرش وربما لأبعد من ذلك.

أما البرتغال فبعد اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨هـ/ ١٤٩٨م أصبحوا متوكفاً على الساحل الإفريقي للمحيط الأطلسي، كما أسسوا لهم قواعد في الساحل الغربي للهند المسمى ساحل ملبار وتعرضوا للمسلمين ونكثوا بهم وسبوا دينهم وبنوا قوافل الحج من الخروج، وأحرقوا المساجد والمصالح، وكل ومن كان يتصدى لهم من المسلمين لا يناله إلا التعذيب أو القتل^(٦). ثم استولوا بعد ذلك على جزيرة سقطرى^(٧) عند مدخل خليج عدن، ثم امتد نشاطهم إلى الخليج العربي فاستولوا على قلهات^(٨) ومسقط^(٩) وهرمز^(١٠) في عام ١٥٠٧هـ/ ١٥٠٧م^(١١). واستولت عليهم على جزيرة سقطرى لخلوا البحر الأحمر وتعرضوا لسفن المسلمين وهاجموا سواحل الحجاز، كما أصبح بإمكانهم إغلاق البحر الأحمر إغلاقاً تاماً ومنع السفن القادمة من الهند من الدخول فيه، وقد ذكر ابن إياس في عام ١٥١٤هـ/ ١٥١٤م أن البضائع لها ست سنوات لم تصل من الهند إلى جدة^(١٢). ثم استولى البرتغال على جزيرة كمران^(١٣) في جنوب البحر الأحمر بالقرب من مضيق باب المندب عام ١٥١٣هـ/ ١٥١٣م. وكانت الدولة العثمانية آنذاك تقدم المساعدات العينية والفنية للمماليك حتى يتمكنوا من التصدي للهجمات البرتغالية، وقد استمر ذلك الدعم العثماني لعدة سنوات في عهد السلطان بايزيد الثاني^(١٤)، وإبانه السلطان سليم الأول إلى السلطان المملوكي قانصوه الغوري، كما سيأتي بيانه، ولكن الغوري وإن كان قد حقق انتصارات في بداية الأمر إلا أنه أخفق في النهاية في طرد البرتغال من البحر الأحمر، ولعل السبب في ذلك أن دولة المماليك كانت قد بلغت آنذاك حدّاً من التدهور والانهيار لا تجدى معه أي محاولات لإصلاحها والتهودس بها، وأياً كانت الأسباب فإن الأمر لم يكن خطراً على السلطنة المملوكية فحسب بل على العالم الإسلامي كله، إذ جرى تطويق بلاد المسلمين من الشمال والجنوب.

وفي نفس الوقت كان هناك خطر ثالث يهدق بالعالم الإسلامي لا يقل عن الخطر الأوروبي ذي الدوافع الصليبية، ألا وهو خطر الرفضية^(١١٠) في فارس فقد ظهر الشاه إسماعيل الصفوي^(١١١) وإستولى على تبريز^(١١٢)، ثم فرض فيها عقيدة الشيعة الاثني عشرية على الناس قهراً، وسعى لتشرها خارج فارس، فاجتاح العراق ودخل بغداد عام ١٥٠٨هـ/١٥٠٨م^(١١٣). وقد قال عنه التهرتالي: (كاد أن يدعى الربوبية، وكان يسجد له عسكره ويأتمرون بأمره وقتل خلقاً لا يحصون يتوفى على ألف نفس، بحيث لا يعهد في الإسلام ولا في الجاهلية ولا في الأمم السابقة من قتل ما قتله شاه إسماعيل، وقتل عدة من أعظم العلماء بحيث لم يبق أحداً من أهل العلم في بلاد العجم، وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم لأنها مصاحف أهل السنة، وكلما مر بقبور المشايخ نبشها وأخرج عظامهم وأحرقها)^(١١٤).

وفي عام ١٥١١هـ/١٥١١م. أشعل الشاه إسماعيل تمرداً في الأراضي العثمانية في الأناضول بزعامة أحد أتباعه يسمى شاه قولى، جمع حوله بعض الأسافل والرعاع ممن استجابوا لدعوته، وصاروا يهجمون على البلاد يقتلون وينهبون ويمسكون من لا يستجيب لعقيدتهم الفاسدة، وقد تصدى لهم وحدات من الجيش العثماني بقيادة الصدر الأعظم على باشا، فانتصر عليهم إلا أنه قتل في المعركة، وبعد بضعة أشهر رجع الشاه إسماعيل تمرداً آخر في الأناضول بزعامة أحد أتباعه يدعى نور على خليفة، ومعه بعض الأسافل والرعاع ففعلوا كما فعل سلفهم^(١١٥).

ARCHIVE

فهذه الأخطار الثلاثة، الخطر الإسباني من الغرب، والخطر البرتغالي من الجنوب، والخطر الصفوي للرفض من الشرق، تكاثرت على قلب العالم الإسلامي في نفس الوقت - نظراً للخرائط في آخر البحث- والأثنى من ذلك أن الصفويين تحالفوا مع البرتغالي في عام ١٥٢١هـ/ ١٥١٥م عن طريق دى البوكيرك نائب ملك البرتغال في المستعمرات الهندية الذي كان مقبلاً بالهند آنذاك^(١١٦). الأمر الذي مكن البرتغال من إحكام الحصار على قلب العالم الإسلامي بإغلاق طرق التجارة الثلاثة :

أولاً : طريق البحر الأحمر الذي كان عماد الاقتصاد لدولة المماليك، فقد كانت البضائع الهندية تصل إلى السويس عن طريق البحر الأحمر ثم تنقل برّاً إلى القاهرة، ثم تنقل عبر النيل إلى الثغور على البحر المتوسط كرشيد ودمياط والبرلس والإسكندرية^(١١٧). وكانت سفن البنادقة والجنوبية تحمل البضائع من تلك الموانئ وتعود بها إلى أوروبا الغربية وكذلك كانت السفن العثمانية تحمل تلك البضائع إلى موانئها في اليونان وأوروبا الشرقية. فإغلاق البرتغال للبحر الأحمر سدّ ذلك المقفد التجاري الهام.

ثانياً : طريق الخليج العربي، فقد كانت البضائع الهندية تصل إلى البصرة عبر الخليج، ثم تحمل عبر نهري دجلة والفرات، ثم تحمل برّاً إلى الثغور الشامية على البحر المتوسط، ثم تحملها سفن

البنافقة والجنوبية والعثمانية على النحو الذي سبق، أو كانت تبحر في نهر الفرات إلى جنوب الأناضول. وهذا الطريق قد أغلقه البرتغال أيضاً بقاعتهم في هرمز وتحالفهم مع الصفويين.

فألقا : الطريق البري من الهند إلى الثغور المملوكية في الشام و الثغور العثمانية في الأناضول فقد أغلقه الصفويون من أرض فارس وأذربيجان^(٢٠).

هكذا حوصر اقتصادياً أكبر وأهم دولتين في العالم الإسلامي آنذاك، السلطنة المملوكية والسلطنة العثمانية، وبالطبع لم تكن السلطنة المملوكية قادرة على التصدي لفق ذلك الحصار لما أصابها من وهن وضعف وتدهور، وما كانت تستطيع أن تقوم المسلمون لمواجهة تلك الموجة من الحملات الصليبية، فكانت السلطنة العثمانية هي المعول عليها في ذلك الشأن، وكانت الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد تقدم الدعم العيني والغني للاخوة عروج وخضر وإسحاق وحسن، في تصديهم للسفن الإسبانية في البحر المتوسط، وكان يتولى ذلك الأمر الأمير قورقد ين بايزيد الذي قدم لهم سفينتين حربيتين عام ٩١٢هـ/١٥٠٦م فتمكنوا من من إحراز انتصارات كبيرة^(٢١). كما قدمت السلطنة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني وابنه السلطان سليم الأول مساعدات كبيرة للسلطنة المملوكية للتصدي للبرتغال في البحر الأحمر وفي البحار الهندية. ففي عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م قال ابن إياس : (حضر إلى الأبواب الشريفة شخص يقال له كمال من خواص جماعة ابن عثمان، وقد ترجموا كمال هذا بتراجم عظيمة بأنه لا يكال ولا يمل من الجهاد في الفرنج ليلاً ونهاراً حتى أعجب الفرنج لمره، ولأنه رأس المجاهدين المرابطين في الإسلام)^(٢٢).

قلت : وكمال المذكور هو الرئيس كمال، أحد أشهر رجال البحرية العثمانية. وهو أول من ثبت المدافع بعدة المدى على السفن، وصاحب المعارك البحرية الشهيرة في الموره، وصاحب الغارات على السواحل الإسبانية، ولا ريب أن حضوره إلى مصر كان لتقديم النصيح والمشورة للبحرية المملوكية في حروبها ضد البرتغال. وفي عام ٩١٦هـ/١٥١٠م قام السلطان بايزيد بإرسال المساعدات العسكرية التي طلبها السلطان الغوري، فقد قال ابن إياس : (فكان من جملة ذلك مكابح سبقيات العدة ثلاثمائة ونشاب ثلاثين ألف سهم، وبارود مطيب أربعون قنطاراً ومقاذيف خشب العدة ألف مقذاف، وغير ذلك من نحاس وحديد وعجل وحبال وسلب ومراسي حديد وغير ذلك مما تحتاج إليه المراكب فشكره السلطان الغوري على ذلك، وكان السلطان أرسل مالا على يد يونس العائلي إلى بلاد ابن عثمان ليشتري له أخشاباً ونحاساً وحديداً، فلما بلغ ابن عثمان ذلك رد عليه المال وجهز ما ذكرناه من عدهه تقدمت للسلطان)^(٢٣) وقد قال السلطان بايزيد : (هذه قضية الإسلام المشتركة ضد الكفرة)^(٢٤).

وبعد أن توفي السلطان بايزيد الثاني ظل الدعم العثماني للمماليك قائماً، فقد ذكر ابن إياس في أحداث رمضان من عام ٩١٨هـ/١٥١٢م أي بعد سبعة أشهر من ولاية السلطان سليم الأول : (حضر إلى الأبواب الشريفة الرئيس حامد المغربي، وكان السلطان الغوري أرسله إلى

بلاذ ابن عثمان لوشتري أخشاباً وحبالاً ومكاحل نحاس، فلما بلغ ابن عثمان مجيئه أكرمه وأرسل صحبته إلى السلطان عدة مكاحل ونحاس وحنيد وأخشاب وحبال وغير ذلك أشياء كثيرة في مرلكب موسوفة^(٣٧٦).... وفي صفر عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م ذكر ابن إياس أن السلطان الغوري ذهب إلى السويس لمتابعة خروج الأسطول لقتال البرتغال فقاتل ابن إياس : (وكان جماعة ابن عثمان هناك نحواً من ألفي إنسان... وكان الرئيس سلمان العثماني هو الشاد على عمارة تلك الأخرية وهو المشار إليه)^(٣٧٧). نعل في تلك تقول عن ابن إياس ما يبطل قول بعض أساتذة التاريخ أن السلطان سليما لما تولى السلطنة منع المساعدات التي كان يرسلها أبوه للمماليك.

وبالرغم من تلك المساعدات العثمانية الكبيرة للسلطنة المملوكية إلا أنها لم تفلح في دفع الخطر البرتغالي، والأتكي من ذلك هو تحالف المماليك مع الصفويين، فلما توجه السلطان سليم الأول لقتال الشاه إسماعيل الصفوي في عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م، قام على دولات أمير دغاغر^(٣٧٨) التابع للمماليك والذي يتولى إمارته بتقليد من السلطان المملوكي بقطع طريق الإمدادات على الجيش العثماني، وقد ذكر ابن زنبيل الرمال أن السلطان الغوري شكر على دولات على ذلك وأرسل إليه وغريه على قتال السلطان سليم^(٣٧٩)، كما ذكر ابن إياس وغيره أن على دولات اشتبك مع فرقة من الجيش العثماني ونهب ما معهم^(٣٨٠)، كما ذكر ابن إياس أن السلطان الغوري أرسل أفيالاً إلى الشاه إسماعيل سر^(٣٨١)، وذكر آخرون أن قطع طريق الإمدادات على الجيش العثماني كان بأمر السلطان الغوري نفسه^(٣٨٢)، ومن جهة أخرى عثر رجال السلطان سليم على جواسيس تحمل الرسائل بين الغوري والصفوي بما يقيد التحالف بينهما لقتال السلطنة العثمانية، قال ابن طولون المتشفي عن السلطان سليم : (أنه أطلع على مطالعات من سلطنتنا الغوري إلى الخارجي إسماعيل الصفوي الصفوي يستعينه على قتال ملك الروم سليم خان على يد البهوان أحد جماعة سلطاننا)^(٣٨٣). وقد ذكر د. محمد حرب أن الخطاب موجود حالياً في متحف طوب قيو في استنبول^(٣٨٤).

هنا أدرك السلطان سليم الأول أنه ينبغي عليه أن يتصدر لمواجهة كل تلك الأخطار التي تحدى بقلب العالم الإسلامي منفرداً، كما أدرك أنه لا مبرر لذلك إلا بإعادة توحيد بلاد المسلمين، وهو الأمر الذي لا يمكن أن يتم إلا بإزالة دولة المماليك. والمقام هنا لا يسع للتفصيل في تلك المسألة، وقد أفردت مبحثاً بعنوان: (ماذا يجب إزالة دولة المماليك) في كتابي منهل القمآن لإتصاف دولة آل عثمان (٢٨١-٢٦٦/٢) فتبرج إليه من شاء التفصيل.

وقد تلقى السلطان سليم رسائل استغاثة من بعض بلاد المسلمين، فقد أرسل إليه شيوخ العشار الكردية في شرق الأناضول رسالة جاء فيها : (نرجو قيامكم بمساعدتنا نحن المخلصين لكم. إن بلدنا قريب من ديار قزل باش^(٣٨٥) وهم جيران لنا بل بلدنا مختلط، وكم من سنوات مضت قام هؤلاء الملحدون فيها بهدم بيوتنا وبالقتال معنا كل ذلك بسبب محبتنا لسلطان المسلمين، ونحن ننتظر من عطفكم ومن شفقتكم القيام بتفاد هؤلاء الناس الصادق الإيمان من هؤلاء الظالمين ومن دون مساعدتكم لا نستطيع وحدنا الوقوف في وجه هؤلاء ومقاومتهم)^(٣٨٦).

كما أرسل وجهاء وأعيان حنب، منهم القضاة الأربعة، رسالة إلى السلطان سليم، وأصلها موجود في متحف (طوب قبرو) باصطنبول برقم ١١٦٣٤ جاء فيها : (... وجميع أهل حنب مستعدون لمقابلتكم واستقبالكم بمجرد أن تضع أقدامكم في أرض عينتاب^(١١)، خلصنا أيها السلطان من يد الحكم الجرمسي أحمنا أيضاً من يد الكفار قبل حضور التركمان، وليعلم مولانا السلطان أن الشريعة الإسلامية لا تأخذ مجراها هنا...)^(١٢).

فيبدأ السلطان سليم بضم بلاد الأكراد في شرق الأناضول، والتصرف التصاراً ساحقاً على الشاه إسماعيل الصفوي، ثم ضم الشام ومصر، وإبان إقامته بمصر جاءت البيعة من الجزائر، كما نخل في طاعته جزء من اليمن، كما أرسل السلطان سليم مساعدات عسكرية للأخوين عروج وبخضر في الجزائر، الذين كثرا بتصديان للحملة الإسبانية هناك فتمكن خضر من صد هجوم الإسبان على الجزائر وأعلنها تابعة للسلطنة العثمانية، كما تمكن السلطان سليم إبان إقامته بمصر من طرد سفن البرتغال من البحر الأحمر وأعاد الملاحة إليه^(١٣) بعد توقف دام تسع سنوات منذ عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م^(١٤). وفي عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م أرسل أهالي الجزائر رسالة إلى السلطان سليم، وقع عليها القاضي والخطيب والأئمة والأعيان، وهي محفوظة بمتحف طوب قبرو في ااصطنبول برقم ١٦٤٥٦^(١٥) يطلبون فيها أن تكون الجزائر إيالة عثمانية لحماية لها من الإسبان، وقد جاء في تلك الرسالة : **(نحن نود أن نكون من أتباع الدولة العثمانية وأن نبقي ضمنها كولاية. وإذا كان من الممكن فترجو أن تعينوا خضر رئيس والياً علينا).** فاستجاب السلطان سليم لذلك ومنح خضر الذي أصبح يسمى خيرالدين رتبة باشا ورفع الجزائر من لواء إلى إيالة. وجعل خير الدين أمير أزماتشاه، وأرسل له مقداً من عتاد بحري، وألقى جندي وأربعة آلاف من متطوعة الأناضول^(١٦). ثم بدأ رحمه الله في تجهيز حملة بحرية لتفتح جزيرة روس التي كانت تحت حكم فرسان القديس يوحنا (الإسبترية) آنذاك وكانت مركزاً للصليبيين للهجوم على سفن التجار والحجاج المسلمين، إلا أن الموت لم يمهله وتوفي رحمه الله عام ٩٢٦هـ/١٥٢٠م. وكان ابنه السلطان سليمان خير خلف له فقام جهاد لبيه وقتلها عام ٩٢٩هـ/١٥٢٢م، كما أسس قاعدة بحرية في جزيرة كمران عند باب المنذب في جنوب البحر الأحمر لصد أي هجوم بحري عليه، وقد أشرف عليها الرئيس سلمان وأسند قيادتها إلى الرئيس صفر^(١٧). وتوالت بعد ذلك الانتصارات البحرية على البرتغال والإسبان والبنادقة في البحر المتوسط والبحار الهندية، مصحوبة بانتصارات برية في العجر والنعمنا وفارس والغوقاز على مدار القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة /السادس عشر والسابع عشر للميلاد.

فمن هذا المنطلق يمكن أن نقطع بأن العمليات الحربية للسلطان سليم التي أثمرت توحيداً لمساحات شاسعة من بلاد المسلمين ظلت قروناً مديدة تنوق إليه، قد هيأت الساحة للتصدي لتلك العوجة الجديدة من الحروب ذات النزعة الصليبية على المسلمين، وقد انكسر المسلمون فيها إلتصارات ساحقة تلوقي انتصاراتهم في موجات الحملات الصليبية الأولى. ولو لم يقم السلطان سليم بذلك لتنجحت مخفضات الصليبيين ولاختلق العالم الإسلامي كله من الحصار

التجارى الذى فرض عليه، وأسقطت بلاد المسلمين فى أيديهم واحدة تلو الأخرى، ولاستولى الإسبان على شمال مصر، وأربعا امتد نفوذهم إلى الساحل الشامى واحتلوا بيت المقدس، ولاستولى البرتغال على جنوب مصر وشرقها وعلى الحجاز أيضاً، ولاستولى الصقليون على الشام والأناضول، وأما ما تبقى من السلطنة العثمانية فكان سيقتسمه الأوروبيون فيما بينهم، وتغير مجرى التاريخ كله، وأربعا بقيت أجزاء من بلادنا تحت الاحتلال الأوروبى حتى الآن، فإن ميناء "سيبته" المغربى الذى استولى عليه البرتغال عام ٨١٧هـ/١٤١٤م^(١١) ثم تنازلوا عنه بعد ذلك للإسبان مازال تحت الاحتلال الإسباني حتى الآن، "نسال الله أن يردها علينا". وعلى هذا فإن فتوحات السلطان سليم الأول قد أجلت سقوط الكيان السياسى للإسلام المتمثل فى الخلافة الإسلامية مدة أربعة فرون كاملة، فكان سقوطها فى القرن الرابع عشر الهجرى/العشرين الميلادى عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، واستولت الدول الأوروبية على البلاد الإسلامية بعد سقوط الكيان السياسى الذى كان يجمعها، ومنذئذ بدأت مراحل نقض عرى الإسلام كما نبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَتَنْقُضَنَّ عِرى الإِسْلَامِ غِرْوَةً غِرْوَةً، فَكُلَّمَا انْقَضَتْ غِرْوَةٌ تَشِبَّ النَّاسُ بِالنَّبِيِّ تَلِيهَا فَأُولَئِكَ نَفْسًا : لَخُفْمٌ وَأَجْرَفُنَّ الصَّلَاةَ)^(١٢).

والسؤال الهام الذى يطرح نفسه فى هذا البحث، هل كان ابن إياس مدركاً لحقيقة حال العالم الإسلامى آنذاك ؟! هل كان مدركاً لتلك الأخطار المحققة به، ومدركاً لعجز سلطنة المماليك عن التصدى لها ؟! بل هل كان مدركاً أن وجود سلطنة المماليك فى حد ذاته كان عقبة كبرى فى سبيل التصدى لتلك الأخطار-؟. لأنه ترى أن ابن إياس شن الغارة على العثمانيين وعلى السلطان سليم بصفة خاصة بسبب فتحه مصر والشام، مع العلم أن ذلك لم يكن موقف سائر المؤرخين المعاصرين له من رعاية السلطنة للمملوكية نفسها، كابن طوالبون الدمشقى، وأحمد بن الحمصى، وأحمد بن زنبيل الرمال، وغيرهم كعلى بن محمد الألبىلى. ففى سرد ابن إياس لتلك الوقائع ترى أنه قد فقد حياده وإنصافه المعهود عنه. فهل كان ابن إياس غير مدرك لمدى خطورة الأمر، فاعتبر الفتح العثمانى لمصر والشام وإزالة بؤلة المماليك، عدواناً مجرداً من السلطان سليم ليس له ما يبرره، وأنه محض طمع ورغبة فى السيطرة والاستحواذ ؟! أم أنه كان مدركاً لخطورة الأمر ولكنه تعصب لأبناء جلدته تعصباً أفقده حياده وإنصافه ؟!.

والحق أننا لن نستطيع أن نجيب على هذا السؤال لأنه أمر متعلق بالتوايا والتوايا محلها القنوب ولا اطلاع لأحد عليها، ولكن ما نستطيع أن نقطع به هو أنه فقد الإلتصاف والحياد فى تدوينه لوقائع تلك الفترة، فمن يقرأ الجزء الخامس من تاريخ ابن إياس بعناية يتبين له أنه كان شديد التحامل على العثمانيين، إلى حد أنه لم يتوان عن تدوين أى شائعة تدبهم أو تحط من قدرهم دون أن يتأكد من صحتها، فإن كثيراً من الأخبار التى سجلها عليهم كان يصدرها بقوله (اشيع)، (يقول)، أو كان يذيلها بقوله (هذا ما أشيع واستفاض بين الناس والله أعلم بصحة ذلك) أو بقوله : (ولم تتأكد صحته) فأغلبها شائعات ولم يكن هذا منهج ابن إياس فى كل تاريخه بل

في ذلك الجزء الأخير فقط، وهو المتعلق بالفتح العمالي لمصر والشام فيحتمل أن يكون بغضه للعثمانيين قد جعله يقبل على تدوين أي شائعة تدينهم، ولكن أماتته العنصرية أبت عليه إلا أن يذكر صراحة أنها شائعة أو خبر لم يتأكد من صحته، ولكنه بذلك أوفقنا في إشكال كبير، لأن كثيراً من الباحثين ينقلون عنه تلك الشائعات على أنها حقائق تاريخية، وهذا ظلم بين بلا شك، لذلك فإن المؤرخين الذين جاءوا من بعده كابن أبي المبرور البكري (ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م) قد تجنبوا ذكر كثير من الأخبار التي أوردها ابن إياس في تاريخه أما إبراهيم بن عامر العبيدي (ت ١٠٩١هـ/١٦٨٠م) فعندما تعرض للفتح العمالي أثار أن ينقل رواية ابن زنبيل رغم ما فيها من تحيز للمالكيك، فقد قال العبيدي : (وأحييت أن أخلص ما ذكره صاحب الفتون العلامة أحمد بن زنبيل وإن هو مغرض لجانب الجراكسة، بكاد تعبيره ينصرهم)^(٤٠٧)، وكان العبيدي يذمه أحياناً على الأباطيل ويقلدها.

أدلة تعاضل ابن إياس على العثمانيين :

أولاً : أنه كان ينكر كثيراً من الأقوال المتناقضة دون أن يبالي، ومن ذلك قوله في ذم السلطان سليم : (ولما طلع ابن عثمان إلى القعة احتجب عن الناس، ولم يظهر لأحد ويتصف الظالم من المظلوم بل كان يحدث منه ومن وزرائه كل يوم مظلمة جديدة من قتل وأخذ أموال الناس بغير حق، وكان هذا على غير القياس، فإنه كان يشاع العدل تزائد عن أولاد ابن عثمان وهم في بلادهم قيل أن يدخل سليم شاه إلى مصر فلم يظهر لذلك نتيجته)^(٤٠٨)

قلت : هذا الكلام ذكره ابن إياس واتهم فيه السلطان سليم بهجاءة العدل وعدم الفصل في الخصومات بالرغم من أنه هو نفسه في مواضع أخرى من كتابه قد دون عدة وقائع تنفي ذلك عن السلطان سليم وعن وزرائه منها :

١- قال ابن إياس : (قبض الوالي على شخص من العثمانية قيل أنه اختطف امرأة من السوق وزنى بها، فلما بلغ ابن عثمان ذلك أمر الوالي أن يقطع رأسه، فقطع رأسه في الحال وطلب بها في القاهرة وهي على رمح، فظهر من ابن عثمان في ذلك اليوم بعض عدل، فلعن أن يخبروا بقية عسكره ويكفوا عن الأذى)^(٤٠٩).

٢- زداد عدوان العربان على قرى الشرقية، فأرسل السلطان سليم عدداً من الجنود على رأسهم الأمير المملوكي جان بردى الغزالي^(٤١٠)، وفي ذلك دلالة على أن السلطان سليماً كان يهتم بأمر العامة ويحرص على مصالح الرعية وإلا فإنه كان يوسعها أن يترك العربان يعتدون على القرى، فأى ضرر يعود على جنوده من ذلك؟!، وقد روى ابن إياس نفسه تلك الواقعة وفي نيلها ما يؤكد أيضاً حرص السلطان سليم على الرعية، إذ أن جان بردى الغزالي لما دخل الشرقية أفسد فيها وأسر بنات وصبيان وأبقار وأغنام، وباعهم في القاهرة بأبخس الأثمان، فكان الذي حال دون ذلك هو يونس باشا الصدر الأعظم للسلطان سليم، قال ابن إياس : (ثم إن يونس باشا نادى في القاهرة بأن كل من اشترى من نهب بلاد الشرقية شيئاً من الأبقار والأغنام يرده على

أصحابه وكذلك أولاد الفلاحين ولام جان بردي الغزالي على قنجه في الشرقية^(٤٧٧). فإن قيل : إن كان السلطان سليم عادلاً حقاً فكان ينبغي عليه معاقبة جان بردي الغزالي، وأن لوم بونس باشا له غير كاف، يقال : إن السلطان سليماً كان في حاجة إلى هؤلاء الأمراء المماليك لاستخدامهم في إدارة البلاد كمرحلة انتقالية من الحكم المملوكي إلى الحكم العثماني، لأن مصر بلد كبير لها نظام مالي وإداري معقد الأمر الذي حتم على العثمانيين أن يستخدموا المماليك في إدارة البلاد إلى أن يستوعبوا نظام البلاد وأسرار إدارتها وسياسي الحديث عن ذلك بمزيد تفصيل في نهاية البحث.

٣- بعد شهر من خروج السلطان سليم من مصر عانداً إلى اصطنبول تم ضبط خمسة من التجنود العثمانيين يتعرضون للناس في الطرقات ويخطفون النساء والصبيان، فتم توقيع العقوبة الشديدة عليهم قال ابن إياس : (فلما قبض عليهم، رسم ستان باشا أحد أمراء ابن عثمان بأن يشتقوا، فشتق منهم اثنان على باب زويلة، وواحد على باب الشعرية، وأما الاثنان الآخران فقد شفع فيهما من الشفق ذلك اليوم فسجنا^(٤٧٨)).

فإن قيل إن استثناء اثنين من العقاب أمر يجافي العدالة، يقال إن الجريمة المذكورة تستوجب حد الحرية لأنها تدخل تحت قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأرجُلُهُمْ مِنْ جِلْدٍ أَوْ يُنْفَذُوا مِنْ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة ٣٣]. وقول جمهور العلماء في الآية أن (لو) هنا لتتبع على حسب الجريمة، فمن قتل وأخذ المال يقتل ويصلب ومن قتل دون أن يأخذ المال يقتل، ومن أخذ المال ولم يقتل تقطع يده ورجله من خلاف، ومن خاف المسيل ولم يأخذ المال ينفي من الأرض، والنفي هو الحبس في أحد القولين. فعمل الاثنين الذين سجنا كانا من الصنف الأخير.

٤- الخليفة العباسي المتوكل على الله الذي كان مقبلاً بالفاخرة وأخذ السلطان سليم إلى اصطنبول، قام ذلك الخليفة بحرمان أولاد عمه خليل من نصيبهم في إقطاع الخلافة في مصر، فرفعوا أمره للسلطان سليم، فأرسل قاصداً (مندوباً) من عنده إلى القاهرة ليقسم إقطاع الخلافة بينهم بالعدل، وقد سجل ابن إياس نفسه هذه الواقعة فقال عن السلطان سليم : (فحق من الخليفة ورسم بأن يكون إقطاع الخلافة وجهاتها تقسم بينهم ثلاثة أثلاث من الجميع بالسوية. فأرسل هذا القاصد يحاسب لهم عن ذلك، فلما حضر القاصد رسم على مباشري الخليفة وعلى دوادره برد بك، وقال لهم : قيموا لنا حساب معلوم أولاد خليل من حين مات أبوهم وإلى الآن، واستمر هذا القاصد يضيق على المباشرين وجماعة الخليفة بسبب ذلك، وانتصفت أولاد خليل على الخليفة غاية الإنصاف^(٤٧٩)). وهناك وقائع أخرى يضيق المقام عن ذكرها، ولكنها تليق اهتمام السلطان سليم ووزرائه بالرعية وبالفضل في الخصومات وإشاعة العدل وقد أوردها ابن إياس نفسه في تاريخه، ومع ذلك يعد في كثير من الأحيان إلى وصف السلطان سليم خاصة،

ورجال دولته عامة بالظلم والتعدي، وعدم الحرص على إشاعة العدل بين الناس، فنتعجب من ذلك التناقض.

قائماً : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه أغفل أن ينسب إليهم تأمين طريق الحج. بعد أن كان محفوظاً بالمخاطر في أيام السلطان المملوكي قانصوه الغوري، إلى حد أن تم منع خروج قوافل الحج من الشام أربعة أعوام متتالية^(١٠٠)، أما قوافل الحج من مصر فقد منع خروج النساء فيها لهضعة أعوام، وفي أحد الأعوام لم يخرج الحج أصلاً لا رجالاً ولا نساء، وكان ذلك بسبب الفتن في مكة وتعديات العريان على الحجاج^(١٠١). فقد كانت السلطنة المملوكية آنذاك قد بلغت حداً من التدهور والاحتلال لم تعد قادرة معه على تأمين قوافل الحج، أما في العصر العثماني فكان الأمر بخلاف ذلك، فمع موسم الحج في عام ٩٢٥هـ قال ابن إياس : (دخل الحاج إلى القاهرة صحبة المحمل الشريف، وأمير الحاج الأمير برسباي، وقد أتوا عنده الحجاج خيراً فيما فعله في طريق الحجاز وأخير الحجاج أن كان معهم الأمن والرخاء بطول الطريق)... وفي موسم حج عام ٩٢٦هـ قال : (دخل الحاج إلى القاهرة مع الأمن والسلامة صحبة الأمير جاتم أمير ركب المحمل... وتعرضت لهم جماعة من العريان في الطريق، فاتفقوا مع الأمير جاتم أمير الحاج فانتصر عليهم وقتل منهم جماعة، فرجع الحاج وهم راضون عن أمير الحاج جاتم، وأتوا عليه كل جميل، وشكروا له الريات البيضاء في بركة الحاج) وفي موسم عام ٩٢٧هـ قال ابن إياس: (ولما رجع الحاج أتى على الأمير جاتم أمير الحاج بكل جميل في حفظه للحجاج ومنع الضرر عنهم وغير ذلك من أنواع البر والمعروف)^(١٠٢).

أما عن الحج للشام في عام ٩٢٤هـ تمكن أمير الحج من الانتصار على العريان الذين تحدوا على الحجاج بسبب حسن تجهيز الجنود، قال ابن طولون النمشقي : (العرب من آل دغيم وقفوا للحجاج بعد أن حملوا من تبوك عند مقابر القننرية، ولفسوا أن يحلوا بين الحاج وبين الأخيضر، فتحاربوا هم وإياهم نهراً، ثم انتصر الحاج عليهم وأخذوا منهم ثلاثة من أعينهم وعدة من الخيل بسب رماة البندق^(١٠٣) التي معهم، ويقال عندهم مائة، ثم توجهوا إلى الأخيضر سالمين فدفقت البشائر لذلك بدمشق)^(١٠٤).

الشاهد من ذلك أن ابن إياس رأى بعينه وكذب ببده أخبار عودة الحجاج سالمين من مكة دون أن يتعرض لهم أحد بأذى، وبالرغم من ذلك لم يحمده للسلطان سليم ولا عده من مناقبه، ولا نسب الفضل فيه للعثمانيين، وكان الأجدر به وهو بدون عودة الحجاج سالمين آمنين، وبدون شأهم على أمراء الحج أن يذكروا بما كان يلائمه الحجاج في أيام السلطان الغوري من قتل وهتك للأعراض ونهب للأموال على يد العريان، فكان يجدر به أن يشير إلى ذلك ويشي على السلطان سليم الأول، لكنه تغافل عن ذلك كما لو كان يابئ أن ينسب للسلطان سليم تلك المنقبة العظيمة. ومما تجدر ملاحظته أن أمراء الحاج المذكورين كانوا من المماليك !. فما الذي بدل أحوال الحجاج من الخوف والترعب إلى الأمن والاطمئنان ؟! إن الذي تبدل هو الحكم والإمارة بانتقالها من المماليك إلى العثمانيين، وهذا يدل على أن الأئمة في أيام الغوري كانت

أزمة إدارة وحسن تجهيز، فقد كانت بلغت الدولة المملوكية في تلك الفترة مبلغاً من العجز الإداري إلى حد عدم القدرة على تأمين طريق الحج !. فلما جاء بنو عثمان أعانوا الأمور إلى سابق الزمان.

قالفا : ومن مظاهر تحامل ابن إباص على العثمانيين أنه وصفهم بأبشع الصفات التي لا يمكن أن يصدقها العقل فقال : (كألوا جيعاتين العين، نفسهم قذرة، يأكلون الأكل وهم راكبون خيولهم في الأسواق، وعندهم عفاشة في أنفسهم زائدة وقلة دين، يتجاهرون بشرب الخمر في الأسواق بين الناس ولما جاء عليهم شهر رمضان فكان غالبهم لا يصوم ولا يصلّي في التجمّع ولا صلاة الجمعة إلا قليل منهم، ولم يكن عندهم أدب ولا حشمة، وليس لهم نظام يعرف، لا هم ولا أمراؤهم ولا وزراءهم، وهم همج كالبهائم)^(١١٢).

قلت : هذا كلام لا يمكن لعاقل أن يصدقه. ومع الأسف نقله كثير من أساتذة التاريخ في كتبهم وهو باطل بلا ريب عقلاً ونقلاً، فأما من جهة العقل فلا يمكن لجيش هذه صفته أن تقوم دولة عالمية عظمى على أكتافه أبداً! من الممكن أن يحقق جيش كهذا انتصارات كاسحة مؤقتة كانتصارات جيش جنكيز خان على سبيل المثال، لأن نواحي القصور في النظام كان يجبرها وجود قائد عسكري فذ مثله، ولكن لما مات **جنكيز خان سقطت دولته**، وكذلك جيش تيمورلنك فقد حقق انتصارات كاسحة شرقاً وغرباً وأسس **دولة عظمى**، **لما مات** ثلاثين أسرها كان لم تكن بالأمس، ومن قبل هؤلاء الإسكندر المقدوني حقق انتصارات عظمى **لما مات** انقسمت إمبراطوريته إلى دويلات صغيرة. أما السلطنة العثمانية العظمى فهي إحدى بؤل الإسلام، فلم تكن دولة فرد وإنما قامت على منهج حفظ لها الاستمرار قروناً طويلاً تنتقل من نصر إلى نصر، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بجيش نظامي خال من تلك النقصان، ومعظم نكل من نرس التاريخ العثماني أن دولة بني عثمان قامت على أساس الجهاد في سبيل الله، وكان ذلك هو باب النصر لها على مر العصور، ولا يمكن لرجل لا يصلّي ولا يصوم ويشرب الخمر أن يكون مجاهداً في سبيل الله أبداً.

أما من جهة النقل فقد شهد العدو قبل الصديق بحسن نظام الجيش العثماني، وحسن إسلام أفراده وتدينتهم، وأنا لن أتذك بتقول من المصادر الإسلامية لئلا يقول قائل إنهم يزكون أنفسهم أو يداخون حكامهم، بل سأذكر بما قاله المؤرخون الغربيون من ألد أعداء العثمانيين في عصور مختلفة، فمنهم القس اللاتيني (ليوناردو الخيومي) الذي كان شاهداً على فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح عام ١٤٥٣هـ/١٤٥٣م فقد قال في تقريره الذي رفعه لبابا روما : (ونودي في معسكر السلطان بأنه يجب إيقاد النيران في الأيام الثلاثة السابقة على يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من مايو، وأن يتوجهوا فيها بالدعاء إلى ربهم علاوة على صيامهم أيضاً، وأن يعدوا أنفسهم للقتال من أجل الهجوم الرئيسي على المسيحيين... يا إلهي! إذا سمعت تلك الأصوات وهي ترتفع إلى عنان السماء، وهي تصيح (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهي تعني أن الله موجود وسوف يستمر إلى الأبد، وأن محمداً هو خادمه. لا بد أن لسناك سوف يتعقد

وتصاب بالدهشة والذهول لما جرى... وصاموا طوال اليوم ولم يقرؤوا الطعام حتى الليل، وأخذوا يحيون ويودعون بعضهم البعض ويتبادلون العناق والقبالات^(١١١).

وقال المستشرق الألماني كارل بروكلمان نقلاً عن المصادر الأوروبية، واصفاً جيش السلطان سليمان القانوني ابن سليم الأول الذي تولى الحكم في الفترة من (١٥٢٠م/١٤٩٢٦هـ) وحتى (١٥٦٦م/١٥٩٧٤هـ) : (والحق أن جميع المصادر الأوروبية حافلة بإطراء روح النضام التي تكشف عنها الجيش العثماني، فلم يكن فيه مكان للخمر أو القمار أو البغاء وهي ألغاز لم تسلم منها في يوم من الأيام جيوش أوربه لذلك العهد، وكانت الحرب ضد الكافرين لا تزال تعتبر واجباً دينياً، ولقد كان لذلك أثر كبير في ضمان الغلبة على التنصاري يوم كان الجيش العثماني في أوج قوته)^(١١٢).

وقال الراهب النمساوي (أولوف إينجسون) الذي كان أسيراً عند العثمانيين، فلما أطلق وعاد إلى بلاده كتب مذكراته، ونشرت في أوائل القرن ١٧م/١٧٠١م، فقد جاء فيها : (كان الطعام الذي يقدم لنا نحن الفورسا " الأسرى المجدفون " من نفس الطعام الذي يقدم للضباط الأتراك في مقصوراتهم، وشيء آخر وهو أن الأتراك كانوا يقدمون للفورسا الراغبين في البيرة الشراب والبراندی، رغم أنهم لا يشربون المشروبات عدا الماء)^(١١٣).

والكاتب الإنجليزي (وليم كونجرىف) كتب مسرحية *The Way of the World* عام ١٧٠٠م جاء فيها أغنية تقول : (الشراب خاصة نصرانية، لا يعرفها التركي. دع المحمديين يعيشون ملتزمين بقواعدهم. ولكن دع الإنجليز يتقون ويشربون / على صحة عنك، وألف للسلطان والتصوفية)^(١١٤).

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هذا وصف الجيش العثماني في عصور مختلفة كما جاء على لسان أعدائهم، فاست أدري من أين جاء ابن إباص بتلك الأوصاف البذيئة، وجدير بالذكر أن تلك الأوصاف الشنيعة قد تصدق على بعض الجنود، فهذا وارد في كل زمان لكن ابن إباص لم يستطع أن يمنع نفسه من تعميم ذلك على الجيش العثماني كله، مما يدل على شدة تحامنه على العثمانيين فجاء في الإنصاف في وصفه إياهم، لاسيما أن أقرانه من معاصريه لم ينكروا شيئاً من ذلك ولا حتى أشملوا إليه.

وأبها : ومن مظاهر تحامل ابن إباص على العثمانيين أنه أغفل أن يذكر للسلطان سليم أحد أهم مناقبه، وهي طرده البرتغال من البحر الأحمر، من خلال المعارك البحرية التي قادها الرئيس سلمان العثماني إبان وجود السلطان سليم في مصر، ففتح البحر الأحمر من جديد، وعانت السفن تبحر فيه بفضل الله بعد تسع سنوات من (غلق البرتغال إياه، وفقاً لما ذكره ابن إباص نفسه كما قدمنا، فمن العجيب أن المؤرخ الهندي زين الدين المعيري الذي كان بعيداً عن البحر الأحمر يذكر تلك في كتابه قائلا : (فأرسل الأمير سلمان وراعهم " البرتغال ".....)^(١١٥) فيهما ثلاثون رجلاً فأخذوا منهم غراياً صغيراً "مركباً" في كمران وفيه اثنا عشر نصرانياً ووصلوا بهم إلى

جدة، ثم إن الملاعين توقفوا في كمران لانقطاع الموسم الهندي، ثم رجعوا إلى كوو^(١١١) خانين بإن الله تعالى، وذلك من فضل الله^(١١٢)... فهاهو المورخ المقيم بالهند يصف تفاصيل المعركة أما ابن إياس المقيم بالقاهرة، فلا يذكر ذلك ! ولا حتى أشار إليه إشارة !. وإنما اكتفى بذكر خبر عودة الرئيس سلمان إلى القاهرة لمقابلة السلطان سليم فقال : (ولما حضر الرئيس سلمان أحضر صحبته جماعة من الفرنج الذين كان أسرهم من بحر الهند ممن كان يتبعه به ويقطع الطريق على مراكب التجار الذين يمرّون هناك)^(١١٣)... ولم يذكر ابن إياس أن الرئيس سلمان طرد البرتغال من البحر الأحمر بالكامل حتى أنه انسحبوا من كمران وعادوا إلى الهند. ولا ذكرنا ابن إياس أن الملاحة عانت إلى البحر الأحمر على يد السلطان سليم بعد تسع سنوات من التوقف للتاج، ولا شك أن ابن إياس كان على علم بطرد البرتغال من البحر الأحمر بالكامل لأنه ذكر أنه في عام ١٥٢٨هـ/١٥٢١م تم إرسال كسوة للكعبة وأموال الصدقات للحرمين الشريفين عن طريق البحر عبر ميناء جدة^(١١٤)، ولاشك أن في ذلك تليلاً على أن الملاحة في البحر الأحمر كانت آمنة تماماً من أي تواجد للسفن البرتغالية، ولا شك أن إغفال ابن إياس لذكر ذلك صراحة فيه تحامل شديد على العثمانيين، كما لو كان يكره أن ينسب لهم أي مكرومة!

خاصة : وصف ابن الفتح العثماني لمصر بأوصاف فيها مبالغة شديدة، فشبّهه باستيلاء بختنصر البابلي على مصر قبل الميلاد، وبعهوان هولوكو على بغداد ولا يخفى ما في ذلك من المبالغة الشديدة، فقد قال ابن إياس : (ولم تقاس أهل مصر شدة مثل هذه قط إلا أن كان في زمن البخت نصر البابلي لما أتى من بابل وحرق على البلاد بصلاركه وأخربها وهدم بيت المقدس، ثم دخل إلى مصر وأخربها عن آخرها وقتل من أهلها مائة ألف ألف إنسان حتى أقامت مصر أربعين سنة وهي خراب ليس بها ديار ولا نافع نار، فكان للنيل يطلع وينغرش على الأرض ويهبط فلا يجد من يزرع الأراضي عليه ولا ينتفع به. ولكن هذه الواقعة لها فوق الألفي سنة، قبل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام ثم وقع مثل ذلك في بغداد في فتنة هولوكو منك التتار، لما زحف على بغداد وأخربها، وأحرق بيوتها، وقتل الخليفة المستعصم بالله وقتل أهلها فاستمرت من بعد ذلك خراباً إلى الآن، فوقع لأهل مصر ما يقرب من ذلك)^(١١٥).

قلت : لا مجال إطلاقاً للمقارنة بين السلطان سليم وبختنصر أو هولوكو، لاختلاف الدوافع والأهداف بالكلية، كما أن من سقطوا من قتلى وجرحي خلال عملية لفتح العثماني لمصر، سواء من الجيش العثماني أو من الجيش المملوكي قد سقطوا في إطار عمليات حربية حتمتها الظروف السياسية والمصلحة العامة للمسلمين كما تقدم بيانه، ثم تكن أعمالاً للتقايمة لمجرد التكتيل بالناس كأعمال بختنصر أو هولوكو. كما أنه لا يخفى ما في قول ابن إياس من مبالغة شديدة فلا يمكن أن يكون قد قتل من أهل مصر في غزو بختنصر هذا العدد الضخم (مائة مئيل إنسان)!. إن سكان العالم كله في زماننا هذا سبعة مليارات فكيف بالحال قبل الميلاد! ثم هل وقع من السلطان سليم مثل ما وقع من بختنصر !! هل قتل كل هولاء؟! هل عمدت مصر الناس أربعين عاماً؟! ثم إن تشبيهه السلطان سليماً بهولوكو فيه تجاوز شديد أيضاً فقد قال

شمس الدين الذهبي عن دخول هولاء بغداد : (فبذلوا السيف في بغداد واستمر القتل والسبي في بغداد بضعا وثلاثين يوماً، ولم ينج إلا من اختفى، فبذلنا أن هولاء أمر بعد نك بعد القتل فبذلوا ألف ألف وثمانمائة ألف وكسر والأصح أنهم بلغوا ثمانمائة ألف، ثم نودي بعد نك بالأمان وظهر من كان قد تخبأ وهم قليل من كثير)^(٣٧).. وقال ابن كثير عن دخول هولاء بغداد : (ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، وبخل كثير من الناس في الأبار وأماكن الحشوش وهي الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويقفون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار ثم يدخلون عليهم فيهيرون منهم إلى أعالي الأمانة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجرى الميازيب من الدماء في الأزقة فبأنا لله وإنا إليه راجعون)^(٣٨).

قلت : من المتفق عليه بين الجميع بمن فيهم ابن عباس نفسه أن السلطان سنيماً لما دخل مصر ثم يحدث من جنوده ربح معشار ما حدث من جنود هولاء، ثم إن ما وقع من قتل على يد الجيش العثماني كان في إطار عمليات حربية سقط فيها قتلى وجرحى من الطرفين، وهي عمليات حتمتها المصلحة العامة للمسلمين، وليس انتقاماً وتكليلاً وريغبة في إقناء الشعب كاذب فطه هولاء، فتشبيه ابن عباس السلطان سنيماً بيهولاء، خطأ فادح وقع فيه ابن عباس. وإنما يدل على تعامله الشديد **على العثمانيين** ويغضه لهم إلى حد أفقده صوابه، فراح يقول مثل هذا الكلام الذي يناقض ما كتبه هو نفسه بخط يده من وقائع الفتح العثماني لمصر.

سادساً : ومن مظاهر تحامل ابن عباس على العثمانيين أنه لما أمر به السلطان سليمان بن سليم من توحيد القضاء في مصر على المذهب الحنفي، بعد أن كان هناك قاض لكل مذهب من المذاهب الأربعة وبالرغم من أن ذلك كان عملاً جليلاً انتظم به القضاء في مصر، إلا أن ابن عباس بالغ في نومه^١. فإن الأصل في مصر منذ أن نزلها الإسلام أنه كان بها قاض واحد يستتب عنه نواباً في الأقاليم، وظل الأمر كذلك حتى زمن السلطان المملوكي الظاهر بيبرس إذ جعل قاضياً لكل مذهب من المذاهب الأربعة في عام ١٢٦٣/٥٦٦٤م^(٣٩)، ولا يخفى ما في ذلك من المفاسد كالاختلاف وتفرق الكلمة لمعلوم أن اختلاف الآراء قد يكون مفيداً ولكن بشرط وجود قيادة تصمه، وكانت تتمثل تلك القيادة في منصب قاضي القضاة، ولكن منذ عهد الظاهر بيبرس أصبح هناك أربعة كل منهم قاضي القضاة لمذهبه وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في أحداث عام ١٣٨٤/٥٧٨٦م أن القضاة الأربعة في حلب اختلفوا فيما بينهم، واتسع الخلاف، فأرسل كل منهم محضراً إلى السلطان يسق الآخرين فعزلهم السلطان جميعاً^(٤٠).

فلا ريب أن تلك البدعة التي ابتدعها الظاهر بيبرس حملت معها كثيراً من المفاسد، وقد قال المقرئ : (زنى السلطان بيبرس بعد موته في التوم قليل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما رأيت شيئاً أشد على من ولاة قضاة أربعة وقيل لي فرقت الكلمة)^(٤١).

ومما يدل على فساد نظام القضاة الأربعة الذي أحدثه الظاهر بيبرس أنه لما أراد أن يفعل ذلك في دمشق رفض بعض قضاتها ذلك، فقد رفض المالكي والحنبلّي قبول المنصب حتى أُلزِمهما السلطان به فقبلا بشرط عدم الحصول على راتب. قال المقرئبي: لم يقبل المالكي ولا الحنبلي، وقيل الحنفي فورد مرسوم السلطان بالزامهما بذلك وأخذ ما بأيديهما من الوظائف إن لم يفعلا فأجابا. ثم أصبح المالكي وعزل نفسه عن القضاء والوقفاء، فورد المرسوم بالزامه فأجاب، واستمع هو والحنبلّي من تناول جامكية (مرتّب) على القضاء، وقال بعض أدباء دمشق لما رأى اجتماع قضاة، كل واحد منهم لقبه شمس الدين:

أهل دمشق استرأبوا	من كثرة الحكام
إذ هم جميعا شموع	وحالهم في ظلام ^(١١)

وقد علق ابن كثير على تلك البدعة بقوله: (وقد كان هذا الصنيع الذي لم يسبق إلى مثله قد فعل في العام الأول بمصر كما تقدم. واستقرت الأحوال على هذا المنوال)^(١٢).

ومن جهة أخرى كان نظام القضاء في أواخر عهد السلطنة المملوكية قد اعتراه فساد كبير. وكان القضاة يدفعون مبالغ كبيرة لتسلطان ليوابيهم منصب قاضي القضاء، ومن ذلك ما ذكره ابن إياس في أحداث عام ١٥٠٥/٨٩١م من أن القاضي جمال الدين القلقشندي نقد قضاء الشافعية ثلاث مرات بتلك الطريقة. كانت أجراها بثلاثة آلاف دينار، فلما دفع القاضي ابن النقيب للسلطان الغوري خمسة آلاف عزل القلقشندي وولاه مكانه، قال ابن إياس: (أخضع السلطان الغوري على قاضي القضاء للشافعي محي الدين عبد القادر بن النقيب، وأعادته إلى قضاء الشافعية عوضاً عن جمال الدين القلقشندي، فكانت مدة جمال الدين القلقشندي في القضاء نحواً من ستة أشهر، وقد سعى فيها بثلاثة آلاف دينار ثم سعى عليه ابن النقيب بخمسة آلاف دينار، وغرم نحواً من ألفي دينار للذي سعى له من الأمراء وغيرهم وكان الساعي له الأمير أزمير الدوادار وغيره من خواص السلطان، وهذه ثلاث ولايات وقعت لابن النقيب بمصر، وقد نفذ منه مال له صورة على ولاية القضاء، ولم يبق بها في الثلاث مرات إلا مندداً بسيرة ويعزل عنها)... وقد ذكر ابن إياس في أحداث عام ١٥١٥/٨٩٢١م أن القاضي محي الدين يحيى الدميري تولى قضاء المالكية بألفي دينار^(١٣).

ولا ريب أن تلك المبالغ كانوا يجيئونها من الناس بالرشوة، وذكر ابن إياس نفسه أن مما قاله الأمير المملوكي خشددم للسلطان سليم عن فساد أحوال مصر (إن قضاة مصر قاطبة يأخذون الرشوة على الأحكام الشرعية)^(١٤).

وقد ظل القضاء يتلون بالقضاء بالرشوة حتى أهدل ذلك السلطان طومان باي عندما كان السلطان سليم في طريقه إلى مصر، قال ابن إياس: (ولم يأخذ السلطان من القضاة الذين ولاهم

درهم الفرد ومنع القضاة أن لا يسعوا في منصب القضاء بمبلغ وقيل لهم : أنا ما أقبل رشوة في ولاية أحد من القضاة فلا تأخذوا أنتم رشوة من الناس أبداً^(١٤٦)

لا ريب أن مؤسسة قضائية تدار على هذه الشائكة إنما هي مؤسسة فاسدة، وقد روى ابن إياس واقعة مؤسفة تدل أبغح دلالة على ذلك في عام ٩١٩هـ/١٥١٣م مضمونها أنه تم ضبط قاض من نواب قاضى القضاء الشافعى متلبساً بالزنى بمحصنة، فرجع الأمر إلى السلطان الغورى فتم الحكم عليهما بالترجم بعد أن أقر ذلك الحكم للقضاة الأربعة في نفس المجلس، ولكن رجع القضاء الأربعة عن حكمهم تعصياً للزنى لأنه من نواب القضاء، وأوجدوا لذلك تأويلات شرعية، فغضب عليهم السلطان غضباً شديداً واستدعاهم ولكنهم أصروا على ما قالوه، فقال لهم: (إننا الأربعة قوموا ولا ترونى وجوهكم قط) ثم عزل بعضهم^(١٤٧).

فكان يتبعى على ابن إياس الذى علم ما آلت إليه المؤسسة القضائية في أواخر العصر المملوكى من فساد، أن يظن إلى أن توحيد القضاء بمصر في زمن السلطان سليمان القانونى على يد القاضى سيدى جلبى، إنما يعد من أجل الأعمال التى صلح بها حال الناس من وجهين:

الأول : أن وجود أربعة أنواع من المحاكم فى بلد واحد يفسد مصالح الناس.

الثانى : أن المؤسسة القضائية فى مصر كان الفساد ضارياً أظلمه فيها، فكان يجب أن تزل، لاسيما وأن قاضى القضاء الشافعى كمال الدين الطويل، وقاضى القضاء المالكي محى الدين الدميرى الذين كانا فى منصبيهما عندما صدر فرمان السلطانى بتوحيد القضاء، كانا يتوليان هذين المنصبين فى واقعة القاضى الزنى المذكورة آنفاً ثم إن السلطان سليمان لم يبطل عمل القضاة الأربعة بالكامل، وإنما جعلهم نواباً للقاضى العثماني، من كل مذهب نائب، وأن تكون عقود الوصايا والأوقاف والأنحة وغيرها متولبة بالقاضى العثماني دون غيره، وأظن أن السبب فى ذلك هو فساد نواب القضاء فى مصر آنذاك، والدليل على ذلك أنه فى عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م إبان وجود السلطان سليم فى مصر، وبالرغم من أنه أمر ألا يعقد أحد من النواب عقداً إلا عند القاضى العثماني فى المدرسة الصالحية، إلا أن نواب القضاء لم يلتزموا بذلك وباشروا كتابة العقود، حتى أن أحدهم باشر عقد زواج أرملته قبل أن تكمل عدتها، فعاقبه وأشهره فى القاهرة^(١٤٨). ونو رأينا أن نفضل فى مظاهر فساد القضاء فى مصر فى أواخر العصر المملوكى لظال بنا الكلام ولخرجنا عن مقصدنا، ولكن نكتفى بذكر أسباب توحيد القضاء كما جاءت فى القانون الصادر بها من قبل السلطان سليمان القانونى ابن السلطان سليم :

(أنه فى الزمن القديم عندما يقترب أحد الغرورين ذنباً ما ويقفل فى أمره، تبرا نمته تماماً ولكن الكشاف كانوا يعدون ويقضون على هؤلاء مرة أخرى ويعدون عليهم بأنواع الإيذاء المختلفة... وعندما كانت تحدث بعض المخاصمات بين بعض الرعايا من العوام، كانوا يتوجهون لحل منازعاتهم عند والى المدينة بدون أن يرجعوا إلى مجلس حاكم الشرع "القاضى" فى شرع

من ذلك، حيث كان الوالى يقوم بالفصل فى مثل هذه الخصومات بنفسه بدون وجه حق، كما كان بعض القضاة فى مصر يقومون ببيع محاكمهم ووظيفة العمل بها لبعض النواب كمقاطعة^(١١١).

خلاصة الأسباب التى لأجلها تم توحيد القضاء إما ضعف القضاة أمام الكشاف والولاية أو ضادهم، وبالتالي فإن النظام القضائى الذى وضعه السلطان سليمان بمصر، حتى وإن ترتب عليه تقليل عدد نواب القضاء وفقدان بعضهم لوظائفهم إلا أننا إذا نظرنا إلى الصالح العام سنرى أنها إصلاحات عظيمة، فكان يجب أن تكون تلك الإصلاحات محل تقدير من ابن إياس، لكنك تجد العكس من ذلك فإنه قد اعترض على توحيد القضاء، وسب القاضى العثمانى ونمعه لا لسبب ظاهر ولكن بسبب بغضه للعثمانيين بصفة عامة كما يبدو، فهو لا يرى لهم حسنات أبداً وإن كانت واضحة مثل تلقى الصباح، فقد قال ابن إياس تعليقاً على ذهاب القاضى العثمانى إلى مكة : (خرج قاضى العسكر من مصر أراح الله تعالى المسلمين منه فما حصل منه لأهل مصر خير، فعزلت القضاة الأربعة بسببه وأخرج عنهم الأنتظار، ومنع الشهود من الجلوس فى المجالس قاطبة وأسمر دكاكينهم، ومنع نواب القضاة الأربعة من الأحكام الشرعية، ولم يبق منهم غير من تقدم للقول عليه، وضيق على الناس بسبب عقود الأكتة وقرر عليهم ما تقدم ذكره من المبلغ، وصار لا يعد عقداً إلا فى المدرسة الصالحة)^(١١٢)

نلاحظ هنا أن كل ما نمعه ابن إياس على القاضى العثمانى أنه قام بعملية تنظيم صارمة وضيق على طرق القضاء وهذا أمر عجيب جداً من ابن إياس، ولكن الأعجب منه ما قاله هو نفسه بعد ذلك ببضعة أسطر عن ذلك القاضى العثمانى نفسه منافضاً ما قاله أولاً، قال : (لما سافر قاضى العسكر جعل القاضى صالح العثمانى نائباً عنه، يحكم فى المدرسة الصالحة إلى أن يحضر من الحجاز، وكان قاضى العسكر قبل أن يسافر وأبى ستة وعشرين نائباً من نواب القضاة الأربعة، وجعل منهم من هو فى بولاق وفى مصر العتيقة، وفى جامع ابن طولون وفى الحسينية وغير ذلك من الأماكن، وجعل فى كل مجلس من مجالس القضاة أربعة نواب من المذاهب الأربعة يقضون بين الناس بالحق)^(١١٣).

قلت : إن كان ابن إياس نفسه يقر بأن القاضى العثمانى لم يبطل عمل القضاة الأربعة ونوابهم بالكيفية بل عين منهم ستة وعشرين نائباً، وأبى فى كل مجلس يحكمون بين الناس بالحق، وأن الأمر لم يتعد سوى وضع تلك المؤسسة القضائية الفاسدة تحت الرقابة المباشرة للدولة، فقيم الغضب والضيق والحق على القاضى العثمانى...؟! فرمى أن ابن إياس أبى نفسه عليه أن يرى العثمانيين يحكمون على أبناء جنسه من الجركسة، فراح يطعن فيهم بغير حق.

سابعاً : وعن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين، هو ما نمعه على قاضى العسكر العثمانى بدون حق عندما أمر بمنع النساء من الخروج إلا للضرورات، ولعل كثيراً من الناس يعلمون أن عدداً ليس بالقليل من نساء مصر فى الزمن المملوكى كن قد افتقدن الحشمة والثوقار، فانتشر الفساد فى البلاد فلما جاء القاضى العثمانى ورأى ذلك، وضع ضوابط لخروج

النساء وركوبهن لتحميم والبالغ لإعادة الحشمة والوقار إلى الشارع، وكان الذي حمل القاضى على اتخاذ ذلك القرار أنه رأى جماعة من النساء يتحدثن مع جماعة من الفرسان الأتراك فى وسط السوق، فغضب لأجل ذلك غضباً شديداً، قال ابن عباس : (التلق أن قاضى الصكر طلع إلى القلعة فرأى نسوة يتحدثن مع جماعة من الاصبهانية^(١١) فى وسط السوق فعز ذلك عليه، فلما طلع إلى القلعة قال لملك الأمراء^(١٢) : " إن نساء أهل مصر أفسدت عسكر الخونكر^(١٣) ولا بقى ينفع للقتال قط. وخص عليه قصة النسوة مع الاصبهانية، فتغير خاطر ملك الأمراء على النساء فاطبة ورسم لتوالى بأن يتأدى بأن امرأة لا تخرج من بيتها مطلقاً، ولا تركب على حمار مكارى مطلقاً، وكل مكارى ركب امرأة شق من يومه من غير معاودة فى ذلك ثم خفف القاضى بعد أيام من غلواء ذلك الحكم. قال ابن عباس : (ثم تكلم الناس مع قاضى الصكر فى أمر النساء، وأن لا يمنعا من طلوع التراب ويخول الحمام وزيارة الأقارب، فأنزلهن فى ذلك، وأن المرأة لا تخرج الطريق إلا مع زوجها، وأن لا يدخل الأسواق إلا العجائز فقط، لسمح لهن قاضى الصكر بذلك وأنهن لا يركبن إلا الخيل أو البغال دائماً)^(١٤).... ثم قال ابن عباس : (باعت المكارية حميرها فاطبة واشترتوا عوضها أكاديش وشدها بنصف رطل، وصارت النساء يركبن عليها بسجادة والمكارى قائد لجام الأكديش، واستمروا على ذلك، وبطل أمر الحمير المكارية من القاهرة)^(١٥).

قلت : الأكديش هو البرنون^(١٦)، وقال الشيخ الفيومى المقرئ : (قال المعطرى : البرنون هو التركى من الخيل وهو خلاف العرب)^(١٧)، الشاهد أن القاضى استاء من مظاهر الخلاعة مثل ركوب النساء على الحمير بصحبة المكارية، وبفروج النساء إلى الأسواق واختلاطهن بالرجال لغير حاجة، فأمر بمنع ذلك وألزم النساء بركوب الخيل بعد شدة بنصف رطل، لئى يكون اختلاطها بالمكارى فى أضيق الحدود فلا شك أن هذا عمل جليل من أعمال القاضى، فهو بذلك حسم مادة الفساد، وضيق على اختلاط الرجال بالنساء، وأحى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال أبو أسيد الأنصارى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء فى الطريق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء : ﴿ استأخرن فإِنَّهِنَّ لئن لئن أن تحففن الطريق عتقن بحافات الطريق فقاتت العزاة تنصق بالجدار حتى إن ثوبها ليشق بالجدار من لمسوقها به ﴾^(١٨).

هذا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، وهم أظهر الناس قلوباً وأعظم عن المنكرات وقد قالت أمنا عائشة رضى الله عنها : ﴿ لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ما أحدثت النساء لتعهن المسجد لما منعت نساء بنى إسرائيل، قال : فقلت لعزرة : أبناء بنى إسرائيل منغن المسجد ؟ قالت : نعم ﴾^(١٩).

قلت : وما عسى أن يكون قد أحدثه النساء فى زمن عائشة رضى الله عنها. ١٢. التطيب. ١٣. إظهار الحنى. ١٤. فكيف الحال مجتمع ظهر فيه الفساد على النحو الذى ذكره المؤرخون فى أواخر العصر للمملوكى، فقد حدثنا المقرئى عما كان يحدث فى يوم وفاء التول عند فتح الخليج،

فقال عن (بركة الرطنى) : (وصارت المراكب تُعبر إليها من الخليج الناصرى فتدور بها تحت الببوت وهي مشحونة بالناس، فتمر هناك للناس أحوال من اللهو يقصر عنها الوصف وتظاهر الناس في المراكب بأنواع المنكرات من شرب المسكرات وتبرج النساء العاجزات، واختلاطهن بالرجال من غير إنكار) (١٠٠)... وفي الخليج الناصرى كان يحدث مثل ذلك، إلى أن تم منع دخول مراكب التزفة فيه في زمن السلطان الأشرف شعبان، ثم عاد الفساد إلى ما كان عليه. قال المقرئى : (والم نزل مراكب الفرجة ممتعة من عبور الخليج إلى أن زالت دولة الظاهر برفوق في سنة إحدى وتسعين وسبعائة فاذن في دخولها وهي مستمرة إلى وقتنا هذا) (١٠١)... كما يحدثنا المقرئى في أحداث سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م أن شاطىء النيل كان يجتمع عنده الرجال والنساء ويحدثون المنكرات. قال المقرئى : (ركب الأمير سوون قرأ صقال حاجب الحجاب إلى شاطىء النيل وأحرق ما كان هناك من الأخصاص، وطرد الناس ومنعهم من الاجتماع فبهم كانوا قد أظهروا المنكرات من الخمر ونحوها من المسكرات واختلاط النساء بالرجال من غير استتار، فعندما طرقهم الحاجب اضطربوا ونهب بعضهم بعضاً فذهبت أموال عديدة) (١٠٢)... كما يحدثنا المقرئى أنه في عام ٨٤١هـ/١٤٣٧م لما نكس الطاعون في مصر، أن السلطان استفتى العلماء في ذلك، قال المقرئى : (سأل من حضر من القضاة والفقهاء عن الذنوب التي إذا ارتكبها الناس عليهم الله بالطاعون، فقال له بعض جماعة إن الزنا إذا فشا في الناس ظهر فيهم الطاعون، وأن النساء يتزين ويمشين في الطرقات ليلاً ونهاراً في الأسواق، فأشار آخر أن المصلحة منع النساء من المشي في الأسواق، ولما زعه آخر فقال لا يمنع إلا المشربجات وأما العجائز ومن ليس لها من يقوم بأمرها لا تمنع من تعاضل حاجتها، وجروا في ذلك على عادتهم في معارضة بعضهم بعضاً فمال السلطان إلى منعهن من الخروج إلى الطرقات مطلقاً) (١٠٣).

وقد ذكر ابن تغرى بردى أنه لما وقع بسبب ذلك ضرر كبير لكثير من النساء اللاتي ليس لهن من يقوم على شئونهن فسمح السلطان بخروج الإمام لقضاء حاجات مواليهن (١٠٤)... وفي عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م في أيام السلطان الظاهر جقمق وقع مثل ذلك أيضاً، قال المقرئى : (تودى بمنع النساء من الخروج إلى الشوارع والأسواق إلا العجائز والجوارى فاستعن. ثم تودى لهن بالخروج إلى الأسواق والشوارع من غير تبرج بزينة) (١٠٥).

لشاهد من ذلك أن الأحوال في مصر في أواخر العصر المملوكي كانت فاسدة من حيث تبرج النساء وخروجهن ليلاً ونهاراً واختلاطهن بالرجال في الأسواق وفي المنزهات دون إنكار (إلا عند المصائب فعندئذ ينتبه العلماء والسلاطين ويتخذون إجراءات صارمة للتصدي له، وابن إياس نفسه لم يكن غافلاً عن ذلك، فقد ذكر في تاريخه أن الفساد إذا خرج عن حده كانت تتخذ إجراءات صارمة مشددة، فقال في أيام الظاهر برفوق في عام ٧٩٤هـ/١٣٩٢م : (نادى الأمير كمشيقاً نائب الغيبة بأن امرأة لا تخرج من بيتها، وأن أحداً لا يخرج إلى المقترجات قاطبة، وأن لا امرأة تبس قميص بأكمام كبار، وماتوا قد أقمشوا في ذلك حتى خرجوا عن الحد) (١٠٦). قلت: فهذا هو ابن إياس نفسه يذكر أن الأمور لما خرجت عن الحد في عهد السلطان برفوق تم اتخاذ

إجراءات مشددة لمواجهةها، ولم يعارضها ابن إياس بل إن لحن قوله يظهر منه الرضا والإقرار. فم إنكر على القاضي العثماني ما اتخذ من إجراءات ؟. فإن دل ذلك على شيء، فإنه يدل على مبلغ تحامله على القاضي وعلى العثمانيين بصفة عامة. بل والأكثر من ذلك قوله عن القاضي العثماني : (وضيق على النساء في ما تقدم ذكره من الخروج إلى الأسواق ومن ركوب الحمير. فلما خرج من مصر إلى مكة صلت النساء رقصة فقلوا : قوموا بنا نقحب ونسكر فقد خرج عنا قاضي العسكر)^(١٠٠).

قلت : لا ريب أن تلك الرقصة كانت من تصنيف البغايا و أسافل النساء، ويتعجب من ابن إياس أن يحتج بقول هؤلاء وينحاز لهم وينتقص من قدر قاضي العسكر إلى هذا الحد، بالرغم من أنه نفسه قد ذكر في تاريخه ما يفيد أن الفساد إذا خرج عن الحد كانت تتخذ إجراءات مشددة لمنعها.

لعل فيما قمناه دليلاً على تحامل ابن إياس الشديد على العثمانيين مما يحتم على نوى الألباب من الباحثين أن يتحرروا بدقة ويحذروا عند نقل الوقائع التي ذكرها عن العثمانيين، والفرد بها دون سائر المؤرخين المعاصرين وكذلك عند نقل رأيه الشخصي في السلطان سليم أو في العثمانيين بصفة عامة. وبالرغم من أن سبب تحامل ابن إياس على العثمانيين هو أمر متعلق بالتوايا، لا اطلاع لأحد عليه، إلا أنه يمكن أن نلخص أسباب تحيزه تكمن في أمرين :

الأول : أنه كان من نفس جنس المماليك، فجداه هو الأمير إياس الفخري، كما تقدم ذكره، أما أبوه فكان من الوجهاء وكان كثير الانحياز برجال الدولة، وهم من الأمراء المماليك أيضاً، بل إن ابن إياس نفسه كان من أصحاب الإسطاعات كما ذكر هو عن نفسه^(١٠١) لعله قد ورثه عن أبيه. فبالقطع قد آمنه أن يشهد تصدع وزوال الدولة التي كان يد من وجهاتها، كما أنه شهد مصرع أصحابه وأصحاب أبيه ورأى الأمل والتكالي والبنامي من أبنائهم، الأمر الذي حجب عنه رؤية الصورة كاملة، فلم يدرك أن الأمر أكبر من أي اعتبارات شخصية أو انتماءات قبلية، فمستقبل الإسلام كله كان في خطر كبير، وما كانت أعمال السلطان سليم إلا لإفغاده من ذلك الخطر، وقد قال السلطان سليم في ربايعاته ما ترجمته :

إن خشيتي من الاختلاف والفرقة ستظل تلقني حتى وأنا في القبر

إن تحننا فضولة الدولة نستطيع نفع الأعداء فإن لم تتحد الأمة فلا راحة لي^(١٠٢)

الثاني : أنه يغضب على ظني أن أحد أهم أسباب تحامل ابن إياس على العثمانيين هو أن الحكم العثماني في الخمس سنوات الأولى التي شهدها ابن إياس قبل وفاته - المرحلة الانتقالية - لم يختلف كثيراً عن الحكم المملوكي باستثناء تنظيم القضاء وتأمين الحج، فلقد بقيت الإمارة في يد

المماليك، إذ أن السلطان سليماً قد عهد إلى الأمير المملوكي خاير بك الذي كان نائب حلب في عهد السلطان الغوري بأن يكون نائبه في مصر. وأمره أن يقل كل من جاءه طالعاً من أمراء المماليك ويكرمه^(١١١) فبقيت المناصب في يد المماليك كما كانت، مثل الأمير جاتم الحمزوي الذي أصبح فيما بعد من أرباب الحل والعقد، والأمير جاتم السيفي كاشف القيوم وأمير الحج، والأمير قايتباي الدودار، والأمير برسباي الخازندار، وقاصوه العادلي كاشف الشرقية، حتى وظيفة المحتسب تولاها الزيني بركات بن موسى^(١١٢) وهو الذي كان يتولاها في زمن السلطان الغوري، ثم عزله خاير بك في عام ١٥١٩/هـ ١٩٢٥م وولاها للقاضي عبد العظيم^(١١٣). حتى القضاء الأربعة قد أبقاهم السلطان سليم في مناصبهم^(١١٤) إلى أن تم لتلقيم القضاء بعد بضع سنوات في عهد السلطان سليمان بن سليم كما تقدم، لذلك فإنك ترى أن تلك السنوات الخمس كان يحدث فيها من المظالم مثل ما كان يحدث في زمن المماليك، من مصادرات الناس والتعدى على الرزق الأحياسية والأوقاف وغير ذلك.

وقد يتساءل البعض لماذا لم يول السلطان سليم ولاية من عده إن كان حقاً يريد إشاعة العدل؟ بهب بعض أساتذة التاريخ ليقولوا أن السلطان سليماً ولى خاير بك على مصر مكافأة له على خيائه للمماليك وتعاونه مع السلطان سليم وهذا الكلام فيه نظر لأن السلطان سليماً عهد أول الأمر بولاية مصر إلى صهره الأعظم يونس باشا، ثم عزله بعد مدة وولى عليها خاير بك^(١١٥) وذلك بعد أن فشل يونس باشا في إدارة البلاد، فمصر بك كبير ولها نظام إداري ونظام مالي خاص، لا يعرفه إلا أمراء المماليك وأعوالهم من الكنتية، قال د. سيد محمد السيد : (عندما أراد الحكام الجند من العثمانيين أن يتعرفوا على كيفية إدارة المماليك للبلاد، فكان هؤلاء الكنتية يخفون دفاترهم ويطلعون العثمانيين على دفاتر ذات شفرة مالية خاصة، فيعطونهم ذلك معلومات غير صحيحة عن الإدارة في البلاد. مما أوقع الإدارة العثمانية في مصر في حالة من الاضطراب الشديد)^(١١٦).

فالحقيقة أن السلطان سليماً لم يجد بدأ من أن يعهد بإدارة البلاد إلى حكامها القدامى مؤقتاً إلى أن يتعرف العثمانيون على أسرار حكمها المالية والإدارية، فوقع اختياره على خاير بك، لأجل دريئه بتلك الأمور، ولأجل أن يكون واسطة بين السلطان سليم وبين الأمراء المماليك الغارين لاستمالتهم للدخول في الطاعة، لأن بقاءهم مشربين قد ينتج عنه ما لا يحمد عقباؤه، قال ابن زنبيل الرمال : (السلطان أمر خاير بك بأن كل من جاءه من الجراكسة الهاريين وطلب منه الأمان أن يقبته ويقيه على منصبه، وأوصاه وأكد عليه في ضبط البلاد والإنصاف بين العباد)^(١١٧).... وقد ذكر ابن إياس أن السلطان سليماً أرسل إلى خاير بك من اصطنبول بوصيه بالمماليك الجراكسة خيرا^(١١٨). فبقاء الإدارة المملوكية في مصر كان أمراً حتمته الظروف في الخمس سنوات الأولى من الحكم العثماني، وربما كان قد وقع فيها من المظالم مثل ما كان يقع في العهد المملوكي، ومن جهة أخرى كان الجنود العثمانيون لا يوفرون خاير بك، ولم تكن له مهابة في نفوسهم، فكان بعضهم يتعدى على الناس بغير وجه حق، قال ابن إياس : (وكانت

العثمانية الذين بمصر كثر منهم الأذى في حق أهل مصر من حين رحل ابن عثمان عنهم، وصاروا لا يسمعون لخاير بك كلاماً ولا له عليهم حرمة)... وكان قاضى العسكر العثماني يحاول منع ذلك قدر الإمكان ففي المحرم عام ٩٢٤هـ / ١٥١٨م ذهب إلى خاير بك في القلعة وقال له: (انظر في أحوال المسلمين وإلا تخرب مصر عن آخرها، فقد فسدت الأحوال جداً ومتى بلغ الخنكار هذه الأخبار يرسل يضرب أعناقنا، ويقول لنا كيف كتمتوا على أخبار مصر، وغفلتوا عن أحوال المسلمين حتى جرى فيها ما جرى)^(١١٤).

ولا أظن أن الجنود العثمانيين كانوا سيوفرون أى أمير مملوكى أو بهابونه، فقد كانوا بالأمس القريب يقاتلونهم ويطاردونهم ويأسرون منهم، فهذه طبائع النفوس وتجريد الإنسان من طباعه ممتنع، ولم يكن ذلك غائباً عن السلطان سليم إلا أنه كان مضطراً لذلك كما تقدم بيانه، وكان يبذل قصارى جهده لإقرار العدل فكان يتابع الأخبار من مقره فى اصطنبول بصفة دائمة، فقد أرسل إلى خاير بك بأمره بأن يعاقب الجنود بشدة، قال ابن إياس: (ثم أشهروا المناداة فى القاهرة على لسان الخنكار حسيما رسم، بأن لا أحد من الانتشارية^(١١٥)) ولا من الإصبهانية يشوش على الرعية وكل من شوش منهم على أحد من الناس يمسكه من طوقه ويتوجه به إلى عذ خير الدين نائب القلعة أو قرا موسى). ثم إن السلطان سنبماً أرسل فى طلب كمشيغا والى القاهرة بعدما وصلته شكاوى من قلعة وتعبه على أموال الناس فسافر إلى اصطنبول، ولم يذكر ابن إياس ما حل به هناك^(١١٦).

هكذا اضطر السلطان سليم لأن يحتمل سوء الإدارة المملوكية فى مصر مؤقتاً، حتى يتعرف رجاله على أسرارها ومن ثم يتولونها بأنفسهم، فابن إياس لم ير من الحكم العثماني إلا هذه السنوات الخمس فهو لم يعش ليرى تنظيم أحوال مصر على يد إبراهيم باشا فى عصر السلطان سليمان القانوني، وهو لم يعش ليرى سلاح أحوال للقضاء بعد توحيد، وهو لم يعش ليرى أمن الفلاح بعد رفع المظالم عنه، وهو لم يعش ليرى أمن البلاد من الفتن الداخلية والصراعات على السلطة التى كانت سمة لعهد المماليك الجراكسة. لكن إن كنا نستطيع أن نلتبس العذر لابن إياس للأسباب التى تقدم ذكرها، فأى عذر عساكنا نلتصمه لأساندة التاريخ الذين نقلوا عنه هذا الكلام وأذاعوا به دون أن يقيموا وزناً لمصادر المعاصرة للأحداث. ١٢.

وبناء على ما تقدم فليس لنا أن نعتمد على تاريخ ابن إياس كمصدر وحيد بحجة أنه مصدر معاصر مع التغافل عن سائر المصادر المعاصرة، ولا ينبغي لأحد أن يفهم من كلامى هذا أنى أدعو على هجر كتاب ابن إياس !! كلا، فليس هذا من فعل العقلاء، فابن إياس مؤرخ له مكانة رفيعة وأثر بدعة، وهو ممن ألقوا أعمارهم فى تدوين التاريخ وكتابه كما ذكرت ألفاً أهم مصادر تاريخ السلطنة المملوكية فى الفترة التى عاشها، ولكنى أدعو إلى تناول بعض الروايات التى وردت فى الجزء الخامس من كتابه بحذر وتحقيق نظر، لاسيما فى الوقائع التى تفرد بنكرها دون سائر المؤرخين المعاصرين له، أو فى آرائه الشخصية. كما ينبغي دراسة المصادر المتأخرة نسبياً والتي شهدت الحكم العثماني على حقيقته كتواريخ ابن أبى السرور البكري، ومرعى بن

يوسف الكرمي، وإبراهيم بن عامر العبيدي وكذلك المصادر التركية التي عاش مؤلفوها في مصر مثل (توادر التواريخ) لعبد الصمد بن سيدي علي بن داود الديار بكري الذي تولى قضاء دمياط عام ٩١٧هـ/١٥١٠م، ثم أصبح مشيراً لداود باشا أمير أمراء مصر و (تاريخ مصر) لرضوان باشا زاده، و(تاريخ مصر القاهرة) لمحمد بن يوسف الحلاق، عسى الله أن يمن علينا بأستاذ في اللغة التركية ليترجم لنا هذه المصادر ليثير لنا بها البصائر، فإن أكبر معضلة تواجه الباحث في التاريخ العثماني هي أن مصادر التاريخ سواء أكانت مخطوطة أو مطبوعة فهي باللغة التركية العثمانية، التي كانت تكتب بالأحرف العربية وكان آخر جيل من المؤرخين الذين كتبوا باللغة العربية عن التاريخ العثماني من واقع المصادر التركية هم محمد فريد بك والميرزا إسماعيل سرهنك، وإبراهيم بك حليم في الربع الأول من القرن العشرين، لأن اللغة التركية كانت شائعة بين الباحثين في البلاد العربية آنذاك شيوخ اللغة الإنجليزية في العصر الحالي، وكذلك فإن اللغة العربية كانت شائعة بين الباحثين الأتراك آنذاك، ثم بعد ذلك وقع الانفصال التام، فلم يعد العرب يعرفون التركية ولا الأتراك يعرفون العربية إلا قليلاً منهم، ثم إن الأمر ازداد سوءاً في ثلاثينيات القرن العشرين عندما أمر كمال أتاتورك بأن تكتب اللغة التركية بالأحرف اللاتينية، كما أمر بأن تحذف منها الكلمات العربية والفارسية، مما بعد أكبر عملية هدم ثقافي شهدتها التاريخ فقد ترتب على ذلك أن الأتراك أنفسهم الآن لا يستطيعون قراءة مصادرهم التاريخية إلا بعد تعلم مخارج الحروف وكيفية نطقها والكلمات العربية والفارسية التي حدثت منها.

وقد أهمل في مصر وسائر البلاد العربية تدريس التاريخ العثماني في المؤسسات التعليمية لعمود طويلة وما زال هذا الإهمال قائماً حتى الآن، فالتاريخ العثماني لا يدرس إلا في بضع جامعات فحسب، وهو لا يدرس في المدارس على الإطلاق، فإن قيل أنه يتم تدريس التاريخ العثماني من خلال دراسة تاريخ العالم العربي الحديث أو تاريخ مصر في العصر الحديث، أقول هذا منهج سيئ جداً في التدريس، فمصر كانت إقليماً من أقاليم الخلافة العثمانية، صحيح أنها كانت إقليماً مميزاً، ودرجة السلطنة كما اصطالحوا على تسميتها إلا أن ذلك لا يغير من حقيقة كونها إقليماً، لا يمكن الاستغناء بدراسة تاريخه عن دراسة تاريخ الدولة المركزية، فدراسة تاريخ مصر في العصر العثماني لا تعدو عن كونها دراسة للأحوال الداخلية لأحد أقاليم الدولة، ولا يمكن أن ينبتنا أبداً عن حال الدولة المركزية وعلاقتها الدولية فهل يصح مثلاً أن يستغنى بتدريس تاريخ الإسكندرية مثلاً أو أسبوط أو أي محافظة من محافظات مصر عن دراسة تاريخ الدولة المصرية نفسها؟! ولا يخفى على كل ذي لب أن التاريخ العثماني ليس مما يمكن تجنبه أو إهمال دراسته وإلا فلن يتسنى لنا فهم تاريخ العصر الحديث فهماً صحيحاً، لأن السلطنة العثمانية كانت قلب العالم وأهم محور للأحداث العالمية في ذلك العصر، ولكن للأسف الشديد وحصل أغلب أساتذة التاريخ على جل معلوماتهم من خلال التراجع الأوروبية التي لا تخلو من دسائس وأكاذيب، وشبهات وأباطيل، ولعل أبرز مثل على ذلك هو أقوال أكابر أساتذة التاريخ عن أسباب الفتح العثماني لمصر والشام، وعن دوافع حروب السلطان سليم ضد الصفويين والعماليك،

فكل ما كتبه في هذا الشأن لا يعدو عن كونه نقلاً لرؤية المؤرخين الأوروبيين من أمثال (بيشر هولت)، (فيليب برايس) (كارل بروكلمان) (أرتولد توينبي) وجل ما كتبه إما باطل أو قاصر، لأن المؤرخ الأوروبي حتى وإن كان من المنصفين مثل (أرتولد توينبي) قلن يتمكن من فهم أهداف مثل تلك الحروب وواقعتها فهماً كاملاً، لأنها ترتبط بثقافة غريبة عليه، مهما اجتهد في دراستها قلن يملك مقاليدها، وإن يملك ناصيتها، وقد فصحت الكلام عن تلك المسألة وفندت أقوالهم في كتابي (منهل الظمان لإنصاف دولة آل عثمان) (٢٠١١، ٢٣٢/٢). وحينئذ بالذکر أن النوم والتثريب هنا ليس على المؤرخين الأوروبيين، بل على كل أستاذ في التاريخ سمح لنفسه بالنقل عن كتبهم وكأنها الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتغافل عن مصانيرنا التاريخية وزهد في أقوال مؤرخينا الأقدمين كأننا أمة أمية ما كان عندنا علماء ولا مؤرخون !! كما يقع النوم والتثريب على كل أستاذ في اللغة نقاعس عن أداء المهمة الحضارية المنوطة به من ترجمة المصادر التاريخية التركية والفارسية، بل واللاتينية والبيزنطية أيضاً إلى اللغة العربية، كل في تخصصه.







هواشي البحث

- (1) حاجي خليفة : كشف الطول عن أسامي الكتب والقولن. نسخة إلكترونية (الموسوعة الشاملة) لإصدار الثاني. ج ١ ص ٢٢٩.
- (2) حاجي خليفة : كشف الطول عن أسامي الكتب والقولن ج ٢ ص ١٩٤١، ١٩٥٢. إسمايل بلنا البغدادي : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. وكالة المعارف الجلية لاصطوبل ١٩٥١م. ج ٢ ص ٢٣١.
- (3) لقد نقلت نص كلام ابن ياسر على ما فيه من أخطاء نحوية، حرصاً على عدم للتدليل.
- (4) ابن ياسر : نتائج الزهور في وقائع الدهور. تحقيق محمد مصطفى زيادة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢/٨١٤٠٢. ج ٤ ص ٤٧.
- (5) رسالة كرسوفر كولومبس إلى فرديناند وإيزابيلا لشن حملة صليبية للاستيلاء على القدس عام ١٤٩١. ترجمة حاتم الطحاوي. ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى. عن للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٢م. ص ٢٧٦، ٢٨١.
- (6) بجاية. بكسر الهمزة وفتح الجيم، وهي مدينة على ساحل البحر بين إفريقيا والمغرب. انظر باقوت الحموي : معجم البلدان ج ١ ص ٢٢٩. وتقع حالياً في شمال الجمهورية الجزائرية شرق العاصمة الجزائر.
- (7) وقزان. بفتح الواو وسكون الهاء وهي مدينة على البر الأعظم من المغرب، بينها وبين للسان سري ليلة. انظر باقوت الحموي : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٨٥. وتقع حالياً في شمال غرب الجمهورية الجزائرية.
- (8) أصلها : أطراش. بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء وسكون الهمزة والهمزة وهي مدينة في آخر أرض بركة ولول أرض إفريقية. انظر باقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٢١٧. وهي حالياً عاصمة الجماهيرية الليبية، وتقع في شمال غربها على ساحل البحر المتوسط. <http://Archi>
- (9) قنصل فرنسا في طرابلس عام ١٨٧٨م، وصاحب كتاب : الحواشي الليبية.
- (10) شارل فيرو : الحواشي الليبية. ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، جامعة قازوين، باني غازي ١٩٩٤م. ص ٧٤، ٧٦، ٧٧. وأصل الخطاب موجود في دار محفوظات بلدة سيمانكس الإسبانية.
- (11) زين الدين المعري : تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين. طبع تحت رعاية الحكيم السيد شمس الله القاري، مدير مجلة التاريخ، حيدر آباد دكن ١٩٣١م. ص ٦٨.
- (12) سَطْرُوي، بضم السين والقاف وسكون الطاء، جزيرة عظيمة كبيرة فيها عدة قرى ومدن تتراوح عن جنوبيها عنها. انظر باقوت الحموي : معجم البلدان. دار صادر بيروت. ١٩٦٥م. ج ٣ ص ٢٢٧.
- (13) قُهاَت، بفتح القاف وسكون اللام، مدينة بعنان على ساحل البحر إليها ترقى أكثر سفن الهند. انظر باقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٣٩٣.
- (14) سَطْرُوي، بفتح السين وسكون السين وفتح القاف ((مدينة بلواحي عمان)) انظر باقوت الحموي : معجم البلدان، ج ٥ ص ١٢٧. وهي عاصمة سلطنة عمان حالياً.

- (15) حُرْمَز : يضم لها، وسكن قرآء وضرم العمير ((مدينة في البحر .. على بر فارس وهي فرسة كرمان إليها ترقأ المركب ومنها تنقل لمتعة الهند إلى كرمان وسجستان وخراسان)) انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ٥ ص ٤٠٢. قلت : هرمز جزيرة في مضيق هرمز تتبع إيران حالياً.
- (16) عبد القادر العبدوس : الثور المسافر في أحياء القرن العاشر، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٥٨، ج-ج لوزيمر : دليل الخليج، مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، بدون تاريخ، ج ١ ص ١٢، ١٣.
- (17) ابن يونس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٤ ص ١٠٩، ١٠٩.
- (18) ابن يونس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٤ ص ٣٣١، وكثيران، بفتح الكاف والعمير والراء وهي جزيرة فلاة زبد باليمن. انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ٢ ص ١٣٩. وتقع في جنوب البحر الأحمر.
- (19) هو السلطان بايزيد ابن السلطان محمد الثالث، وقد سُلطن من عام ١٤٨١هـ/١٤٨٦م وحتى عام ١٤٩٨هـ/١٥١٢م.
- (20) هي إحدى فرق الشيعة ولا يعترفون بإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنها وأهل الصحابة ضلوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ويقال أنهم سماوا والفتنة لأبهم ورضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما خيروا بالكوفا في أصحابه الثلث بينهم وبينهم الطعن على أبي بكر وعمر فذكر ذلك علي من سمعه منه، ففرق عنه الذين بالجمعة قال لهم ورضتوني ٢، قالوا : نعم. فيقال : إنهم سماوا والفتنة لعزل زيد بن علي لهم ورضتوني انظر : ابن خزيمة : منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والفتوية ج ٢ ص ٢٠٠.
- (21) إسماعيل بن حيدر بن حيد، وسمى بالسنوسي نسبة إلى جدّه الأكبر الشيخ سفي القوين الأندلسي صاحب زاوية صوفية في أرنبل، وبالزعم من أنهم كانوا جميعاً من أهل السنة (إلا أن إنشاء إسماعيل هو أول من تشبه احتق القرفص، واجتمع حوله كثير من الناس فخرج من كيلان بجموعه سنة ٩٠٥هـ/١٥٠٠م واستطاع أن يستولي على كثير من بلاد العمير حتى سقطت في يده تدريز مقر سلطنة ((لق قويونلي)) انظر أخباره عند حسين خوجه بن علي : بتاريخ أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، مخطوط في دار الكتب والوثائق القومية رقم ٢١١٦ تاريخ طلعت، ورقة ١٢١.
- (22) تهريز، بكسر التاء، وسكن الفاء وكسر الزاء، قال ياقوت : ((هي لشهر منن أنريجان)) انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ٢ ص ١٢. وتقع حالياً في شمال غرب الجمهورية الإيرانية، وتطلق بفتح التاء.
- (23) ابن يونس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٤ ص ١٤٣.
- (24) التهرولي : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، لوزيمر، ألمانيا ١٨٥٧م، ص ٢٧٥.
- (25) حسين خوجه بن علي : بتاريخ أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، ورقة ١٠٥، ١٠٧، بإمارة أوزبونا : تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عثمان محمود سليمان، مؤسسة فيصل للتسويق، اصطبلون ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ١ ص ٢٠٩ - ٢١١.
- (26) ج-ج لوزيمر : دليل الخليج، القسم التاريخي، مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، ج ١ ص ١٤.
- (27) كانت البدائع تنقل إلى الإسكندرية عبر خليج بربرج فرج رشيد بالإسكندرية. أو كانت تنقل برا.

- (28) أنزيجان، بعد الهزيمة وفتح القفال وسكون الرءاء وفتح البقاء وسكون البقاء، في أحد الأقاليم. قال باقوت: (بعد أنزيجان من برزعة مشرفاً إلى أرزدجان مغرباً... ومن مشهور مدائنها تبريز). انظر باقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١ ص ١٢٨ طبع في المطبعات جمهورية أنزيجان الحالية، بل هي الأراضى الواقع حالياً شمال غرب إيران وجنوب شرق تركيا.
- (29) إسحاق سرهنگ: حقائق الأخبار عن نول البحار. المطبعة الأموية. بولاق، القاهرة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م. ج ١ ص ٣٥٩، ٣٦٠، يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج ١ ص ٢٤١ - ٢٥٤. عبد العزيز الشاذلي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مقرى عليها، مكتبة الأجلو المصرية القاهرة ٢٠٠٤م. ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٥. أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة. وقف البحوث العثمانية. إسطنبول ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. ص ٢٢٠.
- (30) ابن يئس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ١١٩.
- (31) ابن يئس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٢٠١.
- (32) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية. ج ١ ص ٣٢٤.
- (33) ابن يئس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٢٨٥.
- (34) ابن يئس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٣٦٥، ٣٦٦.
- (35) إمارة صغيرة في جنوب الأناضول تابعة للسلطنة المملوكية ومن مراكزها ملطية وأبلستين. انظر القرمانلى: أخبار الدول وكثر الأول - تحقيق أحمد مصطفى فهمى - مطبع عالم الكتب، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. ج ٣ ص ٩٨.
- (36) ابن زنبيل: وقعة السلطان البغوي مع سليم العثماني. تحقيق عبد المنعم عامر. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م. ص ٢٢.
- (37) ابن يئس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٤٥٨، ابن الحمصي: حوادث الزمان ووفيات المشيخ والأقربان. تحقيق عبد العزيز حماد حرقوش. دار النقا، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. ص ٥١٣. العبدى: قلايد المعيان في مناقر آل عثمان. مخطوط بمكتبة الإسكندرية ميكروفيلم رقم (٤٦٧٨). ص ٤٥.
- (38) ابن يئس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٣٥.
- (39) لادهورالى: الإخلاق بأعلام بيت الله الحرام (ص ٢٧٧)، الكرسي: تزهة الناظرين وأخبار الماضين في تاريخ من ولى مصر من سالف العصر من خلفاء والسلامين العالمين. مخطوط بمكتبة الإسكندرية. ميكروفيلم رقم ٥٢٩٨. ورقة ٦٥، البكرى: المنح الرحمانية في الدولة العثمانية. تحقيق نيلى الصباغ. دار البشائر. بئوت تاريخ. ص ٧٣.
- (40) ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. ص ٣٢٢.
- (41) محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة. المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ص ٢٥.

- (42) وهو لقب أطلقه العثمانيون على الصفويين، لأنهم كانوا يتسبون عطاء رأس أصر - انظر : البكري : المنح الرحمانية في الدولة العثمانية. ص ٧٣، حسين خوجه بن علي : بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. ورقة ١٢٠، وتطلق ((كزل باش)) بكسر الكاف والزاى وسكون اللام وفتح الباء، مع تقسيم جميع الحروف، وهي كلمة تركية من مقطعين ((قول)) : لعمرو، ((باش)) : رأس. والمعنى ذو الرأس العمراء.
- (43) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك : الدولة العثمانية المجهولة. ص ٢١٦.
- (44) وتكتب أيضا ((عزن تاب)) بفتح العين وسكون الباء. وهي قلعة حصينة بين حلب وأطاكية. انظر بقوت الحموي : معجم البلدان. ج ٤ ص ١٧٦. كانت آنذاك من أعمال حلب تابعة للمماليك، وهي الآن في جنوب تركيا.
- (45) محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة. ص ١٤٠، أحمد فؤاد موقلي : الفتح العثماني للشام ومحصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له. الزهراء للإعلام العربي. القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٥م. ص ١٢٤.
- (46) المعري : تحفة المعادين في بعض أخبار البرتغاليين. ص ٣١.
- (47) ابن ياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ١١٠٩، ٣٥٩.
- (48) الرسالة محفوظة برقم ٦٤٥٦ بمشرف طوب شو باسطنبول، وقد نشرها عبد الجليل النعمي في بحث بعنوان ((أول رسالة من أمالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة ١٥١٩))، المجلة للتاريخية المغربية تونس، العدد السادس، يوليو - تموز ١٩٧٦. نقله من عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مغزى طوبها. ج ٣ ص ١٨٤.
- (49) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك : الدولة العثمانية المجهولة. ص ٢٢٠، ٢٢٦.
- (50) يمام أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية. ج ١ ص ٣٢٥.
- (51) المعريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. ج ٦ ص ٣٦٨، ابن حجر : إنباء الغمر ببناء مصر. تحقيق عبد الله بن أحمد بن محمد المتبحر العلوي الحسني الحضرمي، وسأعده فيه سلطان محيي الدين كامل. تحت إشراف محمد عبد الصمد خان مدير دائرة المعارف العثمانية بالهند دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. ج ٧ ص ١٥٢.
- (52) رواد أحمد (٤٨٥/٣٦)، أبو بكر بن الخلال في السنة (١٢٧/٤)، ابن حبان في صحيحه (١١١/١٥)، الطبراني في الكبير (٩٨/٨)، البيهقي في الشعب (٢٧/١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٠٥/٢).
- (53) العبيدي : فتايد العيان في مغاير آل عثمان. ورقة ٤٤.
- (54) ابن ياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ١٦٢.
- (55) ابن ياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ١٧٩.

- (56) هو أحد أمراء المماليك وكان نائب حماة في عهد السلطان قانصوه الغوري، ثم دخل في مطاعة لسلطان سليم بع قلعة مصر.
- (57) محمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ١٦٨.
- (58) محمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢١٩.
- (59) محمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٣١٧، ٣١٨.
- (60) شمس الدين بن طولون : مفاكهة الخلال في حوادث الزمان. ص ٢٢٣، ٢٧٦.
- (61) وقائع تلك القتن بطول ذكرها فمن شاء التوصل فليرجع إلى ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٥٤، ٦٢، ٨٠، ٨٩، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١١٨.
- (62) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٢٤، ٢٧٩، ٤٣١.
- (63) سلاح البنادق أدخله السلطان سليم في مصر ولم يكن المماليك يستخدمونه. انظر ابن زبيل : واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني. ص ٧١.
- (64) ابن طولون : مفاكهة الخلال في حوادث الزمان. ص ٢٨٧.
- (65) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٠٨.
- (66) لودوفو الجيوسي : تقرير لبابا روما عن سقوط القسطنطينية، كرسوبوزو ريشيرو : الاستيلاء على القسطنطينية، ضمن كتاب الحصار العثماني للقسطنطينية ترجمة حاتم الطحاوي. عن الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٢م. ص ١٦١، ٢١٥. وانظر أيضا نيقولو باريزو : يوميات الحصار العثماني. ترجمة حاتم الطحاوي. عن الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م. ص ١٦٣.
- (67) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة ليهة أمين فارس، نشر المجلدي. بيروت ٢٠٠٥م. ص ٤٦٨.
- (68) يمانز أورتونا : تاريخ لثورة العثمانية. ج ٢ ص ٤٣٦. انظر أيضا برنارد لويس : الإسلام والغرب. دار الرشيد دمشق - بيروت، ١٩٩٤/١٤١٤م. ص ٦٨.
- (69) برنارد لويس : الإسلام والغرب. ص ٦٨.
- (70) كلمة مطبوسة بالأصل، أظنها : مركبين.
- (71) نهر في الساحل الغربي للهند.
- (72) المعري : نحلة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين. ص ٣١.
- (73) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٠٣.
- (74) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٤٧٧.
- (75) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ١٥٧.
- (76) الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق عمر عبد السلام التكمري. دار لكتاب العربي. بيروت ١٩٩٣/١٤١٣م. ج ٤٨ ص ٣٦.

- (77) ابن كثير: البداية والنهاية. تحقيق علي شيري. دار إحياء التراث. بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ج ١٣ ص ٢٣٥.
- (78) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. ج ٤٩ ص ٢١. لندن العفندي: صبح الأضي في صناعة الإثشاء تحقيق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٧٨م. ج ٤ ص ٣٦.
- المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك. ج ٢ ص ٢٨.
- (79) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر. ج ٢ ص ١٦٢.
- (80) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك. ج ٢ ص ١٠٧.
- (81) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك. ج ٢ ص ٣١.
- (82) ابن كثير: البداية والنهاية. ج ١٣ ص ٢٨٦.
- (83) ابن ياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٩١، ٤٧٧.
- (84) ابن ياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٤٧١.
- (85) ابن ياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ١١٧.
- (86) ابن ياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٢٤١ - ٢٤٥.
- (87) ابن ياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ١١٦، ١٨٤، ٤٥٢.
- (88) سيد محمد السيد: مصر في العصر العثماني. لقرن ١٦. مكتبة سنبلولي. القاهرة. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. ص ٣٨٧.
- (89) ابن ياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٤٦٩.
- (90) ابن ياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٤٦٩.
- (91) المقصود الفرساني، وهي تحريف للكلمة الفارسية ((شاهان)) وتكتب بحرف الباء المشددة، وتطلق ((P)) بسكون السين وفتح الباء وكسر الهاء، مع تكهيم جميع الحروف، وتعني فارس.
- (92) خاير بك، الذي ولاه السلطان سليم الأول واليا على مصر.
- (93) من لقلب السلطان العثماني.
- (94) ابن ياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٧.
- (95) ابن ياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٤٦٢.
- (96) ابن شاهين: الإشارات في علم العبارات. دار الفكر. بيروت. بدون تاريخ. ج ١ ص ٨٠٤.
- (97) القويومي القوي: المصباح المنير في غريب لشرح الكبير. المكتبة العلمية بيروت. ج ١ ص ٤١.
- (98) رواء أبو داود (٣٦٩/٤)، الطبراني في الكبير (٢٦١/١٩)، وصلته الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٢١/١).
- (99) رواء مسلم (٣٢٨/١)، أبو داود (١٥٥/١)، أحمد (١٢٥/٤٣)، أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (١٥٦/٢) البيهقي في السنن الكبرى (١٩٠/٣)، عبد الرزاق في مصنفه (١٤٩/٣)، الطبراني في المعجم الأوسط (٤٨٧/١)، أبو عوانة في المستخرج (٢٩٧/١)، ابن خزيمة في الصحيح (٩٨/٣).

- (100) المقرئى : المواضع والاعتبار بنكر الخطط والآثار - دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧/١٤١٨م. ج ٣ ص ٢٨٧.
- (101) المقرئى : المواضع والاعتبار بنكر الخطط والآثار. ج ٣ ص ٢٦٧، ٢٦٨.
- (102) المقرئى : الملوك لمعرفة دول الملوك. ج ٦ ص ٤١٢.
- (103) نفي الدين المقرئى : الملوك لمعرفة دول الملوك ج ٧ ص ٣٥٠.
- (104) بن تغرى بردى : الحجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. القاهرة ١٩٦٨/١٣٨٣م. ج ١٥ ص ٩٤.
- (105) المقرئى : الملوك لمعرفة دول الملوك. ج ٧ ص ٤٦٣.
- (106) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ١ ص ٤٤٨.
- (107) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٤٦٩.
- (108) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٤ ص ١٣٦.
- (109) أحمد لق كوندز وسعيد أوزتورك : الدولة العثمانية المجهولة. ص ٢١٨.
- (110) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٤٤، ٢٩٧. ابن زبيل : واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى ص ١٨٤.
- (111) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٢٤، ٢٦٤، ٢٩٥.
- (112) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٠٢.
- (113) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ١٦٥.
- (114) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٩٣. حسين حومه بن على : بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. ورقة ١٣٦.
- (115) سيد محمد السيد : مصر فى العصر العثمانى فى القرن ١١ - ص ٣٦. <http://archive.org/details/egypt>
- (116) ابن زبيل : واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى. ص ١٨٤.
- (117) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٤٤، ٢٩٧.
- (118) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٣٣.
- (119) هو تحريف لفظة التركية ((بكى جرى)) بحرف الجيم المثلثة، وبحرف الكاف المثلثة فينبقى عندئذ نوناً فينبقى اللفظ كاملاً ((بكى جرى))، يفتح الباء وكسر النون، وسكون التاء وكسر الشين والراء، وهى كلمة من مقطعين، وتعنى العسكر الجديد وهى إحدى أشهر وحدات الجيش العثمانى. انظر محمد أسامة زيد : سهل السلطان لإسفاف نولة آل عثمان. دار ابن رجب، القاهرة ٢٠١٢م. ج ٢/ ص ١٤٤.
- (120) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٢٩، ٢٣٨.

قائمة المصادر

- ابن أبي شعبة : أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكرة (ت ١٤٩/٨٢٣٥ م)
- ١- الكتاب المصنف في الأحاديث والأثر. تحقيق كمال يوسف الحوت. مكتبة الرشد، الرياض ١٤٠٩ هـ.
 - ابن عباس : محمد بن أحمد بن عباس الحنفي (ت ١٥٢٣/٨٩٣٠ م).
 - ٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق محمد مصطفى زيادة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢/١٤٠٢ م.
 - ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المعاصم يوسف بن تغري بردي بن عبد الله (ت ١٣٧٢/٨٧٤ م).
 - ٣- التاج الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٣٨٣/١٩٦٣ م.
 - ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معاذ بن محمد التميمي (ت ١٦٥/٨٣٥٤ م)
 - ٤- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. تحقيق شعوب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣/١٤١٤ م.
 - ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر السفلاي (ت ١٤٤٨/٨٨٥٢ م)
 - ٥- إنباء المر بأبناء المر. تحقيق عبد الله بن أحمد بن محمد المديح الطوي الحسني الحضرمي ومساعدته فيه سلطان مجرب الدين كامل. كتبة إشراف محمد عبد المعيد خان منير دائرة المعارف العثمانية بالهند. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦/١٩٨٦ م.
 - ابن الحمصي : أحمد بن محمد بن عمر (ت ١٥٢٧/٨٩٣٤ م).
 - ٦- حوادث الزمان ووفيات المشيخ والأقران. تحقيق عبد العزيز فياض حرقوش. دار التلخيص، بيروت ١٤٢١/٢٠٠٠ م.
 - ابن خزيمة : أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر التميمي (ت ٢٣/٣١١ م)
 - ٧- صحيح ابن خزيمة. تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٩٢/١٤١٢ م.
 - ابن زليل : أحمد بن زليل الرمال (ت بعد ١٥٥٢/٨٩٦٠ م).
 - ٨- واقعة السلطان الفوري مع سليم العثماني. تحقيق عبد المنعم عامر. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧ م.
 - ابن شاهين الطاهري : غرس الدين خليل بن شاهين (ت ١٤٦٨/٨٧٣ م).
 - ٩- الإشارات في علم العبارات. دار الفكر، بيروت.
 - ابن طولون : شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ١٥٤٦/٨٩٥٣ م).
 - ١٠- مفاهمة الخلان في حوادث الزمان. وضع حواشيه خليل المنصور. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨/١٤١٨ م.
 - ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر بن ضوء بن كثير القيسي التمشقي (ت ١٣٧٢/٨٧٧٤ م)
 - ١١- البداية والنهاية. تحقيق علي شوي. دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨/١٩٨٨ م.

- أبو داود سليمان بن الأثوث بن إسحاق بن بشير بن شداد السجستاني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨ م)
- ١٢- سنن أبي داود. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
- أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (ت ٢٥٤هـ/٨١٩ م)
- ١٣- مسند أبي داود الطيالسي. تحقيق د. محمد عبد المحسن التركي. دار هجر، مصر. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد الأسفراييني (ت ٣١٦هـ/٩٢٨ م)
- ١٤- مستخرج أبي عوانة. تحقيق أمين بن عارف النمشقي. دار المعرفه، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م
- أبو يعلى أحمد بن علي بن العثمي بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي (ت ٣٠٧هـ/٩١٩ م)
- ١٥- مسند أبي يعلى الموصلي. تحقيق حسين سليم أسد. دار السامون للتراث، دمشق. ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ/٨٥٥ م).
- ١٦- مسند الإمام أحمد. تحقيق شعيب الأرنؤاط، غلال مرشد. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- إسماعيل باشا سرهنگ (ت بعد ١٣١٤هـ/١٨٩٦ م).
- ١٧- حقائق الأخبار عن دول البحار. المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م.
- إسماعيل باشا ابن محمد أمين بن مير سليم الهلباشي البغدادي (ت ١٢٩٩هـ/١٨٨١ م)
- ١٨- هدية العارفين لسماء المولفين وأثر المصنفين. وكالة المعارف الجليلية، اسطنبول ١٢٩٥م.
- البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩ م).
- ١٩- الجامع الصحيح. الجامع المسند الصحيح المختص من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. دار الفوق للطباعة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- البكري: محمد بن أبي السور البكري (ت ٨٧-٨١هـ/٦٧٦ م).
- ٢٠- المنح الرحمانية في الدولة العثمانية. تحقيق أيمن الصباغ. دار البشائر.
- البهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجري القراسني البهقي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥ م)
- ٢١- شعب الإيمان. تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع دار المسلفية. بومباي بالهند. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م
- الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢ م).
- ٢٢- سنن الترمذي. تحقيق أحمد محمد شاكر. محمد فؤاد عبد الباقى، إبراهيم عطوة. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦ م).
- ٢٣- كشف القنون عن أسامي الكتب والقنون. نسخة إلكترونية ضمن الموسوعة الشاملة الإصدار الثاني.
- حسين خوجه بن علي (ت بعد ١١٣٦هـ/١٧٢٣ م).
- ٢٤- بشار أهل الإيمان بقلوحات آل عثمان. مخطوط يدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة. رقم (٢١١٦)
- (تاريخ طلعت. ميكرو فيلم رقم (١٣٤٨٦).
- الحمدي: عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله القرشي الأسيدي (ت ٢١٩هـ/٨٣٤ م).
- ٢٥- مسند الحمدي. تحقيق حسين سليم أسد الدارقي. دار السقا، دمشق ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قيمز (ت ٨٧٤٨/١٣٤٧ م).
- ٢٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق عمر عبد السلام التكمري. دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- الطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي (ت ٨٣٦٠/٩٧٠ م).
- ٢٧- المعجم الكبير. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. مكتبة ابن تيمية، القاهرة. ونسخة إلكترونية ضمن المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.
- ٢٨- المعجم الأوسط. تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني دار الحرمين القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- عبد الرزاق بن همام بن نافع العميري الصنعائي (ت ٨٢١١/٨٢٦ م)
- ٢٩- مصنف. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. مكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣م.
- عبد القادر العبدوس : عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ (ت ١٠٣٨هـ/١٦٢٨ م).
- ٣٠- تلويح المسافر عن أخبار القرن العاشر. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- القوسمي المقرئ : أحمد بن محمد بن علي (ت ٨٧٧٠هـ/١٣٦٨ م)
- ٣١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية، بيروت.
- القزويني : شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القزويني (ت ٨٢١١هـ/١٤١٨ م).
- ٣٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشا. تحقيق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨م.
- كريستوفر كولومبس.
- ٣٣- رسالة إلى فرديناند وإيزابيلا لشن حملة صليبية للاستيلاء على القدس عام ١٥٠١م، ترجمة حاتم الطحاوي ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٣م.
- الكزبي : مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد (ت ١٠٣٣هـ/١٦٢٣ م).
- ٣٤- نزهة التنالرين وأخبار الماضين في تاريخ من وثي مصر من سالف العصر من الخلفاء والملكين العادلين. مخطوط بمكتبة الإسكندرية. ميكروفيلم رقم (٥٢٩٨).
- ليوناردو الخيوسي.
- ٣٥- تقرير لياها روما عن سقوط القسطنطينية، ضمن كتاب الحصار العثماني للقسطنطينية. ترجمة حاتم الطحاوي. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة (٢٠٠٣ م).
- مسلم بن الحجاج القشيري التوسليوي (ت ٨٧٤هـ/٨٧٤ م).
- ٣٦- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى. دار التراث العربي، بيروت.
- المعري : زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي (ت بعد ٨٩٢٣هـ/١٥١٧ م).

- ٣٧- تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين. طبع تحت رعاية الحكيم السيد شمس الله القادري، مدير مجلة التاريخ، حيدر آباد دكن ١٩٣١م.
- المقريزي: ثغرى الدين أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).
- ٣٨- الملوك لمعرفة نول الملوك. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ٣٩- المواظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- النسائي: أحمد بن شعيب بن علي بن ستان بن بحر النسائي (ت ٣٠٣هـ/٩١٥م).
- ٤٠- السنن الكبرى. تحقيق حسن عبد المنعم شفيق. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- النهروالي: قطب الدين محمد بن أحمد المكي (ت ٩٨٨هـ/١٥٨٠م).
- ٤١- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. تليج. ألمانيا ١٨٥٧م.
يقولون باريارو.
- ٤٢- يوميات الحصار العثماني. ترجمة حاتم الطحاوي، ضمن كتاب الفتح الإسلامي للقسطنطينية. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٢م.
- ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرواس الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م).
- ٤٣- معجم البلدان. دار صادر، بيروت. ١٩٩٥م.

ARCHIVE

<http://Archive.beta.Salikhrit.com>

قائمة المراجع

- أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك
 ١- الدولة العثمانية المجهوثة. وقف البحوث العثمانية، اسطنبول ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
 أحمد فؤاد متولى
 ٢- الفتح العثماني لمصر والشام ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له. الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٥م.
 يوزنار لويس
 ٣- الإسلام والقرب. دار الرشيد، دمشق - بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
 بشرى خير بك
 ٤- الدخول العثماني لشمال إفريقيا، ضمن الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية، المجلد الخامس المتقدمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
 ج.ج. لوريسر
 ٥- دليل الطلوج، القسم التاريخي، مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، سيد محمد السيد.
 ٦- مصر في العصر العثماني في القرن السادس عشر. مكتبة مديولتي، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
 شارل قبرو
 ٧- الحواشي التيبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي. ترجمة محمد عبد القريم الوافي، بني غازي ١٩٩٤م.
 د.عبد العزيز محمد الشناوي
 ٨- الدولة العثمانية دولة إسلامية مطرى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٤م.
 كارل بروكلمان
 ٩- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منور البعلبكي، دار الطم لتلاميذ بيروت، ٢٠٠٥م.
 محمد أسامة زيد
 ١٠- منهل القمان لإتصاف دولة آل عثمان، دار ابن رجب، القاهرة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
 محمد حرب
 ١١- العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
 محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن لجالى بن آدم الأناطوري الألباني (ت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
 ١٢- صحوح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت.
 ينعاز أوزتونا
 ١٣- تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سليمان، مؤسسة الفصيل للتمويل اسطنبول ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

فوائد الاستعمار البريطاني على جنوب الجزيرة العربية

د. حصة جمعان الهلالي الزهراني (*)

أهمية البحر الأحمر بالنسبة لجنوب الجزيرة العربية :

كان البحر الأحمر، ولا زال، أهم طرق المواصلات البحرية في العالم؛ يحمل المواد التجارية من الشرق والغرب، في العصور السابقة والحالية، وأصبح الآن من أهم الممرات البحرية في العالم يحمل أهم السلع الاستراتيجية من الشرق والغرب، كما تحول أيضاً، من مجرد بحر داخلي، إلى أهم شريان مائي، ينقل البترول من مناطق استخراجه - في الخليج العربي ويران وشبه الجزيرة العربية وأفريقيا - إلى أوروبا الصناعية، والولايات المتحدة الأمريكية، والصين وآسيا، وبقية دول العالم. ويفضل اكتشاف البترول في الخليج والجزيرة العربية، وبعض دول أفريقيا المطلة على البحر الأحمر، ويسبب الاحتياج لتفطى المتزايد في أوروبا وأمريكا وآسيا، أصبح البحر الأحمر، بمميزاته وخصائصه الجيولوجية، أخطر محاور الصراع والتنافس الدولي، ومن أهم نقاط التحكم الاستراتيجية العالمية، باعتباره طريقاً حيوياً لتقل البترول، ومعبراً لتجارة العالمية، وطريقاً مختصراً لتفطى القوة العسكرية من البحر المتوسط، والبحر الأسود، والمحيط الأطلسي، والمحيط الهندي، والمحيط الهادي. وبهذه المرات، ارتبط البحر الأحمر بالقرن الإفريقي جنوباً، كما ارتبط بقناة السويس، شمالاً، ارتباطاً عضوياً أمنياً وعسكرياً وسياسياً واقتصادياً، حتى أصبح محط أنظار المخططين السياسيين والعسكريين الإقليميين والدوليين، ومركز اهتمام واضعي القرار السياسي، ومحور صراعات متعددة بين القوى الدولية المتنافسة على النفوذ، وكذلك القوى المحلية والإقليمية المتصارعة حول الهيمنة والنفوذ في المنطقة.

إن البحر الأحمر - من منخله الشمالي عند السويس إلى منخله الجنوبي عند باب المندب والقرن الأفريقي - ظل ولا زال يلعب دوراً مركزياً ومحورياً في الصراع في منطقة جنوب الجزيرة العربية والمناطق الحيوية من العالم، ويعتبر القرن الأفريقي، ممراً وبوابة للبحر الأحمر وخليج عدن، بالإضافة إلى الخليج العربي والمحيط الهندي.

(*) أستاذ مشارك بكلية الآداب جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بالرياض.

١) الصراعات الدولية في منطقة جنوب الجزيرة:

مع مطلع القرن ١٧ بدأ الاهتمام البريطاني في جنوب الجزيرة العربية ومدينة عدن الاستراتيجية، كجزء من المنافسة التجارية الأوروبية، وخاصة مع البرتغاليين والهولنديين في المنطقة .

في عام 1609 بدأت شركة الهند الشرقية البريطانية بإرسال أولى رحلاتها إلى مدينة عدن والبحر الأحمر، وأسست أول وكالة تجارية لها في ميناء مخا. وقد استطاع الإنجليز السيطرة على تجارة نول الجنوب العربي الخارجية وجزء كبير من تجارة اليمن، وخاصة تجارة البن.

بعد ذلك بدأت التجارة الأوروبية تتدرج في الهبوط على مدى فترة ستين عاماً. بحيث انحصرت، في الأخير، بين الإنجليز في الجنوب العربي واليمن، والفرنسيين في اليمن فقط. وتحولت المنافسة البريطانية - الفرنسية من ميدان التجارة إلى ميدان السياسة. مما أدى إلى أن تقوم الحكومة البريطانية بالإجراءات التالية :

١- إرسال قوة بحرية بريطانية إلى الساحل الشرقي لليمن لمواجهة التوسع الفرنسي.
٢- التواجد العسكري في مدينة عدن والجنوب العربي، كمواقع استراتيجية هام في البحر الأحمر على باب المندب وخليج عدن، لمراقبة السفن الفرنسية والتصدي لها، للحفاظ على نفوذها في المنطقة.

في عام 1802 عقدت بريطانيا أول معاهدة تجارية مع السلطان العبدلي، سلطان سلطنة لحج، الذي كان يحكم مدينة عدن، ويسيطر على مينائها الاستراتيجي، وبموجب الاتفاقية أصبح ميناء عدن مفتوحاً أمام السفن والبضائع البريطانية، وبموجبها تم تأسيس وكالة تجارية بريطانية في عدن، وضمنت الاتفاقية توفير الحماية للرعيا البريطانيين في السلطنة.

زادت أهمية عدن الاستراتيجية في السياسة البريطانية أواخر العشرينات من القرن التاسع عشر - أكثر، عندما أرادت بريطانيا استخدام البحر الأحمر كطريق للمواصلات التجارية، بدلاً من الطريق البحري الطويل حول الرجاء الصالح، وكذلك اكتشاف البخار جعل بريطانيا، حينها، تجعل من مدينة عدن محطة لتموين السفن باللحم، خاصة وأن ميناء عدن يقع في منتصف الطريق بين مدينة بومباي في الهند وقناة السويس. وقد كان القبطان هينس يرى بأن مدينة عدن هي المكان المناسب لاستخدامها كمحطة لتزويد السفن، وقاعدة تجارية وعسكرية

هامة، حيث كتب لإقناع حكومته قائلا: "إن المرفأ العظيم لمدينة عدن يمتلك من القدرات والإمكانات ما لا يملكه ميناء آخر في الجزيرة العربية. إن ازدهار لاشك وأن يقضى على بقية موانئ البحر الأحمر فهو يحتل مركزاً تجارياً ممتازاً لاشك أنه أنسب الموانئ الموجودة لمواصلات الإمبراطورية عبر البحر الأحمر. وهو في وضعه الحالي صالح لاستقبال البواخر و تموينها في كل فصول السنة".

ومن العوامل التي سرّعت بالاستيلاء البريطاني على مدينة عدن، ودول الجنوب العربي، وجود جيش محمد علي باشا، حينها، في تهامة وأوساط اليمن، والذي دخلها بهدف القضاء على الوهابيين. وقد كان يطمح لتأسيس إمبراطورية مصرية في الجزيرة العربية، وكان يشكل خطراً كبيراً على المصالح البريطانية، وبخاصة إذا ما استولى على مدينة عدن الواقعة وسط الطريق البحرية إلى الهند. وقد كتب حاكم بومباي البريطاني إلى حكومته قائلاً: "إن مطامع محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية يجب أن تكبح قبل أن يستفحل أمرها".

إن تجارة بريطانيا الخارجية في حاجة إلى خط مواصلات مضمون، وذلك بدوره يعتمد على وجود قواعد ساحلية بحسن اختيارها، ويقوم بحراستها الأسطول الملكي البريطاني الكبير. وفي 19 يناير 1839م دخلت القوات البريطانية، بقيادة الفيلد مارشال هنري مدينتي عدن عن طريق جزيرة صيرة، وكان ذلك بداية التواجد العسكري والسياسي البريطاني المباشر في مدينة عدن ودول الجنوب العربي، حيث تم بعد ذلك في 18 يونيو 1839م توقيع معاهدة صداقة مع سلطان سلطنة لحج، وتوالت بعدها معاهدات الصداقة بين بريطانيا وأمرأ وسلاطين ومشايخ دويلات الجنوب العربي، والواقعين في كيانات صغيرة مستقلة بعضها عن بعض، مقابل الحماية والدعم المالي لهم ولإمناطقتهم، وأصبحت عدن، تدريجياً، تتعالم دورها كقاعدة عسكرية وتجارية هامة. زادت المنافسة البريطانية الفرنسية على المنطقة، فاستولى البريطانيون على جزيرة مَبُون عام 1856، خوفاً من وقوعها بيد الفرنسيين، واستولى الفرنسيون على جزيرة أوبوك على الساحل الصومالي المقابل، عام 1862 خوفاً من وقوعها بيد البريطانيين. وهذه المنافسة على المنطقة مرتبطة بمشروع حفر قناة السويس في مصر، في الأعوام 1868-1867. تحولت عدن إلى قاعدة متقدمة للمملكة المتحدة أثناء الحملة ضد الأثيوبيين، مما زادها ازدهاراً وشهرة. في عام 1869 تم افتتاح قناة السويس في مصر وقد أدى ذلك إلى زيادة أهمية عدن الاستراتيجية، وقد توسعت الأنشطة الاقتصادية والتجارية، وتزايد مرور السفن في ميناء عدن، مما زاد من حجم تزويدها بالفحم والمؤن المختلفة، وازدهرت السياحة، وعقد الاتفاقيات التجارية والإتشالية، وتسهيل الاستيراد والتصدير، وفي المقدمة تصدير البن من إمارات وسلطنات

ومشيخات دويلات الجنوب العربي، وخاصةً سلطنات باقع، وكذلك ابن الآتي من اليمن. وكان ثلث موارد خزائنة السلطنة العبدنية، في لحج يأتي من معاملة سلطنة العبدني في لحج التجارية مع مدينة عدن. كما كانت سلطنة العبدني في لحج، حينها، المتعاقد والمحتكر الأكبر لتموين مدينة عدن، والقاعدة العسكرية البريطانية فيها، بالخضراوات والفواكه ومياه الشرب، والحشائش، وأغلاف المواشي، والملح والأبيدي العاملة. كما لعب السلطان العبدني في لحج لفترة من الزمن، دور الممثل والوسيط بين إدارة المستعرة في عدن، ممثلة بالمعتمد السياسي البريطاني وبقية سلاطين وأمرأ ومشايخ الجنوب العربي؛ الذين كانوا بمثابة دويلات صغيرة مستقلة، فكانت تمر عبره (بهم المرتبات والمساعدات البريطانية).

كما كان لدى البريطانيين جهازان مختصين بشؤون الإمارات والسلطنات والمشيخات، في دويلات الجنوب العربي؛ الواقعة خارج مدينة عدن، وهذان الجهازان هما :

١- القوة العسكرية الجديدة للأرياف، المعروفة بخيالة المجراد، وقد أتوا بها من الهند، وكانت مهمتها القيام بجولات استطلاعية متكررة إلى إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربي، لدراسة أحوالها العسكرية والاستراتيجية لوضع السياسات والحلول المناسبة.

٢- إنشاء الدائرة العربية، وتتبع مباشرة للمعتمد السياسي البريطاني في عدن، وهذه الدائرة كانت المخططة والمنفذة للسياسة البريطانية؛ للتعامل مع القبائل داخل إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربي. وأصبحت أهم إدارة حكومية، وخاصة بعد إنشاء دار الضيافة الملحقة بها عام 1869. وكانت السياسة البريطانية تعتمد حينها أمام تلك المناطق، على دفع المرتبات لحكامها، وتقديم الحماية مقابل الولاء الكامل، دون التدخل أو الوجود العسكري المباشر فيها، أو في بعضها؛ إلا لتقديم الحماية والدعم. إلا أن هذه السياسة اختلفت بعد تحييز الأتراك إلى جانب ألمانيا، عندما كان الأتراك في ذلك الوقت يحتلون اليمن، ويشكون خطراً مباشراً على النفوذ البريطاني في المنطقة، وعلى دويلات الجنوب العربي.

٢) الصراع البريطاني العثماني في الجنوب :

بدأت الإمبراطورية العثمانية، بمساعدة ألمانيا، تمد الخطوط الحديدية إلى كل من العراق والكويت والجزيرة العربية. ومنذ 1849م أصبح لتربكيا وجود فعلي على ساحل تهامة باليمن، وتمكن الأتراك من استكمال احتلال اليمن الشمالي حالياً (في عام 1872 بشكل كامل). وهذا هو الاحتلال التركي الثاني لليمن الذي دام خلال الأعوام 1872-1918. كما كان الاحتلال الأول التركي لليمن خلال الأعوام 1635-1538، ورغم وجود الأتراك باليمن حتى عام 1870، وعلى النعاس المباشر مع البريطانيين الموجودين في الجنوب العربي وعدن، إلا أن

البريطانيين لم يكن يفقهم الوجود التركي باليمن حينها، كون الوضع في اليمن والجنوب العربي لا يشكل خطراً على النفوذ البريطاني في المنطقة، بالرغم من تواجد الأتراك في اليمن؛ فالجنوب العربي كان تحت الحكم البريطاني، وكان مقسماً إلى 22 دولة من الإمارات والسلطنات والمشيخات الصغيرة المستقلة بعضها عن بعض. وكان اليمن مقسماً حينها هو الآخر بين الأئمة في صنعاء، وأمرأه آل عريش في المخا ومدن ساحل تهامة، وكانت مناطق أواسط اليمن والحجرية مستقلة، وكان اليمن مجزأً إلى مناطق مستقلة استطاع الأتراك السيطرة الكاملة عليها واخضاعها للحكم العثماني للأعوام 1872-1918، إلا أن الأوضاع الدولية والمحنية، في السبعينات من القرن التاسع عشر شهدت تغيرات مهمة؛ دفعت البريطانيين إلى تغيير سياستهم، والاهتمام التام بالمنطقة، وتعزيز السيطرة التامة على الجنوب العربي، وعاصمته مدينة عدن. بالإضافة إلى هذا، فقد تم فتح قناة السويس عام 1869، وبذلك زالت أهمية عدن الإستراتيجية.

كانت السياسة البريطانية، في البداية حينها، مرنة مع العثمانيين في اليمن، وتتبع نظام الصداقة مع أمراء وسلطين ومشايخ دويلات الجنوب العربي، وتتص تلك السياسة أن تدفع بريطانيا مرتبات شهرية وسنوية، لسلطين وأمراء ومشايخ دويلات الجنوب العربي، وتوفير المتطلبات الضرورية ليدولهم، مقابل الإشراف البريطاني الغير المباشر عليها، وإبقاء الطرق إلى مستعمرة عدن آمنة ومفتوحة وتأمين وصول المواد الغذائية والخضار والفواكه والمنتجات المحلية إلى مدينة عدن، وكذلك عدم وقوع أي من تلك السلطنات والإمارات والمشيخات بيد أطراف خارجية.

أما بعد أن أصبح الأتراك، المحتلين لليمن، على مقربة من حدود الإمارات والسلطنات والمشيخات المكونة للجنوب العربي، وبدأ الأتراك ضم بعض من إمارات وسلطنات ومشيخات الجنوب العربي إلى المناطق التي يحكمها الأتراك في اليمن، في كل من قطبة والحجرية وماوية، فقد اتبع البريطانيون سياسة جديدة وتقاناً جديداً - هو نظام الحماية للتعامل مع الوضع الناشئ الذي حاول الأتراك فرضه، ويعنى نظام الحماية هذا - أن سلطين وأمراء ومشايخ دويلات الجنوب العربي عليهم أن يوقعوا على اتفاقيات مع البريطانيين نيابة عن أنفسهم وعن وريثهم. وقد غطت اتفاقيات الحماية هذه في الثمانينات من القرن التاسع عشر كل سلطنات وإمارات ومشيخات ودويلات الجنوب العربي، من باب المنصب غرباً إلى المهرة. ومنذ عام 1869 ظلت حضرموت سلطنتين مستقلتين بعضهما عن بعض، باسم سلطنة القعيطي، وسلطنة

الكثيرة، إلى جانب سلطنة المهرة، وسلطنة الواحدي، في شرق الجنوب العربي، ويخضعان للحماية البريطانية حتى استقلال الجنوب العربي، في الـ 30 من نوفمبر 1967م.

أما في الجزء الغربي منه، فقد كانت للأتراك محاولات عديدة لغرض سيطرتهم على بعض إمارات، وسلطنات، ومشيخات، دويلات الجنوب العربي في تلك الفترة. وبدأت القوات التركية بالزحف لاحتلال مناطق السلطنات والإمارات الثلاث التابعة للجنوب العربي والتفوذ البريطاني، لذا وجد الإنجليز أنفسهم أمام العثمانيين، وتعرض المصالح والتفوذ البريطاني وحلفائه للخطر، وقد احتلت بعض الإمارات والسلطنات والمشيخات في الجنوب العربي، ووصلت إلى مشارف عاصمة سلطنة لحج. عندها شعر الإنجليز بجدية خطر الجار الجديد، وقامت الحكومة البريطانية بالاتصال بالحكومة العثمانية المركزية، في الباب العالي، في القسطنطينية، وتقديم إنذار شديد اللهجة، وبإمكانية وقوع الحرب بين الدولتين إذا لم توقف تركيا تقدمها، وتتسحب من جميع المناطق التي احتلتها داخل الجنوب العربي. لكن في 24 أكتوبر 1873م قام العميد النمساوي البريطاني في مستعمرة عدن بقيادة الهجوم البريطاني، وقاموا فوراً بالانسحاب من كل مناطق الجنوب العربي التي احتلوها في إمارات الضالع وسلطنة أحوأ شب ومشيخة الطوى، ثم بعد ذلك تم في أواخر عام 1873، الاتفاق بين بريطانيا وتركيا على ترسيم الحدود بين الجنوب العربي واليمن، حيث تم الاتفاق بين البريطانيين والأتراك على أن تكون حدود المناطق التي يسيطر عليها الأتراك والبريطانيين في كل من اليمن والجنوب العربي في عام 1873 هي الحدود الدولية بين الطرفين والجنوب العربي واليمن، واعترف البريطانيون بنفوذ الأتراك على اليمن، واعترف الأتراك بنفوذ البريطانيين على إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربي، وأن على الأتراك المسيطرين على اليمن ومنذ عام 1873 عدم التدخل في شؤون إمارات وسلطنات ومشيخات الجنوب العربي باعتبارها دويلات مستقلة بذاتها، وتقع تحت النفوذ البريطاني.

وفي عام 1905م اقترحت تركيا على بريطانيا: تشكيل لجنة مشتركة لتخطيط وترسيم الحدود الدولية بين البلدين: الجنوب العربي الواقع تحت النفوذ البريطاني، واليمن الواقع تحت النفوذ التركي، وقد تم تشكيل اللجنة بالفعل لترسيم الحدود، كما وجهت بريطانيا إنذاراً إلى الأتراك بسحب جنودهم من بعض قرى إمارات الضالع التي احتلوها، وتم انسحابهم منها في نفس العام. وفي 20 أبريل 1905م وقع البريطانيون والأتراك، رسمياً، على اتفاقية تخطيط الحدود الدولية بين الجنوب العربي واليمن، وإعادة التوقيع عليها عند استكمال ترسيمها في 1914م، وقد أصبحت هي الحدود الدولية الرسمية بين البلدين والدولتين.

خلال الحرب العالمية الأولى 1918 - 1914م : لاحتدم الصراع بين الأتراك والإنجليز، لانحياز كل منهما إلى الطرف التقيض والمعادي في الحرب، وكان في خط التماس العباشر لتواجد الإنجليز في الجنوب العربي، وتواجد الأتراك في اليمن. في منتصف عام 1916 استخدمت لأول مرة الطائرات البريطانية في قصف مواقع الأتراك في بقية المناطق داخل سلطنة نجد المحتلة من قبل الأتراك، وفي نهاية عام 1916 إلى عام 1918م شهدت الجبهة العسكرية بين الأتراك والإنجليز نوعاً من الهدوء.

تمسح الأتراك من اليمن عام 1918م، وكانت هزيمتهم في الحرب نهاية للإمبراطورية العثمانية التركية الذي دام حكمها خمسمئة عام، وأخذ اليمن الشمالي حالياً استقلاله عن تركيا عام 1918م، وأعلن الإمام يحيى بن حميد الدين نفسه إماماً على اليمن، اليمن الشمالي حالياً وأسس المملكة المتوكلية، اليمنية وعين نفسه ملكاً لها. وبخلاف اليمن، بعد عام 1918م، مرحلة جديدة بعد التحرر من الأتراك، هي مرحلة الأئمة الزيدية، الممتدة خلال الفترة ما بين 1٩٦٢ - ١٩١٨م.

انتهت الحرب العالمية الأولى، وهزم الأتراك في الحرب، وانسحبوا من اليمن، وانتهت إمبراطوريتهم، إلا أن الإنجليز خرجوا من الحرب منتصرين، وأعدوا سيطرتهم على كل إمارات وسلطنات و مشيخات دويلات الجنوب العربي، لا بل وخرجوا من الحرب وهم يسيطرون على أهم موانئ ومدن اليمن الساحلية: مدينة للحية، والحديدة الميناء الرئيسي لليمن، والذي سوف يكون السبب في توتر العلاقات بين نولة اليمن الجديدة ممثلة بإمامها، والإنجليز الموجودين في الحديدة باليمن، والحاكمين للجنوب العربي.

أهمية الجنوب العربي في الصراع البريطاني اليمني :

بإتهاء الحرب العالمية الأولى تمسح الأتراك من اليمن، وحصل على استقلاله الوطني، في عام 1918 برز الإمام يحيى كقوة جديدة في اليمن، في مواجهة الإنجليز ودويلات الجنوب العربي، بحيث سرعان ما توترت العلاقة بين الطرفين، نتيجة لسيطرة الإنجليز على مدينة الحية ومدينة الحديدة الميناء الرئيسي لليمن، التي سيطرت عليهما بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى من وجهة نظر الإمام يحيى، ومطالبته بتسليمها إليه، إلا أنه نتيجة التحالف بين الإنجليز والإيريسى، أثناء الحرب ضد الأتراك وقرب مدينة الحية من مناطق الإيريسى فقد سلمت بريطانيا مدينة الحية إلى الإيريسى، وأبقت مدينة وميناء الحديدة تحت سيطرتها. طيلة

سنوات الحرب كانت مدينة عدن توصف بأنها "قاعدة إمبراطورية"، مع التأكيد على دورها المتزايد في المجال العسكري والتجاري، واستقبال السفن والمواصلات، والتزود بالوقود .

في عام 1929 عقد أسراء وسلطنين، ومشايع نويبات الجنوب العربي، مؤتمراً عاماً لهم، برئاسة سلطان سلطنة لحج، بهدف تقوية الروابط فيما بينهم، وإيجاد صيغ تحالفية تمكنهم من مواجهة المخاطر الخارجية بشكل موحد، وفكروا حينئذ في إنشاء اتحاد فيما بينهم، ولكن لم يتوفقوا في تحقيق ذلك، وقد تمكنوا من تحقيق هدفهم هذا في 11 فبراير 1959م، بإنشاء اتحاد الجنوب العربي.

تم في 11 فبراير 1934م التوقيع، في مدينة صنعاء عاصمة اليمن على معاهدة اعتراف الإنجليز باستقلال اليمن، واعتراف الإمام يحيى إمام اليمن باتفاقية ترسيم الحدود الدولية، الموقعة في 1905م و1914م، من قبل تركيا وبريطانيا، لترسيم الحدود الدولية بين اليمن والجنوب العربي. وتحول الجنوب العربي إلى وزارة المستعمرات البريطانية بدلاً من الهند، عام 1937م وقسمت إلى قسمين من المحميات : المحميات الشرقية، والمحميات الغربية، وتم استبدال نظام الحماية السابق بنظام الاستشارة، وسياسة نظام الاستشارة تفضي بأن يكون لكل سلطان أو أمير أو شيخ، مستشار بريطاني ينصحه في كل المسائل التي تخص إدارة سلطنته أو مشيخته، وعلى الأمير أو السلطان أو الشيخ أن يقبل نصيحة ذلك المستشار، ويقوم بتنفيذها.

وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية، 1945-1939م، كانت الحالة والموقف العسكري بين البلدين: الجنوب العربي واليمن هادئة. ولكنها في 1944-1943م كادت أن تتلازم، نتيجة تمركز قوات يمنية على ساحل البحر المقابل لجزيرة ميون، بالغرب من حدود البلدين، إلا أن اليمن قام بسحب قواته من هناك، بعد أن وجهت بريطانيا إنذار شديد اللهجة. وبانتهاء الحرب العالمية الثانية زال الخطر الإيطالي الساحل الإفريقي المقابل اليمن، لانتصار الحلف البريطاني وهزيمة الحلف الإيطالي بالحرب.

أصبح النظام الأماسي باليمن، خلال الأعوام 1962-1959م سهاراً تماماً ولم يعد يسيطر على البلاد، حيث سادت التمردات القبلية والشعبية وأخذت المقاومة في المدن اليمنية لنظام الحكم تتوسع، والمنشورات الداعية لإسقاط نظام الإمامة تتوزع على طول وعرض اليمن، ومظاهرات الطلبة تعم المدن وكانت القبائل تنضم إلى الانتفاضة ضد نظام الإمام. وفي 22 مارس 1961م هبت ثورة قام بها الجيش اليمني وبها تغير النظام في يوم 26 سبتمبر 1962م إلى نظام جمهوري وإلى صراع جديد هذه المرة داخل اليمن؛ بين الجمهوريون في الحكم والملكيين خارج الحكم.

في بداية الستينات من القرن العشرين أصبح لمدينة عدن أهمية خاصة في الإستراتيجية الدولية، حيث أشار الكتاب الأبيض الصادر عن وزارة الدفاع البريطانية، وقتذاك، إلى نية بريطانيا في أن تبقى قواتها العسكرية في عدن، وذلك يعود إلى ثلاثة عوامل:

الأول: يتعلق بالاستراتيجية الدولية: فقد أصبح لمدينة عدن أهمية استراتيجية، ليس بالنسبة لبريطانيا فحسب، وإنما للمعسكر الغربي بأسره.

الثاني: يتعلق باستراتيجية البترول: فميناء عدن أصبح هو الذي يحمي آبار البترول في الخليج.

الثالث: بالاستراتيجية المحلية: لأن القاعدة ستحمي حلفاء بريطانيا المحليين في المنطقة.

أثار الاستعمار البريطاني الذهبية:

في الوقت الحالي تنص المادة الثانية من دستور اليمن على أن الإسلام هو دين الدولة، و تكفل المواد (41) و (42) و (48) تساوي المواطنين وحرية الفكر والحرية الشخصية ويحدد القانون الحالات التي يجب فيها تقييد حرية مواطن، ولم تشر إلى دين المواطن بالتحديد. والشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع، وعليه فإن قانون الأحوال الشخصية وحقوق الأقليات يخضع لتفسيرات الشريعة، ويشترط الدستور على عضو مجلس النواب أن يكون مؤتمناً للفرانس الدينية، بينما شرط الإجماع وافصح في شروط مرشح رئاسة الجمهورية. وتقدر نسبة المسلمين في اليمن بحوالي 99%، أي 1.5% من مجموع مسلمي العالم، وينقسم المسلمون في اليمن إلى مجموعتين رئيسيتين هما: السنة الشافعية، والشعبة الزيدية. وتبلغ نسبة الشافعية حوالي 70-60%، مقابل زيدية 30-40% وتوجد أقلية إسماعيلية صغيرة في شمال البلاد تعود بداياتها إلى أيام الدولة الصليحية والملكة أروى بنت أحمد.

الأقليات: هناك أعداد قليلة باقية من اليهود في اليمن، إذ هاجر أغلبهم إلى إسرائيل والولايات المتحدة، وهم الأقلية غير المسلمة الوحيدة من سكان البلد الأصليين. ولليهود في اليمن شهرة بينهم من أشهر الصاغة وصناع الخناجر التي تعد أبرز معالم الهوية اليمنية. وكانت الأعراف والتقاليد تمنع اليهودي، والمسلم غير القبلي من ارتداء الجنابي.

ووجدت أقلية هندوسية صغيرة جدا في عدن. ويوجد أربعة كتلاص في عدن تمثل الوجود المسيحي والذين أغلبهم من الأجانب. وتعتبر الجزيرة العربية القلب النابض لمبار ومائتي مسلم، يتكون عبر الكرة الأرضية، ولذا فهي تمثل بخصائص وسمات تميزها عن بلاد الدنيا مجتمعة؛ ففيها بيت الله الحرام، وإليه يحج الناس كل عام، وإليه يتجهون في صلواتهم.

هذا الارتباط بين الإسلام ديناً والجزيرة العربية مكاناً، وبين ساكنيه من جهة أخرى، لدرسه المنصرون قديماً في الحروب الصليبية التي استمرت زهاء ثلاثة قرون. وحديثاً قالوا « : لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويقام قداس الأحد في المدينة.١ » من أجل هذا كله ركز منصفوا اليوم على الجزيرة، وعلى من يسكنها، ومن يحيط بها، وقد وجدوا بغيتهم في جنوبها وبالتحديد في بلاد اليمن البوابة الجنوبية المطلقة على المحيط الهندي، حيث التقت هنا المصالح السياسية - الاقتصادية - الدينية، واجتمع التنصاري وتداعوا لغزو جديد هدفه تحطيم بوابة للعق الاجتماعي للجزيرة بأسرها.

أهم الأسباب التي هيأت لعملية التنصير في اليمن هي:

- ١- اندثار بعض شعائر الإسلام وعدم الدعوة إليها، لإحساس الجميع بأنهم مسلمون وكفى.
- ٢- الجهل والامية؛ حيث بلغت نسبة الملمين بالقراءة والكتابة من البالغين 38%، وهي من أدنى المعدلات في العالم. وأشارت آخر الدراسات إلى أن نسبة الأمية قدرت بحوالي 50% من السكان.
- ٣- التردّي في الجانب الاقتصادي، وضغوط البنك الدولي، حيث أشارت بياناته إلى أن أكثر من 19% من سكان اليمن يعيشون تحت خط الفقر.
- ٤- النظام الديمقراطي المفتوح، والدعم المغفوي التي تتلقاها المنظمات التنصيرية من بعض الجهات والشخصيات النافذة في البلد؛ <http://Archivebeta.Saiki>
- ٥- عدم وجود أهداف ثابتة وإستراتيجيات واضحة للدعوة بين كثير من فصائل العمل الإسلامي
- ٦- الأوضاع الصحية التي تعد من أشد الأوضاع تديناً في العالم؛ فالفقر والحمل المنقارب، وانخفاض الوعي الصحي، وارتفاع معدلات سوء التغذية وتزايدها المطرد حيث وصلت إلى 15.9% لعام 1996 م، وتشير البيانات الرسمية لوزارة الصحة إلى أن مجموع المواطنين المصابين بوباء الفيرومن الكبدى يزيد على 3، 5 مليون مواطن.
- ٧- ضعف الجانب العقدي، وغياب عقيدة الولاء والبراء، لدى فئات كثيرة في المجتمع.
- ٨- حسن معاملة التنصاري للتبسطاء والمتعاملين معهم في الشركات والمؤسسات.
- ٩- إعجاب بعض أبناء المسلمين بمدربيهم التنصاري، والشعور بالفخر والاعتزاز لدى زيارة بعض التنصاري لبيوت المسلمين.

١٠- تعدد واجهات العمل النصراني بين : معاهد دراسية - هيئات إغاثية - مراكز صحية - مراكز دراسات - مراكز ثقافية.

١١- ضعف دور المؤسسات الإسلامية، والتشغال كثير منها بقضايا داخلية أو جزئية.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : متى بدأ التنصير في اليمن؟ ومن هي الجهات التي تقوم بذلك؟ وما هي أشكال هذا التنصير وصوره؟ وهل استطاع أن يحقق شيئاً من أهدافه؟

تشير التقارير إلى أن أول عمل تنصيري منظم بدأ بعد خمسينيات هذا القرن، وتركز أساساً في مدينة عدن وبلاد العرب الجنوبية، واستمر العمل حتى عام 1972 م، كما بدأ العمل في شمال اليمن من عام 1969 م إلى أوائل عام 1981 م.

هذا النشاط يتبع منظمة نصرانية تدعى : فريق البحر الأحمر الدولي (الذي أسسه المنصر) ليونيل قرني في عام 1951 م ، والذي قضى سبعة عشر عاماً قبل هذا التاريخ في أعمال التنصير في الشرق الأوسط. كما يطلق على هذا الفريق مسمى آخر وهو : الخيامون (وهو المنصرى القائمون للعمل في البلاد الإسلامية في مجالات مختلفة كالطب والهندسة والتعليم والتدريب). (إ.ج). وشعار هذه المنظمة : (الإسلام يجب أن يسمعنا، وهدفنا نشر الإنجيل بين المسلمين). والمنظمة تعرف بنفسها أنها فريق البحر الأحمر الدولي RSTI منظمة عون دولية غير حكومية، ذات خلفية نصرانية، مركزها الرئيسي في إنجلترا. وتحصل على الدعم من الكنائس والأفراد ومنظمات العون النصراني؛ ويدعم الفريق حالياً مشاريع تنموية في كل من جمهورية سالي، وجيبوتي، وباكستان، واليمن، وتزانيا؛ وكل المشاريع خاضعة لموافقة الحكومة المضيفة، وتمتد الأنشطة، على نطاق واسع، في مجال التنمية الريفية والتعليم والصحة والدعاية الصحية الأولية والتعليم الأولى.

واستناداً لما سبق: فإن التعريف الخاص بالمنظمة يلغم حجراً لكل من يحاول التناول من خطر لمنظمات التنصيرية أو إنكار أن لها أعمالاً تنصيرية.

أشكال التنصير وأماكنه وصوره داخل بنية المجتمع اليمني:

أولاً : الكنائس ودور العبادة:

١- الكنيسة الكاثوليكية بالتواهي : تعتبر الكنيسة الكاثوليكية الواقعة في مدينة التواهي وعلى مقربة من القاعدة العسكرية البحرية اليمنية، أهم موقع كنسي نصراني تم افتتاحه في بداية

الخمسينيات، إبان الوجود البريطاني في محمية عدن، ويتبع حالياً المجمع الكنسي الكاثوليكى فى مدينة لارتكا بقبرص، ولكنه يدار مؤقتاً من الإدارة الأنجليكانية بمدينة نبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، وربما تكون هذه الكنيسة هى أهم كنيسة على الإطلاق تم بنائها فى جنوب الجزيرة العربية، ولقد سعت الإدارة الأمريكية كثيراً بإعادة افتتاحها فى عام 1995 م، وتم ذلك بمساعدة السفارة الأمريكية بصنعاء ودعمها؛ وذلك من خلال جهود سفيرها السابق السيد ديفيد نيونن؛ حيث افتتح المركز الطبى الكنسى الملحق بها، والذي يقدم خدمات لكثير من طالبى الخدمات الطبية من أبناء المنطقة المحيطة بالكنيسة، كما أن التقارير ذكرت أن الصلوات تقام بها بشكل منتظم عصر كل يوم أحد، وقد اهتم الرهبان والراهبات، الذين يعملون فى العبادة الصحية، كثيراً بالمقبرة النصرانية فى منطقة المعلا التى تضم رفات الكثير من النصارى ممن توفوا فى مدينة عدن.

٢- الكنيسة المصدانية بكريرت - مدينة عدن:

كانت توجد كنيسة مصدانية فى مدينة كيرت بعن، لا تبعد كثيراً عن سوق الخضار، ولكن تم إلغاؤها وتحول المبلى إلى مبنى حكومى. وكانت الكنيسة تدار من قبل الكنيسة الأنجليكانية المصدانية التى تتخذ من لندن مقراً لها؛ وبسبب ذلك إهمال أعضاء تلك البعثة وتقصيرهم.

٣- دور العبادة النصرانية بصنعاء:

قامت بعض العناصر الإنجيلية النشطة، وبدعم غير مباشر من السفارة الأمريكية بصنعاء باستئجار مبنى يقع فى الحى السياسى؛ وذلك لاستخدامه داراً للعبادة يوم الأحد، ولأداء بعض القداسات النصرانية كلما دعت الحاجة لذلك، كما يقام قداس يوم الأحد فى المعهد الكندي - فى مدينة حدة فى إحدى الشقق المستأجرة لهذا الغرض فى المجمع السكنى.

٤- دور العبادة النصرانية بإب:

تقوم البعثة النصرانية المصدانية الأمريكية، من خلال مستشفى جبلة المصدانى بمدينة جبلة بمحافظة إب، بدور كبير سواء فيما يتعلق بالدعوة للتبشّر، أو القيام بأداء صلوات يوم الأحد بالكنيسة المصدانية المتحفة بالمستشفى. ويقوم القساوسة والراهبات بدور إيمانى - على حد زعمهم - وتبشيري من خلال زيارة النساء والفقراء ودور الأيتام والسجون. وقد استطاعت البعثة، وخلال سنوات عملها الطويل، إدخال بعض الأشخاص إلى الدبابة النصرانية؛ إذ بلغ عددهم ما يقرب من 120 مبنى.

ثانياً : النشاط الصحي :

- المركز السعودي بمدينة تعز في شارع الدائري : له نشاط تنصيري، ويحمل ترخيصاً من وزارة التربية والتعليم باسم تعليم اللغة الإنجليزية، وله نشاط خيري يتمتد وراءه لأعماله التصريحية، كما يقيم دورات لتعليم النساء التدبير المنزلي والخياطة.
- جمعية من طفل إلى طفل : مركزها الرئيس مدينة تعز، ولها نشاط في صفوف الأطفال المصابين بالعشى والخرس؛ حيث استطاعوا أن يؤثروا عليهم عن طريق تغيير الإشارات لديهم تهيئةً لدخولهم في التصريفية، من دون أن يشعروا بذلك.
- منظمة أترا في منطقته حيس تهامة : « وهي نشيطة جداً، وقد استطاعت أن ترسل كثيراً من الشباب إلى دول نصرانية مثل: سنغافورة والفلبين وباكوك: باسم الحصول على شهادات في اللغة الإنجليزية؛ كما يقومون بزيارات منظمة للمناطق النائية، مثل مديرتي العدين والقر: حيث يقيم عليها الجوع والفقر والمرض والجهل، ولك أن تتوقع النتيجة!
- المركز الصحي بالحديدة في شارع شحمان، ودار العجزة في شارع زايد؛ حيث يقوم المبشرون بنور رهيب في الاختلاط بالسطاء، وتقديم العون والمساعدة لهم. كما امتد نشاطهم إلى جامعة الحديدة، وخاصة في قسم اللغة الإنجليزية؛ حيث قاموا بوضع المنهج الذي يشوه الإسلام ويختم التصوير.
- جمعية رسالات المحبة « بعثة الإحسان : « يمتد نشاطها الواضح في صنعاء وتعز والحديدة وخصوصاً بين المصابين بالجدام والأمراض العقلية، وكان لها ارتباط مباشر مع المنصرة الهندية الأم تريزا، وتقوم الجمعية حالياً بالعناية بأرعاية مريض ومسن، وخمسة وثلاثين معوقاً، ولهم مقر ثابت، عبارة عن مبنى ملحق بالمستشفى الجمهوري بصنعاء، يضم حوالي عشر راهبات.
- داران لرعاية العجزة بصنعاء وتعز، وتشرف عليهما راهبات بعثة الإحسان التابعة للأم تريزا.
- جمعية أطباء بلا حدود وتتمتد بالإغاثة، ولها نشاط تنصيري.
- معسكر اللاجئين الصوماليين بالجدون بمدينة أبين، وتقوم المنظمات النصرانية بالدور ذاته بين هؤلاء الفقراء المسلمين؛ حيث تسبهم إخوانهم المسلمون.
- منظمة ماري ستويس وهي نشطة في مجال رعاية الأمومة والطفولة، وتدعم مشاريع تنظيم النسل.

ثالثاً : المنظمات الخائفة :

منظمة أوكسفام: وتدعم العديد من المشروعات المتعددة بالتنمية والتعليم والصحة والقات.

منظمة اليونيسكو: وتدعم مشاريع البنية التحتية، وهذا إزلة الخلاف بين المسلمين والنصارى.

منظمة رادا بارزر: وتدعم المشاريع التي تتعلق بالطفولة.

رابعاً : النشاط السياحي:

نشرت صحيفة الثورة -كمثال- في عددها رقم 12542 ، بتاريخ 15/3/1999م عن وصول 800 سائح إلى عدن، فيما تصل 27 سفينة سياحية تستقبلها الموانئ اليمنية حتى نهاية شهر 3/1999م. وهؤلاء يقومون بالعديد من الأنشطة في نجوالهم داخل اليمن ومنها:

١- توزيع الإنجيل في المدن المختلفة ومنها الجديدة، حيث وزع الإنجيل في السوق المركزي، كما أقيمت الصلوات وحضرها السياح.

٢- توزيع مجلة بالعربية تسمى FISHERS ، وهي تدعو إلى اعتناق النصرانية.

٣- توزيع الفصص المعصورة النصرانية.

٤- توزيع بعض الهدايا والتقاويم التي تحمل شعار النصرانية، في صور مختلفة لكنائس عالمية.

٥- النزول إلى أماكن التجمعات في الأسواق، ومحاولة كسب قلوب الناس بالتصوير معهم.

٦- ومن أبرز نشاطهم ما حدث في منطقة الحسينية؛ حيث وزع بعض السياح شريط فيديو وكاسيت يدعو للنصرانية، وفي ختام الشريط يقوم المحاضر بتلقين المستمع الصلاة والترانيم النصرانية، للحصول على بركة المسيح.

خامساً : النشاط التعليمي الثقافي:

وأتذكر هنا رئيس الجامعة الأمريكية الأسبق هوارد ويلس حين قال : " التعليم في مدارسنا وجامعاتنا هو الطريق الصحيح لزلزلة عقائد المسلم والتزاعه من قبضة الألام " .

المعهد الكندي بصنعاء:

يستتر هذا المعهد خلف تعليم اللغة الإنجليزية، ويتميز بقلّة التكلفة مقارنة بالمعاد الأخرى وقوة منهجيته، وإقامة الرحلات والاحتفالات بنهاية كل دوره، ولا تريد إغارة المدرس عن عام واحد في اليمن، ويستمر المدرسون المغادرون بالتواصل مع طلابهم. ومن مناهجهم :

التعامل الخلاق مع طلابهم، وإثارة الشبهات بشكل فردي لبعض الطلاب، ولا يدخلون في مواضيع خلافية مع الطلاب مجتمعين. كما تزيد نسبة الطالبات عن الطلاب في المستويات الدراسية المتقدمة.

- أما المعهد البريطاني - المعهد الأمريكي - المعهد الفرنسي. فكلها تقوم بالمهمة نفسها، ومقرها صنعاء. ناهيك عن مراكز الدراسات التابعة لهم التي تيسر للمنصرين مهمتهم، وتتيح لهم التجول في اليمن بغرض البحث العلمي.

وتشارك كافة المعاهد في بعض الأعمال، منها:

١- توزيع بعض نسخ من الإنجيل هدايا.

٢- منح دورات مجانية للمتفوقين، ورحلات تعليمية إلى أوروبا؛ حيث قدمت الحكومة الهولندية ثلاثين منحة، في عام 1997م لطلبة من الجامعات اليمنية، وبعدها قدمت الحكومة البريطانية ثلاثين منحة للكليات المختلفة.

٣- مساعدة الطلاب الذين يعانون في مشاكل مالية أو نفسية.

٤- القيام بالرحلات المختاطة لطلابهم.

٥- إثارة الشبهات عن الإسلام.

ARCHIVE

أما دور المؤسسات تجاه عمليات التنصير؛ فهو نشاط حجول يحتاج إلى إنكاء كالجمهر تحت الرماد، ومنه الأنشطة التي قام بها مركز الدراسات الشرعية بمدينة إب؛ حيث أصدر في العدد الخامس من نشرته معلومات عن وسائل التنصير، وأبرز أنشطتهم ووسائلهم. كما قام بعض الدعاة، في مدينة عدن، بإقامة العديد من المحاضرات وتوزيع المطويات التي تحذر الناس من خطر التنصير.

أما مواقف الحكومة اليمنية؛ فيوضحه لنا تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن خلفية بعض الشؤون المهمة في اليمن، للعام 1998م، الصادر عن مكتب شؤون الجزيرة العربية والخليج الفارسي، بدائرة الشرق الأوسط في 30 مايو 1998م. " لكن نتيجة الغموض الذي يكتنف الدستور في اليمن، فيما يتعلق بالسماح بفتح دور للعبادة النصرانية، بالرغم من وجود النص الدستوري الذي يؤكد على أن الشريعة الإسلامية هي مصدر كل التشريعات؛ إلا أن السلطات التنفيذية اليمنية المختصة؛ كثيراً ما تغض الطرف عن كافة الأنشطة الكنسية والنصرانية في عموم اليمن."

وسائل التنصير:

- الأولى : الخدمات الإنسانية : هم يقولون التبشير، السلام، الديمقراطية، الإنسانية، فالخدمات الإنسانية مثل: الإغاثة، والطب، والمساعدات من أهم ما يتوصلون ويتوصلون به. فهم يحملون الإنجيل بيد والعلاج باليد الأخرى، ونحن نعلم أن الأمم المتحدة بمنظمتها، والبنك الدولي، مثلاً منظمة الصحة العالمية، الصليب الأحمر، اليونيسكو، وغيرها، هي وسائل بيد مجلس الكنائس العالمي وعمالته المفروسين في أنحاء العالم.

الوسيلة الثانية : التخريب الأخلاقي، فالكنسية تدار فيها الخمر، وتقام فيها الحفلات الماجنة للمراهقين والمراهقات، من أجل استهواء الشباب وجلبهم إلى التنصيرية. وخاصة إن كانوا من شباب المسلمين. ويسر لهم أسباب الفساد. يقولون: حاولنا أن نغف دونه، لكن عبتنا نحاول لأن قوانين البلد تسمح بإقامة المراقص والملاهي، ولو بجوار المساجد. فقد بينون المساجد ومدارس للأطفال بجوار المسجد فاكتشفوا فيما بعد أن هذه المدارس تعلمهم ميادين المسيحية ولكن بطريقة غير مباشرة.

الوسيلة الثالثة : توزيع الكتب والكتيبات والمجلات، والدوريات، والنصح التي تخدم التنصير -المخصصة لهذا الغرض- بشتى اللغات، وبشتى الأساليب، وفي شتى الموضوعات، مع تعدد دس التشويه والكذب، في مثل هذه الدراسات والكتب والمجلات، هذا فضلاً عن التقاويم (الترنيمات) وفي كل يوم تجد التقويم مرصعاً بأية من الإنجيل مكتوبة بخط جميل ومثونة وزهورة، وأشياء حقيقة تلفت الانتباه وتشد الذهن، وكذلك تطبع كروت التهاني مثلاً بالأعياد: أعياد الميلاد، الكريسمس، عيد رأس السنة، عيد القيامة، إلى غير ذلك من أعيادهم، ويخطوط جميلة وألوان، وصور يزعمون أنها لمريم أو لعيسى، أو فيها آيات من الإنجيل، إلى غير ذلك. فضلاً عن نشر الصلبان في كل مجال وفي كل ميدان، في الملابس، في السيارات، في الأواني، في الذهب، في كل شيء لو تأملت تكاد تجد صليباً موضوعاً على عمد، وأحياناً الملايين منها توزع بالمجان، وترسل بالبريد لمن يريد، ويعملون عن طريق الإذاعات. وتبث هذه الإذاعات وأكثر من ثمانين لغة، ولها صنائيق بريد في العواصم العربية وغيرها، وتستخدم المراسلة والمطبوعات وغيرها للتواصل مع مستمعيها .

سادساً: الرياضة : هناك خطة أن يتولى التنصير العرب الاتصال والتنصير قريباً هناك، وتوزيع النشرات والأفلام، وعناوين المؤسسات التنصيرية في العالم على الحضور وعلى المسافرين إليها. سابعاً: العمل الاجتماعي في مجال المرأة والمجتمع :

فمن ذلك - مثلاً - منظمة فيليبينية تصيرية اسمها "منظمة شادي"، وكلمة شادي عدهم بلغتهم معناها : الرب، هذه المنظمة تهتم بشكل خاص بالمرضى والمعوقين وأصحاب المشكلات النفسية والذين يواجهون صعوبات في حياتهم. والغريب في الأمر: أن هذه المنظمة لها نشرة اسمها " شادي" ومجلس الكنائس العالمي - وهو ربما أحدى سلطة مسؤولة عن التصير - حشد الآلاف من المربيات - كما يقول رئيس إرسالية التصير في الشرق الأوسط: إن مجلس الكنائس العالمي أرسل الآلاف من المربيات والخادعات والمرضات والأطباء والمهندسين لدعم خطة لتصير المسلمين عام ألفين. "هم مصرون على أن يتحول المسلمون عام ألفين إلى نصارى، ولذلك استخدموا حتى: المربيات، والخادعات، والمرضات، والأطباء، والمهندسين. ويقول هذا المسؤول: إن هؤلاء الذين أرسلوا قد اتخذوا الوسائل والأسباب التي نهد لهم التوغل في جزيرة العرب!

ثانياً : المراسلات: وهي من أخطر ما يكون، وأنجح الوسائل لسهولتها وحصولها في الغالب وإمكانية تداولها، وهي تُعدّ الصدفات، وترسل الكتب، والأشرطة، والمجلات، مجاناً إلى من يريد.

آثار الاستعمار البريطاني السياسية والاجتماعية:

أولاً : الآثار السياسية :

تتعدد المحددات الاجتماعية التي كان لها تأثيرها على الاستقرار السياسي في اليمن، ومن بينها تبرز المحددات والأدوار التالية:

أولاً : دور القبيلة:

يتكون المجتمع اليمني من عدة قبائل، ويبلغ تعداد القبائل اليمنية أكثر من (160) قبيلة منها حوالي (140) قبيلة في المناطق الجبلية، وما يقرب من (27) قبيلة تقطن المناطق الساحلية ونهامه، وهناك ثلاث قبائل أساسية، تعتبر كل واحدة منها الأم لمجموعة من القبائل الأخرى التي تتفرع منها وترتبط بها عضويًا. وتعيش حياة زراعية مستقرة، ورعوية في قرى منظمة ومتطورة إلى حد كبير، إضافة إلى خصوبة الأرض، وكثرة هطول الأمطار التي وفرت مصادر حدث من الصراعات والتعمس بالعصبية القبلية. كانت العلاقة بين سكان هذه المناطق والسلطة علاقة جبالية عن طريق المشايخ، وما رافق ذلك من تصف المشايخ بالرعية، والذي أدى بدوره إلى علاقة عدائية بين الطرفين. وهناك عدة عوامل ساعدت على تفكك العلاقات القبلية في مناطق الوسط، والجنوب في العصر الحديث، منها: أن الزعامات القبلية في مناطق

الوسط هم من كبار ملاك الأرض والذي تحولوا في ما بعد إلى طبقة برجوازية، وظهر الصراع الطبقي بين المشايخ كبار الملاك وطبقة الفلاحين، كما ارتبط مشايخ هذه المناطق بالسلطة المركزية التي تعينهم على السيطرة على الرعية، ولا يشارك مشايخ هذه المناطق في السلطة بطريقة مباشرة، كما هو الحال في مناطق الشمال، وإنما تنتهي مهمتهم بإدارة الصراع في مناطقهم، بما يحقق مصلحة المنطقة المركزية. وتطور الصراع بين الرعية والمشايخ مع تطور الصراع بين الشطرين حيث ظهرت انقسامات في هذه المناطق، وحدثت حروب دامية زادت من تفكك العامل القبلي، وعند ظهور التعددية الحزبية كانت تلك المناطق أكثر المناطق ميولا للحزب، كنظام بديل عن التنظيمات القبلية. وتنسم هذه القبائل بالحفاظ على العصبية القبلية والتي لعبت دورا في حالة عدم الاستقرار السياسي في اليمن، وإنباع المذهب الزيدي الذي يبيح الخروج على الوالي فقد ساعدت تلك العوامل على أن تقل تلك القبائل في حالة حرب مستمرة، فجميع الرؤساء الذين حكموا اليمن ينتمون إلى المنطقة القبلية الأكثر تعصبا: حاشد ويكيل.

ويتضح أن المناطق المتعصبة قبليا تمكنت من الاستئثار بالسلطة المركزية، كما احتفظت بسلطاتها المحلية في مناطقها، وأصبحت تمثل دولة داخل دولة ولهذا فإن النظام السياسي القائم على الجهوية، ومركزية الحكم في مناطق قبليّة محدودة، بعد نقطة ضعف حيث يهدد هذا النظام الوحدة الوطنية، والتماسك القومي، ومن مظاهر إخلال القبيلة بالاستقرار السياسي في اليمن:

1. الثار القبلي: فكثيراً ما تقوم الحروب، والثارات القبلية في اليمن بحيث بلغ مجموع هذه الحروب في العقد الأخير من القرن العشرين (407) حروب، وثارا قبليا، وغالبا ما تكون تلك الحروب والثارات نتيجة انتشار ثقافة العنف المسلح، والمعشروط بتوافر الأسلحة الخفيفة والثقيلة والتي تنتشر في اليمن بشكل واسع حيث تقدر بعض الجهات وجود ما يقارب (60) مليون قطعة سلاح تنتشر في أنحاء اليمن، ويشير تقرير تقدم به مجلس الشورى إلى وقوع 1979 حالة قتل في إطار الثار القبلي خلال عام 2001 م في محافظات صنعاء، وعمران، وذمار والبيضاء .

2. انفجرات الاجتماعية والتآكل المطرد للمعايير العرفية، وضعف الحكومة والنشر السلاح، والتنافس على مصادر المياه الشحيحة، واحتدام التنافس بين الزعامات الدينية، غذت الصراعات القبلية.

3 الصراع السياسي بين القوى الحزبية، حيث تحدث الثارات القبلية على خلفيات سياسية، وتنتشر هذه الحالة في المناطق الوسطى.

4. الاختناقات القبلية: حيث نتجاً القبائل إلى عملية الاختناقات، كوسيلة متعارف عليها قبلها وكانت هذه الظاهرة محصورة بين القبائل المتصارعة، حيث يمثل اختناقات أحد أفراد القبيلة وسيله ضغط على القبيلة الأخرى، في فضيه النزاع، وعند تطور دور الدولة في الحياة الاجتماعية الاقتصادية استخدمت القبائل الاختناقات في الضغط على الدولة، وانتقلت هذه الظاهرة فيما بعد لاختناقات الأجانب الوافدين إلى اليمن، نتيجة زيادة الدور الأجنبي في الحياة السياسية والاقتصادية والمساعدات؛ كوسيلة ضغط على الحكومة اليمنية والحكومة الأجنبية في نفس الوقت، لتحقيق مصالح القبيلة.

فغالبا ما تقدم القبائل على الاختناقات لعدة أسباب منها : الحصول على خدمات أو مشاريع عامة، والضغط على الحكومة لتوظيف العديد من أبناء القبيلة، وإقامة بعض الناظرين بالاستيلاء على أرض تعود ملكياتها لأحد أبناء القبيلة، والضغط لإطلاق مساجين على نمة قضية خاصة أو عامة، أو لإنهاء نزاع معروض أمام القضاء منذ فترة طويلة، ومطالبة بعض القبائل التي تقطن المناطق النفطية، أن يكون لهم نصيب في النفط المستخرج من مناطقهم. وعلى الرغم من أن ظاهرة المجالس والمؤتمرات القبلية تعود إلى الستينات من القرن الماضي، بعد ثورة 26 سبتمبر، إلا أن القبائل لجأت إلى عقد تلك المجالس، والمؤتمرات القبلية بعد التعددية الحزبية، فإذا كانت التعددية الحزبية قد أعلنت عام 1991م فإن أول مؤتمر قبلي، انبثق عنه مجلس قبلي، كان في نفس العام وهو مؤتمر التلاحم الوطني.

ثانياً: التقسيم الطبقي:

بعد التقسيم الطبقي من العوامل المثيرة للصراعات، والاختلافات، كون الطبقة تؤدي إلى حتمية الصراع الاجتماعي، وتأتي المنافسة بين الطبقات المختلفة من عوامل بناء تركيبة المجتمع الاقتصادي والسياسي، والصراع الطبقي نتيجة حتمية لانعدام العدالة الاجتماعية، ويتكون التركيب الاجتماعي المعاصر في الجمهورية اليمنية من خمس مراتب :

الأولى : تضم مشايخ القبائل، وتقوم غالبا على أساس وراثته المشيخة والزعامة القبلية.

والثانية : تشمل فئة السادة والقضاة والعقهاء.

والثالثة : وتحتوي ثلاث فئات متقاربة ومتداخلة هي: الاعيان العفالي، وفئة أمناء القرى وفئة جمهور القبيلة، والمزارعون المستقرون أو البدو الرحل.

والرابعة : تضم الفئات الحرفية والمهنية، والتي تمارس حرفاً ومهنها وضبعة قبلياً تحرم الأعراف القبيلة على رجل القبيلة القيام بها، وهذه الفئات هي: الصناع، الجزؤون، الحلافون، الدواشين. والخامسة : وتضم فئة الخدام واليهود.

والتقسيم الطبقي في اليمن يقوم على أساس وظيفي مهني في جميع المراحل التاريخية، كما ظلت القبيلة هي التينة الأساسية في المجتمع، والتي يتم من خلالها ودخلها الفرز الطبقي للمجتمع.

إلا أن التقسيم الطبقي في عهد الإمامة الزيدية كان واضحاً وشاملاً، كونه اتخذ كأساس للحكم، وانتقص من حق الأغلبية فظهر الصراع الطبقي ثم الثورة والحرب، وعلى الرغم من أن الثورة قامت ضد الطبقة؛ إلا إن المجتمع اليمني ظل يحافظ على هذا التقسيم الطبقي حتى اللحظة في إطار المجتمع القبلي، فحلت فئة مشايخ القبائل محل السادة في الطبقة العليا بعد الثورة، فالتقسيم الطبقي في اليمن يطرأ عليه بعض التغيير في المراتب العليا حسب التغير في الوضع السياسي، ويلعب التقسيم الطبقي دوراً في حالة عدم الاستقرار السياسي. فنتيجة للفرز الطبقي قامت أحزاب وتيارات سياسية ذات أبعاد مذهبية، وأخرى ذات أبعاد سلالية ذات اتجاهات سياسية. وعلى الرغم من أن التعددية السياسية، والحزبية لعبت دوراً في خفض وطأة التقسيم الاجتماعي، عن طريق منح العضوية، والمقاصب لجميع الطبقات كما مثلت الانتخابات عامل مساواة بين الطبقات من خلال ضمان حق جميع الأفراد في الترشح، والانتخاب إلا أن الأحزاب تفضل غالباً استرضاء مشايخ القبائل، واستمالتهم للانضمام إليها على حساب حرية الطبقات الأخرى التي تندرج في الطبقات الدنيا في سلم التقسيم الطبقي داخل القبيلة ذاتها. ولا زالت الطبقة، والتقسيم الاجتماعي تتحرر في جسد المجتمع اليمني، فوفقاً للتقسيم الطبقي القائم على أساس قبلي، مثلاً يحرم التزاوج بين الطبقات فلا يمكن لغرد من طبقة القبائل أن يتزوج من طبقة لا تنتمي إلى نفس الطبقة، أو أعلى منها وإن أقدم على ذلك فإنه يتعرض للقتل أو التفتي. وقد كشفت عن وجود حالات رق، وعبودية في محافظات يمنية ويقف وراء استمرار حالة الرق والعبودية: محاباة النظام السياسي لمشايخ القبائل، والذي يعتمد عليهم النظام في عملية الحشد والتأييد في الانتخابات العامة. وتقدر بعض المصادر عدد المهمشين من طبقة الاخدام في اليمن بما يقارب 800 ألف تسمية وأسست هذه الشريحة منظمة الأحرار السود بهدف الدفاع عن حقوقهم، ونتيجة للهوة التي تفصل هذه الشريحة عن الشرائح الأخرى من المجتمع قبلياً تمثل قبلة موقوتة للأمن والاستقرار السياسي والاجتماعي، كما تمثل مشكلة لليمن أمام الدول، والمنظمات الأخرى. إن التغييرات التي طرأت على الوضع الاقتصادي، والأخذ بنظام الرأسمالية

والخاصة، كان لها تأثير في التركيب الطبقي في الجمهورية اليمنية، حيث اتجهت بعض الطبقات مثل طبقة المشايخ، والقادة العسكريين إلى مزاولته النشاط التجاري، والذي كان محصورا في طبقة التجار، ونتيجة سيطرة هذه الطبقة على الثروة، إلى جانب السلطة السياسية، حدث فرز جديد في المجتمع اليمني على أساس طبقي اقتصادي، ونتيجة لانتحام تلك الطبقة للمجالات التي كانت مقصورة على الطبقة الوسطى؛ ثلاثت الطبقة الوسطى التي كانت تعزل بين الطبقتين الدنيا والعليا، فانتسعت شريحة الطبقة الدنيا مدعومة بثلاثي الطبقة الوسطى حيث أصبح 50% من عدد السكان تحت خط الفقر.

الخاصة:

وهكذا رأينا أن هذه الفترة شهدت محاولات لتدخلات أجنبية، كان هدفها هو تدمير أرض جنوب الجزيرة ويا ب المنذب، ان بجانب التنافس السياسي الذي شهدته هذه المنطقة، شهدت أيضا تنافسا تجاريا بين الحكومات الأوروبية من جهة، والمحلية من جهة أخرى. ورأينا كيف كانت الغلبة البريطانية أولا ثم اعقبها حركات ثورية كان هدفها الاستقلال وطرد المستعمر الذي حاول طمس الهوية الدينية من هذه المناطق، لكن لم يلق المسلمون مكتوفي الأيدي أمام الحملات الصليبية القديمة والجديدة، التي استهدفت تدمير المعن وإراقة الدماء. والدور المطلوب اليوم من العلماء وطلبة العلم، والمؤسسات التعليمية الإسلامية، وبيئات الإغاثة، والجمعيات الخيرية - جد كبير؛ فيجب أن تتوحد الجهود، وأن يعلم الجميع بأن وسائل المواجهة هي ذاتها أساليب الدعوة؛ فهدفنا نحن المسلمين ليس مجرد المواجهة والصد، بل يتعدى الأمر أكثر من ذلك وهو: الدعوة إلى الله بحيث نسمي إلى هداية هؤلاء المنصرين أو بعض منهم، ولا شك أن من أهدافهم الهيمنة على البلاد التي يكون لهم فيها وجود ينكر بأي وسيلة.

المراجع

- بشرى الغزالي، حجة محافظة الفصول الأربعة والتقسيم الطبقي، مواقع حديث المدينة بتاريخ 16 يوليو 2010م.
- التغيرات القبلية وتحريك الاقتصاد أضعضا أصحاب الدخل المحدود (بتاريخ 26/3/2011م).
- جابر بن يحيى البواب، اليمن وقاهرة الإرهاب الدولي 2007-1990م، مذكرة مقدمة لتلخيص درجة الماجستير في العلوم السياسية، الجزائر، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، كلية العلوم السياسية والإعلام قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2008م
- جاد طه، سياسة بريطانيا في اليمن الجنوبي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1969 م .
- جميلة العيسى، الصراع البريطاني الفرنسي حول البحر الأحمر، العبيكان، 1421 هـ.
- حسن خصيري أحمد ، قيام الدولة الزيدية في اليمن ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ط 11996
- خالد محمد القاسمي: الوحدة اليمنية حاضرا ومستقلا ، بيروت ، ط 1987م .
- خديجة الهيصمي، سياسة اليمن في البحر الأحمر - القاهرة ، مكتبة مدبولي ط 2002م
- دستور الجمهورية اليمنية/المادة/64/107 ، نت <http://Archive.be>
- عبد الله أحمد بن أحمد، أهمية الجنوب العربي في الاستراتيجية الدولية، 15 Feb 2004 /
- عبد الوهاب محمد الروحاني، اليمن خصوصية الحكم والوحدة والديمقراطية، القاهرة. مكتبة مدبولي ط 2008.1
- عبد العزيز قائد المسعودي - اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة (1967-1911م)، مصر، القاهرة، ط 2006 م.
- عبداللطيف الحميد، البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، ط1، الرياض، 1415هـ.
- عبدالواسع الواسعي، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر ، ط 1366.2هـ.
- عبدالواسع اليماني، تاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط 1402.2هـ.

- علي الصراف، اليمن الجنوبي الحياة السياسية من الاستعمار لتوحدة، ط1، لندن، 1992م.
- فاروق أبالقة، الحكم العثماني في اليمن، بيروت، ط2، 1979م.
- مجلة الأسرة، العدد (83)، العدد (155) رجب، 1421 ، أكتوبر ٢٠٠٠.
- محاضرة لمجيبية للشيوخ سلمان بن فهد العودة عما شاهد وسمع وقرا.
- محمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ط2، الرياض، 1402.
- محمد عمر الحبشي، اليمن الجنوبي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا منذ عام1937م وحتى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، دار الطليعة، بيروت، 1970م.
- محمد محسن الظاهري، المجتمع والدولة، دراسة العلاقة القبلية بالتعددية السياسية والحزبية الجمهورية اليمنية نموذجا الفاهرة ، مكتبة مدبولي ط2004م
- محمد محسن الظاهري، الدور السياسي للقبيلة في الجمهورية العربية اليمنية، القاهرة . مكتبة مدبولي ط1996م.
- المركز الوطني للمعلومات. نبذة تعريفية عن محافظة الضالع 2011.
- المركز الوطني للمعلومات. نبذة تعريفية عن محافظة عدن 2011.
- مسح آثارى لمدينة عدن الكبرى، مديرية صيرة -كربتر -الموقع الأول 2004 م -اعداد الهيئة العامة للآثار عدن. منشور في صحيفة/26 سبتمبر /رقم العدد 1230 : السبت 09 مارس - آذار 2013
- لناصر محمد الطويل - الحركات الإسلامية والنظام السياسي في اليمن من التحالف إلى التناقص، مكتبة خالد بن الوليد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.
- اليمن في الوثائق السرية الأمريكية، رسائل متبادلة بين الشيخ عبد الله ووزير خارجية واشنطن وتقسيم الحكومة الطائفية بلغت انتباه دبلوماسي أمريكي
- http://almasdaronline.info/index.php?page-news&article-section-12&news_id-9943
- مدرسة الصراع الطبقي <http://www.rafed.net/books/aam/edalah-ejtemaeyye/06.html>
- مجلة البيان، قضية عربية : الاختلاف في اليمن. المشكلة الآثار الحثول <http://www.aibayan.ae/one-world/1-2-1998-06-02-1.1018731>

- عصر العسقي، النظام يتقاضى عن مشكلة العودة خوفا من خسارة حلقاء، المصدر اون لاين
6/2/2010 http://www.almasdaronline.com/index.php?page=news&article-section=1&news_id=9303
- عبده عابش، حروب الثورات في اليمن تؤدي بحياة المئات وتقلق الأمن والسلم، مقال مستل من مجلة العلوم الاجتماعية، الصادرة 15 أبريل 2011 م
<http://www.swmsa.net/articles.php?action=show&id=867>
- <http://ar.wikipedia.org/wiki>
- <http://forums.ibb7.com/ibb28072.html>
- <http://h--almadena.net/index.php?action=showDetails&id=2049>
- http://sh_rewayat2.com/public/Web/6417/003.htm
- <http://wikimapia.or>
- <http://www.hdrmut.net/vb/showthread.php?t=414024>
- <http://www.oxfam.org/en/>
- <http://www.sudanile.com>
- <http://Archivebeta.Saikh>
- Muslim Population by Country'. The Future of the Global Muslim Population. Pew Research Center. Library of Congress – Federal Research Division
- U.S state Department
- <http://www.al-tagheer.com/news28099.html>
- 2001 <http://www.yemenviolence.org/pdfs/Yemen-Armed-Violence-IB1-Arabic.pdf>